العدد ٨٢ ذو الحجة ١٤٠٢ هـ - أكتوبر ١٩٨٢ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

عفوًا.. أبا هُرَيْرَة

بقلم الدكتور محمد عبده يماني

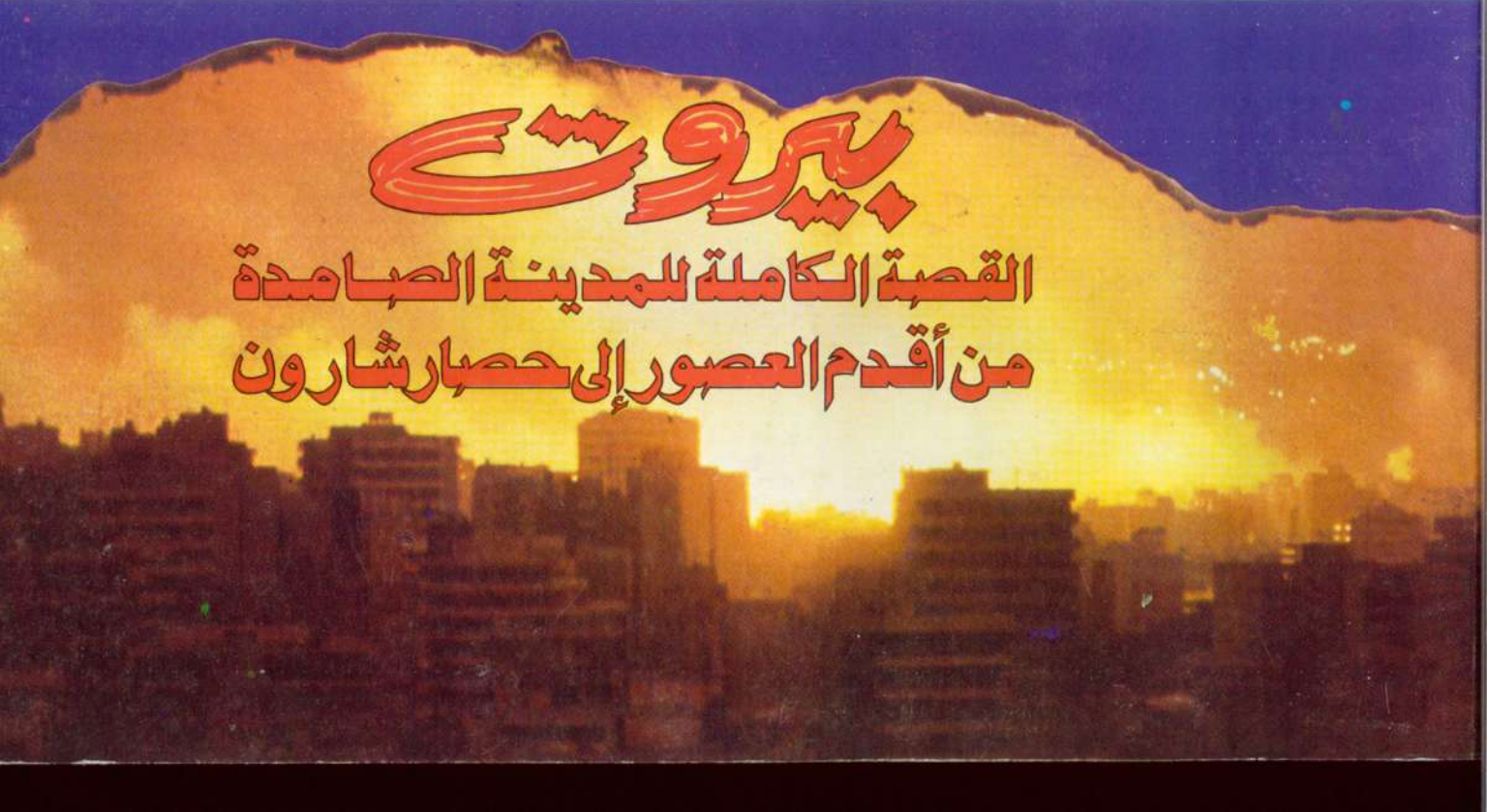


عمامة الشيخ محمد عبده



مستشرق فرنسي في دفاع مجيد عن الإسلام

لماذا الإلحاد ؟.. بقلم: خالد محمد خالد



بيروت

القصة الكاملة للمدينة الصامدة

من أقدم العصور إلى حصار شارون



ميرندا بطعم البرتقال الطبيعي



مجلة شهرية ثقافية جامعة

تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٨٢ - ذو الحجة ١٤٠٢هـ - أكتوبر ١٩٨٢م

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات:
داخل قطر ١٠٠ ريل قطري
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
في باقي دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار:

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

مكاتب توزيع الدوحة

● السودان :
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب : ٣٥٨/٨ - الخرطوم

● مصر :
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة .

● المغرب :
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ملتقى زنقة د. ديفان وزنقة سان سانس .
ص . ب : ٦٨٣٠٣ - الدار البيضاء

MOROCCIO
SOCHEPRESSS
P.O. BOX NNO. 683
CASABLAINCCA

● سوريا :
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكه - بجانب ثانوية فايز منصور
ص . ب : ٤٩٠٢٢ - دمشق .

● العراق :
الدار الوطنية للنشر والتوزيع للاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة

● تونس :
الشركة التونسية للصحافة .
٣ نهج المغرب
ص . ب : ٤٠٠ - تونس

TUNIS
SOTUPRESSSE
3 RUE DU MMOROC
B.P.N. 440 - TUNIS

● السعودية :
مؤسسة الجمهريس للتوزيع والاعلان
ص . ب : ١٤٠٥٥ - الرياض
مكتبة جدة :
ص . ب : ٩٥٠٠ - جدة
مكتبة ومطبعة خياط
المدينة المنورة

● الكويت :
دار الكويت للصحافة .
ص . ب ٢٣٩١١٥ صفاة
الكويت

● لبنان :
الشركة العربية للتوزيع .
ص . ب : ٤٢٢٨ - بيروت

● الجزائر :
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر

ALGER
S.N.E.D
20 RUE DU LIBARTE
ALGER

● ليبيا :
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب : ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازي : ص . ب : ٣٢١ - بنغازي

● الاردن :
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب : ٣٧٥ - عمان

● البحرين :
دار الهدى :
١ شارع المعارف - بناية المرازي
ص . ب : ٥٠٥ - المنامة

● سلطنة عمان :
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر :
ص . ب : ١٠١١ - مطرح
مسقط

● الجمهورية العربية اليمنية :
مؤسسة سبا العامة للصحافة والانباء .
ص . ب : ١٤٣٠ - صنعاء

الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب : ٧٣١٧ صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :
مؤسسة ١٤ اكتوبر للطباعة والنشر .
ص . ب : ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن .

● الامارات العربية المتحدة :
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب : ٧٩١ - ابوظبي .

- جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
- الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام
- المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هـــــذا العـــــدد



خالد محمد خالد



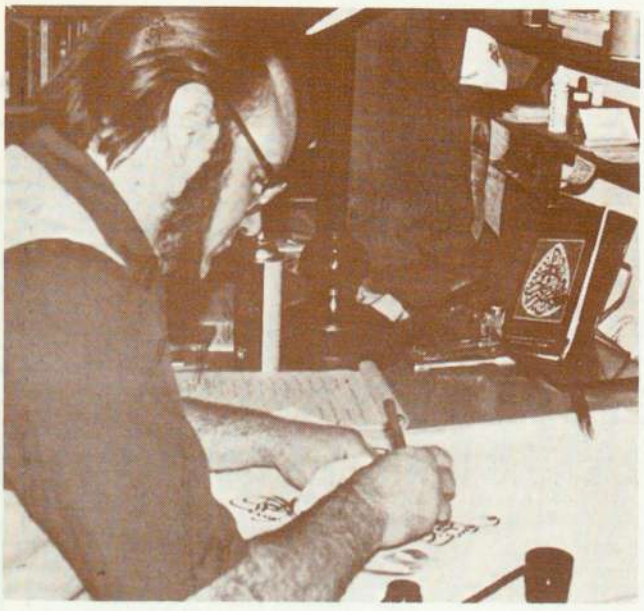
عبد الله الجفري



د . محمد جابر الأنصاري



د . عبد السلام العجيلى



الفنان الامريكي الذى اعتنق الاسلام واصبح استاذا متخصصا في تعليم الخط العربي فى جامعة « جورج تاون » (ص ٧٨) .

● عفـوا أبـا هريـــرة ..... د. محمد عبده يماني ٦

● الاضواء والظلال فى صورة العقاد المركبة ..... د. محمد جابر الأنصاري ١٠

● ياسيدي الانســان ؟! ..... عبد الله الجفري ١٤

● الناقـــد .... القـط ! ..... محمود السعدني ١٦

● آراء حـــرة .....

ـ داروين وفتنتــه النائمة ..... د. عبد الله العبادي ٢٠

ـ « بول كراوس » بين الفضيحة المالية والفشل العاطفي ... د. نصار عبد الله ٢٣

● بين الشعبين المصـــري والفلسطيني ..... اللواء ابراهيم محمد الفحام ٢٤

● جـدع وابن بلد ... (قصيدة) ..... أحمد دحبور ٢٩

● لمـاذ الالحـاد والايمان حـق ؟ ..... خالد محمد خالد ٣٣

● دار الكتب الظاهرية بدمشق تتجاوز عامها المائة ..... وجيه الشربجي ٣٦

● شذرات من الفكر الاقتصادي والاجتماعي في شعر شوقي كمال النجمي ٤٠

● القصة العربيــة القديمة ..... عباس خضـر ٤٣

● فـكتور هوجو : عبقرية هزت الحياة الأدبية ..... جمال الكناني ٤٦

● عمامة الشيخ محمد عبده ..... فتحي رضوان ٥٤

● فصول أبي البهاء في خدمة الطب ..... د. عبد السلام العجيلي ٥٨

● مشروع الكونجرس لانقاذ يهود أوربا ..... د. عاصم الدسوقي ٦٠

● الفنان الهائم بين جمال الفطرة وبراكين الطبيعة ..... جمال قطب ٦٦

● اللوتـــس : زهرة الحـــب والأساطير ..... سمير عطـا ٦٨

● المسجد ودوره الحضاري فى دولة قطر ..... د. حسن عيسى عبد الظاهر ٧٢

● فنان امريكي يبدع فى كتابة الخط العربي ..... يوسف احمـد ٧٨

● تعلموا عشق الفك المفترس ..... مجدى نصيف ٨٢
● شهر في كندا ..... نادية رزق ٨٦
● لقطات من الكون المثير ٩٢
● العلم أمام القضاء في قضية القرد المظلوم ..... د. عبد المحسن صالح ٩٤
● وعود الاسلام ... (كتاب الشهر) ..... عرض وتقديم : د. على حسن تقي ١٠٠
● دائرة المعارف القرآنية ..... د. محمد البهي ١٠٥
● كليوباترا : رمز الوطنية فى الأدب الشعبي المناهض لروما د. أحمد عتمان ١٠٦
● مجلس التعاون لدول الخليج العربية ..... (بحث جامعي جديد) ١٠٩
● رسالة لندن .....
- أزمة المجلات الأدبية فى الغرب .....
- صناعة القواميس واجب وطني .....
- صيني ، ولكنه فن عظيم ..... علي شلش ١١٢
● السبع ... (قصة) ..... مصطفى ابو النصر ١١٨
● ليس بالغذاء النظيف وحده يطمئن الانسان ..... د. عز الدين فراج ١٢٣
● علياء ذات القلب الصغير ... (لوحة مسرحية) ..... نبيل الالفي ١٢٦
● مشكلة الجمهور والفن التشكيلي القطري ..... محمد علي عبد الله ١٢٨
● بيروت : القصة الكاملة للمدينة الصامدة ..... عصام شريح ١٣٠
● دوحة الماضي ١٣٩
● العلم هو المستقبل ..... لبنى الريدي ١٤٤
● دليل القارىء الذكي الى الكتب الجديدة ..... حسني شحادة ١٤٦
● انهم يضحكون مع هذا الفيلم ..... رءوف توفيق ١٤٨
● ضحكات هذا الشهر ١٥٤
● دوحة القراء ١٥٦
● استراحة الدوحة ١٦٠

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

مدير التحرير : عبدالقادر حميدة
المدير الفني : أحمد فاضل
المحرر العام : كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج : مرزوق بشير

التحرير : النور عثمان أبكر
عبدالله جابر
نادية رزق
ممدوح عبدالرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني : نائلة محمد فتحي

سكرتير التحرير الفنيان : أحمد عبدالله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

عفوًا.. أبا هُرَيْرَة



بقلم :
الدكتور محمد عبده يماني

عندما يسود الساحة الثقافية مناخ عقلانى يتعامل مع عناصر الفكر والثقافة بأسلوب علمى راشد ، فان ذلك يعد من الظاهرات الصحية التى تزود عالم الأفكار بالعمق والاتساع ، وتصبح الاصالة أكثر رسوخا ، وتتبدد من سماء الحياة العقلية المتصلة على الزمن ، غيوم أظلم بها الماضى ، وغابت فى ظلها نصاعة التراث بكل ما يمثلة للتاريخ ، والحاضر والمستقبل .

والمتتبع للتراث الفقهى والعلمى والفكرى للأمة الاسلامية ، يشعر بما يختزنه من كنوز ومعارف ، تعكس صورة الحضارة الاسلامية وتطورها منذ البداية والانطلاق والجمود ، والانبعاث ، بكل الموجات والمراحل التى شملتها كل حقبة منها .

وسوف يلاحظ العقلاء ان هذا المد الحضاري كان يتعرض دوما ، وحتى فى اوقات العنفوان ، إلى محاولات كابحة ، تستهدف ايقافه او النيل منه او تشويهه او الانتقام مما يمثله ، وسوف يرون ذلك واضحا منذ الاسرائيليات القديمة ، وحتى « الاسرائيليات المعاصرة » ابتداء من الطعن على المنطلقات والروافد ومرورا بمحاولات النيل من الاعلام والعلماء الذين كانوا رواد تلك الحضارة وعمدها ورسلها ثم بمحاولات واده صليبيا .. ثم انكار الدور الاسلامي نهائيا .

وبعد عصر الاجتياح للعالم الاسلامي ، والتخلص المصاحب له من عقد النقص الغربية ظهرت بوادر الاعتراف بفضل المسلمين على الغرب ، الذى لم يعد يجد غضاضة فى ذلك وإلى جانب الذين انكروا ـ بالحقد ـ اي دور للمسلمين ، ظهر من يحصر فضلهم فى نطاق الترجمة والنقل لحضارة اليونان والرومان ، كما ظهر من تحرر من الرواسب والعقد والحقد وتحلى بالانصاف والعدالة ، فوصل إلى حد الاعتراف لهم « بتمدين اوربا » ونقلها من عصور الظلام والهمجية إلى فجر الحضارة ونورها .

واستمر الدور الحاقد ضد الاسلام ـ حتى وعالمه سادر فى نوم التخلف العميق ـ باعتبار الاسلام مصدر قوة لهذا العالم المترامي الاطراف ، وغرست بذور الحقد حتى فى مناهج التعليم الأوربية ، بما اضفى على الكراهية الموروثة من الحروب الصليبية طابعا رسميا ـ تشهد اوربا الآن بعض محاولات للتخلص منها ـ وبعد ان امتزجت تاريخيا بالكراهية « للدين » الذى كان عندهم مسئولا عن التاخر والجمود والعداء للنهضة ، انتقلت العدوى الى شعوبنا المتطلعة الى النهوض من رقادها الطويل فى شكل عداء مماثل للدين باعتباره مقاوما للتقدم ، دون تمييز لدور الاسلام فى

تلقت « الدوحـــة » من الأديب والعالم الكبير الدكتور محمد عبده يماني ، وزير الاعلام السعودي هذا المقال الهام الذى يناقش جذور الغزو الفكري للشخصية الاسلامية والعربية ، ويتصدى لهذا الغزو باقوى الحجج وأسطع البراهين ... وقد تلقت « الدوحة » مع هذا المقال الهام الذى يسعدها أن تقدمه الى القاريء العربي في كل مكان رسالة كريمة من الدكتور يماني موجهة الى رئيس التحرير يقول فيها : « أبعث أصدق التهاني لكم ولأسرة الدوحة على المستوى الرفيع الذى وصلت إليه ... وأسأل الله لكم مزيداً من التوفيق » ... والدوحة ـ من جانبها ـ تعتز بمشاركة الدكتور يماني فى تحريرها وتعتز بشهادته أعظم الاعتزاز .

رئيس التحرير

صنع الحضارة ، على عكس المسيحية . وعمق هذه الآثار السلبية ان تشربت بها كثير من الشخصيات التى نالت تعليمها فى اوربا ، وعادت لقيادة الحركة التعليمية والثقافية والتشريعية والاجتماعية ، وافرزت من يعتقد انه لا تقدم لعالمنا الاسلامي إلا بطرح الاسلام جانباً ، او عزله عن الحياة ، ومن يعتقد انه لابد من اتباع مناهج الغرب وحضارته .. بخيرها وشرها وحلوها ومرها .

وكانت الرؤية تشير إلى صعوبة استمرار الاحتلال العسكري لديار الاسلام وكان التخطيط يفضل استمرارية الاحتلال من خلال عالم الأفكار . بالاستيلاء على العقول ، التى تتولى ـ فى ظل تشويه الاصالة ـ ونيابة عن القوى المعادية للاسلام ، تكريس التبعية والولاء ، وهو ما لا يتاتى تحقيقه إلا باضعاف الاسلام وتحطيم رموزه واركانه ، ابتداء من الطعن على المنطلقـــات والروافـــد منـذ « الاسرائيليات » والصليبيات القديمة ، وحتى المعاصرة .

وإذا كان سلاح الفكر ودعاوى العلمية ، وحرية الرأي والنقد ، والبحث العلمي وما إليها ، أهم « سواتر » العصر فى محاولة النيل من الاسلام والمسلمين فاننا نلاحظ ـ ونفتح هنا قوساً ـ ان العدوان الاسرائيلي الاخير على الشعبين الفلسطيني واللبناني اثبت ان الغزو والقمع والابادة ، لم تستبعد من اساليب الحقد والعداء المتاصل وإنما كانت تعاد صياغتها بعناية فائقة ، لا لتتستر وراء عبارات عصرية زائفة ، ولكن لتستفيد بمكتسبات التكنولوجيا فى القتل والتدمير والتخريب والتصفية . واصبح وصف الابادة والمجازر الوحشية والهمجية ، بمثابة تبسيط للوقائع والحقائق التى يرقبها العالم المتحضر بدرجات متفاوتة من الرضى والحماس ، او عبارات التنديد والاستنكار الجوفاء ، ونقفل القوس .

ونعود الى سواتر العصر فى التهجم على الاسلام ، ونجتزىء فى هذا المقال بنموذج يتمثل فى محاولة تقويض الشوامخ والاعلام وتجريحهم والطعن عليهم ، مع مثال تطبيقي ، والآثار الخطيرة لذلك .

وبادىء ذى بدء ، فانه من البديهي عندما تتعرض امة لمحاولة اعدائها النيل من ابطالها وشوامخ رجالاتها ، ان تنبري للدفاع عنهم ، فهم يشكلون رمزاً لجهادها ومعالم تاريخها وفكرها وتطورها فى كل مجال ، وهذه العملية فى جوهرها هي دفاع عن الذات وتشبث بمقوماتها واعتزاز بهـا ، واي محاولة من هذا النوع تستثير وتستنفر ردود فعل عفوية بدافع الوعي بمقاصد الاعداء . ولكن عندما تتوجه هذه المحاولات ضد الامة من الداخل ، وبواسطة ابنائها هي ، فانها تكون اخطر واشد فتكا ، فهي تتسلل كالوباء الخبيث والناس عادة لا يتخوفـــون ولا يخونـــون اخوانـــهم ، ولا يحسبون الماضى والحاضر او المستقبل إلا فى مامن ما امنوا عدوهم ، فاما حين يكون العدو من داخلهم ، فالتنبه لذلك يحتاج الى وقت ، كما يحتاج المرض الخبيث والعياذ بالله قبل اكتشافه ، وعلى قدر السرعة فى اليقظة والحسم فى المواجهة قبل فوات الاوان يكون الأمل .

وهذا ما ادركه اعداء الامة فاعتمدوا الهجوم من الداخل ، وبعناصر تم الاستيلاء على عقولها وارادتها لتقوم بالدور المرسوم نيابة عنهم . وسوف اضرب مثلا واحداً بالتطبيق لهذه القضية وتوضيحاً لها .

هذا هو الصحابي الجليل الورع ابو هريرة رضي الله عنه ، لا يوجد مسلم إلا ويحفظ لهذا اليماني الدوسى العالم فضله بما حفظ من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو الى ذلك من هو فى صدق الايمان والتقوى والمروءة ورفيع الاخلاق والتادب بادب الله ورسوله ، وهو فى التعفف بما لا مزيد عليه بعد شهادة القرآن لاهل الصفة « يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف » وربما لم يتعرض احد من الصحابة لمثل ما تعرض له ابو هريرة من السباب والطعن والتجريح ، حتى لم يدع بعضهم نقيصه ولا جارحة من القول إلا لصقها به وحاول بها النيل منه . وهذه الحملات المتحاملة قديمة منذ « النظام » وامثاله ، قيض الله لها ابن قتيبة رحمه الله الذى استعمله الله سبحانه فى خدمة كتابه كما فى تاويل مشكل القرآن واستعمله فى خدمة سنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما فى كتابه « تاويل مشكل الحديث » الذى ذب فيه عن المحدثين وعن ابى هريرة على وجه الخصوص ورد عنهم غائلة المبتدعة واعداء الدين . والحق ان امثال اولئك القدماء ، افرزوا مادة اخصبتها احقاد وعداوة للاسلام تاصلت فى نفوس بعض الزنادقة ، ونفخ فيها المستشرقون وتابعهم عليها اسرى الغزو الفكري والتبعية وعقد النقص ، حتى لقد تطاول من لا نسميه إزدراء لشانه فسماه شيخ المضيرة تهكما عليه . ولا يحسبن احد ان ذكرنا لما تهجم به البعض على ابي هريرة ترويج له حاشى لله ، فان من كان فى علو منزلته وسموق شانه لا ترتفع تلك الترهات الى مواطىء قدميه ، وإنما اردنا ان يعلم الشباب على وجه الخصوص ان الطعن باسم العلمية او حرية النقد وما إلى ذلك ، ما هو إلا تستر زائف يخفى البغض للاسلام . وماذا على انسان من كان أن يعجبه لون من الطعام . ماذا لو كان ابو هريرة تعجبه المضيرة وهي مريقة تطبخ باللبن المضير اي الحامض وقد تخلط بالحليب . اللهم لا شيء إلا ان تكون مدخلا للمبغضين حين يقولون :

« فياكل مـع معاوية فـاذا حضرت الصـــلاة صلى خلف علي ، فاذا قيل له فى ذلك قال : مضيرة معاوية ادسم واطيب والصلاة خلف علي افضل . » او يقولون انه كان يصلى فى جماعة علي ، وياكل فى جماعة معاوية ، فاذا حمى الوطيس (فى وقعة صفين) لحق بالجبل ويقول : على اعلم ومعاوية ادسم والجبل اسلم . وليس هذا كلاماً أو نقداً علمياً لنتساءل كيف كان يتسنى لابى هريرة ان ياكل المضيرة فى الشام ويصلى خلف على فى العراق بينما

عفوًا..أبا هُرَيْرَة

هو يعيش فى الحجاز وكيف استطاع ان يصانع متحاربين فى موقعة لم يشهدها حتى لو كان شهدها (دفاع عن السنة ـ لفضيلة الشيخ محمد ابو شهبه) .

المسألة ليست نقداً أو بحثاً علمياً ، لكنها فى المنطلق الطعن على واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لماذا ؟ تلك هى البداية فى محاولة تقويض الاسلام وليس فى ذلك ادنى مبالغة . لقد علمنا الاسلام ان نحترم الصحابة الذين كان لهم شرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم عدول لا يتعمدون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لهم خيرية وسبقا ثابتين بالقران « كنتم خير أمة اخرجت للناس .. » والآية تشملهم « والسابقون الاولون من المهاجرين والأنصار » وعلمنا رسول الله ان نعرف لهم كرامتهم ومكانتهم « لا تسبوا أصحابى ، فو الذى نفسى بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه» .

وقال : « اللـه .. اللـه فى أصحابي لا تتخذوهم غرضاً ، فمن احبهم فبحبى احبهم ومن أبغضهم فببغضى ابغضهم ، ومن اذاهم فقد اذانى ، ومن اذانى فقد اذى الله ومن أذى الله فيوشك أن ياخذه » .

والهجوم على واحد من الصحابة تقويض لهذه الدعامة ، ينفتح معها الباب على الفور للانقضاض على غيره من الصحابة وهذه هى الثانية ،والثالثة أن تجريح هؤلاء يمتد بالضرورة الى ما نقلوه الينا ورووه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا قوضت السنة بالمطاعن على رواتها وثقاتها انهار الأساس الثاني للاسلام ، والسنة شارحة ومبينة للقران ومشرعة ، فقد بلغ الرسول عليه الصلاة والسلام كتاب ربه ، وبين للناس ما نزل عليهم . أنزل الله عليه الكتاب ، وانزل عليه الحكمة أى ان السنة منزلة كذلك كما اشار الى ذلك الاستاذ المحدث الشيخ السيد صقر فاذا جرحوا الشوامخ من حفاظها ورواتها ونقلتها الثقات والمحققين من الأفذاذ الذين نذروا حياتهم لحفظها وصيانتها ، فقد جرحوا شهودنا لابطال الكتاب والسنة ، وما ادق ما أورده فضيلة الشيخ ابو شهبه فى كتابه القيم « دفاع عن السنة » حين نقل مقالة الامام ابو زرعة الرازى حيث يقول : اذا رأيت الرجل ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه زنديق ، وذلك لأن الرسول حق ، والقران حق ، وما جاء به حق وانما أدى ذلك الينا كله الصحابة وهؤلاء يريدون ان يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة » .

وليس غريباً ان الذين بدأوا بالهجوم على شخص ابى هريرة ، ثنوا بالتهجم على احاديث رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وثلثوا بالهجوم على السنة ذاتها والتشكيك فيها ، ثم انكشفوا نهائياً حين انتقلوا الى التهجم على القران الكريم وما زعموه فيه من الشعر ، الى غير ذلك من السفاهة والجهل وسوء الادب ، ليس غريباً ان تتناغم هذه الهجمات مع أكثر من « مايسترو » من المستشرقين على رأسهم بعض اليهود ، لتتواصل الاسرائيليات القديمة والاسرائيليات الحديثة وان اختلفت الاسماء .

ونسي هؤلاء جميعاً ، أو تناسوا ، ان الامة الاسلامية ، كما يقول د . محمد زيان عمر ، « لم تكن متاثرة بمجرد عاطفة النقل والرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم وانما كان الهدف صيانة الحديث من التحريف وذلك عن طريق اتباع قوانين الرواية والتشديد على تقليل النقل والتثبت من الرواية ، وبذلك نشأ ميزان علم الرواة ـ الجرح والتعديل ـ الذى يعتبر العمود الفقرى لعلم مصطلح الحديث وذلك عن طريق دراسة السند والمراد به المحدثون الذين نقلوا الحديث واحداً ، واحداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١) .

وقد وضع علم مصطلح الحديث شرائط صارمة لتحقيق صحة المتن على أساس ميزان الجرح والتعديل للرواة ، أى اثبات جرحهم والتوائهم أو عدالتهم واستقامتهم ، وايضاً على أساس توافق المتن مع النصوص القرانية وعدم مخالفته لروح الاسلام . وتعتبر هذه الشرائط أقوم فى اثبات صحة التاريخ من مناهج المؤرخين المحدثين التى تقوم على أساس اجتهاد المؤرخ ذاته ، وفلسفته ، والمعايير والقيم التى يؤمن بها بحيث انه يمكن القول ان التاريخ قابل لاعادة كتابته من جديد ولكن نتائج واستخلاصات مختلفة ، لأن الأحداث الثابتة تجوز عليها التفسيرات المختلفة اذا ما وضعت فى سياق جديد ، وأعيد ضبطها ضمن اطار يختلف باختلاف نظرات المؤرخين . ولا هكذا الحال فى علم الحديث ورواته وضبط متونه . فالرواية يحكمها الاسناد ، وقانون « الجرح والتعديل » وهو قانون صارم عادل لا يجرح به أحد بغير سند ، ولا يعدل به راو بغير استحقاق والرواية الصحيحة تؤدى الى متن صحيح ولكن علم الحديث لا يكتفى بهذا وانما يحكم على النص بذاته ، ويقيمه بمضمونه وبمدى اتفاقه أو انحرافه عن النص القرانى الكريم الذى لا ياتيه باطل ، أو عن روح الاسلام كما يفهمها ويتشربها الجلة والثقات من علماء المسلمين .

وما دمنا بصدد ابى هريرة ، وهو الصحابى الجليل ، فلابد ان نشير الى ان ثمة آيات كثيرة تشير الى عدالة صحابة الرسول الكريم فى القران الكريم ، وهى تجمع على طهارة الصحابة والقطع بتعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج احد منهم الى تعديل بعد تعديل الله تعالى المطلع على بواطنهم .

فلا يبقى بعد هذا الا ان التشكيك صادر عن هوى وليس عن أى تقييم موضوعى للمناهج الاسلامية فى التثبت من الاحاديث اسناداً ومتناً ..

ثم أليس غريباً ان يؤخذ على ابى هريرة انه أكثر من رواية الأحاديث فقد احتوى سند بقية بن مخلد على ٣٧٤ هـ من حديث ابى هريرة (المرجع السابق) بلى ان هذا يستوجب عداء خصوم الاسلام بقدر ما روى .

ويجب علينا ، فى هذا الصدد ان نؤكد على امرين يجعلان هذا الاتهام لغواً لا نفع فيه أو دسا قائماً على الهوى والغرض .

أولهما : أن أبا هريرة كان الزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بانه نشأ يتيماً وهاجر من اليمن مسكيناً وبقى أعزباً ، وظل ضيفاً على رسول الله وملازماً له طيلة ثلاث سنوات . وعلى ضوء هذه الظروف فليس غريباً ان يكون ابو هريرة أوفر حظاً من سائر صحابة الرسول رواية للاحاديث النبوية الشريفة . وكان ابن عمر يقول له انت يا أبا هريرة الزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واعلمنا بحديثه » .

وثانيهما : اننا كما يقول الاستاذ محمد ضياء الرحمن الأعظمى فى رسالته القيمة عن ابى هريرة لو قسمنا هذه الاحاديث على تلك الأيام التى لازم فيها النبى صلى الله عليه وسلم نجد ان نسبة ما كان يتلقاه فى كل يوم حديثاً ونصف حديث بما فيها الصحيح والضعيف . وهذه نسبة معقولة جداً » (٢) .

وفى ضوء هذين الامرين نلاحظ ان تهمة الاكثار لا سند لها ، ولا أساس ثم ان الاكثار لو صح لا غرابة فيه ولا دهشة . على اننا نضيف الى ذلك أن قسطاً كبيراً مما رواه ابو هريرة منقول عن غيره من الرواة ، ومسند اليهم،واما الصحيح مما انفرد هو برؤايته فلا يتجـــــاوز مائتين وعشرين حديثاً (٣) فهل هذا العدد من المرويات يدعو الى اتهام ابى هريرة بالاكثار ، فضلا عن ان يكون هذا الاكثار بالتزيد أو لغرض ، أو لانحياز وهوى .. ؟ وهذه شهادة لابن عمر عن ذمة ابى هريرة وامانته فى الحديث فقد سئل : هل تنكر مما يحدث ابو هريرة شيئا ؟ فقال : لا ولكنه اجترأ وجبنا .

ومع ذلك فالعمدة عندنا صحة الأحاديث وليس عددها ، ولقد كان من نعم الله علينا ان يتفرغ لمثل هذه المهمة الجليلة مثل ابى هريرة فى الوقت الذى شغل فيه غيره من الصحابة بالعمل أو التجارة . ولنستمع الى ما رواه البخارى ومسلم عن ابى هريرة فى هذا الخصوص ونحمد الله ان القضية كانت مطروحة لتضمن فى اثارتها فى ذلك الزمان الرد عليها فى هذا الزمان :

« ان الناس يقولون أكثر ابو هريرة ، ولولا آيتان فى كتاب الله ما حدثت حديثاً ، ثم يتلو قول الله عز وجل : « إن الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله **ويلعنهم** اللاعنون . الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الـــــرحيم » (البقرة ١٥٩ – ١٦٠) .

ان اخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وان اخواننا من الانصار كان يشغلهم العمل فى اموالهم ، وان ابا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم لشبع بطنه ، يحضر مالا يحضرون ويحفظ مالا يحفظون .

وكان المسلمون يدققون فى التثبت من صحة حديث رسول الله ولا يجدون فى ذلك ادنى حرج أو غضاضة ، وعندما طلب عمر ابن الخطاب رضى الله عنه من ابى موسى الأشعرى ان يأتى بمن يشهد معه انه سمع حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « أما انى لم اتهمك ، ولكنه الحديث عن رسول الله » وكأنى بمروان على نفس النهج ، ليس شكاً فى أبى هريرة ، ولكنه الحديث عن رسول الله كما قال عمر . يروى كاتب مروان انه ارسل الى ابى هريرة فجعل يحدثه .. « وكان أجلسنى خلف السرير أكتب ما يحدث به ، حتى اذا كان فى رأس الحول – أى بعد عام – أرسل اليه فسأله وامرنى ان انظر ، فما غير حرفاً عن حرف » . اى امتحان هذا واى دقة هذه ؟ ورضى الله عن ابن عمر يقول له : «إن كنت لألزمنا لرسول الله واعرفنا بحديثه » ورضى الله عن الامام الشافعى حيث يقول « ابو هريرة احفظ من روى الحديث فى عصره » وهذا الغلام الدوسى الذى أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم على دعائه حين سأل **اللـــه علماً لا ينسى كان بـــالغ الرقـــة والبر بامـــه مما ينبىء عـــن عمـــق ما في نفســـه من الايمـــان والخـــلق ، عـــن أبي مرة مولي عقيـــل ان أبـــا هريـــرة كان يســـتخلفـــه** مروان ، وكان يكون بذى الحليفة فكانت امه فى بيت وهو فى آخر . قال ، فاذا اراد ان يخرج وقف على بابها فقال : السلام عليك يا امتاه ورحمة الله وبركاته . فتقول وعليك يا بنى ورحمة الله وبركاته . فيقول رحمك الله كما ربيتنى صغيراً . فتقول : رحمك الله كما بررتنى كبيراً . ثم اذا اراد ان يدخل صنع مثل . (الأدب المفرد للبخارى) ويروى ان ذلك بعد نزول قوله تعـــالى « ... وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً »

هل هو دفاع عن ابى هريرة ؟ اللهـــم لا فما اغناه عن ذلك ، وانما هى وقفة بين يدى قديم وحديث ، لا يغيب عن البـــال فيه ان الاستيلاء على بعض العقـــول وتوظيفها فى خدمة الاسرائيليـــــات والصليبيات القديمة والمعاصرة لا يجعـــل تشويه الاعلام والشوامخ هدفاً فى ذاته .

وانما المستهدف هو ما يمثلونه ، لتتداعى الهزائم النفسية والفكرية ، وتتهاوى اركان الدين ، وتنهار ثقة الأمة فى ذاتها وتاريخها ويتم تفكيك مقوماتها ، بعد تذويب الماضى ، وامة لا جذور لها ولا ثقافة ولا أصول ولا معتقد ، هى أمة مدمرة لا مستقبل لها ، ومؤهلة للذوبان فى شخصية الغازى الذى اغتال شخصيتها . ومع ذلك فلن تكون هذه وحدها النهاية « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » .

واذ قد كان الشاهد ذلك الصـــحابى الجليل ، فعفوا ابا هريرة ، لحسبي أن ازجى لك ما اثنى به عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم واورده لنا الامام البخارى فى صحيحه فى باب الحرص على الحديث عن ابى هريرة انه قال : قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد ظننت يا أبا هريرة ان لا يسالنى عن هذا الحديث أحد اول منك ، لما رأيته من حرصك على الحديث : اسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصـــاً من قلبه أو نفسه » .

وليس بعد شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قول لقائل أو زيادة لمستزيد .

محمد عبده يمانى

هوامش

(١) كتاب « دراسات تاريخية » ص ٣٤ ومابعدهـــا .
(٢) ابو هريرة فى ضوء مروياته – رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من قسم الدراسات العليا بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .
(٣) المرجع نفسه .

تراثنا الحديث .. من زاوية مختلفة

الأضواء والظلال
في صورة "العقاد" المركبة

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

يلوح لي ان إعادة دراسة العقاد ، بقصد اكتشافه ، تمثل مدخلا طيباً لما نبتغيه من بعث جديد لتراثنا الأدبى والفكرى الحديث يعيننا على الخروج من أزمة العقم التى تمر بها ثقافتنا فى الوقت الحاضر .

فالعقاد – بالذات – يأتى فى مقدمة الرواد الذين تحتمل شخصياتهم وآثارهم تفسيرات متعددة ، وتقييمات متباينة ، يمكن أن يأتى الحوار حول أبعادهم المختلفة مفيداً ، وخصباً ، وحافلا بشتى النتائج المثمرة ، إذا عرفنا كيف ندیره بانفتاح وسعة أفق .

وقبل كل شىء أود أن اطمئن القراء – القراء المعجبين بالعقاد خاصة – بان العقاد علم بارز من اعلام الثقافة العربية وأنه مدرسة من مدارس هذه الثقافة . ثم إنه ينتمى للتراث العربى كله وللعرب اجمعين ، لا لبلد بعينه ، ومن حق الناطقين بالضاد فى كل أقطارهم التفاعل مع آثاره بكل حرية ، دون تحرج اقليمى ، فالعقاد لم يكن يعترف بالحدود وكان اكبر منها . بل إن العقاد يتجاوز العروبة الى النطاق الاسلامى الانسانى الرحب ، فهو كردى النسب من جهة الام ، وهذا ما يجمع بينه وبين صلاح الدين الأيوبى ، الذى كان كردياً ، وكان عربياً مسلماً عظيماً فى الوقت ذاته . أضف الى ذلك أن العقاد اسلامى انسانى بفكره وروحه وآفاقه الرحبة ، وهذا ما يجعله ملكاً لنا جميعاً – عرباً ومسلمين – بما يتجاوز مدينته أسوان ، وموطنه مصر ، وما يجعل من حقنا أن نتفاعل مع أدبه وتراثه كأهله ومواطنيه ، فلقد كتب لنا جميعاً وأسهم بفكره فى تكويننا وصياغة فكرنا جميعاً ، صواباً أو خطأ ...

وعليه فلن إعادة تسليط الضوء على شخصه وآثاره بمنظار نقدى صريح لا تعنى



عباس العقاد
مطلوب تسليط الضوء على شخصه واثاره بمنظار نقدي صريح

المس بمكانته أو هدمها ، وإنما تعنى الرغبة فى الكشف عن الغنى المتنوع الذى انطوت عليه شخصيته ، واستجلاء مختلف الخطوط التى دخلت فى تكوين ونسج صورته المركبة ، سواء كانت تلك الخطوط متوهجة او خافتة ، مشرقة او داكنة ، ظاهرة أو خفية .

فكل شخصية فذة هى ، فى التحليل النهائى ، صورة مركبة ، ومعقدة ومتشابكة ومن السذاجة بمكان ان نظل نطلق عليها الأوصاف التبسيطية دون النفاذ الى ما انطوت عليه من تركيب جدلى (ديالكتيكى)، متفاعل ومتحرك ، بل ومتناقض فى بعض الاحيان .

إن إصرارنا على التمسك بالاحكام التبسيطية ذات البعد الواحد يمثل فى رأيى المتواضع سبباً من أسباب ضحالة ثقافتنا العامة الحاضرة ، كاكتفائنا بالقول ان هذا كاتب عظيم ، وذاك مفكر رائع الى آخر هذه الأوصاف التى لا تغنى ولا تسمن من جوع ولا تعين على الفهم النافذ الى جوهر الحقيقة الأدبية فى تنوعها وتباينها وتشابك أبعادها .

ومثل هذه الاحكام يقع فيها احياناً دارسون كبار من باب المجاملة او التعظيم أو المبالغة . يقول الدكتور عثمان امين فى مفتتح مقالة له عن أدب العقاد :

«العقاد اديب وفيلسوف باوسع معانى الأدب والفلسفة فى القديم والحديث ....» (راجع : العقاد ، دراسة وتحية ، ص ٤٩)

ومع احترامى لثقافة الدكتور عثمان امين ، صاحب الدعوة الجوانية ، فانى ارى ان مثل هذا الحكم الجارف لا يقدم ولا يؤخر من حقائق الاشياء ، وانه لا يؤثر إلا فى القارىء العامى الذى ينبهر به دون ان يتمثله أو يغربله فى ذهنه .

فاذا سلمنا بان العقاد اديب كبير ، ومفكر كبير ، فهل يصح ان نعتبره (فيلسوفاً وباوسع معانى الكلمة)؟ فاى نظام فلسفى اقام واى قفزة نوعية اضافها الى تطور الفلسفة ؟ وحتى فى الأدب ، فعلى الرغم من كونه ناقداً كبيراً وكاتب مقالة كبيراً ، فانه لم يكن بالفنان الخالق المبدع فى الشعر والرواية والمسرحية وإن تعاطى بعض هذه الفنون الادبية ، لذا فليس دقيقاً ان يقال انه اديب باوسع معانى الكلمة فى القديم وفى الحديث أيضاً .. حسب تعبير عثمان امين .. إذا كان لكل كلمة فى البحث الادبى معناها الدقيق المحدد .

وهذا ليس تقليلا من مكانة العقاد الحقيقية فى الأدب والفكر . ولكنه تساؤل حول قيمة هذا الحكم الجارف الذى يطلقه الدكتور عثمان امين من باب الحماسة والاعجاب فيما نظن : وهو نهج لا يوصل الى مكان .

مقابل ذلك ، نرى نهجاً آخر ، مختلفاً تماماً ، ينتهجه الأديب الفنان عبد الرحمن صدقى ، وهو ممن صحبوا العقاد صحبة مبكرة طويلة . فنراه يضع يده على جوهر ذلك التركيب الجدلى المتنوع فى الشخصية العقادية المركبة ، حيث يقول ، بعد وصفه لملامح العقاد وتكوينه الجسمانى : «هذه صورة العقاد فى حالة الوحدة والاستقرار لا خلاف فيها . فاذا جالسته لماماً دخلت على الصورة عوامل يختلف فيها الناس ، فيحملها كل جليس على المحمل الذى تمليه شتى المدارك والامزجة ، تحت تاثير الحالات النفسية الطارئة ، فتاخذ الصورة الوانا بحسبها ، وتتسمى الظاهرة الواحدة اسماء عدة بعدادها ، وهذا شان الناس جميعاً فى فهم الشخصيات المركبة ، وهذا عذرهم الشفيع فى مغالاتهم وتناقض احكامهم على اصحابها» . ويخلص عبد الرحمن صدقى الى القول : «والواقع ان العقاد شخصية مركبة لانها حية تزدحم فيها كل نوازع الحياة ....»

ثم يوضح معنى التركيب فى شخصية العقاد بقوله : «والذى يلاقى العقاد يشعر لا محالة بعد قليل ان فيه ناحية مبهمة

الأضواء والظلال
في صورة "العقاد" المركبة

مجهولة تنطوى على أسرار روحية ، ومطامح دنيوية ، تغيب إحداهما فى الأخرى وتلابسها ، فلا يبين منه إلا الروح القوية العالية» .

أراد أن يقول إن هذه «الروح القوية العالية» التى تبرز للناظر الى شخصية العقاد تخفى وراءها فى الحقيقة ناحية مبهمة مجهولة وجانبا صراعيا بين الأسرار الروحية والمطامح الدنيوية المتمازجة المتلابسة .

وهنا سر «التركيب» فى شخصية العقاد وهنا منطلق الدراسة الخصبة المأمولة لهذه الشخصية وآثارها .

ويزيد الأستاذ عبد الرحمن صدقى هذه المسألة الهامة ايضاحا بقوله : «وما من شك فى أن هذه النفس العميقة ، العامرة بالأسرار الروحية والمطامح الدنيوية ، فى التباس وغموض ، هى التى جعلت تلاميذه ـ حين كان مدرساً للتاريخ بالمدرسة الاعدادية ـ يلقبونه بالكاهن حرحور .... والكاهن حرحور هو شخصية قوية بين كهنة امون الأقوياء ، وسعت همته السلطة الروحية والسلطة الدنيوية ، فجمع بين السلطتين ، وافتتح عهد الكهنة المتملكين» (راجع مقالة «العقاد كما عرفته فى مطالع القرن العشرين» للأستاذ عبد الرحمن صدقى ، فى كتاب : العقاد تحية ودراسة ، ص ١٠٠ ـ ١٠٨) .

وهذه الصورة الحافلة لن تكتمل إلا إذا اضفنا اليها ملاحظات عبد الرحمن صدقى حول مزاج العقاد : «ذى الألوان المحددة الحامية ، والظلال المتداخلة الخافية» وما كان يؤدى اليه هذا المزاج من : «ازمات نفسية يكون فيها العقاد ـ على تماسكه وتلطفه ـ مهتاج الاعصاب ، سريع الامتعاض ، قليل الاحتمال» . ولا تقتصر هذه الحساسية على الأزمات ، بل تظهر ايضا فى المجادلات الفكرية مع المخالفين : «فلا يمكن القول عن العقاد أن نبضه فى نهاية المناقشة كنبضه عند بدايتها» ـ (راجع المصدر المذكور ذاته) .

إذن فهذه الملاحظات المفيدة والذكية والصريحة لعبد الرحمن صدقى تصلح منطلقا اساسيا لمن يريد دراسة العقاد فى حقيقته المركبة ليكتشف سر ذلك الصراع بين الأسرار الروحية والمطامح الدنيوية ...

من ناحية أخرى ، يسود الانطباع بان العقاد قد أبلى بلاء حسنا فى الدفاع عن القضايا الدينية والايمانية بمنطق قوى متماسك وحجة راجحة بالغة ، ومازال الكثيرون من القراء العرب يستمدون قناعاتهم الفكرية فى الدين من كتاباته الشهيرة الرائجة ..

ولكننا نجد باحثا معاصراً فى قضايا الفكر الدينى هو الدكتور محمد النويهى (استاذ جامعى مصرى) يخرج علينا برأى مخالف تماما وتقييم مناقض لهذا الانطباع السائد عن تماسك الفكر العقادى حيث يقول بعد حديثه عن تهافت فكر المعاصرين العرب فى دفاعهم عن قضايا الايمان بنهج لا يتماشى مع تطور العصر ، ولا يأخذ بحقائقه الصلبة المستجدة فى فلسفة الأديان ، متخذاً من فكر العقاد بالذات مثالا بارزاً على هذا التهافت ..

يقول الدكتور محمد النويهى : «لعل اقسى الأمثلة لهذه الظاهرة المحزنة ما فعله مفكرنا الراحل عباس محمود العقاد فى كتابه (الله) . إنه فى سبيل غرضه من إثبات الحقيقة الالهية قد ارتكب ـ واأسفا ـ من الادعاء ، والاكتفاء بانصاف الحقائق والتهرب والمواربة ، وغمط حجج الخصوم ما يسلب كتابه اى نفع إلا للجهلاء من قرائه ، أما العارفون بمجمل حقائق التاريخ وعلوم الأحياء ، والانثروبولوجيا ، والدراسة المقارنة للأديان ، الذين يلتمسون فى الكتاب مخلصا من الشكوك ، ومنفذاً من الضلال ، فانما سيزيدهم الكتاب اضطراباً الى اضطرابهم وأخشى أن ينتهى بعضهم منه الى الالحاد القاطع .» ـ (راجع ، مجلد «أزمة التطور الحضارى فى الوطن العربى» نشر جامعة الكويت ، ص ٣٨١ ، بالهامش ضمن مبحث الدكتور محمد النويهى المعنون : «الدين وأزمة التطور الحضارى العربى») .

ونحن نضع هذا التقييم للدكتور النويهى أمام الباحثين والقراء دون أن نتبناه بحرفيته ، ولكنا نرى فيه ، فى منطلقه العام ، ما يصلح لغربلة الانطباع السائد حول قوة تفكير العقاد الدينى ، إما باثبات هذه القوة والوجاهة الفكرية لصالح العقاد ، وإما باعادة تقييمها والخروج بحكم آخر عليها يأخذ ببعض ما يطرحه الدكتور محمد النويهى حول طريقة العقاد ونهجه وأسلوبه فى عرض قضايا الدين والدفاع عنها . ولعله من الخير أن نوضح هنا أن نقد الدكتور النويهى لا ينصب على الفكر الدينى من حيث هو ، وإنما يتناول طريقة العقاد ومنهجه فى المجادلة وفرض إرائه على خصومه ، ونسبته هذه الآراء والاجتهادات الى حقيقة الدين ذاته . وغنى عن البيان أن هناك فرقا كبيراً بين الحقيقة الدينية كما هى ، فى أصولها ، وبين ما يطرحه العقاد ، أو أى مفكر دينى آخر ، على أنه الحقيقة المنسوبة للدين ...

ولعل ما يمكن اضافته هنا الى مسألة منهج العقاد فى عرض القضايا الايمانية ، هو أنه يتصدى للدفاع عنها كمحام بارع ، يستخدم مختلف الحجج والبراهين لاسكات الخصوم والمعارضين ، ولكنه مع ذلك يفتقد ، رغم براعة دفاعه ، تلك الحرارة الداخلية التى يبحث عنها المرء فى الكتابات الدينية تلمساً لجوهر الايمان الذى يتعدى الحجج والبراهين وينبثق من القلب انبثاقا .

ولايضاح ما نود قوله تماما ، نلمح إلماحا الى الفارق بين كتابات العقاد الدينية وكتابات سيد قطب الدينية دون أن ندخل فى مجال التفضيل بينهما .

فربما لمست فى كتابات العقاد حجة اقوى ، وفلسفة أبرع ، ولكنك تحس بحرارة الايمان وتوهجه اقوى لدى سيد قطب ، فيما يتعلق بذلك الشعور الداخلى الذى لا يلمس ولا يحدد ، ولا تكفى للتعبير عنه براهين الفكر وحدها ، مهما برعت . ولمزيد من الايضاح بين الرجلين نقول انه اذا كان العقاد يعرض القضية كمحام او متكلم يريد أن يكسب قضيته بالبرهان المنطقى والقانونى ، فان سيد قطب هو القضية ذاتها ، يطرحها بحرارة الدم والشعور ، كداعية ملتزم ، وكشاعر ملتزم ، يسير مع قضيته الى النهاية ، نصراً او استشهاداً .

ويرتبط بمسألة فكر العقاد الدينى ،

ويدخل فى صميمه ، قضية تحوله من اللامبالاة بقضايا الدين ، إن لم نقل من الشك والحيرة ، الى الايمان الفكرى الملتزم كما يظهر منذ بداية «العبقريات» حوالى عام ١٩٤٠ مع صعود الموجة الدينية بمصر والعالم العربى .

ويلاحظ الأستاذ فتحى رضوان فى كتابه «عصر ورجال» أن : «العقاد هو ثالث مفكر فى مصر عرفته،بدأ حياته وكان العقيدة الدينية لا تشغل مكانا فى قلبه ، ثم ينتهى به الأمر الى الدفاع عن الاسلام فى حماسة وحرارة ، والى الكتابة عنه فى مثابرة ومواظبة» . ثم يورد المؤلف روايات متعددة عن تشكك العقاد فى طوره الاول توحى بطبيعة بداياته الفكرية . (راجع الكتاب المذكور ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠) .

والمسالة هنا لا علاقة لها بالبحث فى ايمان العقاد الشخصى ، فهذه مسالة بين الانسان وربه ، وليس من حق احد أن يبيح لنفسه الخوض فيها من قريب او بعيد . ولكن ما يهمنا كباحثين هو تطور العقاد الفكرى تجاه القضية الدينية .

ويبدو لنا بهذا الصدد ، ان العقاد بدأ حياته الفكرية متسائلا ، حائراً كغيره من مثقفى جيله فى تلك الحقبة ذات الطابع العلمانى والتغريبى القوى ، وهذا ما يتطابق مع قول الأستاذ رضوان انه «بدأ حياته وكان العقيدة الدينية لا تشغل مكانا فى قلبه» .

ولكنا نجد العقاد ، فيما يشبه التحول الفجائى ، رجلا مؤمنا ، مقتنعا ، واثقا ، وداعيا لليقين فى كل ما يكتب منذ بداية «العبقريات» .

وطبيعى أن يتحول الانسان المتفكر من حائر الى مؤمن الى داعية للايمان . ولكن السؤال المشروع الذى يمكن ان يطرحه الباحث المتتبع لتطور العقاد الفكرى والنفسى فى المسالة الدينية هو : كيف قطع هذه المفازة الطويلة ؟ وكيف اجتاز المسيرة الشاقة من الحيرة الى الايمان ؟ وهل وصل الى ايمانه فجاة ودون مقدمات ؟

وإذا كان إمام دينى سلفى كبير كحجة الاسلام الغزالى قد كشف عن تجربته فى التحول من الشك الى اليقين فى كتابه الشهير «المنقذ من الضلال» الذى يعد من روائع التراث الدينى الاسلامى الى اليوم، فلماذا لم يكشف العقاد فى عصرنا الحديث عن هذه التجربة ، واين هو «منقذ» العقاد ، لماذا لم يكتبه ، ولماذا لم يحدثنا عنه وهو الكاتب المسهب الذى اسهب فى الحديث عن معظم قضايا العصر وخفايا النفس ؟

وهل بامكاننا الآن ، على ضوء الوقائع والوثائق الادبية والتاريخية ، وباسلوب البحث العلمى ، أن نعيد رسم تلك المسيرة الشائقة بين حيرة العقاد ويقينه ، وان نتعرف بشكل حميم الى دقائق مسارها ... لنضيف الى تجاربنا الروحية تجربة متميزة شائقة كالتجربة العقادية الخصبة؟

والواقع انه على الرغم من النبرة اليقينية العالية التى تسود كتاباته الدينية فان العقاد ذاته قد كشف لنا فى لمحة عابرة ـ لكنها دالة ـ عن ذلك الجانب الغامض من معاناته الاعتقادية وحيرته بين الشك واليقين فى مقدمته لكتاب «عبقرية محمد» الصادر عام ١٩٤٣ ـ وهو الاول فى سلسلة اسلامياته ـ حيث يلمح بايجاز الى مامر به من قلق اعتقادي ،وكانه يعلل لعارفيه باختصار سبب تحوله من الكتابات العصرية غير الملتزمة بالموقف الدينى الى الكتابة اليقينية فى الدين ، ويشرح لمن عرفوا أفكاره عن كثب ، سر هذا التغيير ...

يقول فى تقدمته لكتاب «عبقرية محمد» :

«أين كنا قبل تلك السنين الثلاثين (بين ١٩١٣ ـ ١٩٤٣) .. إنها مسافات فى عالم الفكر والروح لو تمثلت مكانا منظوراً لاخذ المرء راسه بيديه من الدوار ، وامتداد النظر بغير قرار . كم رأى ؟ كم مذهب ؟ كم وسواس ؟ كم محنة ؟ كم مراجعة ؟ كم زلزال يتضعضع له الكيان ، وتميد معه الدعائم والأركان ؟ كم وكم فى ثلاثين سنة مما يطرق نفساً لا تعفيها الحياة من التجارب والعوارض لمحة عين فى نهار . وكم لذلك كله من أثر فى توطيد الراى وتهدئة الثوائر ، وتجلية الغبار» .

هذه السطور الوجيزة ، التى لا تقول اكثر مما تقول ، هى «خلاصة» منقذ العقاد من الضلال ، وهى سطور ترك لنا الامام الغزالى ما يوازيها صحائف طويلة مسهبة.

ولكنها سطور على قلتها تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن العقاد مر بتجربة مماثلة ، لكنه لم يشأ أن يتحدث عنها بصراحة ـ كما فعل الامام الغزالى ـ ربما لانه خشي أن يؤثر ذلك على صورته كمفكر مدافع عن الدين . فاكتفى بهذا التلميح ليرضى فضول عارفيه المدركين حقيقة افكاره الاولى وليقطع عليهم طريق التساؤل عن سر التحول . ولكن هذا لا يمنع اهل البحث اليوم من العودة لطرح هذا التساؤل من جديد ... احياء لما نبتغيه من تجديد لحياتنا الفكرية الراكدة .

ومازلنا بعد كل هذا فى بداية الخيوط الأولى من الصورة العقادية المركبة . ومازالت امامنا خيوط كثيرة متشابكة : ـ

- لماذا رفض العقاد من منطلقه الروحى المادية الجدلية الماركسية وتقبل ، مع ذلك ، المادية التطورية الداروينية ، وماذا يقول تلاميذ العقاد فى هذا القبول ؟ وهل من فارق بين الماركسية والداروينية من حيث المبدأ المادى ؟
- هل تثبت الدواوين الشعرية العشرة التى اصدرها العقاد انه كان شاعراً بكل معنى الكلمة ؟
- هل كانت مواقف العقاد ومعاركه السياسية تعبيراً عن نضاله ، أم عن القوى السياسية التى كان ينطق باسمها ؟
- اين نجد العقاد الحقيقى،فى كتاباته النقدية والادبية التجديدية أم فى كتاباته التراثية التلية ؟ أم أن هناك حلقة مفقودة بين المرحلتين ، نجد فيها العقاد الذى نبحث عنه ؟
- واخيراً كيف نفسر ظاهرة العقاد المجدد الذى اصبح شديد المحافظة ، والتقدمى الذى انقلب سلفياً ؟

هذه اسئلة نرجو الا يضيق بها صدر أولئك الذين احتفظوا لانفسهم عن العقاد بصورة جامدة ساكنة غير قابلة للتوسيع والتكبير .

وسنكون أكثر من سعداء لو شاركنا المهتمون بدراسة العقاد واحياء تراثه عبء الاجابة عن بعض هذه الأسئلة .

د. محمد جابر الانصارى

يا سيدي الإنسان ؟!

بقلم : عبد الله الجفري

● يا سيدى الانسان :

انت ما تزال تنحت قلبى وتقلصه ، فليس سهلا أن يحب الانسان الحياة ويكره الأحياء . فالحب للناس هو الذى يجعل التفاؤل متواصلا والنبض يخلق كما النورس ، والامانى تكبر وتشيع كما الشمس ، وهذا هو الحضور الفعلى فى وريد الحياة الجميلة .. لأن الحب يخلق الفضائل ، ويهذب الاخلاق ، ويصهر السلوك حتى يستقيم ! !

ولكن يا سيدى الانسان :

أنت تشق عقلى كما محراث ، وتقلب تربته الأصيلة ، « وتكومها » . وتبعثر كل البذور من الأفكار الصاعدة .. فتشهق الأفكار فى العقل وتموت ! !

ها أنذا انسان .. أتصف بصفات الآخرين فى الامانى ، والتطلعات ، والرغبة والذاكرة ، والسام ، والعبوس ، والضحك ، والاشتعال والانطفاء ، والانانية والتحدث عن الأثرة وحب الناس !

ها أنذا إنسان .. اتلفت من خلال أفكار العقل ، وحضور الوجدان ..

وفى تلفتى هذا أبحث عن « مستوى » الحياة فى سلوك الأحياء ! !

ولا أدعى أننى الانسان السوي ولكننى الانسان الذى يشعر أن الاشياء التى « تقد » ، من قلبى .. يفعلها الناس بوازع الانانية والأخذ المنحاز .. يتدافع عليها الناس الذين تتجمد أمانيهم فى الحياة ، وتكتئب فضائلهم . فينشرخ السلوك ويصدع ! !

اننى أكاد ألمس صدور الناس .. فاذا هى فجأة تمتص الوحشة ، وتمتص الكراهية ، وتمتص القبح ، وتفرغ ذلك الامتصاص كله فى ترسبات النفس ! !

لقد ارتدينا ثوب اللامبالاة ، واعتمرت قلوبنا بالجفاف ، وتنكبت عقولنا الاصرار الأحمق .. انسياقا مع المثل الشعبي القائل : « عنزة ولو طارت » !

● ● ●

● يا سيدى الانسان :

انك تسألنى الآن بهذه الغرابة على وجهك : ما الذى تود أن تقول .. ماذا تريد ؟!

أعرف أن ماديات الحياة قد نصبت المتاريس لاقتناص انسانية الانسان فى داخله ، وزرعت الثلوج فى وجدان الانسان .. فتردى مستوى الأخلاق نتيجة لاننا اصدرنا حكما بالاعدام على الشعور بالجمال فينا ..

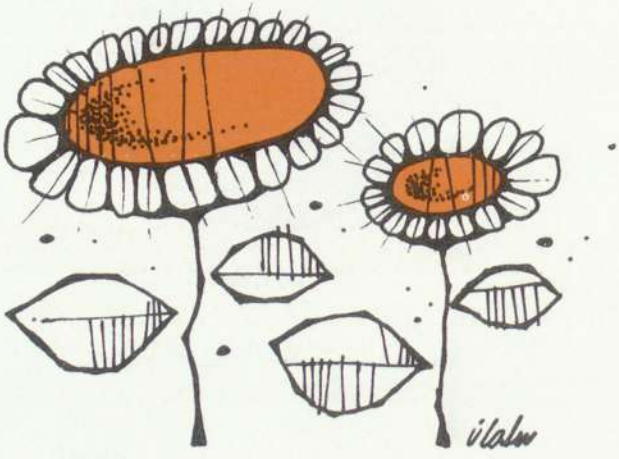
ان « الجمال » موجود فى حياتنا .. من حولنا .. فى الطبيعة . فى الاخلاق ، فى العاطفة ، فى الحب العاشق . فى الوسائل التى نطور بها شكل الحياة ، لكن الشعور بهذا الجمال صريع فى داخلنا .. مقتول فى نفوسنا بالمادة ، وبالأنانية ، وبالغرور الحيني ! !

ولقد قيل : « ان قيمة الفرد لاتقاس بنسبة علمه .. بل بنسبة مستواه الخلقى والعاطفى ، فالعلم لا شىء بلا تهذيب ، والتهذيب هو الذى يكون الخلق ، وانه لمن الميسور ان نعلم رجلا همجيا فى بضع سنين ، ولكن تهذيب هذا الرجل وتكوين خلقه وذوقه قد يقتضى عدة اجيال ، وهذا هو الفارق بين العلم والتمدن » .

وهذه هى المشكلة الحقيقية ..

لقد انتشرت وسائل المدنية والحضارة وتقدمت بالانسان الى سهولة التناول لاشياء كثيرة .. لكن شيئا واحدا يبدو تناولنا له صعبا : وهو السلوك والذوق .. وكان من الممكن أن يشذب العلم الكثير من التهور واللامبالاة وانحراف الذوق ، ولكن ركض المدنية فى متناولاتنا جعلنا لا نقف لحظة للتفكير ، ولا نقف لحظة لتامل جمال الحياة ، والبحث عن مزيد من الشعور بالجمال !

النفس الانسانية قد انغلقت ، فخرير المياه لا يثير الحس بتلك الاثارة العطوف الحانية على نبض القلب : والتفاؤل بالحياة ، وزقزقة العصافير نسيتها اسماع الناس . الذين يصحون مبكرين يركبون سياراتهم ، ويركضون وأغلب حوادث



الاصطدام تحدث فى الصباح .. اصطدام السيارات أو اصطدام انسان مع آخر وتلاحيه معه .. فالصباح لم يعد يعنى اليوم الجديد الحافل بالأمانى والتفاؤل ، ولكننا حصرناه فى نقطة محددة .. نجرى اليها برغبتنا المادية لنكسب ، وننتزع ، ونفوز ، ولا نعطى شيئا ولا نتنازل حتى بالغضب ! !

الوجدان الانسانى قد انغلق .. لأن شره الماديات طمس العاطفة فيه .. انه لا أكثر من حصد لما فى داخلك ، وحصد ما فى داخلك لطموحك ، وصفائك ونقائك . ونحن الآن - بالمثال المباشر - تتركز اهتماماتنا كلها على الثروة .. كيف تشترى أرضا وتبيعها بالضعف ، كيف توفر مبلغا وتنميه ؟ وليس هذا عيبا فى التعايش .. ولكن العيب هو ان يشغلنا ذلك فيغمر كل عواطفنا ، وعفويتنا وطفولتنا وأمسنا ، فننسى ذلك ولا نذكر الا المادة التى تهلك نفوسنا ، وتنتصر دائما للوجود الجاف الذى يلغى قيمة وفعالية منظر الشجرة وهديل الحمام ، وتدفق الشلال . وراحة الابتسامة ! !

وهذا هو ضعف الانسان أمام البقاء .. فالتكالب على هذا الصراع الذى نعيشه من الاسباب التى تؤدى الى الوفاة السريعة والمفاجئة ودخول الأمراض الغريبة الى اجسامنا والى عقولنا وإلى عواطفنا .. وكيف يمكن لأمة ان تبتكر الحياة الاحسن اذا كانت تعانى من أمراض النفس ، وأمراض العاطفة ؟ !

• • •

لقد فقد الناس طفولتهم ، والذى يفقد طفولته يخسر ماضيه ، وخسران الماضى يعنى ان الانسان لا يحيا الحياة المتواصلة ولكنه يولد كل يوم فى بداية الصباح ، ويموت كل يوم حينما ينام .. ويفقد طموحه وقدرته على العطاء لتحسين الحياة !

ان الانسان أصبح لا يشعر بالجمال فى الشارع الذى يمشى فيه ، فهناك الذين يقلعون الأشجار ، ويحطمون التحسين الملموس فى الشوارع الجديدة ، وهناك الذين يركبون عرباتهم كأنها صواريخ ويقتلون الآخرين ، ويحطمون الاشكال الفنية التى نزين بها أنظارنا .. وهناك الذين يضعون فى عيونهم الهدر ، وفى نظراتهم السفاهة ، ويطاردون الناس ويضربونهم ويشتمونهم .

ولكن .. ما هو العقاب ؟ !

ان العقاب هو فى أن يفهم ذلك اللامبالى انه أخطأ وأنه لن يكرر سخافاته ومضايقته وأن يستعيد لنفسه الشعور بالجمال .. فالحياة الجميلة ليست أن تشتم الناس ، وان تركض فى الشوارع لتشعر الناس أن سيارتك « آخر صرخة » وأن شعرك يصل الى كتفيك .. ثم لا تعرف بعد ذلك أن تتكلم بفهم وتتصرف بذوق ، وتشعر بالحياة !

ان الذين جفت نفوسهم يتطلعون الى الأشياء الجميلة فلا يرون جمالها .. انهم لا يرون شيئا سوى الشىء الواحد الذى حصر كل الشعور فى داخلهم وطمره ! !

وكيف نطالب بالفنون فى حياتنا .. اذا كنا لا نحس بها ؟!

كيف نريد أن نحول الشوارع الى حدائق ومنتزهات ، وفرحة وراحة للآخرين ، ولا نحرص أن نظهر أمام ادعائنا لأنفسنا بالحضاريين بمظهر الشعب المتطور .. المتعلم .. الذواق .. الشاعر بجمال الحياة ؟!

• • •

اننى أبحث عن الشعور فى داخل الانسان ، لئلا تتحول عواطفنا وأفكارنا واخلاقنا الى شىء من « التنك » الصدىء ! !

ابحث عن الشعور الذى يرى الجمال ويتذوقه ويحسه ، وينميه فى النفس وفى الحياة حتى لا تنغلق نفوسنا وعقولنا ووجداناتنا ، واذا انغلقت .. لا نقدر ان نضمن الصحة والعمر الطويل والذكريات الجميلة ، وهى ما يتبقى لنا ! !

عبد الله الجفرى

مسافر على الرصيف



بقلم :

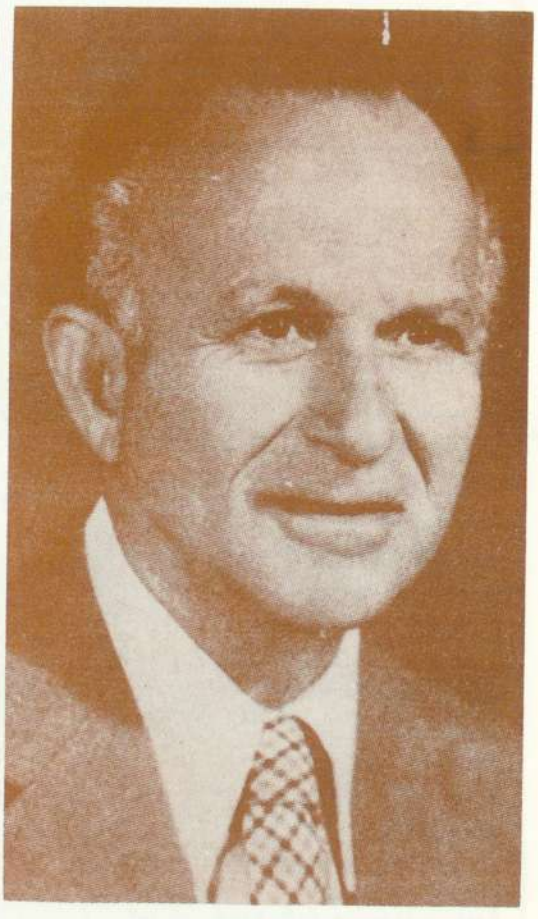
محمود السعدني

الناقد.. القط!

كان الدكتور عبد القادر القط احد مؤسسى ندوة « قهوة عبد الله » .. وكان لقبه العلمي بالاضافة إلى منصبه كاستاذ بجامعة القاهرة يضفى عليه سحراً خاصاً . وكان بالاضافة الى وسامته وعنايته بهندامه أطيب اعضاء الندوة قلباً واقلهم طموحاً واكثرهم تواضعاً ورغبة فى مساعدة الآخرين وكان يقضى بعض الوقت فى مناقشة الادباء الموجودين ، ثم يستغرقه لعب الطاولة بعد ذلك ، كما انه على عكس انور المعداوي وزكريا الحجاوي ، كان من هواة لعبة كرة القدم ، وكان حريصاً على مشاهدة مبارياتها ! ولو أن عبد القادر القط كان حريصاً على دخول سوق الأدب لكان له شان آخر ، فقد كان فى وقت من الأوقات احد ثلاثة نقاد مسموعي الكلمة فى مصر بعد الدكتور مندور والدكتور لويس عوض ، ولكن بعض النقاد الموسميين مثل الناقد «.....» الذى استطاع أن يحتل مساحة فى تاريخ النقد العربي أكبر من حجمه ، وهو لم يصل إلى هذه المكانة بموهبته الأدبية ولكن بقوة حنجرته ، ففي العصر الاشتراكي ، كان هو « بابا » الاشتراكية ، وهو مفتي الواقعية الاشتراكية ، واحتل مناصب قيادية عليا فى الدولة ، فلما سقطت دولة الاشتراكية ، آثر الرحيل الى الخارج ، ونحى النقد جانباً واصبح الآن واحداً من « المبسوطين » فى مصر !!

ولكن عبد القادر القط ، الصادق مع نفسه ومع الناس ، آثر ان يختفي في زمن الجعجعة بينما تصدر المرحلة عشرات من النصابين ! وظل وفياً لندوة « قهوة عبد الله » ولمنصبه كاستاذ فى الجامعة ، وظل خفيض الصوت ، يتكلم نادراً ، وحتى فى هذه المرات النادرة ، كان يتكلم على استحياء ! ولم تكن له نزوات خاصة او شطحات من اي لون .

كان بيته فى الدقي ومجلسه فى قهوة عبد الله هما كل دنياه . وكان بسيطاً وزاهداً على نحو ما . وحتى فى ايام «نعمة» الاذاعة والتليفزيون ومسرح الدكتور حاتم بقى فى الظل مع كتبه ومحاضراته . وحتى عندما فتحت دار النشر ابوابها لاستقبال انتاج جمال الدين الرمادي ، لم يسارع الدكتور القط كغيره الى هذه الاماكن ، مع انه لو فعل لقدم للناس انتاجاً عظيماً وباهراً ومشرفاً له ولمصر ! وكان يكن احتراماً عظيماً لانور المعداوي ، ولكن نظرته إليه كانت تحمل شيئاً من الرثاء ، باعتبار أن المعداوي كان رجلا شديد المثالية فى عصر لا مثالية فيه ! عصر اصبح فيه احمد عبد العاطي صحفياً يشار ليه بالبنان ، واسماعيل عبد الجبار مؤلفاً يتردد اسمه عبر الاذاعات ! ولم تكن نظرته لما يجري حوله تحمل شعور المرارة الذى كان يحمله انور المعداوي ، كما انه لم يناصب المجتمع العداء كما فعل غيره ، ولكنه اخذ الامور بهدوء ، وعلى أن ما كان سيكون ! وعلى الرغم من ذلك ، كان يحتفل باية موهبة جديدة ، وباية حركة تبشر بخير ، وهو



عبد القادر القط
كان صادقا مع نفسه ، ففضل الاختفاء في الظل !



انور المعداوي
كان رجلا شديد المثالية في عصر غريب



زكريا الحجاوي
عبقري اهدر انتاجه في الكلام !



صلاح عبد الصبور
احتفل « القط » بانتاجه المبكر



يوسف ادريس
احتفل ـ ايضا ـ بباكورة انتاجه

الذى قدم كتابي الأول « السماء السوداء » وحرض طلبته فى كلية الآداب على قراءته باعتباره نموذجا من الانتاج الأدبي الجديد . وهو الذى احتفل بانتاج صلاح عبد الصبور المبكر ، وبقصص يوسف ادريس التى نشرت فى السنوات المبكرة في الخمسينات وكان يحب زكريا الحجاوي حبا شديدا ، ويعتبره عبقريا حقا ، ولكن سوء حظ مصر ان هذا العبقري اهدر انتاجه فى «الكلام» ، فجاءت اعماله الخالدة مجرد طلقات طائشة فى الهواء ! وكان يحمل للشيخ عبد الحميد قطامش هوى خاصا فى نفسه ، ويعتبره نموذجا للعبقريات التى اهدرتها ظروف المجتمع السيئة .. فلو ان عبد الحميد قطامش وجد في بيئة اخرى كفرنسا ، لكسبت الانسانية اديبا عبقريا ليس له نظير . وكان يستمتع بمسرح نعمان عاشور ويعتبره أبا للمسرح العربي الحديث . وكان الدكتور القط يتمنى لو اتيحت له فرصة للتاليف ، فهو احيانا كان يقرض الشعر ، ولكنه كان يختص نفسه واصدقاءه المقربين بهذا الشعر ! وقد حاول ان يكتب قصصا ثم اقلع عن ذلك فجاة لسبب لا ادريه ! وعندما انهدمت قهوة عبد الله فى بداية الستينات ، تشاءم الدكتور القط وانتابه هم شديد ! وعندما نقل ندوته مع انور المعداوي كان يزفر احيانا بلا مناسبة ، ويردد فى حزن بالغ « مش دى قهوة عبد الله » ! . وعندما هاجر انور المعداوي الى قريته فى ريف البحيرة ، ادرك ان الحياة قد اصابها حادث مؤسف ، وراح يتردد على المقهى مع محمود شعبان فترة ثم غاب هو الآخر ، ثم اختفى تماما بعد موت انور المعداوي ، وكانه متعمد هذا الاختفاء ، تضامنا مع المعداوي الذى اختفى بالموت ، فاختفى هو الآخر بالحياة ! ولكنه عاد يلمع من جديد فى جامعة بيروت العربية ، وترك هناك تلاميذ اوفياء ، وحلقات ادبية شربت حتى ارتوت من ادبه ومن علمه . ثم لمع فى عهد السادات كعميد لكلية اداب عين شمس . ثم عاد من جديد الى الظل فى عصر كان اهم نقاده هو ثروت اباظة ، واعظم مواهبه الجديدة عبد العال الحمامصي ! .

والدكتور القط هو اكثر الناس شبها بالكاتب الكبير يحيى حقي . كانما هو حريص على الابتعاد عن دائرة الضوء . وهو مع مندور ولويس عوض يشبه عبد الرحمن شكري مع المازني والعقاد . عاش فى هدوء وذهب فى هدوء ، مع انه كان اغزرهم علما وانعمهم موهبة . وميزة عبد القادر القط انه لم يلتحق بركاب احد ، ولم يمش فى تيار ، ولم يصفق لانتاج دون انتاج كان مع الانتاج الجيد من كل الالوان . وكان مع الأدباء الموهوبين من كل اتجاه . لم ينصب نفسه « بابا » للأدب ، ولم يوزع صكوك الغفران على الأدباء . وكان يحتفل بكل موهبة ولو كانت ضئيلة . وكان يرى ان الموهبة هي مصدر كل السلطات .. ذات مرة كنت اجلس معه فى المقهى ، وكان المعداوي

يقرأ لي قصة قصيرة ، وعندما انتهى منها قال لي وهو يضحك ضحكته الشهيرة «عيبك الوحيد يامحمود إنك مش مدرك قيمة ما تكتبه » !! ورد عليه القط فى هدوء .. « بالعكس ، لعلها ميزة محمود ، لو أدرك قيمة مايكتبه لفسد » !!

وعندما قرأت عليه فصول اول مسرحية كتبتها « فيضان النبع » صمت قليلا ثم قال « حوارك ممتاز ، ولكن لابد لك من دراسة قواعد المسرح » ! . وبعد ايام جاءني بكتاب للاستاذ دريني خشبة ونصحني بدراسته . وللأسف لم استطع ان استفيد من هذا الكتاب في معالجة « فيضان النبع » . ولكن تاثيره كان عظيما عندما شرعت فى تاليف مسرحية « عزبة بنايوتي » ! وحضر الدكتور القط المسرحية التى اخرجها الخميسى عدة مرات ، وكتب عنها نقداً وفسرها بشكل لم يخطر على بالي قط ، فقد قال إن العزبة هي مصر ، وبنايوتي هو الأجنبي المحتل ، وكان التفسير هو التفسير الوحيد للمسرحية ، والصحيح ايضا ، وعندما صارحته بان هذا الامر لم يخطر لي على بال قط ، قال بهدوء وبالحرف الواحد « انت مالكش دعوة انت تكتب وبس » !! وكان هو الذى نصحني مرات بالا ادع العمل الصحفي يطغى على انتاجي الأدبي . وعندما قرأ روايتي « عندما يعود القمر » نصحني بان اكتب رواية اخرى ، وبالفعل شرعت فى كتابة رواية اخرى ، ولكن لم استمر ، فقد استغرقني العمل الصحفي ثم العمل السياسى بعد ذلك ، وكان هذا هو اكبر اخطائي فى الحياة ! .

وهو بالرغم من صحته وزهده وعزلته ، كان شديد المتابعة لما يجرى فى الحياة . كان يسمع الاذاعة ويحضر عروض المسرح ويتردد على السينما ، ويزور الاحتفالات الشعبية ويقرأ الصحف اليومية ، ويتابع الانتاج الأدبي الجديد ! وعندما اذاع عبد الرحمن الخميسى « حسن ونعيمة » في حلقات ، كان شغوفاً بها وحريصاً على متابعتها بانتظام ، وكان يعدها عملا ادبيا رائعا ، بينما كان يعدها بعض النقاد الموسميين عملا من أعمال الاسترزاق ! . وكان حريصا فى شهر رمضان على الاستماع الى مسلسلة « من قصص القرآن » ويعدها عملا ادبيا دينيا عظيما ، بينما كان بعض النقاد « الأرزقية » يتعمدون الحط من شانها ، ويعدونها لونا من الوان الشعوذة والاحتيال ! وعندما كان عضواً فى لجان القراءة بالمسرح ، لم يرفض عملا مسرحيا لأديب على الاطلاق . وكان يرى ان كل جهد ينبغي ان يقدر ، ولكنه غالبا ما كان يشير باجراء تعديلات على العمل المسرحي ، إذا كان يحتاج الى هذه التعديلات . ولم تستطع الرقابة ان تستخدمه يوما فى قطع الطريق على مسرحية مشاغبة . مع انها استطاعت استعمال غيره من اصحاب الأصوات التى احترفت العواء ! .

وكانت علاقته حسنة للغاية بالطلبة فى الكلية ، وعضواً فى اكثر من اسرة طلابية . وكان يعقد الندوات لبعضهم في منزله . ويرى ان العمل فى الجامعة يجرى على نسق العمل فى المدارس الثانوية ، وهو الخطأ الاكبر الذى وقعت فيه الجامعات المصرية حتى الآن ! .

وبالرغم من عدم انتمائه إلى مذهب معين ، أو حزب من الأحزاب ، إلا انه كان محترماً من الجميع ، مهاباً بين الكل ، سمعته فى الوسط الأدبي كله « ابيض من اللبن الحليب » . فهو لم يسترزق ابداً ، ولم ينصب نفسه داعية لمذهب ما او شخص ما، ولم يكن فى ركاب احد ، ولم يحاول ان يجمع ثروة ، ولم يمد يده طالباً منصباً ، وظل حريصاً على بقائه فى الجامعة كمجرد استاذ . وهو فى المقابل احتفظ برايه لنفسه ولم يدخل معارك عنيفة ، ولم يعرض نفسه للانتقام الشديد ، ولم يتعقب « الأرزقية » ولم يقف فى طريقهم ، ولذلك اسقطوه من حسابهم ، وهم يخوضون معركة الحياة والموت من اجل الاسترزاق ! .

وظل على الدوام راهبا فى دير مصر ، وقد كان دائما مع وطنه لأنه كان مع العدل ومع الكرامة ومع الاستقامة ومع الشرف . ولأنه لم يتنازل ولم يزايد ، ولم يستخدم حنجرته مطية لبلوغ الأهداف ، ولذلك كان مع مصر ولكن كان على غير المعنى الذى يردده « الأرزقية » عندما يشرعون فى اغلاق باب الاجتهاد امام المصريين ! ، فقد كان يدعو كل الناس الى الاجتهاد من اجل مصلحة مصر ومستقبل مصر . ولو كانت الاحوال حسنة ، والظروف مواتية ، لكان عبد القادر القط هو قاضي قضاة مصر فى محكمة الأدب ، وهو أصلح من يشغل منصب سكرتير عام المجلس الأعلى للفنون والآداب . ولكن بعض الظروف التى مرت على مصر كانت تجعل من الحياة الأدبية قطة تاكل بنيها ، وخيرهم على الاخص ! .

وقد نجحت هذه الظروف فى ان تاكل الدكتور عبد القادر القط ، فانزوى اخيراً لا ادري اين ، ولكن بقاءه على قيد الحياة يجعله شاهداً على عصره ، واتمنى لو يتفرغ الآن لكتابة ذكرياته عن تلك الفترة المضطربة والقلقة من تاريخ مصر ! .

كما انه قطعة حية من ندوة « قهوة عبد الله » فهو احد المؤسسين ، وهو ايضا احد الائمة الذين اشرفوا على الحياة الأدبية فى مصر ، وغمروها بالنور فى الأربعينات والخمسينات وجزء من الستينات فى هذا القرن .

وإذا كان انور المعداوي في الحياة الأدبية هو ضمير مصر ، وزكريا الحجاوي كان تراب مصر ، فالدكتور عبد القادر القط كان قبساً من روح مصر الناعمة والشفافة والحانية والمضيئة .

وإذا كان الدكتور القط قد سقط من قائمة المشاهير ، فهي عادة مصرية ، إذ سقط من نفس الكشف عبقريات عظيمة ومواهب فذة أبرزها ابراهيم المازني وزكي مبارك والشاعر اسماعيل صبري والشاعر احمد فتحي ، بينما لمع فى عصرهم من كانوا مثل الطين إذا سقطت عليها الشمس .

اما جيلي فقد عاش مع القط وتتلمذ عليه ، وتعلم على يديه ، وتشرف به ! وستبقى صورة الدكتور القط تلمع دائما فى عيون مصر . !

محمود السعدني

إعـــــــــلان

مسـابقة لرسـوم الأطفـال

تعلن وزارة الاعلام ـ ادارة الثقافة والفنون ـ مساهمة منها فى اكتشاف المواهب الفنية عن مسابقة لرسوم الاطفال وفق الشروط التالية : ـ

١ ـ المسابقة مفتوحة لكل الاطفال من سكان دولة قطر ومن جميع الجنسيات .
ـ ان تكون الاعمال المشاركة بالألوان .
٣ ـ أن تناسب الاطفال من سن السابعة وحتى سن الخامسة عشرة .
٤ ـ للطفل المتسابق حرية اختيار الموضوع والمقاس .
٥ ـ يحق لكل متسابق المشاركة بعملين فقط .
٦ ـ ترفض الاعمال التى يتدخل فى رسمها الكبار .
٧ ـ الاعمال التى تقدم للاشتراك فى هذه المسابقة لا تلتزم الادارة باعادتها لاصحابها فازت أم لم تفز .
٨ ـ يحق للادارة المشاركة بالاعمال الفائزة فى أى من المعارض الداخلية أو الخارجية التى تشارك بها الادارة .
٩ ـ تمنح الاعمال العشرة الفائزة جوائز مالية على النحو التالى : ـ

الجائزة الأولى مبلغ ٢٠٠٠ ريال
الجائزة الثانية مبلغ ١٥٠٠ ريال
الجائزة الثالثة مبلغ ١٠٠٠ ريال
الجائزة الرابعة مبلغ ٨٠٠ ريال
الجائزة الخامسة مبلغ ٧٠٠ ريال
الجائزة السادسة مبلغ ٥٠٠ ريال
الجائزة السابعة مبلغ ٥٠٠ ريال
الجائزة الثامنة مبلغ ٥٠٠ ريال
الجائزة التاسعة مبلغ ٥٠٠ ريال
الجائزة العاشرة مبلغ ٥٠٠ ريال

١٠ ـ ترفق مع الاعمال المشاركة قصاصة مستقلة بها اسم المتسابق كاملا وعنوانه ورقم تليفونه اذا امكن للاتصال به وتسلم لقسم الفنون التشكيليه والمعارض بمبنى ادارة الثقافة والفنون وآخر موعد لقبول الأعمال المشاركة هو ظهر يوم الخميس ١٩٨٢/٩/٣٠ .

آراء حرة

تؤمن « الدوحة » بضرورة الحوار بين الآراء المختلفة ، فمن خلال الحوار الموضوعي الحر تظهر الحقيقة ، والمفكر الحقيقي الذى يمكن أن يخدم أمته هو الذى يقبل « الرأي المخالف » ويعارضه بسلاح واحد هو الرأي والمواجهة الفكرية الصريحة .

"داروين وفتنته النائمة"

رَدٌّ على الدكتور عبد المحسن صالح

بقلم: الدكتور عبد الله العبادي

نشر مقال للدكتور عبد المحسن صالح فى مجلة « الدوحة » العدد ٨١ بعنوان : مات رجل وعاشت نظرية .

نذكر منها مقتطفات ثم نعلق عليها :

جاء في المقال « ورغم مرور مائة عام على موت داروين إلا أن نظريته لازالت حية بل إنها تزيد حيوية واشراقا لا في عقول الناس بل في عقول العلماء الذين يفكرون بطريقة منتظمة مستمدين زادهم الفكري من قوانين الكون وشرائع الحياة ، إذ كلما مرت السنوات وتطورت البحوث ، وزادت حصيلة العلماء من الأسرار الكثيرة التي تنطوي فى خلق الكائنات ، كلما أصبحوا من حقيقة التطور قاب قوسين او ادنى » .

في هذه الأسطر يريد أن يثبت الكاتب أن نظرية داروين حقيقة ، ولها فضل كبير فى تغذية عقول العلماء ، واستمرار استنتاجاتهم العلمية وتطور البحوث حتى يومنا هذا .

نقول للكاتب وامثاله : لماذ نتشبث بهذه النظرية الخاطئة بالذات دون النظريات الأخرى ، ونريدها أن تكون مثار جدل مستمر فيما بين القراء على صفحات الصحف والمجلات ، لماذا لا نتناول بالدراسة والكتابة النظريات الأخرى التى تفيد مجتمعاتنا ، وشعوبنا ، لماذا لا نتناول مثلا فى كتاباتنا مثلا قصة اختراع السيارات ، وتطوراتها ، أم لماذا لا نتناول دراسة اختراع الصاروخ وتطوراته ، او الطائرة ، وكيف مرت بمراحل إلى أن وصلت ما وصلت إليه اليوم ، بل لماذا لا نتناول صنع الابرة التى هي ابسط شيء فى عالم المصنوعات ، ونحن نستوردها حتى الآن ...

إن الهدف واضح ومرسوم ، وهو شغل المسلمين والعرب فيما لا جدوى تحته ، ولا فائدة منه ، وإلا فمثل هذه النظرية الخرقاء لا تستحق كلاما ، او كتابة ، او اقلاما سائلة ، فهي فتنة كلما نامت ايقظها المغرضون ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « الفتنة نائمة لعن الله موقظها » .

واي فتنة اشد من هذه الفتنة التى تتعرض للآيات القرآنية والأحاديث النبوية صراحة ، وتمس العقيدة فى الصميم وتستهزيء بعلماء الدين ؟ .

ثم لنسال الكاتب ماهي الاستنتاجات التى استنتجها العلماء من هذه النظرية حتى يومنا هذا ؟ وماهي الاختراعات التى اخترعوها استنادا على هذه النظرية ؟ وماهي الحقائق التى توصل اليها العلماء من وراء هذه النظرية ؟

لاشيء بالطبع من ذلك كله ، وإنما هو الكلام الذى لا طائل تحته والمراء الذى لا يرجع على هذه الأمة إلا بالخيبة ، والخسران .

ثم قال « والغريب أن جميع من ناقشوا النظرية وفندوها ، وهدموها لم يكونوا رجال علم ... »

يقصد الكاتب بالطبع الذين ناقشوا النظرية هم علماء الدين الاسلامي ، وان هؤلاء ليسوا رجال علم .

نقول للكاتب إذا كان رجال الدين ليسوا رجال علم ، فمن هم إذا رجال العلم ؟ فلعله يقصد أن رجال العلم هم ايضا هم انصار داروين ، وماعداهم فليسوا بعلماء ، اليس ذلك ما يدعو للسخرية ؟ .

ونحن نرى أن هذه المسالة مسالة دينية بحتة ، وتخص علماء الاسلام وحدهم ، ومن واجبهم الدفاع عن الاسلام وعن العقيدة . إلى أن قال « ولقد كان من الممكن ان تمر هذه الآراء مرور الكرام ، وان يكتفي الجميع بالقول بان نظرية التطور مخالفة لتعاليم الدين ، او هي تناقض ماجاء فى بعض آيات القرآن الكريم التى تحدثت عن خلق الكائنات عامة ، والانسان خاصة ، هذا رغم أن القرآن الكريم يحثنا صراحة على البحث فى اصول الخلق ، وفي ذلك تاتي اشارة واضحة « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدا الخلق ... »

الست معي أيها القارىء أن هذا الكلام فيه تناقض ؟ ، حيث يعترف الكاتب أن نظرية التطور مخالفة لتعاليم الدين ، وهي تناقض بعض آيات القرآن الكريم ، ومن ناحية اخرى يستدل على نظرية التطور بقوله تعالى « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدا الخلق .. » ، فهل كتاب الله يناقض بعضه بعضا ، حاشا كتاب الله من التناقض . اما الكلام بان هذه النظرية تناقض آيات القرآن الكريم صراحة ، فذلك مما لا جدال فيه ، قال تعالى فى سورة البقرة « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال إني أعلم مالا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك انت العليم الحكيم ... الى قوله (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا

هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ..) الى آخر القصة .

ويقول تعالى فى سورة الحجر (وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حما مسنون . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ..)

وقوله تعالى فى سورة (ص) (إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ..)

هذه الآيات وغيرها تدل على أن قصة خلق آدم عليه السلام وحواء خلق جديد على صورتهما الآدمية لم يكن لهما خلق آخر قبل ذلك ، وإنهما سكنا الجنة ، ثم هبطا الى الأرض بامر الله تعالى .

وكلمة « روحي » هنا ـ كما ذكر المفسرون ـ بمعنى الروح التى املكها ولا يملكها غيري ، والاضافة اضافة ملك كسمائي وارضي وبيتي ، وناقة الله ، وشهر الله ... ومثله وروح منه فى قصة خلق عيسى عليه السلام .

وقد روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال « خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ، وهو أول مخلوق من هذا النوع . وهو أول انبياء الله ورسله فى الأرض ارسله الى بنيه على الصحيح وهو اول خليفة فى الأرض . فهل نصدق ماجاء فى الكتاب وماجاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أم نصدق داروين ومن شايعه ؟ .

ومن الآيات التى جاءت في تكريم الانسان ، وانه مكرم ومفضل على المخلوقات قوله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) الاسراء آية (٧١)

وقوله تعالى (وصوركم فاحسن صوركم) التغابن آية (٣)

وقوله تعالى (لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم) التين آية (٤) ، أما قوله تعالى فى سورة العنكبوت آية (٢٠)

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق .. » فمعناه ـ كما جاء فى القرطبي ـ « قل لهم يامحمد سيروا فى الأرض (فانظروا كيف بدأ الخلق) على كثرتهم وتفاوت هيئاتهم واختلاف السنتهم والوانهم وطبائعهم ، وانظروا الى مساكن القرون الماضية ، وديارهم وآثارهم كيف اهلكهم ، لتعلموا بذلك كمال قدرة الله .

فمعناها سيروا فى الأرض وانظروا ماذا فعل الله بالأمم من قبلكم واتعظوا بذلك ، وليس معناها انظروا الى اصل المخلوقات كما فسرها الكاتب .

ثم قال « فالقول بان التطور مجرد نظرية وليس حقيقة علمية قول مجانب للحقيقة ، فالتطور ذاته حقيقة .. الى ان قال ثم ان نظرية التطور ليست إلا واحدة من النظريات العلمية التى تناولت فكرة خلق الكائنات .. »

فالكاتب هنا يخلط بين الحقيقة والنظرية ، والفرق ـ كما لايخفى ـ واضح بين الحقيقة والنظرية ، ثم ان كلمة « التطور كلمة حق اريد بها باطل ، فالتطور فى خلق الله موجود وثابت ، ولكن ليس التطور الذى يقصده الكاتب ، فالتطور في خلق الانسان نفسه حاصل لكل فرد إذ يمر فى أطوار من الخلق بحيث يكون فى بطن امه نطفة ثم علقة ، ثم مضغة ثم عظاماً .. فهذه تطورات خلق الانسان التى جاء بها القرآن الكريم . يقول تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظم لحماً ثم انشاناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين) المؤمنون آية (١٤)

والمعنى لقد خلقنا الانسان وقلبناه فى أدوار الخلقة وأطوار الفطرة وكل طور فيها لا يمت إلى الآخر بصلة .

ثم يمر الانسان كذلك باطوار مرحلية اخرى غير تلك الاطوار . يقول تعالى (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) الروم آية (٥٤)

فهذا التطور غير ذلك التطور الذى يقصده الكاتب .

وبعد أن تكلم الكاتب عن نظرية التطور وإنها حقيقة علمية وان داروين على صواب فيما يدعيه يأتي ليقول « ويبدو ان الناس قد جبلوا على القفز الى الاستنتاجات قفزاً فهم يخطئون عندما ينسبون الى داروين قوله بان اصل الانسان قرد ، وتطور ، رغم ان داروين لم يذكر ذلك حقاً لعلمه بالفجوة الواسعة التى تفصل بين القرد والانسان . الست معي أيها القاريء ان هذا الكلام يناقض بعضه بعضاً ؟ .

فبعد ان دافع الكاتب عن نظرية داروين وانها حقيقة ، وان الناس لا يفهمون ، يرجع ليقرر إن داروين لم يقل بان اصل الانسان قرد ، وانه تطور بعد ذلك . إذاً لماذا كل هذا الكلام ، ولماذا كل هذه السخرية بالغير ، ولماذا هذه الردود ؟

إن المعروف أن داروين نادى بهذه النظرية الخرقاء ، وايده اناس من البسطاء وقصيري النظر . وإن لم يكن ذلك صراحة في باديء الأمر ، فانه قد قرر ذلك ضمناً ، وفي المرحلة التالية من دراسته قرر ذلك صراحة . لذلك لاقى انتقادات واعتراضات كثيرة فى زمانه .

ويترتب على هذه النظرية الجوفاء التي بنيت على الحدس والتخمين ـ حسبما يبدو لي ـ أمور منها :

١ ـ تاييد الطبيعيين فى اعتقادهم حيث يعتقدون أن كل شيء على وجه الأرض من صنع الطبيعة ، الى ان الأشياء كلها من اصل واحد توالدت من بعضها البعض ، وبالتالي تنفي قدرة الخالق العظيم المبدع الذى خلق كل شيء على حدة ، ومستقلا استقلالا تاماً فى خلقه ، وليس له ارتباط بالآخر ، فهذه الأنواع المتباينة من الخلق التى لا تعد ولا تحصى تدل على كمال قدرته تبارك وتعالى ، وعجيب صنعه . يقول تعالى فى سورة « طه » آية (٥٠) « قال ربنا الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » .

والمعنى ـ كما يقول مجاهد امام المفسرين ـ المعنى انه لم يخلق خلق الانسان فى خلق البهائم ، ولا خلق البهائم فى خلق الانسان ، ولكن خلق كل شيء فقدره تقديراً .

ومنه قول الشاعر :

ولـه فـى كـل شيء خلقـه
وكذاك الله ما شاء فعـل

٢ ـ إن الله تعالى يصرح فى القرآن الكريم انه خلق آدم خلقاً مبدعاً ليس له مثيل سابق ، وكرمه ، وأمر الملائكة لتسجد له تكريماً له ، ثم تاتى النظرية لتقول انه تطور عن حيوان حقير ، وهذا هو الالحاد بعينه .

٣ ـ هذه النظرية والتى يسمونها نظرية «النشوء والارتقاء» وهى الارتقاء من الأدنى الى الأعلى وليس العكس ، أو النظرية التى تولدت من هذه النظرية «البقاء للأصلح» نراها تخالف الواقع وأمام اعيننا فاننا نرى أن الانسان نفسه ينزل من أعلى الى أدنى حيث يهبط من نشاط الشباب والقوة الى ضعف الشيخوخة والشيبة ، ثم الموت ، فليس بالضرورة أن يرقى الحيوان دون أن يهبط ، أو أن يعلو دون أن ينزل ، ونرى كذلك أن النظرية الثانية «البقاء للأصلح» لا تصلح أن تكون قاعدة لهذا الأمر ، ولو كان الأمر كما يزعمون لانمحى وجود القردة من الوجود وبقى نوع الانسان وحده لأنه الأصلح ، وهذا ما لا نراه فى عالم القردة .

إن هذه النظرية وما ترمى اليه من أبعاد عقائدية خطيرة جاءت على لسان شخص

اوربى ، فلذلك تشبث بها البسطاء ، ورفعوها ، ونادوا بها ، وصفقوا لها ، وكل يوم يعملون لها عيد ميلاد ، اما لو كانت صادرة من شخص عربى ، أو مسلم ، لماتت ، وذهبت مع أدراج الرياح ، ولا غرابة فى ذلك فان البعض منا قد جبل على حب كل ما هو آت من الغرب . ورغم أن الكاتب يرى أن تحيل كل أمر الى متخصص فيه إلا أنه قد حشر نفسه فيما ليس له فيه اختصاص ، فذهب يشرح الآية الكريمة «قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق» حسب ما فهمه وأملت عليه أفكاره .

ورغم مرور قرن على هذه النظرية المشئومة والتى فتنت كثيراً من الناس البسطاء فى مجتمعاتنا ، فان علماء الغرب حتى الآن لايثبتون هذه النظرية ، وتلاقي مصادمات ، وتضاربات ، واعتراضات حتى يومنا هـــذا .

وفى ذلك يقول الأستاذ أحمد ابو زيد فى مجلة العربى العدد ٢٨٤ ص ٧٢ يوليو ٨٢ « والشيء الواضح من هذا كله هو أنه على الرغم من كل ما قاله داروين وكل ما كتبه العلماء التطوريون طوال المائة والعشرين عاماً التى انقضت على ظهور كتاب «أصل الأنواع» فليس ثمة اتفاق بين العلماء على أصل الحياة وكيف بدأت ، وكيف تطورت فلاتزال النظريات العلمية تتضارب ، وتتعارض الى ابعد حدود التضارب والتعارض» .

وعلمـــاء الغـــرب العصريـــون ، والمتخصصون انفسهم يردون على نظرية داروين ، ويثبتون عدم جديتها ، ومخالفتها للواقع !

فقد قال الأستاذ أحمد ابو زيد فى المجلة المذكورة ص ٧١ «كذلك يلقى تصور داروين للتطور على انه عملية متصلة ، ومستمرة ، وإن كانت تتسم بشكل بطيء وتدريجى ـ اعتراضات كثيرة من جانب عدد من علماء « الانثربولوجيا الفيزيقية» المعاصرين ممن أتيحت لهم الفرصة للبحث الميدانى ، والتنقيب ، والعثور على بعض الحفريات القديمة التى قلبت كل النظريات السابقة رأساً على عقب ، ويكاد هؤلاء العلماء يجمعون الآن على أن الأنواع الجديدة لم تكن تظهر نتيجة لتراكم «التغيرات الصغيرة» خلال فترات طويلة جداً من الزمن ، كما قال داروين ، ولكنها كانت تظهر فجأة ، ثم تستمر فى الوجود دون أن يطرأ عليها أى تغيرات كبيرة حتى تندثر ، وتختفى تماماً ، لكى يظهر من بعدها ـ وبطريقة فجائية أيضاً ـ أنواع أخرى تختلف عنها اختلافاً كبيراً ، ودون أن يكون هناك مقدمات ، أو شواهد فى الأنواع القديمة تبشر بظهور هذه الأنواع الجديدة الأكثر تطوراً ، وتمهد لها ، وقد استند أصحاب هذه النظرية الجديدة الى جانب الحفريات التى عثروا عليها الى وجود فجوات ، وثغرات واسعة جداً فى «السجل الحفرى» يمتنع معها إمكان تصور التطور على أنه عملية واحـــدة متصلـــة ، ومستمرة ....» .

ومن الجدير بالذكر أن «كارل ماركس» رأس الشيوعية والشيوعيين والذى كان يريد تعميم الالحاد فى العالم كله أراد أن يصدر الترجمة الانجليزية لكتابة «رأس المال» بعبارة اهداء الى «داروين» مما يعبر عن مدى اعجابه الشديد بهذا الشخص الجديد الذى خدم قضية الالحاد لأول مرة فى العالم ، ولكن داروين اعتذر عن ذلك وقد ظل «ماركس» متحمساً لكتاب «أصل الأنواع» ولنظرية التطور لدرجة أنه كتب الى إنجلز يقول «على الرغم من أن هذا الكتاب يعالج التطور بأسلوب انجليزى فج فانه يحتوى أسس التاريخ الطبيعى لنظريتنا» .

وأخيراً إذا كان هناك من يعتقد جدية النظرية ، ويصر على ذلك اصراراً ، فليعتقد كما يشاء ، وليحبذ تلك النظرية كما يشاء ، ولكن ليس من المنطق أن يفرض ، أو يعمم ذلك الاعتقاد ، أو تلك النظرية على الآخرين فان الناس ليسوا كلهم على درجة واحدة فى التفكير يقبلون كل ما يقال ، أو يكتب ، فمنهم من يكون سطحى التفكير ، ويتجاوب الى أبعد الحدود مع كل ما يسمع ، أو يرى ويصفق مع المصفقين دون أن يدرى ما هو سبب التصفيق ، ومنهم من رزقه الله الدقة فى التفكير ، والنضوج فى العقل ، فهو يعرف كيف يفكر ، وكيف يتدبر أمراً ما ، ثم كيف يتقبله أو يرفضه .

وصدق الله العظيم حيث يقول (فانها لا تعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) الحج ٤٧ .

د. عبد الله العبادى
مشرف عام الشئون الثقافية
جامعة قطـــر

لســـت زعيـــمًا للشـــركس في عـــمّان!

لدى تصفحي العدد (٨٠) اغسطس ١٩٨٢ من مجلتكم الغراء ، فوجئت بمقال بقلم الاستاذ ضياء الدين بيبرس تحت عنوان عادات وتقاليد (ص ٥٢) ودهشت من المغالطات التى أوردها عن عادات وتقاليد الشـركس فى الأردن .. لقد قلب الكاتب الحقائق إلى خيال وترك لقلمه العنان ليكتب ماشاء من اخطاء ، وكانه يكتب من جزائر واق الواق ، ونسى أن العالم اصبح صغيراً ، والبعيد صار قريباً والكلمة التى تقال فى أدنى الأرض يسمعها فى حينها سكان الأرض جميعاً ..

إنني أقر بكل تواضع خطأ ماجاء فى المقال ، فلست زعيماً للشركس فى عمان كما ذكر الكاتب ، وكذلك إبنتي ليس لها دخل بالموضوع حتى يحشر اسمها معي ايضاً ، وكل مافي الأمر إننى كنت رئيساً للجمعية الخيرية الشركسية بعمان ، ولما انتهت مدة رئاستي انتخب شخص غيري لهذا المركز ، ومدة الرئاسة فيها سنتان ..

ارجو التكرم بتكذيب ماجاء في المقال المشار إليه ، وان هذه العادات والتقاليد قد بادت كما باد الأولون ، وان الشركس ليسوا بجالية كما ذكر كاتب المقال ، وإنما هم جزء لا يتجزأ من الشعب الاردني النبيل .

وفى الختام اعرب لكم وللمجلة عن عظيم شكرى وتمنياتي لها بمزيد من الازدهار .

فواز ماهر
الاردن ـ عمان

المستشرق اليهودي

بول كراوس

بين الفضيحة المالية والفشل العاطفي

اخي رئيس تحرير الدوحة

اهنئكم واشكر لكم مقالكم الذى كتبتموه حول انتحار شاعرنا القومى الكبير خليل حاوى، أشكر لكم هذه الاطلالة على عالم خليل حاوى فى وقت صمتت فيه الكثير من الاقلام عن الكتابة عن هذا الحدث الأليم .. لاعجب فصمت نقادنا عن الحديث عن خليل حاوى هو امتداد لصمت أمتنا العربية وتقاعسها عن الدفاع عن مقدساتها وابنائها . ! .. وما هذا الصمت الصغير إلا وليد طبيعى لذلك الصمت الفادح ! .. كان من الطبيعى إذن أن يذهب خليل حاوى صريع صمت هذه الأمة قبل موته وبعد موته !

غير انى توقفت طويلا عند مقدمة مقالكم الذى عقدتم فيه مقارنة بين انتحار خليل حاوى وانتحار المستشرق اليهودى بول كراوس ، ويخيل الى أن هذه المقارنة قد يكون فيها شىء من الاجحاف بشاعرنا القومى الكبير . ففى حدود ما أعلمه عن المستشرق كراوس أقرر لكم أن حبه للعروبة ودفاعه عن القضية العربية هما عندى موضع شك كبير على الرغم مما حدثكم به . كما ذكرتم ـ أستاذنا الفاضل الجليل الدكتور عبد العزيز الأهوانى . وما وجهة النظر التى نسبتموها إلى الدكتور الأهوانى الا واحدة من وجهات نظر مختلفة لم أجد للأسف ما يؤيدها فيما سمعت من روايات المعاصرين لبول كراوس عن نزعاته واتجاهاته ، اذ تجمع هذه الروايات على انه كان حاقداً على الاسلام فى وقت كان الحقد فيه على الاسلام يعنى الحقد على العروبة ، اذ لم تكن الدعوة الاسلامية والدعوة العربية قد تميزنا كما هما الآن .

ومن ناحية ثانية فان تاريخ انتحار المستشرق بول كراوس كان سابقاً لقيام اسرائيل بعدة سنوات وليس لاحقاً عليها كما ذكرتم فى مقالكم نقلا عن الدكتور الأهوانى ذلك أن تاريخ انتحاره هو عام ١٩٤٤ كما تذكر فهارس مكتبة الجامعة الامريكية بالقاهرة ، أو عام ١٩٤٥ كما يذكر كشاف الاعلام فى ذيل كتاب « أسس الفلسفة للدكتور ـ توفيق الطويل » ، « « الطبعة السادسة ـ القاهرة ـ دار النهضة العربية ـ ١٩٧٦ ـ ص : ٤٩ » .

اما عن سبب انتحاره كما حدثنى به أستاذى الفاضل د ، توفيق الطويل فهو فضيحة مالية شهدتها كلية الآداب بجامعة القاهرة (فؤاد الأول فى ذلك الوقت) وكان كراوس هو البطل الوحيد فى هذه الفضيحة ومؤداها أن الدكتور طه حسين عميد الكلية كان قد أوفده الى فلسطين لشراء بعض الكتب والمخطوطات من مكتباتها ، وحين عاد كراوس بالكتب والمخطوطات المطلوبة لاحظت ادارة الحسابات أن كراوس لم يتقدم بفواتير الشراء وأبدت قدراً كبيراً من الشك فى صحة الأثمان المزعومة ومن ثم فقد رفعت الأمر الى الدكتور طه حسين لكى يتخذ القرار المناسب ، وكان قرار الدكتور طه حسين هو تكليف رئيس قسم الجغرافيا الدكتور ـ مصطفى عامر ـ الذى كان يتاهب للسفر الى فلسطين لأمر ما ـ بمراجعة المكتبات التى اشترى منها كراوس هذه الكتب واحضار فواتير بأثمانها وقد كانت المفاجأة .. وهى أن كراوس قد اختلس معظم الثمن لنفسه ! وقد تعاصرت هذه الواقعة مع ما كان يتردد فى أوساط الجامعة من أن كراوس كان يخوض قصة غرام فاشلة فى الوقت الذى خاض فيه الفضيحة المالية .. ولم يحتمل كراوس هاتين المحنتين فيما يبدو فأثر إنهاء حياته وهكذا وجد ذات يوم متدلياً من حبل مشنقة هياه لنفسه فى حمام منزله .

وبعد فاننى اذ أتقدم إليكم بهذه الرواية عن انتحار كراوس .. فاننى أمل أن أكون قد نفضت عن ذكرى خليل حاوى تراب مقارنة ظالمة فى أرجح الظن .

ولكم منى كل تقدير ،،،

دكتور نصار عبد الله
مدرس الفلسفة المعاصرة
جامعة أسيوط

تعليق : أشكر الدكتور نصارعلى هذه الرسالة وأعتقد أن شخصية «بول كراوس» تحتاج إلى المزيد من الضوء الذى يكشف الحقيقة حول هذه الشخصية ، وأذكر أننى قرأت مقالا للدكتور يحيى الخشاب عن « بول كراوس » فى مجلة الثقافة المصرية القديمة ، وكان المقال مليئاً بالتقدير والاحترام لهذا المستشرق .. وأرجو أن يتفضل الأساتذة العارفون بالقضية إلى كشف الحقيقة الكاملة ، وفى مقدمة الذين نرجو منهم ان يتكلموا ، « أستاذنا الدكتور توفيق الطويل وأستاذنا الدكتور يحيى الخشاب . على أن لي ملاحظة أخيرة هي أن طه حسين لم يكن عميداً لكلية الآداب سنة ١٩٤٥ ، بل لم يكن عميداً للأداب فى أى سنة من سنوات الأربعينات ، فقد كان فى تلك الحين مستشاراً فنياً لوزارة التربية والتعليم ، أو مديراً لجامعة الأسكندرية . فاين الحقيقة في هذه القضية ؟ .

.. أرجو أن تفتح كلمة الصديق الدكتور نصار باباً لتوضيح الحقيقة الكاملة حول شخصية هذا المستشرق الغامض « بول كراوس » .

ر . ن

بين الشعبين المصري والفلسطيني

بقلم: اللواء إبراهيم محمد الفحام

يقول الأديب الفلسطيني عمر الصالح البرغوثي في مقدمة كتابه (الوزير اليازوري) تحت عنوان (علاقة مصر بفلسطين) :

« إن أكثر من عشر سكان فلسطين يمتون الى أصل مصري ، هاجرت عائلاتهم مع جيش إبراهيم باشا الى فلسطين ، ثم إلتجأت عائلات أخرى فراراً من السخرة والشدة في حفر القنال ، ولاتزال تحمل الطابع المصري في الاسم ، مثل عائلات المصري ، والدمياطي ، والزعبلاوي ، والشرقاوي ، والأنشاصي ، والعرايشي ، وغيرهم . وكذلك اللهجة المصرية ، والطعام المصري ، واللباس الريفي ، والعادات المصرية فهي شائعة في الساحل ما بين خان يونس وعكا» .

وتعرض عارف باشا العارف ، مؤرخ المدن الفلسطينية ، لتلك الظاهرة ، في كتابه (تاريخ غزة) بقوله :

« لقد كان المصريون أهم عنصر من عناصر السكان الذين استوطنوا غزة ، على مر الأحقاب . وإن كنت في شك من قولي هذا ، فما عليك إلا أن تقلب صفحات التاريخ ، أو تقوم بجولة قصيرة في شارع من شوارع غزة في هذه الايام (سنة ١٩٣٤) .. تشابه في الرداء واللهجة ، وفي العادات والعنعنات ، وفي الأفراح والمآتم ، وفي السحن وتقاطيع الوجه ، وفي الابنية والمآكل ، وفي كل شيء » .

وأشار عباس العقاد الى تلك المظاهر ، ضمن الفصول التي نشرها عن انطباعاته خلال رحلته في فلسطين في صيف سنة ١٩٤٥ والتي أعيد نشرها في كتابه (حياة قلم) سنة ١٩٦٤ . إذ قال :

« أحسب أن المصريين والفلسطينيين في مجال الهجرة فرسا رهان ، أو فارسان متقاربان ، فمن فلسطين مهاجرون في مصر ومن مصر مهاجرون في فلسطين . وقد يعيش الفلسطيني زمناً في مصر ، ثم يعود الى بلاده . وقد ترى بينهم من يلقب بالأنشاصي ، والبلبيسي ، والطنطاوي . كما ترى بيننا من يلقب بالغزي ، والرملي ، والعكاوي . وكأنهم يتسابقون ويتلاحقون في حلبة واحدة ، لا يخرجون منها ، ولا يسرعون الى تبديل معالمها ، سواء في التقاليد الاجتماعية ، أو معيشة البيوت ، حتى (الملوخية) وهي صحفة مصرية ، لا يتقنها الطهاة ، من غير وادي النيل ، قد أكلناها في بيت أبي خضرة ، كما تؤكل على أفخر موائدها التي تعتز بتقديمها في بواكيرها أو معقباتها ، لأن أبناء هذا البيت يحافظون على تراثهم القديم مذ كانوا بريف مصر ، ولاتزال لهم قرابة فيه » .

وقال العلامة السوري محمد كرد علي في مقال له عن المصريين الذين توطنوا بلاد



ابراهيم باشا
هاجرت عائلات مصرية معه الى فلسطين



احمد لطفي السيد
تحدث عن تبادل الهجرات بين الشعبين



نابليون بونابرت
وجد اربعمائة مصري فى يافا



محمد علي
طلب من والي عكا إعادة المصريين فرفض

الشام ، نشر فى عدد أبريل سنة ١٩٤٠ من مجلة (الهلال) :

« ترك جيش ابراهيم باشا بن محمد علي الكبير فى الديار الشامية وما اليها ، الوفا من المصريين ، أصبحوا بعد حين من الدهر كاهل الشام ، فى مناحيهم ، على نحو ما كان من بضعة الوف من المصريين ، وردوا على فلسطين قبل الحملة المصرية ، وكانوا السبب الظاهر فى إعلان محمد علي باشا الحرب على والي عكا ، بل على الدولة العثمانية ، لأنه طلب إرجاعهم الى مصر ، فابى الوالي على محمد علي إعادتهم ، محتجا بأن مصر والشام شيء واحد ، وكلتاهما تابع للدولة . وهؤلاء المهاجرون الأول تفرقوا فى أنحاء فلسطين ، واحالتهم شاميين » .

وقد أسهمت الجماعات البدوية ، التى تقيم بعض فروعها فى مصر والبعض الأخر فى فلسطين ـ والتى تنتمى الى قبائل السواركة والتياها والترابين والأخارسة والمساعيد والسماعنة والرميلات والوحيدات والرتيمات ـ فى توطيد روابط القرابة بين الشعبين المصرى والفلسطينى حتى بعد أن تحضرت أعداد كبيرة من عائلاتها فى المدن والقرى المصرية والفلسطينية ، إذ ظلت زيارات التعارف والمجاملة ، وعلاقات التازر فى السراء والضراء بين هذه العائلات البدوية منها والمتحضرة ، باقية الى عهد قريب ، بل وظلت باقية بين بعضها حتى الآن .

الروابط الوثيقة

وقد ذكر لي صديق شرقاوى ، تنتمى عائلته الى قبيلة السماعنة ، أنه حتى زمن غير بعيد كانت تفد الى قريته جماعات عديدة ، من العائلات الفلسطينية لمشاركة أبناء عمومتهم المصريين احتفالاتهم بالمناسبات المختلفة كالزواج ، وختان الأولاد ، وأداء فريضة الحج ، وللعزاء والمواساة فى حالات الوفاة ، كما كانوا يتشاركون جميعاً فى تحمل الالتزامات التى يفرضها العرف البدوى ، فيما يتعلق بحماية المستجيرين وإيوائهم ، ومؤازرة الأقارب والحلفاء ، وذلك برغم تخليهم عن مظاهر الحياة البدوية ومن أظهرها الزى البدوى ، واندماجهم الكامل فى خضم المجتمع الريفى المصرى .

وقد شجعت تلك الروابط الوثيقة ، بين العائلات المصرية والفلسطينية ، التى تنتمى الى أصول قبلية مشتركة ، على تبادل الهجرة ، كلما تطلبت الظروف ذلك .

وتحمل بعض القرى المصرية ، والتجمعات السكانية الصغرى التى تتبعها (كالعزب والكفور) أسماء قرى أو عشائر فلسطينية ، وفدت بعض عائلاتها اليها وتوطنت فيها .

وقد ذكر محمد رمزى بك فى كتابه (القاموس الجغرافى للبلاد المصرية) فى معرض حديثه عن قرية (السماعنة) بمحافظة الشرقية : « والسماعنة جماعة من عرب فلسطين ، نزلوا بهذه الناحية ، فعرفت بهم ، كما ورد فى تاج العروس » .

وذكر استاذ الجيل احمد لطفى السيد ، فى كتابه (قصة حياتى) أن قريته (برقين) بمحافظة الدقهلية ، يحتمل أن تكون قد سميت باسم قرية (برقين) الفلسطينية .

ولم يكن تبادل الهجرات بين العائلات المصرية والفلسطينية مقصوراً على الجماعات البدوية الأصل ، بل شمل جماعات أخرى كثيرة ، تحت وطاة ظروف وأحداث مختلفة .

ففى بداية الحملة الفرنسية على مصر ـ وخاصة بعد انتصار الفرنسيين فى معركة إمبابة ـ لجا كثير ممن خشوا بطش القوات المحتلة بهم ـ الى فلسطين . وعندما استولى نابليون على يافا فى مارس سنة ١٧٩٩ وجد بها أربعمائة مصرى ، من بينهم نقيب الأشراف السيد عمر مكرم ، فأعاده الى مصر ، وحاول إلحاق الباقين بصفوف جيشه ، ولكنهم رفضوا ، فامر باعادتهم الى مصر . ولا يبعد أن بعضهم ـ ومعهم أعداد أخرى وفيرة من مواطنيهم كانوا فى أنحاء أخرى من تلك البلاد ـ لم تتح لهم فرص العودة الى مصر .

وعندما أخمد الفرنسيون حركة المقاومة المسلحة ، التى قادها حسن طوبار فى بحيرة المنزلة بالدقهلية ، نزح الى غزة ، والتف حوله كثير من رجاله المتعطشين للنضال ، حتى بلغ سلطات الاحتلال الفرنسى أنه يعد بتلك المدينة قوة ينوى نقلها فى خمسين سفينة الى دمياط

بين الشعبين المصري والفلسطيني

لاحتلالها ، واستئناف أعمال المقاومة في شواطىء دمياط وبحيرة المنزلة ، ولكنه لم ينجح في العودة الى مصر إلا بعد جلاء المحتلين .

وكان نزوح الآلاف من الفلاحين المصريين الى فلسطين ـ تخلصاً من الأعباء التي القتها على عواتقهم انظمة السخرة والضرائب والتجنيد التي استحدثت في عهد محمد علي ـ السبب المباشر الذي تذرع به لشن حملته على بلاد الشام في سنة ١٨٣١ ، وخاصة عندما طلب من عبد الله باشا والي عكا إعادتهم الى مصر فرفض ذلك .

وقد اشار عبد الرحمن الجبرتي في الجزء الرابع من تاريخه المسمى (عجائب الآثار في التراجم والاخبار) ضمن حوادث صفر ١٢٢٥ هـ . الى ما عاناه الفلاح المصري من قسوة الاساليب التي اتبعت في تحصيل الضرائب منه ، وقال .. « فربما اداه الحال إن كان خفيف العيال والحركة ، الى الفرار والخروج من الاقليم بالكلية . وقد وقع ذلك حتى امتلأت البلاد الشامية والرومية من فلاحي قرى مصر ، الذين جلوا عنها ، وخرجوا منها وتغربوا عن أوطانهم ، من عظيم هول الجور » .

وعندما أعاد محمد علي جيشه الى مصر سنة ١٨٤٠ تخلف الآلاف من جنوده عن العودة . ويقدر مورييه في كتابه (تاريخ محمد علي) عدد أفراد ذلك الجيش ، ومن كان ملحقاً بهم من المدنيين قبل الانسحاب ٢٠٠ الف نسمة ، بينما لم يصل منهم الى مصر سوى ٦٠ الفاً فقط ، واندمج من كتبت له الحياة من الباقين في ابناء البلاد ، وإن ظلوا محتفظين بالكثير من عاداتهم وتقاليدهم الموروثة ، فاضفوا بعض السمات المصرية ، على ملامح المجتمعات التي عايشوها .

من مصر الى فلسطين .. وبالعكس

وتكرر نزوح الفلاحين المصريين الى الاراضي الفلسطينية ، عندما ارهقتهم اعمال السخرة في حفر القناة ، وإقامة بعض المنشآت الاخرى المتعلقة بها .

وكانت قد استقرت في ارجاء الريف المصري ، كثير من الاسر الفلسطينية التي استعين بخبرتها في زراعة اشجار الفاكهة ومن اصلابهم انحدرت كثير من الاسر الريفية المصرية التي استمرت تمارس حتى الآن هذا الضرب من التخصص الزراعي .

وقد صادفت ـ اثناء عملي بالشرطة في شمال الدلتا ـ اسراً كثيرة ، من هذا القبيل يشكل بعضهم سكان قرى باكملها ، ويشكل البعض الآخر نسباً متفاوتة من سكان قرى أخرى ، وقد نسي افرادها من الجيل المعاصر ـ في غمار انشغالهم بمتاعب الحياة واحداثها المتوالية والمتراكمة ـ كل شيء تقريباً عن اصولهم ، ولكن تلك الاصول ظلت من الذكريات العريقة ، التي يعيها كبار السن ، وخاصة من يتمتعون بقدر من الثقافة التقليدية التي ترهف وعيهم التاريخي ، ويحتفظ بعضهم بما يؤيد ذكرياتهم هذه من الوثائق ، كما تؤيدها بعض الشواهد المتبقية ، كملامح الوجوه ، والاسماء والكنى والالقاب ، واللهجات والامثال والاغاني ، والحكايات ، والملابس والاطعمة ، وسائر العادات الاجتماعية . وإن كانت هذه السمات تبدو باهتة في الغالب ، تحت الصبغة المصرية الغالبة ، التي اكتسبوها مع الزمان .

وفي القاهرة ، وغيرها من المدن المصرية ـ وليس في الريف وحده ـ تتوطن منذ اجيال عديدة ، كثير من الاسر الفلسطينية الأصل ، التي تمتهن التجارة ، واغلبها من سلالة (النبالسة) و (الخلايلة) ـ اي ابناء نابلس والخليل ـ الذين كان اسلافهم يترددون على هذه المدن في مواسم معينة للاتجار في الصابون وزيت الزيتون ، ثم طاب لهم الاستقرار فيها ، وجمعتهم بمن خالطهم من المصريين روابط البيع والشراء من جهة ، والمصاهرة من جهة اخرى .

وقد دعيت منذ سنوات قليلة ، لحضور احتفال بعقد زواج يجمع بين فتاة مصرية وشاب فلسطيني من الخليل ، وحضر الحفل بعض اقاربه ، وكلهم من تجار القاهرة . وكانوا من الكثرة بحيث غلب على ظني ان تعداد ابناء الخليل في القاهرة وحدها ، لايقل عن تعدادهم في موطنهم الاصلي .

وفي مقابل ذلك فقد استقر في المدن الفلسطينية ، كثير من التجار المصريين ، الذين كانوا يترددون عليها ، للاتجار في المحاصيل والمصنوعات المصرية والفلسطينية معاً ، وخاصة (البلابسة) اي ابناء مدينة (بلبيس) بمحافظة الشرقية ، الذين يقال انه لا تكاد تخلو مدينة فلسطينية من اسرة او اكثر تنتمي إليهم .

وكانت هنالك روابط تجارية واجتماعية وثيقة بين ابناء مدينتي يافا ودمياط ، اللتين لم تنقطع بينهما رحلات السفن ، للتجارة او حضور مجالس العلم .

ويرجع الفضل في توطيد اواصر الاخوة الصوفية بين ابناء المدينتين إلى السيد قطب الدين عمر بن محمد البكري اليافي الدمياطي من ابناء الطريقة الخلوتية ، وقد ولد في يافا ، ووصل إلى مصر في اواخر القرن الثامن عشر ، استقر في دمياط فاكتسب فيها كثيراً من المريدين والاتباع ، ثم عاد إلى موطنه ، وتوفي بدمشق في سنة ١٨١٨ وتاثراً بتلك الروابط ، اثر الاقامة في يافا بعض المصريين الذين ابعدوا من بلادهم لادانتهم بالاشتراك في احداث الثورة العرابية ، كما حرص على التردد عليها الذين كتب عليهم ان يقضوا مدة النفي من بلادهم في بيروت ، وذلك للالتقاء بمواطنيهم المقيمين فيها ، او بابنائها الذين تربطهم بمصر اوثق الصلات .

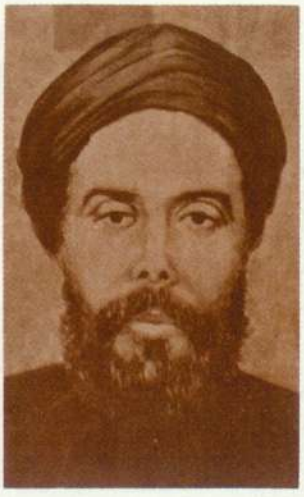
وقد تحدث الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي في كتابه (نفحة البشام في رحلة الشام) ـ الذي ضمنه ذكرياته خلال اقامته في منفاه ببيروت بصحبة الشيخ محمد عبده ـ عن رحلة قام بها إلى مدن فلسطين ، والتقائه ببعض شخصياتها التي رحبت بمقدمه ، ومنهم الشيخ خليل التميمي الخليلي ، كما قابل في يافا مصطفى افندي الارناؤوطي المصري الدمياطي ، الذي اقام له ـ ولمن معه ـ احتفالا دعا لحضوره عدداً من العلماء والتجار والاعيان . وذكر الشيخ القاياتي عنه انه (من جملة المنفيين معنا في الحادثة المصرية ـ يقصد الثورة العرابية ـ واقام ببندر يافا لقربها من ثغر دمياط ، حتى يكون ذلك انجز لمقصوده في إدارة حركته التجارية ، واقرب المواصلات اللازمة لتلك الجهات ، فضلا عن ذلك ، فقد نال من لطف هؤلاء السادة ، ما اذهب عنه وحشة الغربة وانساه بلاده) .

عبد الله النديم .. في الشام

عندما تقرر نفي السيد عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية إلى بلاد الشام سنة ١٨٩١ ابحر من الاسكندرية إلى يافا ، فاستقبله في مينائها حشد كبير من العلماء والاعيان ، واستضافه مفتي المدينة السيد علي ابو المواهب ، فاقام في بيته



عبد الرحمن الجبرتي
اشار إلى اسباب هجرة بعض الفلاحيين لبلاد الشام .



عبد الله النديم
فر من الاسكندرية الى يافا ليستقبله حشد من كبار العلماء .



سعد زغلول
اطلق أهل القدس اسمه على مواليدهم الجدد إعرابا عن حبهم له .



طلعت حرب
استقبله الشعب الفلسطيني بترحاب شديد عندما زار فلسطين

شهراً ، ثم استاجر داراً خاصة لم تلبث ان صارت منتدى لعلماء المدينة وادبائها .

وقد اشاد النديم فى مقال نشر له فى عدد ٢٣ مايو عام ١٨٩٣ من مجلة (الاستاذ) بما لقيه المصريون الذين نفوا إلى بلاد الشام من ترحيب اهلها وتكريمهم ويقصد ببلاد الشام مفهومها المصري الفسيح ، الذى يشمل كل ما يلي حدود مصر الشرقية حتى نهاية الحدود السورية فى اقصى الشمال ، كما اشاد بما لقيه هو شخصياً من حفاوة طوال مدة نفيه التى قضاها فى ربوع فلسطين ، فقال :

« إن كثيراً من المصريين ابعدوا إلى سورية والشام ، فما وجدوا غير إخوان كرام ، قابلوهم بوجوه مستبشرة ، ونفوس طيبة ، واحلوهم محل الكرامة والتجلة ، حتى قضى الكل مدته ، وهو فى أحسن مايكون من الأنس والراحة ، ومنهم هذا الضعيف محرر الأستاذ ، فقد غمره اهل يافا والقدس الشريف بفضلهم ، وأروه من مكارم الاخلاق ، ما لا يحصى الثناء عليه ، فقد اجلوه وكرموه ، وبادلوه الزيارة والضيافة ، وساعدوه فى تنقلاته وخدموه ، بما زادهم شرفاً وفضلا . ولم يقصر المسيحيون فى مشاركة المسلمين فى الزيارة والمودة ، حتى جئت ولساني يرطب بالثناء عليهم » .

وهكذا كان الشعب الفلسطيني شديد الانفعال باحداث مصر ، كما كان من اكثر الشعوب العربية تاثراً بالحركة الوطنية المصرية . وكان من مظاهر هذا التاثر اطلاق الوطنيين الفلسطينيين لقب (الزعيم الجليل) على اسحاق موسى الحسيني باشا ، رئيس الوفد الفلسطيني إلى لندن فى سنة ١٩١٩ وهو نفس اللقب الذى اطلقه الوطنيون المصريون على سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصري . كما تذكر فرنسيس إميلي نيوتين فى كتابها (خمسون عاماً فى فلسطين) أن الوطنيين الفلسطينيين رفعوا فى سنة ١٩٢٠ علماً يشبه العلم الذى كان يرفعه الوطنيون المصريون فى ثورة ١٩١٩ والذى يضم هلالا يحتضن الصليب . وكان تقدير الفلسطينيين لزعامة سعد زغلول يضارع تقدير اخوانهم المصريين لها .

يروى إميل الغوري فى كتابه (فلسطين فى ستين عاماً) الذى صدر فى عام ١٩٧٢ بعض ذكرياته عن فجر الحركة الوطنية الفلسطينية فيقول :

« كنا نحن معشر الطلبة فى ذلك العهد (يقصد سنة ١٩١٩) نفاخر بسعد زغلول ونعتبره زعيماً عربياً عظيماً ، وتعلقنا به منذ أن بدانا نسمع عن حركته ومواقفه ، وكثيراً ما كنا نهتف باسمه وباسم الوفد المصرى فى المظاهرات والمواكب والاحتفالات التى كنا نشترك فيها . واذكر أن صور سعد زغلول هو ورجال الوفد مثل مكرم عبيد ، ومصطفى النحاس ، وحمد الباسل ، ومرقص حنا ، وواصف غالى ، ومحمود البسيوني ، واحمد ماهر ، ومحمود النقراشي ، وغيرهم ، كانت ترفع فى البيوت والمخازن والمقاهي العامة ، رغم أوامر السلطات البريطانية بعدم رفعها ، وان الكثير من اهل القدس كانوا يطلقون اسم سعد زغلول على مواليدهم الجدد ، إعراباً عن تقديرهم وحبهم له » .

واشار إلى تالم الفلسطينيين لتصدع الحركة الوطنية المصرية ، ومعاداة بعض الساسة المصريين لسعد زغلول ، وشبه ذلك بما أصاب الحركة الوطنية الفلسطينية من انقسام . ووصف موقف الراي العام الفلسطيني من ذلك فقال :

« ومما هو جدير بالذكر ان القيادة الوطنية الفلسطينية التى كان الشعب باكثريته الساحقة يؤيدها ، ويلتف حولها ، التزمت جانب سعد زغلول والوفد المصري ، فى حين التزمت جبهة المعارضين فى فلسطين جانب الجماعات التى خرجت على سعد وحزب الوفد » .

وروى الغوري واقعة من ذكرياته ، تصور مدى حدة التاثر التى كان يتسم بها الشعور الوطني الفلسطيني نحو الظروف التى كانت تجتازها الحركة الوطنية المصرية ، وما تمخضت عنه من صراع حزبي عنيف ، فيقول :

حفلة تكريم فى القدس

« واذكر أن اسماعيل صدقي – وكان من زعماء مصر المعارضين لسعد زغلول – زار فلسطين ، وكان رئيساً للوزارة المصرية ، وحل ضيفاً على المندوب السامي البريطانى فاحتفى به المعارضون حفاوة عظيمة – يقصد معارضى الاتجاه الشعبي السائد



اسماعيل صدقي
استقبله الشعب الفلسطيني وهو يهتف بحياة سعد والوفد المصري .



عمر مكرم
اعاده نابليون إلى مصر عندما وجده في يافا .

بين الشعبين المصري والفلسطيني

في فلسطين ـ ، واعد له رئيس بلدية القدس راغب النشاشيبي زعيم المعارضين حفلة تكريم كبرى ، في قاعة المجلس

البلدي . فلما وصل اسماعيل صدقى إلى دار البلدية ، هاجمه الشعب وهو يهتف بحياة سعد والوفد المصري . وقذفه بالبيض والبندورة (أي الطماطم) فاضطر

إلى العودة من حيث اتى ، ولم تقم الحفلة»
وذكر ان الشعب الفلسطيني اعلن ـ عند وفاة سعد زغلول فى سنة ١٩٢٧

الحداد عليه ثلاثة أيام ، وارسل زعماؤه ومختلف مؤسساته وهيئاته ونواديه وجمعياته برقيات العزاء إلى أم المصريين

وحزب الوفد ، وجللت صوره فى كل البيوت والمتاجر والاماكن العامة بالسواد ، وأرسل وفد يمثل الجميع إلى القاهرة لتقديم

العزاء ، والمشاركة فى حفل التابين ، الذى أقيم بالنادى السعدى ، فلقى الوفد حفاوة عظيمة ، وخصص لاعضائه الصف الأول . والقى إميل الغوري كلمة عبر فيها عن مشاعر الفلسطينيين .

وبمثل تلك العاطفة استقبل الشعب الفلسطيني طلعت حرب مؤسس بنك مصر عندما زار بلادهم فى العام التالي (١٩٢٨).

وفى الحفل الذى اقامته له الغرفة التجارية بيافا ، ابديت له رغبة الشعب الفلسطينيي فى انشاء بنك مصري فلسطيني بفلسطين ،

يشترك فى تمويله بنك مصر والفلسطينيون فرحب بتلك الفكرة ، كما ايدها اعوان طلعت حرب . ولكن الجهود التى بذلها

اثرياء اليهود فى مصر ، حالت دون إنشاء ذلك البنك ، كما تعرض الممولون الفلسطينيون لضغوط شديدة بددت حماستهم لذلك المشروع .

وكانت فلسطين ـ استجابة لرغبة شعبها واصراره ـ من اولى الاقطار العربية التى انشئت فيها فروع لجمعية الشبان المسلمين ، بعد إنشائها فى مصر سنة

١٩٢٧ . ولم يقتصر إنشاء تلك الفروع على المدن الفلسطينية الكبرى ، بل امتد إلى بعض القرى الصغيرة أيضا . وكان لتلك

الفروع فضل عظيم فى توثيق روابط الفكر القومي بين الشعبين المصري والفلسطيني وبين هذين الشعبين وسائر الشعوب العربية والاسلامية ، فبدأت حكومة

الانتداب البريطاني ، تعارض جهودها ، ووجهت منشوراً إلى دواوين الحكومة ، يدعو إلى منع الموظفين من الانتماء إلى تلك الفروع ، كما أغلقت فرعي الجمعية بكل من يافا وغزة .

وكانت تلك التصرفات من اهم الموضوعات التى ناقشها المؤتمر العام الذى عقدته الجمعية بالقاهرة فى يولية ١٩٣٠ ،

وقررت ابلاغ احتجاجها على ذلك للمندوب السامي البريطاني فى فلسطين ، وإلى الحكومة البريطانية ، وعصبة الامم ، والصحف العربية والانجليزية .

وكانت معالم الحياة فى مدينة يافا ـ بوجه خاص ـ مرآة صادقة للترابط الوثيق بين الشعبين المصري والفلسطيني ، بفضل الصلات التجارية المستمرة والعريقة بين ابنائها وابناء الثغور المصرية وخاصة دمياط . وقد عبر المحامي المصري

الأديب عبده حسن الزيات فى كتابه (من يوميات محام) عن بعض الانطباعات العميقة التى خلص بها خلال زيارته لمدينة يافا سنة ١٩٤٤ وابدى تاثره من اطلاق أسماء مصرية على بعض مؤسساتها مثل

« سينما فاروق » و « فندق رمسيس » و «الجمعية المصرية» كما تاثر برد الفعل الحماسى الذى بدر من المستمعين له ، اثناء القائه محاضرة عن المحاماة . وخاصة عندما تحدث فيها عن سعد زغلول كمحام .

مشاعر شعبين

وقد ظل الشعب المصري بدوره ـ وسيظل دائماً ـ بالغ الحساسية ، شديد الانفعال بالظروف والاحداث التى يستهدف لها الشعب الفلسطيني . وقد تجلى ذلك

دائماً فى مواقف الحكومات والهيئات والجماعات الصادقة التعبير عن مشاعر الشعب المصري وارادته .

وليس فى هذا ما يثير العجب ، فالرابطة بين الشعبين المصري والفلسطيني ليست من قبيل الروابط التى تستمد وجودها من الاتفاقات او السياسات الرسمية للدول ،

وحدها . بل هي رابطة واقعية بين شعبين يسهم كل منهما بنصيب وافر فى النسيج الاجتماعي للشعب الآخر ، فضلا عن إدراكهما الواعي لوحدة المطامح والآمال والمصائر .

ابراهيم محمد الفحام



مسابقة
بمناسبة افتتاح
مركز الخور الثقافي

بمناسبة افتتاح مركز الخور الثقافي ـ يسر وزارة الاعلام ـ ادارة الثقافة والفنون ـ الاعلان عن المسابقة الآتية :

أحسن صورة فوتوغرافية لمدينة الخور

شروط المسابقة :

١) الاشتراك مفتوح للجميع .
٢) ان تظهر الصورة جوانب الاصالة بمدينة الخور والذخيرة .
٣) ان تكون الصورة بالالوان الطبيعية .
٤) يحق للمتسابق الاشتراك بثلاث صور مختلفة .
٥) ان يكون مقاس الصورة ١٤ × ١١ بوصة ويرفق معها نسختين بالمقاس العادى .
٦) الصور لا ترد لاصحابها فازت أم لم تفز .
٧) يكتب اسم المتسابق وعنوانه على ورقة منفصلة على ان تحمل الصورة اى اشارة او رقم ويذكر بها وقت التقاط الصورة .
٨) آخر موعد لاستلام الصور هو يوم الخميس ١٤/١٠/١٩٨٢ م .
٩) ترسل الصور بالبريد المسجل على العنوان التالى :

« ادارة الثقافة والفنون ـ ص . ب : ٣٣٣٢ ـ الدوحة »
« مسابقة احسن صورة »

الجـــوائز :

الجائزة الأولى	٣٠٠٠	ثلاثة الاف ريال قطرى .
الجائزة الثانية	٢٠٠٠	ألفين ريال قطرى .
الجائزة الثالثة	١٠٠٠	الف ريال قطرى .

كما انه سيقام معرض يضم جميع الصور المشتركة وذلك بقاعة المعارض بالمركز الثقافى بمدينة الخور بعد اعلان النتائج .
والله ولى التوفيق ..



مسابقة
بمناسبة افتتاح
مركز الخور الثقافي

يسر وزارة الاعلام ـ ادارة الثقافة والفنون الاعلان عن المسابقة التالية :

"أحسن مقال أو دراسة أو بحث يخص أحد معالم مدينة الخور"

شروط المسابقة :

١) الاشتراك مفتوح للجميع .
٢) ان يكون الموضوع فى احد الجوانب التالية :
أ ـ دراسة أو بحث عن حياة شاعر من شعراء الخور .
ب ـ دراسة او بحث عن تاريخ المدينة .
جـ ـ دراسة او بحث عن احد الحرف الشعبية التى كانت تمارس بمدينة الخور .
د ـ دراسة او بحث فى نواحى الحياة بمدينة الخور .
٣) أن لا يقل الموضوع عن عشر صفحات فولسكاب .
٤) ان يكتب بخط واضح او مطبوع على ثلاث نسخ .
٥) ان يكتب اسم المتسابق على ورقة منفصلة .
٦) يحق للمتسابق الاشتراك باكثر من مقال .
٧) الموضوع لا يرد لصاحبه فاز أم لم يفز .
٨) ترسل المواضيع على العنوان التالى (ادارة الثقافة والفنون ص .ب ٣٣٣٢ ـ الدوحة)
« احسن مقال »
٩) آخر موعد لاستلام المواضيع يوم الخميس ١٤/١٠/١٩٨٢ .

الجوائز :

الجائزة الأولى	٣٠٠٠ ثلاثة آلاف ريال قطرى .
الجائزة الثانية	٢٠٠٠ الفين ريال قطرى .
الجائزة الثالثة	١٠٠٠ ألف ريال قطرى .

هذا وسوف تضمن هذه المقالات كتاب عن مدينة الخور تصدره الادارة .
والله ولى التوفيق ،،

بسم الله الرحمن الرحيم

دولة قطـــر
وزارة الإعـــــلام
إدارة الثـقافـة والفنـــون

تعلـــن ادارة الثقافـــة والفنـــون ـ قســم الفنـــون والصناعات الشعبيـــة عن رغبتهـا فى اقتنـــاء المصنوعـــات الشعبيـــة . فكل من يمـــارس أو يمتلك قطعـــة مصنعـــة محليـــة من الصنـــاعات التاليـــة :

١ ـ النقـش على الجبـس .
٢ ـ الحفـر على الخشـب .
٣ ـ صنـاعة السفن الخليجيـة .
٤ ـ صناعة النسيج بالأساليب الشعبيـــة .

وكل ما لـــه علاقـــة بالصناعـــات الشعبيـــة يتقـدم بهـا الى رئيـس قســم الفنـــون والصناعـــات الشعبيـــة بمبنى ادارة الثقافـــة والفنـــون .

واللـــه ولي التوفيـــق ،،،،

مـــع تحيـــات

وزارة الاعـــلام

ادارة الثقافـــة والفنون

جدع .. وابن بلد

شعر: أحمد دحبور

جدع ، وابن بلد
عندما يلقى التحية
يلتقى فى صوته المعدن ، والخبز ،
وجلابية السوق ،
وأسمنت البناء
فاذا ساءلته عن نفسه ،
بش طويلا ، وانفرد :
ـ عندما جئت من الاسماعيلية
جبهتي كان اسمها « تحرير سيناء العربية »
أصل سيناء شرفي ، والاعتداء
لم يكن ضد رمال وميادين فقط
غلط هذا ، غلط
فاحتلال الأرض يعني العرض ..
يعني ..
كيف يبقى ، بعد ، فى الوجه شوارب
والعدو احتلنا ..
قلنا نحارب

• • •

جدع ، وابن بلد
يوم خاض العملية
لمعت في رأسه أيامه الأولى وعادت فكرة :
سيناء أيضاً عربية
حيث لا يقتصر الأمر على هذى الرمال
انها الجرح الذى يمتد من جرح فلسطين ـ
الشمال
ويوافي بالسؤال :
أي معنى للمحارب
أن يكن يجهل أن الجرح أرض عربية

• • •

وبهذى الروح جاء
لم تكن صيدا سوى قاعدة ،
والعمق ميدان الفداء
عندما تسأله عن صحبه فى القاعدة
ينتخي وهو يجاوب :
إنهم أهلي .. فلسطين بلادي ،
والأعادى .. كل من يجهل هذى القاعدة

جدع ، وابن بلد
... وأرى بين الفدائيين ،
مالم يره مثلي أحد
فى البداية
كنت أخشاهم !!
فقد كان اعتقادي ..
انهم أقسى من الصخر ،
ولم لا ؟ انهم قد يأكلون الصخر إن جاعوا
ولكن حدثت هذى الحكاية :
مرة مر علينا الطيران
فانتشرنا ـ
ورأيت « الشبل » ينقض على المدفع ،
أعصاباً حديداً ،
فاعترى قلبي شعور بالأمان
ثم إني مرة ،
شاهدت فيه الخوف حتى الارتجاف
(عجباً ! « شبل » يخاف !)
كان هذا عندما كدنا بسيارتنا ندهس طفلا
ثم ماذا .. ؟
جدع وابن بلد

• • •

ـ سقطت صيدا ، وما كنت هناك
كنت في ..
(يلعنها من ساعة ووفق لي فيها على هذى الأجازة)
ثم ماذا ؟
كان ، سيجارته تلسعه في فمه حين رماها ،
لم يكن يحمل حتى ثمن الوجبة
أو حتى الدخان
وهو ، فيما كان يبدي عذره لي ، عن قبول
الدعوة المرتجلة
قال : كل الأسئلة
لا توازي واحداً ..
كيف أعود الآن يا صيدا اليك
وعلمنا ، بعد هذا ، إنه حقق بالفعل الجواب .

لماذا الإلحاد.. والإيمان حق؟!

بقلم: خالد محمد خالد

على الرغم من أن موجة الايمان عالية ، تحمل فوق ثبجها الكثير من المؤمنين والمتدينين على اختلاف منازعهم ومشاربهم .

على الرغم من ذلك ، فان موجة الالحاد عالية هى الأخرى ، تحمل فوق ثبجها الكثير من المنكرين والملحدين .

وفى عصرنا هذا تتبنى الالحاد وتحض عليه منظمات كبرى ودول شاهقة ، وتسرى سمومه فى أوصال ذويه مجرى الدم ، ويجد فيه الكثيرون راحة من الضوابط التى يفرضها الايمان على سلوك الانسان ، أو راحة من المعاناة الفكرية التى تجعل الانسان حائراً صغيراً بين الايمان واللاإيمان ..

وفى رأيى أن الالحاد موقف فكرى بيد انه يتسم بالاحباط والضلال .. ومادام موقفاً فكرياً حيث يعجز عقل الملحد عن إدراك وجود الله ؛ فان طريقة التفاهم معه ينبغى أن تكون الحوار والمناقشة ..

إنه منذ تبين الرشد من الغي صار الاكراه على الايمان أمراً غير مرغوب فيه .

يقول الله سبحانه : «لا إكراه فى الدين . قد تبين الرشد من الغي» ويقول مخاطباً رسوله عليه السلام . وكأنه يعاتبه : «أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين»؟!

إن الأمر يبدو سهلا ويسيراً إذا كانت الخلافات بين المؤمن والمنكر ترجع الى الرغبة الصادقة فى الوصول الى الحقيقة لكنها تبدو عكس ذلك إذا كان الملحد يصدر فى إلحاده عن عناد ومكابرة ورغبة مضحكة فى تحدى الله العلي الكبير .

● ● ●

ومع تقدم الكشف العلمى ظهرت أسئلة كثيرة عن الله . هل هو موجود ؟ وكيف وجد ؟ وحسب كثير من المتعلمين أن العلم سيجهز على الايمان ، وسيرفع راية الالحاد لاسيما وهو يسأل بصوت مرتفع وبكلمات كبار إذا كان الله خلق الكون ، فمن خلق الله ؟

ونسي هؤلاء أن الله ليس مادة ؛ ومن ثم فمن غير المستطاع أن تصل اليه بالطرق المادية ، كما أنه من المؤكد الذى لا يتطرق اليه الشك أنه ليس هناك شيء مادى يستطيع أن يخلق نفسه ، والذين يقولون إن الكون خلق نفسه ، يصفون الكون بالالوهة ، ومعنى ذلك أنهم يعترفون بوجود إله .

يقول عالم الطبيعة الكبير «جورج إيرل دافيز» فى كتاب «الله يتجلى فى عصر العلم» :

«إنه كلما ارتقى وتقدم تطور المخلوقات ، كان ذلك أشد دلالة على وجود خالق مدبر وراء هذا الخلق .. وإن التطور الذى تكشف عنه العلوم فى هذا الكون ، هو ذاته شاهد على وجود الله ، فمن جزيئات بسيطة ليس لها صورة معينة وليس بينها فراغ نشأت ملايين من الكواكب والنجوم والعوالم المختلفة لها صور معينة واعمار محددة تخضع لقوانين ثابتة يعجز العقل البشرى عن الاحاطة بمدى إبداعها ، وقد حملت كل ذرة من ذرات هذا الكون ، بل كل ما دون الذرة مما لا يدركه حس ، ولا يتصور صغره وضالته عقل قوانينها وسننها وما ينبغى لها أن تقوم به ، أو تخضع له» ..

أجل .. تلك من آيات ربنا الكبرى أن كل شيء فى هذا الكون حتى ما هو دون الذرة قد أعطاه الله قانونه ومنهجه ووظيفته .

يقول القرآن الكريم : «.. ربنا الذى

أعطى كل شيء خلقه ، ثم هدى» أى أعطى كل شيء قانونه وجعل له وظيفته ثم هدى وأعطاه المقدرة على تنفيذ هذا القانون وإنجاز تلك الوظيفة .

وفى رأيى أن قضية الايمان ليست موضوع الدين وحده ، بل هى كذلك موضوع العلم والفلسفة والفكر والفن ، وموضوع الحياة كلها .

فجميع الكائنات العليا فى هذا الكون الكبير ، وبالتالى فى كوكبنا الصغير تدفعها قوى باطنة الى استشراف الغيب ، وتتبع الخيوط التى تهدى الى السر الأكبر . سر القوى الأعلى الذى خلق عالمنا الفذ ، وألهمه سننه وقوانينه ونظامه المحكم الوثيق .

كل انسان تناديه هذه الأسرار .. فمنا من يسير اليها متتبعاً خطى العلماء .. ومنا من يسير متتبعاً خطى المرسلين والأنبياء .

ليس معنى ذلك أن الايمان فى غنى عن الدين . بل معناه أن كل ما فى عالمنا الانسانى من فكر وعقل وروح يهدى الى الله ويدل عليه .

وإذا ضل انسان طريقه فليس العيب ماثلا فى عدم وجود الأدلة الكافية . بل العيب فى المنظار الذى يبصر به الحقائق ، وحين يضبط منظاره فانه يصادف حينئذ الكثير من الوضوح .

ولطالما نادى الله سبحانه قوانا المفكرة لتصل اليه وتراه من خلال عظمته وقدرته المتبديين فى الأرض وفى السماء .

يقول سبحانه : «أولم يسيروا فى الأرض فينظروا ..» .

«قل سيروا فى الأرض ، فانظروا كيف بدأ الخلق» ..

«من يرزقكم من السماء والأرض ، أم من يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي» ..

«أم من جعل الأرض قرارا ، وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسى ، وجعل بين البحرين حاجزا» ..

«وترى الجبال تحسبها جامدة ، وهى تمر مر السحاب ، صنع الله الذى أتقن كل شيء» ..

«إن فى خلق السماوات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، لآيات لأولى الألباب» ..

«وضرب لنا مثلا ونسي خلقه . قال من يحيي العظام وهى رميم ؟ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم» .

آيات كثيرة خاطب الله بها العقل ليهديه بها اليه ، ويدله عليه ، وهذا يعنى أن الايمان تجربة قبل أن يكون إذعاناً ، ونظر بالعقل قبل أن يكون تلقياً بالشعور .

ومن أجل هذا ترك الله رسوله ابراهيم أبا الأنبياء يعانى بواكير التجربة وحده قبل أن يتلقى من الله وحيه .

«فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ، قال هذا ربى .. فلما أفل قال لا أحب الآفلين .. فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى . فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين .. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى ، هذا أكبر . فلما أفلت ، قال يا قوم إنى برىء مما تشركون . إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين» .

وهكذا يضع «ابراهيم» عليه السلام الفروض ثم يناقشها ويفحصها .

أى أنه سلك طريق العلم اليوم . إذ العلم يقوم على الفروض لأنها توجه العمليات التى تكشف عن الحقيقة ..

والفروض ـ كما يقول جون ديوى ـ ليس هناك حدود لمداها ولا لعمقها ـ فمنها فروض ذات مجال محدود تكنيكى ، ومنها فروض تبلغ من السعة اتساع الخبرة نفسها .

وقد يسأل سائل : كيف نصل الى الله عن طريق العقل ، والشك أول وسائل العقل وأدواته ؟

والجواب : نعم والشك نفسه طريق الايمان .. لقد سأل ابراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى .. فسأله الله : أولم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبى .

ويخبرنا الله سبحانه عن الأزمات النفسية العاتية التى كانت تلم بالرسل أنفسهم فيقول سبحانه : «حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِبوا ـ بضم الكاف وكسر الذال ـ » .

ولقد شكا بعض أصحاب النبى ما يعتورهم من شكوك فى وجود الله ، فقال لهم الرسول مطمئناً : «هذا محض الايمان» أى قبل أن تقول الفلسفة : شك لتعرف ، بقرون طويلة جعل الرسول الشك طريقاً الى اليقين .

وهذا حق ، فالشك إنما ينبىء بوجود يقين يحاول اكتشاف نفسه . بل إن الشك كثيراً ما يفجره زحام اليقين !!

● ● ●

ولكن كيف يأتى الالحاد ؟!

إن له خلفيات كثيرة تدفعه الى إغراء النفس وإغوائها .

● من هذه الخلفيات والدوافع أننا تعودنا أن نسمع اسم الله مقروناً بالأمر والنهى .. فكل دعوة الى فضائل يشق على النفس إتيانها ، والى رذائل يشق على النفس تجنبها . إنما نبعت من الله ..

ونحن بني الانسان عالم نموج بالشهوات موجاً ، وكل قوة تحاول صدنا ، والوقوف فى وجه غرائزنا لا تقابل منا بالارتياح .

ومادمنا نفهم أن الله هو الذى وضع الشكائم لنا ، فهو إذن المسئول عن التناقض الوبيل الذى نعانيه فى علاقتنا بهذه الأخلاقيات فاذا استجبنا لها مزقتنا الشهوات المكبوتة المهتاجة ، وإذا انكصنا عنها حطمنا عذاب الضمير والخوف من عذاب الله ..

ودحض هذه الخلفية يسير ، فالأخلاق ليست وصية الدين وحده . بل إن الحياة الانسانية منذ وعت نفسها وهى توقن أن الاستمرار بلا أخلاق محال .

فهى ـ مثلا ـ لكى تنمو وتطرد لابد أن تمجد العدل وتضع الظلم .. تمجد الأمانة ، وتسقط الخيانة .. تحترم الصدق وتمتهن الكذب .. وتقاوم القتل والسرقة والفاحشة..

والقانون الخلقى ضرورة الحياة الانسانية . والكفر بالله لا يخلى من تبعات هذا القانون ومسئولياته .

وإنكار وجود الله لن ينجيك من العقاب الذى سينزله بك مجتمعك إذا خنت ، أو سرقت ، أو قتلت ، أو انتهكت حرمة ثابتة .

● من هذه الخلفيات أيضاً ، ارتباط الايمان بالدين . فالدين وإن لم يكن الصوت الأوحد الداعى الى الله ، إلا أنه أول الأصوات وأعلاها ولأن الدين قد تعرض لأزمات كثر ، وتطفلت عليه كثرة هائلة من الأكاذيب والخرافات ، فقد أصيب الايمان معه . وصار كثيرون ممن يرفضون الدين يرفضون الايمان أيضاً .

وهذا جهل بَيِّن وحيف عظيم ، فالفلسفة والفن ، والعلم وكل تراث العقل الانسانى قد تقحمه وتطفل عليه ما ليس منه . ولم يكن ذلك يعنى إنكارنا لأهداف هذا التراث وغاياته وحقيقته !!

لقد سبق الدين الى الهتاف بوجود الله ودعوة الناس الى الايمان به لكى يبلغوا بهذا الايمان أعلى مستويات الخير ورفعة النفس .

ولئن كان هناك تطفل على الدين من الأكاذيب والأساطير ، فان هذا التطفل لم ينل من الدين إلا بعض أشكاله الخارجية . أما روح الدين فقد بقي زاهياً صافياً نقياً ..

وروح الدين يتجلى فى الايمان باله واحد ، لا يحابى ولا يظلم .. وذلك يعنى تحرير الانسان وعقله من عبادة الآلهة المنحوتة والمصنوعة ، كما يعنى تحريره من ارباب الأرض الذين طالما ساموا الناس خسفاً ورهقاً ، وملأوا حياتهم فساداً وبغياً .

وروح الدين يتجلى فى الهتاف بخلود الروح الذى هو أعظم تكريم للانسان . إذ معنى هذا الخلود أن الانسان ليس مخلوقاً عادياً ، وأن الموت ليس فناء كلياً له .. بل هو انتقال الى عالم البقاء والخلود .

وروح الدين يتجلى فى اعلانه أن الانسان مستخلف فى الأرض إذ هو ارتفاع بالانسان الى أعلى مقامات الخلق ، وإرهاص بأن هذا الذى نفخ الله فيه من روحه سيذهب صاعداً حتى يبلغ فى معراج الارتقاء ما لا يخطر ببال .

وروح الدين يتجلى فى دعوة الانسان الى الايمان بالغيب . إذ فى هذا الايمان تحطيم لقوى الحجر على المستقبل ، وتشجيع الانسان على اقتحام المجهول وكشف ما وراءه من أسرار .

● ومن الخلفيات أيضاً زحف العلم وتفوقه فكثير من الناس يظنون أن العلم قد ورث الدين ولم يعد للدين دور يؤديه . وهذا جهل فاضح بقدر ما هو واضح ، لأن العلم فى مفهومه الحقيقى تزكية للدين وتفسير له .

ولنطالع إذا شئنا كتاب «العلم يدعو للايمان» وهو لعالم يهودى شغلته قضية العلاقة بين العلم والدين فقال فى هذه العلاقة رأياً حصيفاً .

وهناك واحد وثلاثون عالماً من كبار علماء أوربا قد التقوا فى كتاب «الله يتجلى فى عصر العلم» وأثبتوا جميعاً أن العلم ليس ضد الايمان . بل هو صديق له وزميل .

● ● ●

وبعد ، فقد حدثنا عن الله كثيراً ، الأنبياء والمرسلون ، وهم اناس عاشوا حياتهم فى أعلى مستويات الصدق والخلق الرفيع . لماذا نصدق الذين يحدثوننا عن القوى النووية ، ونحن لم نر شيئاً من أشيائها ؟!

ولماذا نصدق الذين يحدثوننا عن الأشعة «تحت الحمراء» ونؤمن بوجودها ونحن لم نرها ؟!

لماذا نصدق الذين يقولون لنا : إن سرعة الضوء هى ١٨٦٠٠٠ ميلا فى الثانية الواحدة ونحن لم نشترك فى هذا القياس لماذا ؟ ولماذا ؟ ولماذا ؟

قد يقول قائل إن الأمر مختلف لانك تستطيع التأكد من هذه الحقائق إذا أخذت مكانك فى أى معمل أو مرصد .

وهذا حق ـ بيد اننا نستطيع أيضاً أن نتأكد من صدق الذين يدعوننا الى الله إذا أخذنا مكاننا فى معاملهم ومراصدهم ، ومعاملهم ومراصدهم من نوع آخر .نوع يستطيع كل انسان أن يمتلكه إذا جلا روحه وأيقظ كل قوى نفسه الفاضلة ، واستخدم المناطق المخبوءة من عقله وبصيرته .

إن الايمان الدينى كالايمان العلمى . كل منهما نوعان : إيمان رؤية .. وإيمان تصديق ..

فايمان الرؤية فى العلم ، هو إيمان العلماء الذين اكتشفوا النظريات والحقائق بانفسهم .

وإيمان التصديق فى العلم ، هو إيمان الملايين من البشر الذين لم يمارسوا التجربة بانفسهم ولكنهم صدقوها لانها تحمل دلائل التصديق . كذلك إيمان الرؤية فى الدين هو إيمان الأنبياء والمرسلين والهداة الذين عاينوا ، وشاهدوا ، وذاقوا .

وإيمان التصديق فى الدين ، هو إيمان الكافة ، فاذا صممت على أن يكون إيمانك الدينى إيمان رؤية ، فاصنع إذن ما يجب عليك صنعه حين تريد أن يكون إيمانك بحقائق العلم إيمان رؤية .

مارس تجربة الايمان والعبادة بنفسك وتبتل اليها بكل قلبك وروحك . وابذل جهوداً مثابراً دءوبة ، فسوف يتجلى لك الله كما تجلى لغيرك !!

إن آلاف العصور والأحقاب التى عاشتها البشرية فوق هذه الأرض قد شهدت حنيناً دائباً من الناس ، وتطلعاً مستمراً الى الله

وفى كل فرد منا ـ إلا من شذ وابق ـ نزوع يذكرنا بأن لنا خالقاً وبارئاً ومنشئاً .

أولا يدل هذا النزوع على شىء ؟ ألا يدل تصميم الخلق مذ وجدوا على أن هناك قوة عليا ، عليهم أن يبحثوا عنها ويشدوا رحالهم اليها .. ألا يدل ذلك على شىء ؟!

سيقال : لقد ظل الناس مذ وجدوا مصممين على أن الأرض مركز الكون حتى جاء يوم تخلوا فيه عن زعمهم وتصميمهم .

أجل .. ولكنهم تخلوا عن زعمهم القديم لأن العلم قدم لهم يقيناً عرفوا به حقيقة وضع الأرض .. فهل قدم العلم يقيناً مماثلا ينفى وجود الله .. ؟!

كلا .. بل إن العلم كلما أمعن فى فتوحاته ازداد انبهاراً وازداد تواضعاً ، وازداد إيماناً بأن ما يجهله أكثر مما يعلمه وأن الأسرار الكبرى التى تتكشف له أكبر من أن تكون تلقائية النشأة عفوية المسير .

وبعض العلماء الذين تعجلوا الرأى وافتاتوا على الحق لم يزيدوا على أن أخذوا كل الصفات المنسوبة لله ،ونسبوها للمادة .. !!

فلماذا يسهل عليهم ـ وهم يرفضون الصدفة كمحرك للكون ـ أن يؤمنوا بمادة عليمة حكيمة قادرة ، ويصعب عليهم الايمان باله عليم حكيم قدير .. ؟!

● ● ●

إننا لا ندرك جمال الحياة وسموها إلا فى تلك الأوقات التى نحس فيها اننا مسيطرون تماماً على أنفسنا ، وحياتنا ، ومصايرنا

ومن عجب أنه لا شىء يتيح لنا ذلك مثلما يتيحه الايمان بالله وفق المفهوم الصحيح لهذا الايمان .

وإن فقدان الايمان بالله يدل ـ أول ما يدل ـ على فقدان الاستنارة والفهم ، وفقدان استقامة التفكير والضمير .

خالد محمد خالد

ثروة نادرة من التراث المخطوط قدّمها الإنسان العربي في عُصور الازدهار

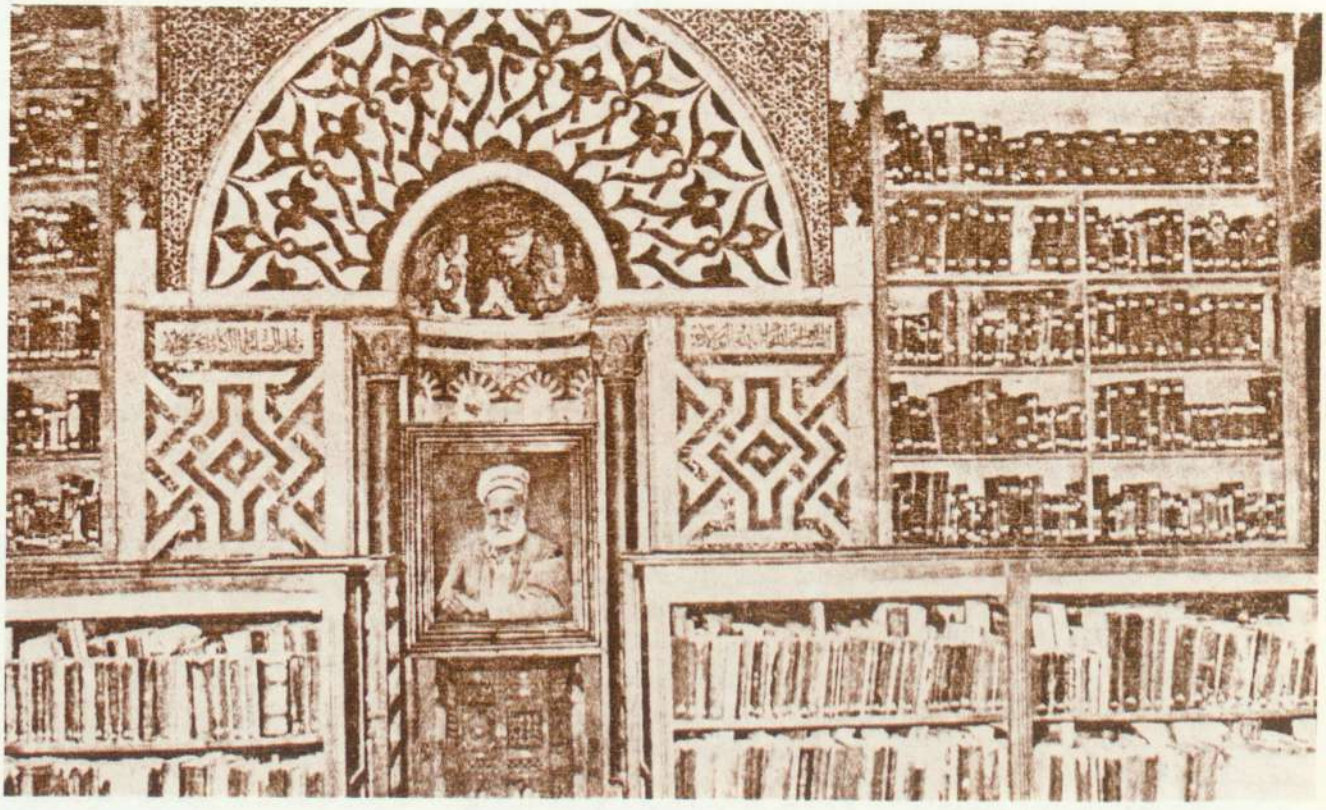
بقلم: وجيه الشربجي

تجاوزت دار الكتب الظاهرية بدمشق العام المائة من مسيرتها فى خدمة التراث العلمي العربى وحمايته ووضع أوثق مصادره وأقدمها بين أيدي الأجيال المتوالية من مختلف الجنسيات . وأصبحت مركزاً عربياً وعالمياً للمعرفة والاطلاع والتوثيق . يلجأ اليه كل باحث عن التراث ، أو مهتم بالغوص فى أعماقه المحتوية على كنوز المعرفة الاسلامية ، أو مؤلف يبحث عن مصادر نادرة لا سبيل الى الاطلاع عليها فى المكتبات والمراجع الميسورة .

وبعد أن كانت دار الكتب الظاهرية فى نظر بعضهم مكتبة قديمة تحتوى على كميات غامضة من الكتب الصفراء ، أصبحت محجة عربية تشتمل على ثروات ضخمة من التراث المخطوط الذى مازالت فى الجانب الأكبر منه أبعاد مجهولة من العلم والمعرفة . صنعها الانسان العربى خلال قرون الازدهار والابداع .

وقد أدى تسليط الأضواء على التراث العربى والاعتراف الانساني بعمقه وأهميته واتساع آفاقه الى بروز القيمة الكبرى لثروة دار الكتب الظاهرية من المخطوطات والكتب واعتبارها جزءاً عظيماً من الثروة الثقافية العربية والعالمية عبر العصور .

من هنا ..... تستحق دار الكتب الظاهرية فى ضوء التركيز الانسانى المعاصر على أهمية التراث العربى التعريف بها . وعرض لمحة عن تاريخها وكنوزها الضخمة من المخطوطات والمصادر والوثائق ، اضافة الى الحديث عن بناء دار الكتب الظاهرية نفسه بوصفه واحداً من أهم المبانى الأثرية فى مدينة دمشق القديمة . التى ترك المجد الاسلامى بصماته العميقة عليها .. فلا غرابة . فدمشق فاتنة التاريخ .



لقطة من داخل دار الكتب الظاهرية بدمشق ، حيث نرى جانبا من الكتب القديمة النادرة التى تحتوي على كنوز من المعرفة الاسلامية . وفي صدر هذه اللقطة صورة للمرحوم الشيخ طاهر الجزائري وهو من اوائل مؤسسي هذا الصرح الثقافي العظيم (١٢٩٨ هـ)

لابد لمن يؤرخ لدار الكتب الظاهرية بدمشق من أن يستهل حديثه عن البناء الاثرى الرائع الذى اتخذته مقراً لها . فقد أقيم هذا البناء المشيد بحجارة صلدة فى منطقة أشبه بما يسمى فى عصرنا بالمدينة الجامعية . نظراً لكثرة ما يوجد فيها من مدارس ومساجد ودور الحديث وحلقات العلم . وهى منطقة باب البريد الملاصقة للجامع الأموى الكبير والتى اشتهرت تاريخياً لكونها منطقة تدريس وعلم . كانت دائماً تعج بالطلبة من أقطار عديدة وتوجد فيها (المدرسة الصادرية) و (المدرسة الجقمقية) و (المدرسة العزيزية) مرقد السلطان موسى الأشرف . اضافة الى دار الحديث الأشرفية . ويحيط بالظاهرية هالة من الأوابد الأثرية العزيزة على الزمان . فعلى بعد خطوات منها تتعالى مآذن جامع بني أمية الكبير الذى بناه الوليد بن عبد الملك وبقربها يرقد البطل العظيم صلاح الدين الأيوبى فى قبر متواضع مهيب . ويرتفع قبالة الظاهرية بناء المدرسة العادلية التى دفن بها الملك العادل شقيق صلاح الدين والتى اضحت منذ اثنين وخمسين عاماً أول مقر للمجمع العلمى العربى بدمشق .

وفى غربى الظاهرية وعلى مرمى سهم منها فقط . تربض قلعة دمشق الشهيرة فهى تضم فى كبدها محطات هامة من تاريخ القطر السورى القديم والحديث . فكل ركن منها يحكى قصة قائد من قواد الأيوبيين أو المماليك أو التتر أو العثمانيين وأبطال الثورة السورية عام ١٩٢٥ .

بذلك اكتسب قيام المكتبة الظاهرية فى دمشق القديمة التى تتصل قلاعها ومساجدها ومدارسها ببعضها على شكل حلقات دائرية . أهمية خاصة حيث أصبحت جزءاً حياً من هذه البيئة العلمية التى تتمتع بهالة دينية وتاريخية عريقة كما تكتسب من جوار الجامع الأموى الكبير تلك الروحية المتجلية على سائر المنطقة المحيطة بالأبدة الأموية الشامخة . فهى من روائع الخلود فيها الجمال والجلال يلتقيان .

الظاهر بيبرس ينقل سراً الى الظاهرية

الظاهرية قبل عام ٦٧٦ هـ كانت قصراً للأيوبيين وشهدت مدارج صبا القائد الخالد صلاح الدين الأيوبى إذ كانت ملكاً لأبيه ومرتعاً لطفولة قاهر الصليبيين . فابتاعها السلطان السعيد ناصر الدين بركة بستين ألف درهم . وباشر بعمارتها عام ٦٧٦ هـ لتكون مدرسة للشافعية والحنفية وداراً للحديث الشريف وضريحاً فوقه قبة سامقة ليكون المثوى الأخير لوالده الظاهر بيبرس البندقدارى أبرز ملوك الدولة البحرية المملوكية ، تولى الملك عام ٦٥٨ هـ

وقد جاء فى بعض الروايات أن الظاهر بيبرس توفى مسموماً ودفن فى قلعة دمشق فطلب ابنه السلطان السعيد بركه الى نائب دمشق أن ينقل جثمانه الى المدرسة الظاهرية . فحمل تابوته سراً فى الليل وصلى عليه فى الجامع الأموى ودفن فى

ثروة نادرة من التراث المخطوط قدمها الانسان العربي في عصور الازدهار

شهر رجب عام ٦٧٦ هـ في الضريح الذى اقيم خصيصا له في المدرسة الظاهرية .

وفى منتصف شهر ذى القعدة من عام ٦٧٨ هـ توفى السلطان السعيد بركه ودفن الى جوار والده الظاهر بيبرس فى التربة الظاهرية . ومنذ ذلك التاريخ عرف هذا البناء بـ (المدرسة الظاهرية) .

من مفاخر البناء المملوكى

تعد المدرسة الظاهرية التى آلت إلى دار الكتب فيما بعد ، من اجمل ما بناه المماليك فى دمشق . وقد شيد مدخلها الرئيسى بصفوف متعاقبة من الحجارة البيض والحجارة الوردية يعلوها نصف قبة من المقرنصات الرائعة ، وفوق الباب ثلاثة أسطر نقشت بالخط النسخى المزهر . وبعد المدخل باحة مربعة تطل عليها ابواب القاعات الكبيرة ذات السقوف الشامخة وتكسو جدرانها من الداخل الواح مزخرفة من المرمر الملون والمجزع وقطع من الفسيفساء الزجاجية المشجرة بالنقوش العربية التى تشير الى رقي المسلمين وعمق تفننهم فى هندسة ابنيتهم وزخرفتها .

مرحلة الشباب فى عمر الظاهرية

ما إن اكتمل بناء الظاهرية وتم افتتاحها حتى انطلقت بخطى جادة وقوية نحو تادية رسالتها الثقافية مستقطبة فئة متميزة من فقهاء دمشق قد تصدوا للتدريس فيها بكل عزيمة واخلاص .

وكانت عبر ستة قرون ونيف منبراً لتدريس المذهبين الحنفى والشافعى ومنارة لكثير من علوم الدنيا والدين .

ومن اوائل الرواد الذين تحلق حولهم المريدون فى قاعات الظاهرية واروقتها قاضى القضاة صدر الدين الأذرعى إمام الحنفية وصاحب الجامع الصغير ، والعلامة ركن الدين السمرقندى وهو ممن له حلقة فى جامع بنى أمية الكبير .

وتعاقب على إيوان الشافعية المفتى ابو حفص الفارقى الدمشقى والامير عز الدين الظاهرى .

وتولى مشيخة دار الحديث الشريف ائمة اعلام انفردوا بعلو الرواية ابرزهم ابو اسحاق الحنبلى الواسطى (٦٠٢) هـ والشيخ عز الدين ابو العباس (٦١٤) هـ .

وفى أوائل عام ٧٣٩ هـ دوى فى رحاب الظاهرية صوت الفقيه الكبير جلال الدين القزوينى الشافعى خطيب دمشق وعالمها الجليل صاحب التلخيص والايضاح فى البلاغة العربية .

وواصلت الظاهرية وثبتها العلمية والثقافية الى ان اطل القرن الثالث عشر الهجرى وحكم الترك دمشق فتضاءل شانها وتقلصت اهميتها والت الى كتاب لتعليم الصبية . واقامت الحكومة العثمانية فيها مدرسة ابتدائية للصغار بعد ان كانت جامعة شهيرة تدرس فيها علوم الفقه واصول الدين واللغة والتاريخ .

وحينما اشرف قرن العجمة والنكبات والأمية على نهايته وكادت الظاهرية تلفظ انفاسها الاخيرة ، اعاد الله الحياة اليها بثوب لغوى وعلمى متين واصيل على يد فئة من المفكرين المخلصين فنهضت من جديد وتخلصت من سباتها العميق وتابعت مسيرتها الثقافية بعد ان تحولت الى دار كبيرة لكتب التراث الاسلامى يقصدها طلاب العلم من كل حدب وصوب .

المدرسة الظاهرية تصبح مكتبة عامة

فى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى لاحظ فريق من كبار علماء دمشق وفى مقدمتهم الشيخ سليم البخارى والشيخ طاهر الجزائرى تفوق المخطوطات الاسلامية القيمة والكتب النادرة فى مكتبات دمشق الخاصة ومساجدها ودورها وراعهم ما شاهدوه من فقدان بعضها وتسرب القسم الآخر الى جهات اجنبية . فانطلقوا بحملة واسعة لجمعها وانتشالها من أيدى الاختلاس والعبث والتهاون ولاقوا مقاومة عنيفة بلغت حد التهديد بالقتل من قبل اناس اباحوا لانفسهم الاستيلاء على الكتب والمتاجرة بالمخطوطات الثمينة .

. على ان هذا الفريق من العلماء الغيورين على التراث العربى ونفائسه الحضارية مضوا فى عمليه جمع المخطوطات الى ان تم لهم ما ارادوه فاحصوا ما جمعوه فبلغ ٢٤٥٣ مخطوطة ومطبوعة فسجلت فى سجل خاص جاء فيه (انشئت المكتبة العمومية فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى ووالية حمدى باشا عام ١٢٩٨ هـ) ثم اودعت فى خزانة داخل قبة المدرسة الظاهرية .

المكتبة بين الأوقاف والمعارف والمجمع

بعد ان تقرر تاسيس المكتبة العمومية الظاهرية عام ١٢٩٨هـ ربطت بدائرة الأوقاف الاسلامية بدمشق . ولما جاءت الحكومة العربية السورية ألحقتها بديوان المعارف وسمتها (دار الكتب العربية) . وفى آذار عام ١٩١٩م عهد الى المجمع العلمي العربي بدمشق بادارة شؤونها ، ووضعت تحت اشرافه العلمي والاداري والمالي .

وانصرف المجمع بكل طاقاته ومن موقع المسؤولية القومية إلى رفع المستوى العلمي والفني لدار الكتب . ولم يتوان عن مدها بنفائس المخطوطات والمطبوعات والحوليات . وأرسل المجمع البعثات إلى اقطار عديدة بحثا عما يفيد الظاهرية واستبدل بالفهارس القديمة فهارس حديثة وفى عام ١٩٦٧م اصدر المجمع نظاما لدار الكتب العربية يوضح فيه سير العمل وصلاحيات الموظفين والمراقبين وسماها (دار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق) وهو الاسم المعروفه به الآن .

دار الكتب الظاهرية فى يومنا الحاضر

في حوار مع السيد الاستاذ ماجد الذهبي المدير الحالي لدار الكتب الظاهرية بدمشق حول اهمية التراث المخطوط او المطبوع وحجم ما تحتفظ به الظاهرية . قال : إن خزائن الظاهرية تحتوي على (١٢) الف مخطوط و (٦٦) الف كتاب مطبوع و (٤٤) الف دورية عربية واجنبية.

وتابع يقول : وتمتاز اكثر المخطوطات الاسلامية التى نقلت الى الظاهرية بانها مصححة بايدي علماء مشهورين وبعضها كتب بخط مؤلفيه .

ومن أقدم المخطوطات التى تحتفظ بها الظاهرية :

- مسائل الامام احمد بن حنبل كتب في عام ٢٦٦ هـ .
- سنن النسائي كتب عام ٣٥٥ هـ .



وثيقة منقوشة عمرها ١٠٤ سنة .. وهي تتحدث عن واقعة تحويل المدرسة الظاهرية الى مكتبة .

ـ معاني الشعر لسعيد الاشناندانى كتب قبل عام ٤١٠ هـ

ـ غريب الحديث لقاسم السرقسطى كتب قبل عام ٤٩٩ هـ .

آخر مخطوط حصلت عليه الظاهرية

وسألت الاستاذ الذهبي عن آخر مخطوط حصلت عليه الظاهرية . اجاب : خلال عملية البحث والتوثيق التى تجريها الظاهرية عثرنا اخيراً على مخطوطة فى اللغة عمرها نحو ٧٣٠ عاماً وهي من كتب العلامة الجواليقي حققت فوراً ونشرت لأول مرة على عالم المكتبات والمراكز الثقافية العربية . واضاف السيد مدير الظاهرية : هناك مسودات مخطوطة تحتفظ بها الظاهرية كثروة فريدة لكونها كتبت بايدي العلماء انفسهم منهـا :

ـ حديث ابو الفتوح الهروي (لمحمد بن عساكر ٥١١ هـ) .

ـ مسودة الامام ابن تيمية كتبت بيده عام ٧٠٠ هـ .

ـ كتاب المسلسلات لعبد الرحمن الجوزي كتب بخطه سنة ٥٨١ هـ .

ـ كتاب الاغراب فى احكام الكلاب ليوسف عبد الهادي كتبت بيده سنة ٨٩٧هـ

مكافآت تشجيعية للباحثين

يزداد اهتمام الظاهرية بالتراث الاسلامي المخطوط القابع فى خزائنها لتحقيقه ونشره من جديد . فتمنح المكافآت المعنوية والمادية للباحثين العرب الذين يقومون بتحقيق كتب التراث ونشرها ضمن مطبوعات المجمع وتبذل جهداً مستمراً لفهرست التجمع المخطوطي وترقيمه . وإلى جانب الكتب المخطوطة تضم الظاهرية مجموعة ضخمة من امهات الكتب المطبوعة النادرة والتى طبعت منذ عهد الطباعة الأول فى العالم العربي ، كما انها تقتني عدداً كبيراً من المعاجم العربية والاجنبية والموسوعات العلمية والتاريخية وكتب التراجم .

قسم تصوير المخطوطات وترميمها

قطعت الظاهرية شوطا واسعاً فى ميدان التصوير ، فهى تمتلك الاجهزة الحديثة لتصوير الكتب والمخطوطات على الميكروفيلم وعلى الفوتوكوبي وهي جادة فى تصوير كل رصيدها المخطوط للاحتفاظ بنسخة ثانية عنه . وقد اقتنت اجهزة خاصة لقراءة الاشرطة (قارئة) وقسم التصوير فى الظاهرية يلبي جميع طلبات الباحثين فى العالم بتصوير ما يحتاجون إليه من وثائق ومخطوطات ، ولاسيما طلاب الجامعات .

وقد ندبت الموظفين المختصين من أجـل المخطوطات والمحافظة عليها من العوارض الطبيعية ومعالجتها بالوسائل الفنية لانقاذها من خطر التمزق والتلف .

مديرو الظاهرية منذ عام ١٩١٩م

تعاقب على ادارة دار الكتب الظاهرية بدمشق اساتذة باحثون لهم باع طويل في التقصي والتاليف . فمنذ عام ١٩١٩م تولى ادارتها العلامة الشيخ سعيد الكرمي وتبعه الشيخ حسني الكسم ، والاستاذ المحقق عمر رضا كحالة ، والدكتور يوسف العش ، والدكتور عبد الهادى هاشم ، والدكتور عزة حسن ، وتلاهم الدكتور عبد الرحمن البلشا ، والسيدة الاستاذة اسماء الحمصي ، والاستاذ ماجد الذهبى المدير الحالي .

وهكذا ... جاء قيام دار الكتب الظاهرية بدمشق حماية لكنوز خلفها اجدادنا وصوناً لوثائق الحضارة العربية الاسلامية من التبديد والعبث .

وكانت الظاهرية ولاتزال إلى يومنا هذا مفتاح المعرفة لرواد العلم فى مشارق الارض ومغاربها . وهي ماضية فى احياء هذا الجانب الحضاري من تراثنا الخالد تمهيداً لتوظيفه فى إطار قضية نشر التراث والافادة منه فى الثقافة المعاصرة .

وجيه الشربجي

المراجع

ـ كتاب (دمشق الشام) لجان سوفاجيه .

ـ الدارس فى اخبار المدارس : للنعيمي .

ـ السلوك لمعرفـــة دول الملوك : للمقريزي

ـ دار الكتب الوطنية : للسيدة اسماء الحمصي .

ـ حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر : للبيطار .

في الذكرى الخمسين لرحيل أمير الشعراء :

شذرات من الفكر الاقتصادي والاجتماعي في شعر شوقي

بقلم : كمال النجمي

في رائعته التي نظمها في دمشق ، ومطلعها :

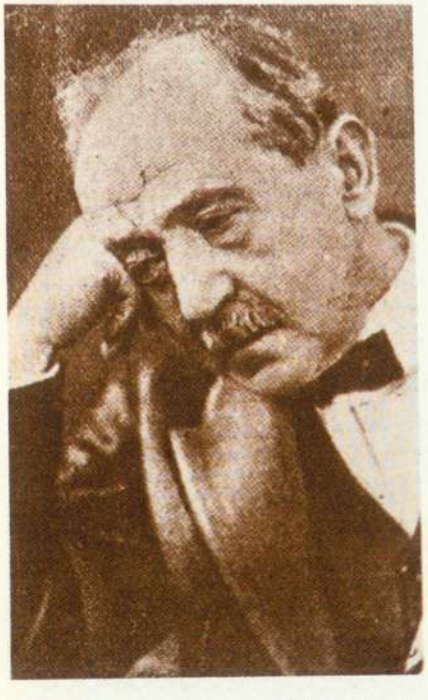
قم ناج جلق وا شد رسم من بانوا .. مشت على الرسم أحداث وأزمان

يقول أحمد شوقي :

والشعر مالم يكن ذكرى وعاطفة .. أو حكمة ، فهو تقطيع وأوزان .

فجعل شوقي الشعر ثلاثة أبواب : الذكرى ، والعاطفة ، والحكمة . ولو اتسعت تفعيلات بحر « البسيط » الذي نظم منه هذه القصيدة ـ وهو بحر واسع أصلا ـ لتفنن شوقي في إضافة أبواب أخرى إلى أغراض الشعر ، يملأ بها شطري البيت . ! ..

ومع ذلك ، فإن الذكرى والعاطفة والحكمة ، أبواب كبرى ، تدخل فيها جميع معاني الشعر إلى الشاعر مادام قادراً على استقبالها . فكل شيء في الكون يمكن أن يوحي بالشعر .. وما أكثر ما قيل ويقال عن الشعر وأغراضه من عهد أرسطو إلى عهدنا ، بل من عهد بنتاءور إلى عهدنا وما بعد عهدنا .. فمن الالياذة والشهنامة إلى مسرحيات شيكسبير وراسين ، إلى مسرحيات شوقي .. إلى قصائد الشعر العربي من عهد امرىء القيس إلى يومنا هذا ، مما اعتاد النقاد العرب في الزمن الأخير أن يسموه « الشعر الغنائي » .. ترجمة غير دقيقة ، ولا صحيحة ، لكلمة شائعة في اللغات الأوربية .



الشاعر أحمد شوقي
كان فكره الاقتصادي والاجتماعي في شعره ، متكاملا ، ثابتا ، واضح المعالم ..

وكأنما كان شوقي « يشرح » هذا كله ، إذ قال في إحدى قصائده :

والشعر في حيث النفوس تلذه
لا في الجديد ولا القديم العادي

وهذا معنى واسع جداً للشعر ، وتعريف فضفاض لا يضيق بشيء في القول كله شعراً ونثراً .. فيدخل فيه على الرحب والسعة الشعر التفعيلي الجيد « الذي تلذه النفوس » .. ويدخل فيه الشعر المنثور العالي الطبقة ! .. ولا أحد يدري ماذا كان شوقي يفعل لو امتد العمر به عشرين سنة أخرى حتى أدرك عصر الشعر التفعيلي ! ..

ولشوقي « تعريفات » أخرى للشعر ، ولكنها لا تخرج عما تضمنه هذان البيتان : بيت الذكرى والعاطفة والحكمة .. وبيت ما تلذه النفوس ! ..

ومن باب « الحكمة » أدخل شوقي إلى شعره شذرات غير مسبوقة في الشعر العربي ، من الفكر الاقتصادي والاجتماعي

دعك من الفكر السياسي ، فانه وإن اتسع فيه شوقي ، لكن غيره من معاصريه يشاركه فيه ، وإن فاقهم بالاجادة .. بل يشاركه فيه الشعراء القدماء على امتداد عصور الشعر العربي .

والمجتمع كما يراه شوقي ويصوره في الشعر ، هو الطابق العلوي للصرح

الاقتصادي .. أو « المال » على حد قوله : « بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم » ..

وهذا تصور للمجتمع والاقتصاد ، يقره عليه علماء الاجتماع والاقتصاد سواء تذوقوا شعره أو لم يتذوقوه . إلا أن شوقى لا يتصور على وجه الدقة علاقة الحياة الاجتماعية للناس ـ وبخاصة حياتهم اليومية ومعضلاتها ـ بذلك السقف الاقتصادي للبيت ، أو المجتمع الذى يضمهم جميعاً ، أغنياء وأنصاف أغنياء وفقراء ومساتير يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ! .

فان شوقى الذى ولد فى عهد الخديو اسماعيل سنة ١٨٦٨ وعاش إلى أواخر عهد الملك فؤاد سنة ١٩٣٢ .. لم تتح له ظروف مجتمعه أن يرى حركة المجتمع إلا فى تلك الصورة التى تبدو بسيطة كبساطة الأشياء فى عصرها ، لكنها عميقة وحكيمة!

فى عهد اسماعيل باشا صار محصول القطن المصري أعظم محصول للقطن فى العالم ، فقد انهمكت أمريكا فى حربها الأهلية « لتحرير الزنوج ! .. » فانخفض الانتاج الأمريكي من القطن انخفاضاً حاداً ، وقفز التجار البريطانيون إلى مصر يشترون لمصانع لانكشير قطن مصر كلها ، بأعلى الأسعار .. فتدفقت ملايين الجنيهات الذهبية الى خزينة الدولة وخزائن الناس .

هذا الثراء الذى جاء به محصول القطن خلال الحرب الأمريكية ومقدماتها وعقابيلها هو الذى بنى مصر الحديثة التى وصفها اسماعيل باشا بانها « قطعة من أوربا » .

والقطن هو الذى حفر قناة السويس ! .. والقطن هو الذى جاء بالاحتلال البريطاني لأن اسماعيل باشا لم يقنع بما أفاءته عليه حقول القطن الذهبية الفضية ، فاستدان ، وأمعن فى الاستدانة ! ..

والقطن ، وقناة السويس ، والاحتلال .. ثلاثة أسباب تاريخية صنعت الأوضاع الاجتماعية في مصر وظلت حارسة أمينة عليها حتى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م .

وهذا الثلاثي التاريخي هو صانع التكوين السكاني ، وبخاصة فى المدن الكبرى : القاهرة والاسكندرية وغيرهما من المدن الكبرى ، فكثر الأجانب ـ أصحاب الامتيازات الأجنبية ـ فى القاهرة والاسكندرية وغيرهما ، وأوشكت مصر أن تتحول إلى قطر غربي مهدد بفقد عروبته شيئاً فشيئاً ، على غرار قطر « الجزائر » الذى احتلته فرنسا قبل عشر سنوات من تحالف أوربا ضد « محمد علي باشا الكبير » وتحطيم اسطوله فى نفارين ، ودخول أوربا برؤوس أموالها ونفوذها إلى مصر فى زفة تاريخية عجيبة ، مهدت لدخول القوات الأوربية المسلحة ! ..

رأى شوقى بعينيه منذ صباه هذا الشريط التاريخي السريع ، وعاش فيه ، وتأثر به ، وأفاد منه بعض الفائدة حين قام اسماعيل باشا بتوزيع « العزب » و «الأبعاديات» وقطع الأرض الزراعية الكبيرة ، على أهل بيته وحواشيه ،

والأعيان والعمد وذوي الجاه ، وطوائف شتى من بقايا « أولاد الناس » والملتزمين الشركس الذين تغير فى أيامهم اسم «الالتزام» ولكن بقى فى قبضة يدهم السوط يلهبون به ظهر الفلاح الراسف فى أغلال الالتزام الزراعي ! ..

العقل الاقتصادي لشوقي

وشوقى لم ينل شيئاً يعتد به من « الطين » وإنما كانت ثروته العقارية من أراض وعمائر ، هي ثروة زوجته ، ورثتها عن آبائها ! ..

ولبث شوقي غنياً بهذه الثروة ، وأضاف إليها من عمله ، واتخذ لدائرته الزراعية أو تفتيشه الزراعي ـ كما كان يسمى ـ مكتباً فى عمارة تملكها زوجته فى شارع « جلال » وسط القاهرة .. وخلف هذه العمارة شارع عماد الدين الشهير بملاهيه من بدايات القرن العشرين إلى أواخر الثلاثينات ! .. وقريب من المكتب مطعم الماجستيك الكلاسيكي فى شارع « الألفى » .. وفيه كان شوقي يتعشى كل ليلة ، ويقدم إليه الطعام على الطريقة الفرنسية ! ..

وقد زال هذا المطعم الآن ، وارتفعت فوق أرضه بناية شاهقة لا طعم لها ، ولا يمسكها فى عين رائيها إلا أعمدتها الخرسانية المزعجة كبيت شعر تفعيلي رديء ! ..

فالعقل الاقتصادي لشوقى ـ إن صح هذا التعبير ـ هو عقل العهد الذهبي لبورصة القطن والبصل والأرز وما تلاه من تقلبات فى « البورصة » بلغت بالقطن وغيره حضيض الأسعار فى الأزمة العالمية سنة ١٩٢٨ والسنوات الخمس التى اعقبتها .

والعقل الاقتصادي لشوقى هو عقل الثراء العقاري .. وهو العقل الذى حكمته بصرامة ظروف مصر تحت الاحتلال البريطاني وشركة قناة السويس والامتيازات الأجنبية ..

ومن هذا كله تناثرت فى شعر شوقى شذراته البديعة التى تصور فكره الاقتصادي والاجتماعي .. وبهذا كله صار شوقى بعد عودته من المنفى فى العشرينات شاعر«النهضة الاقتصادية » فى مصر .. بل فى العالم العربي أيضاً .. إلى كونه شاعر النهضة الوطنية ..

فالى جانب الكفاح ضد الاحتلال وما جلبه على البلد من أرزاء ، كان هناك كفاح اقتصادي قاده محمد طلعت حرب باشا ،

وكان رمزه « بنك مصر » وشركاته المصرية الخالصة التى أنشاها فى كل فروع الحياة، مزاحماً احتكار الأجانب الأقوياء المتحكمين المتعصبين ، وعلى رأسهم الاقتصاديون اليهود الأوربيون والمتمصرون .

ويشهد التاريخ أن بنك مصر وشركاته ، لو قيض لها استمرار النجاح والتطور ، لكانت مصر الآن فى مقدمة دول أفريقيا وآسيا الصناعية والزراعية ! ..

كان شوقي الذى سمى يوماً « شاعر الخديو » .. شاعر الكفاح ضد الاحتلال ، وشاعر الكدح المصري لبناء الصرح الاقتصادي صناعياً وزراعياً .. وكان فكره ـ باعتبار مرحلته التاريخية ـ فكراً ناضجاً متقدماً « حكيماً » ..

وشعره فى هذا المجال يدخل في بـــاب « الحكمة » بلا مراء ، فليست الحكمة مجرد بيت سائر يذهب مثلا على مر الأجيال ، ولكنها كذلك النظر الصائب والعمل الدائب والتعبير عن تقدم المجتمع ، ولو فى فترة قصيرة عابرة ..

فلم يكن عجيباً أن يكون آخر شعر نظمه شوقي فى ١٣ أكتوبر « تشرين الأول » سنة ١٩٣٢ .. شعراً « اقتصادياً » يشرح فيه أفكاره الاقتصادية بأسلوب شعري .

وحين توفى شوقي فى اليوم التالي « ١٤ أكتوبر » كان شعره هذا يتلى فى حفل لمشروع « القرش » الشهير فى ذلك الوقت .

تلك مصر الغـد

كان هدف مشروع القرش جمع تبرعات صغيرة ولكنها وفيرة من ابناء الشعب ، لاتزيد على قرش واحد من كل فرد قادر على التبرع .. ثم بناء مصنع بما يجمع من هذه القروش الشعبية التى تبلغ حصيلتها الوف الجنيهات ..

يقـول شوقى يصف أحـد الشـبان المتطوعين لجمع القروش :

بسط الكف لمـن صادفـــه
ومضى يقصـر خطـوا ويمـد
يجعل الأوطـان اغنيتـــه
وينـادي الناس : من جاد وجد
غاديا فى المدن او نحو القـرى
رائحـا يسـال قرشـا للبلـد

فالقرش الذى يجمعه الشاب الوطني المتطوع ، هو قرش البلد كلها ، تبنى بها صناعتها المستقلة التى يملكها راس المال المصري الوطني مزاحما راس المال الاجنبي الأوربي واليهودى .. او الصهيوني ! ..

ولا يستهين شوقي بجمع قرش على قرش ، فمن القروش تجـيء الملايين ! .. والملايين معناها صناعة للبلد وزراعة ، ومستشفيات للشعب الذى اكل الفقر عافيته .. وهو الوسيلة لزراعة محاصيل اخرى مع محصول القطن :

سيرى الناس عجيبـا فى غـد
يغرس القـرش ويبني ويلـد
ينهـض اللـه الصناعـات بـه
من عثـار لبثـت فيـه الأبـد
أو يزيـد البر دارا قعـدت
لكفـاح السل او حرب الرمـد
تلك مصـر الغـد تبنى ملكها
نـادت الباني وجاءت بالعـدد
واصـارت بنـك مصـر كهفهـا
حبـذا الـركن واعظـم بالسند
ردها العصر إلى اسلوبـه
كل عصـر باساليـب جـدد
أيهـا الجيـل الذى نرجـو لغـد
غـدك العـز ودنيـاك الرغـد
اطلـب « القطـن » وزاول غيره
واتخـذ سوقـا إذا السوق كسـد
نحن قبـل « القطن » كنا امـة
تهبـط الوادى وتـرعى وتـرد
قد اخذنـا فى الصناعات المدى
وبنينـا فى الأوالى مـا خلـد.

هكذا تمتزج فى هذه الصناجة الشوقية افـكاره الاقتصـادية والاجتماعيـة والسياسية ورؤيته المستقبلية ، وهو امتزاج واضح الدلالة على تقدمه الفكري .. فهذه الأمور كلها متشابكة لا تنفصل .. وهو ينظر إلى « الاقتصاد » نظرة من يبتغى بناء اقتصاد عصري جبار : « كل عصر باساليب جدد » .

بالعلم والمال

وذلك هو سر احتفاء شوقى ببنك مصر فى عهد طلعت حرب باشا ، فقد نظم فيه قصائد كثيرة مشهورة فياضة بالشعر مع انها فى ظاهرها « شعر دعائي » لجانب من الحركةالوطنية ، هو الجانب الاقتصادي .

ومن أشهر وقفات شوقى فى هذا المجال وقفته فى الصف الأول من شهود حفلة الحجر الأساسي لبنك مصر فى مايو سنة ١٩٢٥ .. وفى هذا نظم قصيدته التى أولها:

نراوح بالحوادث او نغـادى
وننكرهـا ونعطيهـا القيـادا

وفى هذه القصيدة يتغنى بالاقتصاد الوطني القوي ، ويراه سلاحا للأمـة .. ويصف بالشعر ـ لأول مرة فى الشعر العربى ـ دورة المال فى الأعمال المصرفية والاقتصادية وصفا غير مسبوق :

نصون كـرائم الأموال فيهـا
وننزلهـا الخزائـن والنضـادا
ونخرجهـا فتكسـب ثم تاوى
رجوع النحـل قد حملـن زادا
ولم ار مثلهـا أرضـا اغلـت
وما سقيـت ولا طعمـت سمادا
ولا مستودعـا مالا لقـوم
إذا رجعـوا لـه ادى وزادا
ومـن عجـب نثبتهـا أصولا
وتلك فروعهـا تغشي البـلادا

فهل رأيت فى جميع دواوين الشعر مثل هذا « التفكير الاقتصادي » المنظوم شعراً من أعلى طبقة ؟! .

وعندما افتتح بنك مصر بنايته الضخمة سنة ١٩٢٧ نظم شوقى قصيدته الرائعة التى مطلعهـا :

نبذ الهوى وصحـا من الاحـلام
شـرق تنبه بعد طول منـام

فان افتتاح هذا الصرح الاقتصادي فى ذلك الوقت كان عند شوقى صحوة لشعوب الشرق كلها لا للشعب المصري وحده ، فانظر إلى أي مدى كان شوقي يمد عينيه قبل خمسين عاما ! .

وفى قصيدته التى أولها : قف بالممالك وانظر دولة المال » .. يقول :

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم
لم يبن ملك على جهل وإقـلال

فبناء البلاد الاقتصادي عنده لا ينفصل عن بنائها الاجتماعي والثقافي .

بل كانت لشوقي نظرة متقدمة إلى «العمال» .. فهو صاحب القصيدة التى أولها : « أيها العمال أفنوا العمر كدأ واكتسابا » .. وقد زعم بعض من لا علم لهم بالشعر ولا بافكار شوقي انه بهذه القصيدة يستحث العمال للكدح من أجل سادتهم .. وإنما أراد شوقى أن يستنهض مع راس المال الوطني ، اليد العاملة الوطنية . وطلب أن يكون صوتها مسموعـا في « البرلمان » .. وقال للعامل حاثا إياه على انتخاب من يعلي صوته فى البرلمان :

فكـن الحـر اختيـارا
وكـن الحـر انتخابـا
إن للقـوم لعينـا
ليـس تالـوك ارتقابـا
فتوقـع أن يقولـوا :
مـن عـن العمـال نـابا ؟
ليـس بالأمـر جديـرا
كل مـن القى خطابـا

إن نظرة شوقى ـ كما قدمنا ـ إلى البناء الاقتصادي والاجتماعي متكاملة ، يمكن أن يقال إنه عبر بها عن أكثر الاتجاهات جدوى وفاعلية وتقدما فى طبقته وعصره .

وحين نتامل فكره الاقتصـادى والاجتماعي فى شعره ، نجده فكرا متكاملا ثابتا واضح المعالم ، وإن كان يتناثر فى شذرات وقصائد .. ولاعيب فى تناثره على هذا النحو فليس الشعر مقالات اقتصادية واجتماعية ..

ونسميها « شذرات » ثم نعتذر عن هذه التسمية إلى شاعرنا شوقي .. فالحقيقة أن حجم شوقي في شعره وعصره ، أكبر مما يخيل إلينا حتى الآن ! .. وليست كلمتنا هذه فى موضوعها إلا قطرة من بحـر ! ..

كمال النجمي

القصة العربية القديمة

بقلم : عباس خضر

ليت شعرى .. أين الآن مفيد الشوباشى ؟ وأين عبد الرحمن الخميسى ؟ وأين ... وأين ... ؟

لم أعد أرى أحداً من أولئك الصحاب ولا أعلم عنهم شيئاً ، وعندما تتفقد أصحابك والذين كانوا يعاشرونك ، وحتى الذين كنت تعرفهم مجرد معرفة ، فلا تقف لهم على أثر عند ذلك ، فماذا بقى لك فى هذه الحياة ؟ ..

ولكن ـ وما أسعدنى ـ وقفت على أثر لمحمد مفيد الشوباشى : كتاب من الكتب أو «الأرغفة الثقافية» التى كانت «تخبزها» وزارة الثقافة فى مصر غير مخلوطة ولا مغشوشة ولا ناقصة الوزن ، وتباع بقرشين ومثلها يباع الآن بجنيه أو بما حوالى الجنيه المصرى الذى هو عزيز قوم ذل .. ولحقت مصيبته فيما لحقت بالكتاب !

مكتبتنا العربية ليست فقيرة ، ولو لم يكن الكثير منها غير متداول ، فهى مثل الكنز المخبوء تحتاج الى من يبحث عنها فى مظانها أو مخازنها ، وقد تحتاج كما يحتاج الكنز الى كلمة سر مثل : «افتح يا سمسم» .

الخميسى والشوباشى

ظهر كتاب «القصة العربية القديمة» فى سلسلة «المكتبة الثقافية» فى ابريل ١٩٦٤ وعقب ظهوره كتب عنه عبد الرحمن الخميسى فى جريدة الجمهورية ، وكانت مجلة «الرسالة» فى عهدها الثانى تصدر فى ذلك الوقت عن وزارة الثقافة ، وكنت اكتب فيها مع أستاذنا الأول أحمد حسن الزيات الذى عهدت اليه الوزارة برياسة التحرير .

ذهب ظنى ـ وبعض الظن إثم ـ الى أن الخميسى يقضى حقاً وجب عليه من مصاهرته للشوباشى ، إذ كان زوج ابنته «فاتن الشوباشى» التى توفيت وكانت وفاتها قاصمة الظهر للرجلين ، وانتابنا من الكارثة جانب لعلاقة حميمة بالرجلين ، كانت زهرة من زهرات الفن ، أحبها الخميسى وهى تعمل معه فى حقل التمثيل وتزوجها .

قرأت مقال الخميسى فقال لى الذى يركبنى أحياناً : إنه يجامل صهره !

ـ وماذا تريد منى ؟

ـ هيا يا بطل .. يا رافع علم الحق !

ـ وما هى الثغرة التى أنفذ منها اليه ؟

ـ ألا ترى الخميسى يقول إن الكتاب قائم على أساس أن القصة العربية القديمة تخلو أو تكاد تخلو من الطابع الأسطورى ؟

وكتبت ما كتبت ، فرد علي الخميسى ، ولم أكن أتذكر ما قاله لولا قصاصة قديمة تحوى رده وجدتها مطوية فى الكتاب ، كما وجدت الكتاب نفسه مطوياً بين الكتب . قال عبد الرحمن :

«سبق لنا أن عرضنا فى إحدى مقالاتنا كتاب «القصة العربية القديمة» وشاء الأستاذ عباس خضر أن يعقب فى مجلة الرسالة على ما عرضناه ، ولم يرجع فى تعقيبه ـ باعترافه هو نفسه ـ الى الكتاب ، ولكنه اكتفى فى فهمه لمحتويات الكتاب بما أوردناه فى مقالتنا ، ومن ثم وقع فى الخطأ الذى لابد أن يقع فيه من يكتب فى موضوع دون تمحيص»

القصة والأسطورة

وقد كتبت مسرعاً دون أن أقرأ الكتاب ، لأنى لم أكن أقصد تقييم الكتاب نفسه ، وإنما أردت بيان نقطة معينة ، هى موقف

القصة العربية من الاسطورة ، قلت : «ألم تسمع عن «خرافة» العربى الذى غاب عن قومه مدة من الزمن زعم انه قضاها مع الجن ثم عاد يحكى عن الجن ما يحكى ؟» .

وقال الخميسى : «خلط ، السيد الناقد بين شيئين لا علاقة بينهما البتة .. خلط بين القصص الخرافية والقصص الاسطورية» .

واقول الآن شيئاً : لم نعرف فى لغتنا فرقاً بين الاسطورة والخرافة كالفرق الذى يقول به الغربيون ، وفى العصر الحديث اخذنا عن الغرب مصطلح الاسطورة الذى يختلف عن مصطلح الخرافة بان الاول ينبنى على بيان حقيقة من حقائق الكون او يفشي ظاهرة من ظواهره كما يتراءى لقائل الاسطورة ، ولكنا برغم ذلك الاخذ مازلنا نفرق بينهما او مازال بعضنا . ربما كان ذلك راجعاً الى قول الله تعالى فى القران «تلك أساطير الاولين .. الخ» ولم يكن يقصد بالأساطير إلا الاقاصيص التى لا حقيقة لها وتروى كما روى «خرافة» عن الجن . بل إن القوم فى الغرب يقولون عن قصص إنها أساطير غير مقيدين بما يقولون فى ذلك التقسيم .

ومهما يكن من شيء فقد بقى فى نفسى ما يشبه الشعور بالذنب نحو الصديق الكبير الأستاذ محمد مفيد الشوباشى ، إذ توقعت ان يكون ما كتبته قد افسد الود القديم ، وإذ قلت إنى لم اقرا كتابه ، ومن قسوة الأيام انى لا اراه الآن ولا اعلم اين هو ولا كيف حاله .. وتبا لما طرأ على حياتنا فابعد ما بيننا وجعل التواصل عسيراً إن لم يكن مستحيلا ..

ولكنى برغم ذلك استمتعت اخيراً بقراءة كتاب «القصة العربية القديمة» استمتعت فكرياً وشعورياً ، إذ كنت فى خلال القراءة ، كما انى الآن ، اتمثل المؤلف العزيز وحديثه الطلي فى مجالس كانت ...

مثال المثقف العربى

طاف الأستاذ الشوباشى فى هذا الكتاب ما طاف بالثقافات والآداب العالمية وقدمه ثابتة على أرض عربية صلبة ، فكان هو بهذا انموذجاً ومثالا للمثقف العربى الحديث .

قرأت الكتاب مرتين : مرة لي ، ومرة لي ولك ايها القارىء العزيز .

يبدأ الكتاب بهذه الفقرة : «بيننا اناس ينكرون على العرب كل ميزة حضارية ، وينظرون بعين الاستهانة والازدراء الى آياتهم الباهرة فى ميادين الادب والفن والعلم . وقد شملت استهانتهم وزرايتهم ، فيما شملت القصة العربية القديمة !»

ثم يمضى فى دحض تينك الاستهانة والزراية بالدراسة العلمية المستنيرة المصحوبة والمدعومة بالامثلة المبينة من فن القصص العربى .

يبين أن العرب كانت لهم فى كل العصور قصة ، ليس هذا فقط ، بل إن القصص العربية اثرت فى قصص الغرب ، وكثيراً ما كان نشوء فن قصصى هناك اثر مثله هنا ، فهو يشير الى بعض ما ذكره مؤرخو الادب الاوربيين من ان بوكاشيو فى ايطاليا ، وشوسر فى انجلترا ، ودون جوان فى اسبانيا ، لم يتاثروا فحسب بالقصة العربية فيما كتبوه من قصص ، ولكنهم اكتسبوا منها ونقلوا عنها ، وهؤلاء هم الذين وضعوا البذور الاولى للقصة الأوربية الحديثة ، ومن ثم تكون قصصنا العربية الحديثة ، حتى فى حالة تاثرها بالقصة الاوربية ، متصلة بالقصة العربية القديمة .

ثم يمضى الى بيان ذلك التاثر وذلك الاخذ فيقول إن قصائد الشعراء «الزوبادور» شاعت بين البلاد الاوربية فاثرت فى ادبها شعراً وقصة . والزوبادور خليط من العرب والاسبان واسمهم يدل على ذلك ، فهو مركب من الكلمة الاوربية تروب ، بمعنى الفرقة والكلمة العربية «تدور» .

ثم يعرض لتعريف القصة وينقل ما جاء فى بعض الموسوعات والمعاجم الاوربية فى هذا التعريف ، منها ما جاء فى معجم لاروس تعريفاً بالقصة وهو «القصة قديماً حكاية حقيقية او مصطنعة منظومة او منثورة مصبوبة فى قالب قصصى . وهى اليوم عمل ادبى من نسج الخيال يصور بالنثر احداثاً متخيلة مصطنعة منمقة بقصد استثارة القارىء وجذب اهتمامه» .

بعد ذلك يقول انه ظهر فى الادب العربى القديم لونان من القصص ، لون منثور ، ولون منظوم ، فاما القصص المنثورة فقد بدات سيراً وحكايات عن سلف العرب ، وكانت بطبيعة الحال بدوية بدائية . ثم ظهر القصص المنظوم من الاحداث الراهنة فوصف الحروب وابطالها .

ثم امتزج اللونان ، ونشا عن امتزاجهما لون جديد تطور حتى انتهى الى ظهور قصص كبيرة مثل «كليب» و «عنترة» و «البراق»

الصراع فى القصة العربية

قصة كليب ـ مثلا ـ صورت موقفاً دراميا لايزال الى اليوم منبعاً لامتع القصص العصرية .. هو موقف «جليلة» التى قتل اخوها جساس زوجها كليباً .. صورت القصة لاول مرة فى تاريخ القصة وقوع الانسان بين عاطفتين نبيلتين تتنازعانه وتشده كل منهما الى ناحية . والبطلة (جليلة) تصور حزنها وصراع نفسها ادق تصوير فى ابياتها التى تقول فيها :

فعل جساس على وجدى به
قاصم ظهرى ومدن اجلى
يا قتيلا قوض الدهر به
سقف بيتى جميعاً من عل
إننى قاتلة مقتولة
ولعل الله ان يرتاح لي

ظهرت بعد ذلك بقرون قصة فى الادب الاسبانى باسم «السيد» تقوم حوادثها على خصام نشب بين حبيب البطلة وابيها انتهى بان قتل الاول الثانى . ويرى المؤلف ان مسرحية «السيد» مقتبسة اصلا من قصة كليب ، وان كتاب القصة الغربيين المحدثين اعادوا صياغة هذا الموقف الدرامي على كل شكل ولون .

نتيجة هائلة

النتيجة التى تهدف اليها هذه الدراسة فى هذا الكتاب نتيجة هائلة .. قد تدهشك الى حد عدم التصديق .. وهى تتلخص فى «ان كل عمل قصصى ظهر فى اوربا إبان العصر الحديث ، وعده النقاد تحولا من عهد الظلمات الى عهد النور ، ينبع من أصل عربى ، ويصبح بدوره نبعاً لفيض من الاعمال الادبية التى تلته ، وحققت لاوربا مجدها الادبى» .

قد يذهب بك الظن الى ان تلك مبالغة ينساق اليها المؤلف بدافع قومى يورده موارد الشطط ، ولكنك سترى نفسك ، وانت تقرأ ، امام اسانيد وحجج مقنعة بما لا يدع

مجالا للشك فيما يقول .

قصة عنترة مثلا هى الاصل لقصة «جيهان دى سنتريه الصغير» للكاتب الفرنسى «انتوان دى لاسال» التى رآها بعض مؤرخى الادب الفرنسى فاتحة عهد القصة الحديثة ، لعزوف مؤلفها عن موضوعات القصص الاغريقية القديمة ، وعبرت عن الواقع المحيط بها ، وفضحت التمويه والتزييف ، بخلاف القصص القديمة التى كانت تدور حول الآلهة والملوك ومن إليهم . ولابد أن النقاد لاحظوا وجه الشبه فى ذلك بينها وبين قصة عنترة التى صدقت فى تصوير واقعها ، وهى الى ذلك تبرز مشكلة اجتماعية ازدادت الى اليوم احتداماً ، وتهتدى الى الحل ، هى مشكلة اللون والطبيعة .

وقصة عنترة ، وقصص العذريين بعدها تدل على أن العرب عرفوا الحب العذرى وعبروا عنه فى قصصهم ، بخلاف ما زعم بعض متعصبى الغرب أن العربى لم يعرف الحب إلا الجسدى منه ، وأساطير الاغريق وملاحمهم هي التى تقطع بانهم هم الذين لم يعرفوا من الحب إلا لونه الجسدى .

وإذا اشبهت قصة عنترة قصة «جيهان دى سنتريه» فى مضمونها وهدفها ، فانها تشبه فى بنائها القصصى قصة رولان التى كتبت بعدها بعدة قرون ، واجمع النقاد على أنها ملحمة فرنسا الكبرى وفاتحة النهضة القصصية فى العصر الحديث . وليس من قبيل المصادفة أن يكون للفارس رولان جواد كالابقر جواد عنترة ، ورفيق يلازمه كشبوب ، فارسنا العربى .

ويمضى مؤلفنا الشوباشى فى عرض القصص العربية مبيناً خصائصها وميزاتها ، مسترعياً الانتباه الى آثارها فى القصص الغربية .

والكتاب بذلك يعد بحثاً فى الادب المقارن ، الى جانب استيعابه للحركة القصصية العربية استيعاباً يمتد الى الف ليلة وليلة والمقامات . ويتناولها جميعاً بالتحليل وبيان الخصائص ، وأحياناً يقتضى الأمر تلخيص الحوادث وافعال الابطال لالقاء الضوء عليهم .

أصل القصة العربية الحديثة

هذا ولنا مع الاستاذ الشوباشى وقفة نختلف معه فيها اختلافاً لا يفسد للود قضية .

وذلك عندما بدأ يناقش من يرون أن القصة العربية الحديثة ليست وليدة القصة العربية القديمة ، ولم تصل الى ما وصلت اليه عن طريق التطور الطبيعى ، ولكنها جاءت بادىء الأمر محاكاة للقصة الاوربية الحديثة ، ثم اخذت تكتسب خصائص ومقومات ذاتية ومع التسليم الجدلي بصحة ذلك ، وهو غير صحيح على اطلاقه ،

فاننا نرى وجهة نظرهم هذه انعزالية . انتهى كلامه . ونراه يشعر بضعف وجهة نظره فى ذلك فيقول أولا «مع التسليم الجدلى .. الخ» ثم يلجأ الى لف ودوران فيقول «وقد أشار بعض مؤرخى الادب الاوربيين الى أن بوكاشيو فى ايطاليا ، وشوسر فى انجلترا ، ودون جوان صاحب كتاب الديوان فى اسبانيا ، لم يتأثروا فحسب بالقصة العربية فيما كتبوه من قصص ، ولكنهم اكتسبوا منها ، ونقلوا عنها ، وهؤلاء هم الذين وضعوا البذور الاولى للقصة الاوربية الحديثة ، ومن ثم تكون قصصنا العربية الحديثة ، حتى فى حالة تأثرها بالقصة الاوربية متصلة بالقصة العربية القديمة من طريق مباشر وطريق غير مباشر» .

ويرى هذا الرأى أيضاً الاستاذ فاروق خورشيد وقد سبق اليه فى كتابه «فن الرواية العربية » وأنا أخالفهما مع المخالفين .

اقتباس

أقول أولا : إذا كان ما ذكره الشوباشى من أن الاقتباس والنقل دليل على ما هو أكثر من التأثر ، فقد حدث ذلك فى مطلع النهضة القصصية العربية ، فان الرواد عندنا نقلوا واقتبسوا كثيراً من القصص الاوربية ، منهم من صرح بذلك ، ومنهم من لم يصرح ظناً منه أن أحداً لن يدرى . وممن صرحوا محمد تيمور فى قصة عن موبسان جعل عنوانها «ربى لم خلقت هذا ؟» وجعل البطل الرئيسى شيخاً اسلامياً بدلا من القس المسيحى فى القصة الاصلية . وقد ترجم القصة الاستاذ أحمد حسن الزيات بعنوان «فى ضوء القمر» ونشرها فى مجلة «الرواية» أخت «الرسالة» ثم فى كتاب مع قصص أخرى بالعنوان المذكور .

وأقول ثانياً : إن معظم رواد القصة العربية الحديثة لم يكونوا على اتصال كاف بالتراث العربى الادبى ، القصصى وغير القصصى ، مثل الدكتور محمد حسين هيكل عندما كتب الرواية العربية الأم «زينب» وهو فى باريس محاكاة تامة للرواية الغربية . ورأينا كذلك رواد القصة القصيرة العربية يصرحون بشغفهم بالفن الاوربى فى القصة وانهم يسيرون على دربه . محمود تيمور كان يجاهر بانه يتتلمذ على موباسان ، وقد رأيت فى عدد قديم من جريدة «السفور» قصة قصيرة كتب تحت عنوانها «بقلم صاحب العزة محمود بك تيمور موباسان مصر» .

وليسمح لي القارىء الكريم أن انقل فقرة فى هذا الصدد من كتابى «القصة القصيرة فى مصر» :

«الواقع التاريخى بالنسبة الى الانتاج القصصى الحديث ينطلق بعكس ما ذهب إليه فاروق خورشيد (لم يكن قد ظهر كتاب الشوباشى) وسنرى فى الدراسة الآتية لمجموعات القصص وما كتب لها من مقدمات أن كتاب القصة ينهجون النهج الغربى الخالص ، ويصرحون فى كتاباتهم بانهم يأخذون شكل القصة الاوربية لينشئوا على غراره أدباً قومياً ، ولم نر أحداً منهم يلتفت الى شىء من قديم القصص العربية ، وكثير منهم لم يدرس الادب العربى ، وحتى الذين ألموا بهذا الادب لا علم لهم بالقصة العربية فى عصورها الماضية ، لاهمالها فى الدراسة التقليدية » الى أن قلت :

«والمسألة فى رأيى ليست مسألة قومية بمقدار ما هى حقيقة تاريخية ، ولا يضيرنا فى شىء أن نأخذ ونعطى ، فان أخذنا الآن عن الغرب فقد أخذوا عنا فى عصور ماضية إذ نقلوا عنا قصص ألف ليلة وليلة ، فترجموها من اللغة العربية الى لغاتهم ، وحاكوها فى قصصهم وتأثروا بخيالها فيما انتجوه» .

وأقول أخيراً :

إننا الآن ـ أو أكثرنا ـ نلبس البنطلون الذى أصبح عالمياً ، ولا نقول إنه متطور من السروال العربى .

عباس خضر

فكتور هوجو

عبقرية هزّت الحياة الأدبية في العالم

بقلم: جمال الكناني



فكتور هوجو .. العبقرية التى حققت شهرة واسعة بين الجماهير

كان "دون بدرو" امبراطور البرازيل فى زيارة لفرنسا عام ١٨٧٨ ، وراح فكتور هوجو اليه يقدم احترامه ، فلما رد دون بدرو الزيارة وتواجد مع هوجو فى بيته بشارع دى كليشى ، تبسط الامبراطور معه ورفع الكلفة ، بل انه قال لهوجو « طمئن خاطرى لانى رجل خجول ... وحقق مطمعى الوحيد وعرفنى بحفيدك جين .. وقدم هوجو حفيده للامبراطور» جين اسمح لى ان أقدمك لجلالة امبراطور البرازيل فقال الطفل هامساً فى شىء من خيبة الأمل ولكنه ليس فى زيه الرسمى ؟! « فقال الشاعر » مولاى اتأذن لى فى تقديم حفيدى لجلالتك ، « فأجاب الامبراطور » ليس هنا الا صاحب جلالة واحد .. هو فكتور هوجو ..

والحق أن فكتور هوجو عاش امبراطوراً بين أدباء عصره .. وعاش معبود الجماهير .. ولما اعيد عرض مسرحيته « هرناتى » طالب شبان الجامعة بتذاكر لحضور العرض ،

.. ووصف بودلير فيكتور هوجو بانه عبقرية بغير حدود ، وقال ثيوفيل جوتييه فى وصف « البؤساء » « انها ليست جيدة ، وليست رديئة ، فهى ليست من خلق انسان ولكنها ظاهرة من ظواهر القوى الطبيعية .. انها ملحمة فى النقد فيها دفعة المحيط ولها عمقه .. انها

حمم تتدفق فتبرز من جوفه تماثيل بالغة الضخامة تتوهج نيرانها » .

وقال لامارتين فى رواية «أحدب نوتردام » ـ أو كما سماها كاتبها « نوتردام دى بارى » وهى رائعة من روائع هوجو « انها عمل ضخم .. انها صخرة من عهد يسبق عهد الطوفان .. هى شيكسبير النثر الروائى وملحمة القرون الوسطى » .

لكن ترى ما كان رأى هوجو فى نفسه ؟ قال وهو فى سن ١٥ « مطمحى أن أكون شاتوبريان وإلا فلا » وقال ذات مرة لأنطوان فونتناى « لو ساورنى أدنى شك فى قدرتى على احتلال المقام الأول بين الأدباء ، أو أن أعلو وأرتفع عن جميع منافسى ، لهجرت الكتابة واحترفت المحاماة غداً » .. والحق انه كان فى عصره أعظم كاتب فى العالم بأسره ، وهو الذى قال فيه معلمه وهو فى العقد الثانى من عمره « اليوم أت لا ريب فيه حين تحتل مكانك بين أعظم شعرائنا .. انا أحس فى شعرك بأصداء راسين » .

على أن أول دليل مادى على تفوق هوجو وعبقريته ، كان ما أحرز من نجاح فى مسابقة الشعر التى عقدتها الاكاديمية الفرنسية .. وكان الموضوع الذى عينته الأكاديمية هو « السعادة التى نستمدها من الدراسة فى كل ظروف الحياة » ..

كان هوجو الفتى يرى ان التفكير فى العمل هو أن يعمل ، فلما طافت فكرة المسابقة بخاطره ، جلس لتوه وكتب قصيدة من ٣٣٤ بيتاً .. ولم يفز بالجائزة ، اذ كان التاسع بين المتسابقين ، ولكن أعضاء الأكاديمية لم يصدقوا أول الأمر أن صاحب القصيدة التى قدمها هوجو حدث يافع .. وقال فولتير مخاطباً الشاعر الصبى : لابد ان يخلفنى واحد من الناس ، وانا أحييك خليفة لي تحية حارة .

فكتور هوجو هو أصغر أولاد الميجور ليوبولد هوجو الثلاثة .. ولد فى يوم ٢٦ فبراير ١٨٠٢ ، وكان هزيلا ضعيفاً خيل للطبيب المولد انه لن يعمر طويلا ولكنه غافل طبيبه وضحك على ذقن الزمن وعمر حتى جاوز الثمانين .

من القانون إلى الأدب

اقتضت حياة ليوبولد هوجو العسكرية ان يقضى فترات طويلة فى أسبانيا وايطاليا بعيداً عن زوجته وأولاده ، ولم يمانع هو فى ذلك لأنه يهوى الجندية . ولكن هذه الفرقة قضت على حياة الزوجية ، وانفصلت عنه زوجته وكفلت أولادها الثلاثة واشرفت على تربيتهم وتعليمهم بينما نال الزوج حظه من الرتب العسكرية حتى وصل الى رتبة جنرال ، كما نال أكثر من نصيبه من الخليلات،على انه لم يهمل أولاده كلية بل كان يمد الأم بالمال بين حين وحين ، ويوجه دراسة أولاده كلما لاحت له فرصة .

ويجب قبل أن نترك الحديث عن الأب ، ان نشير الى حقيقتين هامتين لهما دلالة قوية فى حياة فكتور هوجو .. الحقيقة الأولى ان الأب رغم جنديته كان يهوى الأدب ويقرض الشعر ، وان كان شعره من النوع الذى لا يشير اليه تاريخ الأدب .. المهم انه كان من دعاة الأدب وأنصاره ، ولهذا فانه لم يعارض لما استأذنه فكتور وأخوه فى التحول عن دراسة القانون إلى دراسة الأدب .

الحقيقة الثانية هى أن الميجور ليوبولد هوجو كان يتمتع بشخصية تجذب النساء بصفة خاصة .. وورث فكتور عن أبيه هذه الجاذبية وزاد عليها كثيراً فتحكمت فى حياته حتى بعد ان تخطى الثمانين .

فالمقرر اذن هو ان الأب غرس بذور



هوجو وهو صبي .. فى هذه السن المبكرة اهتم بالكلاسيكيات حتى أصبحت تجري فى عروقه .



جولييت في شبابها ، وهي التي راها فيكتور هوجو لاول مرة وهي تلعب دورا صغيرا في مسرحية .

الأدب فى طبيعة ولده فكتور وان الابن رعى تلك البذور وسقاها فنبتت وترعرعت واينعت فى خياله حتى شطرت حياته شطرين .. أدب ونساء .. فاذا به عبقرية بغير حدود .

بدأ فكتور هوجو تعليمه فى مدرسة خاصة كان يشرف عليها الأب لا يفيير الذى كان يعنى خاصة بتعليم اللاتينية واليونانية القديمة وترجم هو وتلميذه فكتور بعض كتابات فرجيل .. والملاحظ أن أسلوب هوجو ظل متأثراً طول حياته بشكل الجملة اللاتينية وحبكتها ..

على أن المعلم الحقيقى لهوجو كان هو **الحديقة التى تعرف فيها على الطبيعة وما فيها من مختلف نواحى الجمال والرعب ..فيها** الزهور بانواعها ومنها عرف كيف تفتك الفيران بصغار الطير وصغار الطير بالحشرات والحشرات بعضها ببعض .

ولم تفرط الأم فى تربية أولادها ووضعت لدراستهم برنامجاً كان ينفذ حرفياً دون هوادة ، كانت تقرأ لهم وتكلفهم بالقراءة .. وغرق فكتور واخوه هابيل الى الآذان فى الكلاسيكيات حتى اصبحت تجرى فى العروق ..

لما أتم هوجو واخوه يوجين مرحلة التعليم الثانوى طلبا من ابيهما ان يسمح لهما بدراسة القانون . ووافق الوالد وبعث



جولييت فى شيخوختهـا .. فقد عاشت حتى وصلت الى السابعة والسبعيـــن مـن عمرهـا ، واوصـــت بدفنها إلى جـــوار ابنتهـــــا !.

بالمبلغ اللازم لتكاليف تلك الدراســة .. وبعد عام أو بعض عام عدل الأخوان عن دراسة القانون لأنهما كانا قد قررا دراسة الأدب .. فكتبا الى أبيهما فى ذلك ، فلم يعارض كثيراً ، بل ولعله ارتاح إلى ذلك فى نفسه دون ان يعلن عن ارتياحه .

كان الأدب هواية أولاد هوجو الثلاثة ، هابيل ويوجين وفكتور ، وحاول ثلاثتهم نظم الشعر وملأ فكتور عدداً من الكراسات بما نظم من شعر ، فكان منذ البداية يميل الى الايقاع الكلاسيكى ، لكن ما كتب فكتور فى تلك الفترة من شعر لم يكن سليماً يلتزم بوزن أو بحر أو قافيه ، فكان يقرأ ما يكتب بصوت مسموع ويصحح الأبيات حسب ما تقبل أذنه من نغمات وايقاع ما يقرأ وبذا علم نفسه الأوزان والقوافى والبحور . ودخل مسابقة الشعر التى نظمتهـــا الاكاديمية الفرنسية كما ذكرنا ، وكانت القصيدة التى اشترك بها أول انتاج نظامى له فى الشعر . أما اهتمامه بالمسرح فقد بدأ وهو فى المدرسة الداخلية التى كان يديرها المسيو ديكوت . وفيها كتب فكتور مسرحيات أدى فيها دور نابليون ، كما كتب وهو فى الرابعة عشرة مأساة شـــعرية « ارتامير » أهداها لأمه ، وكان موضوعها انتصار الملك الشرعى على المغتصب ، عبر فيها عن رأيه وهو أن من يكره الطغاة لابد

فكتور هوجو
عبقرية هزّت الحياة الأدبية

يحب الملوك ، « اى ان من يكره بونابارت لابد يحب لويس الثامن عشر » .. واخذت قدم فكتور هوجو ترسخ وتثبت ومكانته تعلو وترتفع فى ميدان الشعر والمسرحيات حتى أصبح بين ملوك الشعر امبراطوراً .

وليس فى مكنة هذا المقال ان يضيف جديداً الى ما كتبه النقاد فى جميع انحاء العالم ، وبمختلف اللغات عن شعر هوجو ومسرحياته التى كانت تهز فرنسا هزاً وتعصف برواد المسرح كما تعصف الريح ببواسق الشجر .. ولهذا نكتفى فى حديثنا عن ادب هوجو باشارات قصيرة الى بعض روائعه وعلى راسها رائعته الخالدة « البؤساء » .

شخصيات أكبر من الحياة

كان هوجو يفكر فى كتابة رواية اجتماعية خالدة واختمرت الفكرة فى راسه ثلاثين عاماً او يزيد ، بحث خلالها ظلم العقوبات التى يفرضها القانون ووسائل رد اعتبار المحكوم عليهم بعد توقيع العقوبات عليهم ومشاكل الفقر وغيرها .. وكتب فى ذلك عدداً من الروايات منها « آخر ايام محكوم عليه بالاعدام » ، وقصيدة « للفقراء » . فلما جاء دور رواية « البؤساء » قرر هوجو ان تكون احداثها مما يقوم على الواقع والحقيقى .. فاخذ من صميم الحياة شخصية المونسينور « موالى » ، وهو قس يعرفه الناس ، وبنى على اساسها شخصية المونسينور «ميريل » فى البؤساء .. وظروف الفقر التى يعيشها هذا القديس وشدة زهده وفرط احسانه ، وبساطة اللغة العظيمة التى يستعملها فى حديثه العادى هى ما يثير اعجابنا ويؤكد لنا حقيقة هذه الشخصية وواقعيتها . ويروى سكرتير المونسينور « موالى » ما حدث فعلا بينه وبين سجين واقعى حقيقى افرج عنه وكيف رحب به بعد ان رفضته جميع النزل .. وهذا بالضبط ما حدث لجان فالجان فى رواية البؤساء والفرق الوحيد هو ان السجين الحقيقى لم يسرق الآنية الفضية كما سرقها جان فالجان فى قصة البؤساء .. والقارىء الذى يعرف شيئاً عن حياة هوجو يستطيع ان يلمح ذكريات المؤلف نفسه فى شخصيات الرواية واحداثها .. هوجو الصغير يلبس قناع ماريوس والجنرال هوجو يتقمص شخصية بونتمرس .. وماريوس يلاحق كوزيت كما لاحق هوجو « اديل » من قبل وهكذا ..

فى صباح ٣٠ يونيه ١٨٦١ انتهى فكتور هوجو من كتابة « البؤساء » ، وعرف بفطرته الأدبية ان الكتاب قيم وان جمهور القراء سيكون كبيراً .. فقرر ان يستغل دخل الكتاب فى تامين مستقبل اسرته من الناحية المالية .. فلم يتسرع فى اختيار الناشر .. ولم يختر صديقه هتزل ، بل اختار ناشراً بلجيكيا شابا اسمه البرت لاكروا ... وتقدم الشاب بعرض بلغ ٣٠٠ر٠٠٠ فرنك لقاء النشر لمدة ١٢ سنة وقبل هوجو المبلغ الذى لم يكن قد قبض نظيره من قبل .

والغريب ان العاطفة السياسية فى فرنسا اذ ذاك أعمت ابصار نقاد الأدب فلم يتحمسوا « للبؤساء » .. فكان لامارتين مثلا حذراً متحفظاً فى ملاحظاته على الكتاب ، فلما أحله هوجو من تورط الصداقة واطلق يده ليوجه من النقد ما شاء ، جاء نقد لامارتين مرا كالحنظل .. « مدح الكاتب وسخر من الفيلسوف وقال هذا كتاب خطر فهو يشيع فى الجماهير عدوى قاتلة وتطلعات الى ما هو مستحيل » .

اما اليوم فقد اصدر التاريخ حكمه على « البؤساء » التى تعتبر واحدة من اعظم ما ابتكر خيال الانسان ـ كما ان شخصياتها ـ جان فالجان ، وماريوس ، وكوسيت ، وجافرت وفانتين وغيرها ـ احتلت مكانها بين اعظم الشخصيات مثل مدام بوفارى ، اوليفر تويست ، الاخوة كارامازوف وغيرها .. وشخصيات البؤساء ادمية حية ولكنها اكبر من الحياة لما فيها من حب واريحية .. وتتمتع كلها بشعبية هائلة رغم ما فيها من مبالغة .

أحدب نوتردام

القصة الثانية من قصص هوجو التى لقيت رواجاً عالمياً هى «نوتردام دى بارى» التى عرفها الناس فى عدد من الأقطار باسم « احدب نوتردام » .. اتم هوجو هذه القصة فى شهر يناير ١٨٣١ واستغرقته كتابتها ستة اشهر فقط لانه كان قد صرف ثلاث سنوات فى اعداد ما يلزمها من بحوث ومستندات واستكشف خلالها واستقصى باريس لويس السادس عشر وعاين ما بقى فيها من بيوت قديمة وتعرف على كل ركن ، بل وكل حجر فى كتدرائية نوتردام .. وقرر هوجو ان تطابق القصة تاريخ العصر .. وفى القصة خيال مبدع وشخصيات تبدو اكبر من الحياة واكبر من الواقع ومع ذلك فقد حققت كل شخصية من شخصيات القصة لنفسها فى راس كل قارىء مهما كان جنسه ، حياة خاصة بها .. وفكرة الرواية تنضح بشخصية هوجو واحداث حياته .. فكرة المنافسة الثلاثية الاركان فى الصراع القائم بين رئيس الشماسة ، والاحدب قارع الاجراس ، والكابتن دى شاتوبير ، حول الفتاة الغجرية .. على ان بطلة القصة الحقيقية هى كنيسة نوتردام فهى ببرجيها وصورتها التى تنعكس على سماء تتلالأ فيها النجوم ، تبدو كابى هول ضخم له راسان ، يرقد فى وسط العاصمة .

ليست قصة الاحدب قصة كاثوليكية او حتى مسيحية .. فلكم صدمت القراء حكاية قس حكمته الشهوة واسرته الرغبة فى فتاة غجرية .

لما قرا لامينيه قصة احدب نوتردام امتدح ما فيها من خيال تصويري رائع ومدح جوتييه اسلوبها الذى تبلغ صلابته وقوته صلابة الجرانيت وقوة الصوان ، وقال فيها لامارتين كما اسلفنا « انها عمل ضخم ، قطعة من صخر من عهد يسبق عهد الطوفان ، هى شيكسبير النثر الروائى وملحمة القرون الوسطى » .

على ان فكتور هوجو لم يسعد بكتابة اى قصة او قصيدة او مسرحية بقدر ما سعد بكتابة قصة « ٩٣ » التى بدأ كتابتها فى ٢١ نوفمبر ١٨٧٢ فى غرفة مكتبه الزجاجية فى بيته بالمنفى فى جزيرة جيرنزى .. قال هوجو « بدأت اليوم اكتب المسودة الأولى لكتاب « ٩٣ » واخرجت لذلك المحبرة الكريستال الجديدة التى اشتريتها من باريس وفتحت زجاجة حبر جديدة وملأت منها المحبرة ثم اخذت رزمة من ورق جديد اشتريته خصيصاً لاكتب عليه هذا الكتاب وسحبت قلماً مجرياً اثق فيه وتهيأت لكتابة الصفحة الأولى .. سابدأ واكتب كل يوم ان شاء الله » .

وكانت تلك طريقته فى الكتابة أيام شبابه ، ولم تفتر همته او تخور عزيمته وهو فى السبعينات .. فالوحى مازال يتدفق ونذكر بهذه المناسبة ان هوجو اسر لاحد اصدقائه فى يناير ١٨٧٤ قائلا « ما اشبهنى بغابة تقطع أشجارها عدة مرات ومع ذلك تجد ان ما فيها من صغار الشجر اكثر قوة ونشاطاً .. قضيت نصف قرن سجلت فيه



اديل فوشيه .. زوجة فكتور هوجو التى عرفها صبية صغيرة تسكن فى بيت مجاور لبيت عائلته .

افكارى شعراً ونثراً اشعر وكانى لم اقل أو اكتب واحداً من الف مما فى نفسي » .

قلنا فى صدر المقال ان هوجو كان عبقرية وكان شهوة .. والحديث عن شاعرية هوجو وادبه حديث معاد لا ينتهى .. ولكن الذى لا يعرفه بعض الناس هو الناحية الشخصية من حياة هذا العبقرى الفحل ..

هذا الضائع

اديل فوشية صبية صغيرة تسكن فى بيت مجاور للبيت الذى تسكنه مدام هوجو واولادها .. وهى بحكم الجيرة تلعب مع غيرها من أولاد الجيران ومنهم فكتور هوجو واخوه يوجين الذى يكبره مباشرة ..

وانقطعت الصلة بين آل فوشيه وآل هوجو لما سافرت مدام هوجو واولادها بعيداً عن باريس .. ولم تعد الصلة الا واديل وفكتور يافعان فى طور المراهقة .. لكن أم اديل ، مثل كثيرات غيرها من الأمهات ، لم تكن تدرك تماماً أن بنتها قد كبرت فلما زارهم فكتور طلبت منه أن يخرج مع اديل للعب والجرى .. لكنهما آثرا المشى والحديث .. فلما لمست يد اديل يد فكتور سرت فى الجسدين رعدة .. فالبنت الصغيرة قد اصبحت صبية رائعة الجمال .. وفى لقاءات تالية ، تقاربت الرؤوس وتواشجت الانفاس ولكن الحب ظل عذرياً لأن اديل كانت فتاة متدينة تتمسك باهداب الفضيلة وتطورت العلاقة الى حب ملتهب ، وانكشف المستور ، وحاولت مدام هوجو أن تفرق بين العاشقين لأنها كانت ترى ان اسرة الجنرال هوجو من طبقة اجتماعية اعلى من الطبقة التى ينتمى اليها آل فوشيه .. وتازمت الامور وانفطر قلبان .. وفى العيد الثانى للقاء العاشقين ، وهو ما اسماه فكتور « عيد سعادتنا وياسنا » ، كتب فكتور لاديل .. « اليوم يبدأ العام الثانى لبؤسنا ترى هل اعيش حتى ادرك العام الثالث ؟ وداعاً مؤقتاً يا اديلى .. الساعة متاخرة .. انت تنامين ولا تحلمين بخصلة من شعرك ، يضغطها زوجك (اى فكتور باعتبار ما سيكون) الى شفتيه كل ليلة قبل أن ينام » .

وحدث مالم يكن متوقعاً واصيبت مدام هوجو فجاة بمرض قضى عليها فى يوم ٢٧ يونيه١٨٢١ وهى فى احضان اولادها . وفى صيف ذلك العام انتقلت اديل واسرتها الى بلدة تبعد ٥٠ ميلا عن باريس .. ولم تقف هذه المسافة حائلا بين فكتور ـ وكان مفلساً لا يملك اجرة السفر ـ وحبيبته اديل فقطع المسافة مشياً على الاقدام ليسعد من حبيبته بنظرة .. ومر هذا الغرام بعد ذلك بمراحل عاصفة ، واخيراً استاذن فكتور اباه فى الزواج من اديل ، فسمح له ، وتزوجها فى ١٢ اكتوبر ١٨٢٢ . وفى ليلة الزفاف اصيب الأخ الثانى ـ يوجين الذى كان بدوره يعشق اديل ـ بلوثة نقل بعدها الى مستشفى للامراض العقلية ..

ورزق الزوجان بغلام اسمياه ليوبولد ، مات وهو فى المهد ، وعوضهما الله خيراً ببنت اسمياها ليوبولدين وشاءت الظروف والاقدار ان تتوطد الصلة بين فكتور هوجو وبين شاب من المع نقاد الادب اسمه سانت بيف . وبدأ هوجو فى عام ١٨٢٩ يبذل مجهوداً جباراً فى عمله فكان يعمل اما النهار بطوله أو الليل بكامله ، وكان سانت بيف اذ ذاك يزور بيت هوجو مرة أو مرتين فى اليوم وكثيراً ما كان يجد اديل وحدها فيقضى زيارته فى حديث معها .. وعلى مر الزمن تمت لقاءات سانت بيف باديل بعيداً عن عين هوجو ورقابته فاخذ سانت بيف يلعب دور قس الاعتراف ، وعود اديل ان تسر اليه بمواجعها ومتاعبها .. كان اذا وجدها باكية يسالها عن السبب وعرف بالتدريج من اديل ، وكانت اذ ذاك اما لاربعة اطفال ، ان فكتور يلح فى ممارسة حقوقه الزوجية ، وانها تعجز عن ذلك .. وسانت بيف يهدىء من روعها ويتظاهر بالدفاع عن صديقه فكتور فى الوقت الذى يعلن فيه انه كاديل نفسها





فكتور هوجو

عبقرية هزّت الحياة الأدبية في العالم

نهب للبؤس والتعاسة . وارتاحت اديل لذلك الوضع ووجدت فى التفات سانت بيف ما يرضى كبرياءها .. وتطورت الامور ، فكانت تستقبل سانت بيف فى خدرها . واصبحت الخيانة نتيجة حتمية !! كل هذا وفكتور هوجو يعتز بانه الزوج المثالى الذى يهيم بحب زوجته والاب المثالى الذى يعيش لاولاده .. وتوقفت اديل عن حب زوجها نهائياً فى صيف ١٨٣١ ، واحس هو

بذلك فكان يشكو امره لسانت بيف فلما عرف ان اديل تخونه مع سانت بيف دب بين الاديب الشاعر وبين الناقد شقاق وخلف عنيف .. وحاول فكتور هوجو محاولة اخيرة لانقاذ زواجه فاختار لاسرته مصيفاً بعيداً عن باريس ولكن سانت بيف لاحق الزوجة وكان يراسلها بعنوان صندوق البريد .

كان فكتور هوجو قد وضع كل آماله وكرس كل حياته لهذا الحب الاول ، حبه لاديل ، التى عانى ثلاث سنوات قبل ان يفوز بها زوجة .. اديل التى كتب فيها اجمل مانظم من شعر الحب والغزل والتى عاش معها زوجاً ثمانية اعوام كان يعتقد خلالها انه هو معبودها الاوحد .. كانت كل احلامه تدور حول بناء بيت مثالى للزوجية فيه الرومانسية والعاطفة وفيه الطهر والبراءة .. وبقلب مطمئن انكب على عمله ، وخاض معركة الادب ولم يدر بخلده انه يعيش مع زوجة خاب امل قلبها ، وكرهت عش الزوجية الذى بناه هو .. ولما نزلت به الكارثة قال « ياويل من يحِب ولا يُحَب ..

هذا امر مزعج .. انظر الى هذه المراة وما فيها من سحر .. انها ناعمة بضه ، هى فى البيت حب ومتعة ولكنها لا تحبك . وهى لا تكرهك ، انها فقط لا تحبك وهـذا كل ما هناك .. اسبر ، لو توافرت لك الشجاعة ، غور هذا اليأس .. انظر اليها ، فلا تفهم نظراتك تحدث اليها .. فلا تسمعك .. انت تحبها ؟ اذن فانت ضائع لا محالة » .

قال هذا الضائع ، وهو هوجو ، عن نفسه انه مخلوق له اربع انفس «اوليمبو» شاعر العاطفة ، و « هرمان » العاشق و « ماليا » المرح الضحوك و « هييرو » الروح المكافحة .

وكافح هوجو اول الامر ليستر زوجته فلما فشل بادل زوجته خيانة بخيانة .. ولعب القدر فى ذلك لعبته .. واختار مخرج احدى مسرحيات هوجو ممثلة شابة رائعة الجمال اسمها جولييت درووبيه لتلعب دوراً صغيراً فى المسرحية . ولاحظ هوجو اثناء القراءة الثانية للمسرحية تلك الممثلة تمعن النظر اليه وقرر فى نفسه انها لن تقاوم كثيراً اذا هو ابدى رغبة .. كان قلبه اذ ذاك حزيناً خاوياً وكان الشعور بينهما فورياً متبادلا .. وتحرى عنهـا .. كانت فى السادسة والعشرين ، ابوها خياط مات وهى فى المهد فرباها عمها .. التحقت لفرط جمالها ورشاقة قوامها باستديو مثال .. رزقت منه طفلة .. واحترفت التمثيل بعد ذلك .

حل إلى الأبد

وتلاقيا .. وكانت بداية غرام دونه غرام روميو بجولييت وجميل ببثينه .. تميز حب جولييت لفكتور هوجو منذ البـداية بالتضحية المطلقة والوفاء الذى لا يحد ..

وظلت أمينة على حبها لفكتـور وبقيت صديقته الوفية حتى ماتت .. احبته حب عبادة ، كان هو فارسها وسيدها .. كان روحها ، كلمته لا ترد وأمره مطاع .. حياتها فداء له .. فلما خرج ايام المظاهرات التى سبقت ظهور الامبراطورية كانت تسير خلفه ـ دون علمه ـ لتضع نفسها بينه وبين اى رصاصة تطلق عليه .. ذاقت فى حبه المر والمهانة دون ان تتململ ، كان يخونها مـع غيرها من النساء فيتمزق قلبها وينفطر ، تغضب وتعتب ، ولا تحرك ساكنـا ، خطاباتها اليه سجل لهذا الحب السماوى الذى اوحى لفكتور هوجو بمجلدات من ارق الشعر .. كانت هذه رسالتها الاولى اليه قبل ان يجتمعا فى خلوة :

« سيدى فكتور : تعال وزرنى هذه الليلة فى بيت مدام كرافت .. سأحبك الى ان اراك واتذرع بالصبر .. حتى المسـاء .. »

كان فكتور بعد لقائها كالثمل .. اديل زوجته التى تمناها سنوات بلهفة وشغف لم تعطه الا ما تعطى عروس ذات خفر وحياء .. اما جولييت فكانت امراة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان .. كانت طقوس الحب عندها كالشعر ، كلاهما فن ، وكانت هى تتقن ذلك الفن وكان اتقانه عليها فرضاً .. كانت تقدر وتعجب بما يكتب فيها من قصائد ، وتمتدح وتطرى ما يكتب .. وفى ذلك ما يرضى كبرياء العبقرية .. وكان كثيراً مايثيبها على ذلك بكلمة حلوه « ساكتب فى مفكرتى فى اول يوم من ايام السنة انى احبك ، وفى آخر يوم من ايام السنة انى اعبدك واهيم بك ، قبلاتك تجعلنى اقع فى غرام الكون كله ، وعيناك تجعلانى افهم نعيم الفردوس .. انت فى كلمة واحدة ، انت ياحبى الوداع ، ملاك فى جحيم ..

وهبك الله ذكاء وجمالا ، ولو أن المجتمع عاملك كما عاملتك الطبيعة لكنت فى أعلى مقام ، ولكن لا تاسى ، فليس فى مكنة المجتمع أن يرفعك فوق مرتبة الملوك اما الطبيعة فقد وهبتك كل شىء » .

حدث ذات مرة أن أخذ هوجو صديقته جولييت فى جولة فى ضواحي باريس ، وبعدها بعثت اليه بوثيقة او صك قانونى تقول فيه « أمس ٢٣ يوليه ١٨٣٤ كنت انا جولييت أسعد امراة فى العالم ، فلم اكن أحس قبل ذلك التاريخ . بكل ما يبعثه حبى لك وحبك لي من سرور فى نفسى .. وهذه الرسالة وثيقة قانونية تعرف حالة قلبى .. وثيقة التزم بها لآخر أيام حياتى ،



ففى ذلك اليوم والساعة والدقيقة التى تعيد فيها تقديم هذه الوثيقة الى ، اعدك غير حانثة أن أسلمك ذلك القلب فى نفس الحالة التى هو فيها اليوم ، اى انه سيكون مليئاً بحب واحد ، حبك أنت ، وبخاطر واحد ، انت وحدك » .

وكان هذا النعيم يستحيل أحياناً بؤساً وشقاء ، وتصبح تلك الجنة جحيماً .. كان هوجو رغم يساره يحاسبها حساباً عسيراً على كل فلس يعطيها إياه ويفرض عليها تقديم حساب يومى مفصل تبين فيه كل ما تنفق على الأكل ـ أكله هو فى الغالب ـ والشرب وغير ذلك وكثيراً ما كان يحرم عليها أن تشترى فستاناً جديداً اذا بلى فستانها ويقول « ما تلبس المرأة الجميلة لا يضيف الى سحرها شيئاً » . كان يحرم عليها الخروج الا فى صحبته أو باذنه ، ولعل خيانة زوجته علمته درساً .

وكان حب هوجو لجولييت يفتر أحياناً دون أن تخبو جذوته كلية ، فكانت تعاتبه وتصر على انها لا تريد العيش مع «فكتور مخلص» ولكن مع «فكتور العاطفة» فهى لا تطلب أكثر من ان تكون صديقته المحبوبة ولا ترضى ان تكون « حبه الماضى » .. وكانت لفرط غيرتها تقول له « لو كنت ملكة ما سمحت لك بالخروج بدون قناع حديدى احتفظ انا بمفتاحه » ! لكن كانت هى التى تعيش فى قفص يحمل هو مفتاحه .

ماتت ليوبولدين بنت فكتور هوجو غرقاً هى وعريسها بعد زواجهما بأيام . ونالت منه هذه الكارثة ولكنها لم تضع حداً لنشاطه .. ففى أوائل ١٨٤٤ نشأت علاقة غرامية جديدة بين هوجو وبين ليونى دونيه ، وهى فتاة قيل انها من اسرة نبيلة ، هربت وهى فى سن ١٨ وعاشت مع فنان اسمه فرانسوا بيار ، تزوجها فى عام ١٨٤٠ وانعم على هوجو بلقب فايكاونت ودخل مجلس الشيوخ فى ١٣ ابريل ١٨٤٥ ، وفى ٥ يوليه ١٨٥٤ هاجم البوليس بناء على طلب الرسام بيار ، شقة فى حى سان روش كان فيها هوجو وليونى زوجة بيار معاً وقبض على المرأة وخلى سبيل هوجو لما له من حصانة برلمانية ، وسجنت ليونى عقاباً على خيانتها الزوجية واشارت الصحف الى الفضيحة وتدخل الملك شخصياً وطلب من الرسام ان يتنازل عن شكواه ضد هوجو ووعده بعمل يدر عليه مبلغاً طيباً .

كان فكتور هوجو ينسى نفسه وينسى كل قواعد اللياقة فى سبيل الحصول على من يختار من النساء ومنهن اليس أوزى ، احدى جميلات باريس وصديقة تشالز هوجو ابن فكتور .. وحدث أن أبدت الفتاة رغبة فى الحصول على اوتوجراف الشاعر الكبير وبيت أو بيتين من الشعر بخطه . ورتب ابنه اللقاء .. وفازت العبقرية على الشباب ، ورضخ الشباب لما استحالت مقاومته وكتب تشالز لفتاته التى خانته مع ابيه « وقف الابن بقلبه البرىء وحبه العميق واخلاصه اللانهائى فى جانب ، ووقف الأب بعظمته وجلاله فى جانب ، فاخترت العظمة والجلال .. لست الومك ، وليس فى العالم امرأة واحدة كانت تتصرف على نحو يختلف عن ذلك . على انى لست من القوة بالقدر الذى يمكننى من احتمال بؤس مقاسمة حبك مع غيرى » .

لما خرجت ليونى دونيه من السجن ارادت ان تنتقم من هوجو فبعثت بكل رسائله اليها الى جولييت فاصابت من هذه المسكينة مقتلا فكتبت لهوجو فى ٣٠ يونيه ١٨٥١ « أشكر لتلك المرأة انها لم تتردد فى ارسال كل دليل على خيانتك .. لقد طعنت قلبى دون رحمة وغاص خنجرها حتى مقبضه ، خنجر حبك لها سبع سنوات طوال .. كان ما فعلت يتسم بالسخرية والوحشية ولكنها كانت أمينة .. وهى لذلك تستاهل ان تكون شانقتى » .

ونظراً لما ساد فرنسا من قلق سياسي رحل هوجو أو قل نفى الى جزيرة جيرزى ثم الى جبرنزى من جزر بحر المانش حيث قضى أياماً سعيدة زاد فيها انتاجه الفكرى زيادة ملحوظة رغم انه كان قد تخطى السبعين .. واحتفظ قلبه ، كما احتفظ عقله بفتوته ، فلما اختارت جولييت ـ وكانت تدير بيته هناك ـ خادمة تتولى غسل الملابس ، فى مارس ١٨٧٢ ، فحصها هوجو بعين الخبير .. وكانت الخادمة بلانش فى سن ٢٢ جميلة متوسطة الثقافة تحفظ الكثير من شعر هوجو عن ظهر قلب .. وقضى هوجو زهاء عام ينسج خيوطه حولها ، يلاطفها ويكتب فيها اشعاره واخيراً وقعت فى حبه حتى كادت تجن من فرط هيامها به .

اكتشفت جولييت العلاقة فهيأت لها سبيل الرحيل واقنعتها بعدم الاتصال به وادخلت الرعب فى قلب الفتاة لما شرحت لها ان هوجو مريض بالقلب وانه قد يسقط ميتاً بين ذراعيها .. وان الفضيحة قد تقضى عليها . وانضمت الفتاة الى عدد من غزوات هوجو السوالف اللاتى كن يطالبن ببعض المال أحياناً ، فيدفع لهن ما شاء ويقول « الذى يكسر القلوب ، يدفع الثمن» .

أجمل زواج

فبراير ١٨٨٣ كان العيد الخمسين للقاء فكتور بجولييت ، وفيه أهداها صورته وكتب عليها « خمسون عاماً من الحب ، وهذا أجمل زواج » .. فى ١١ مايو ١٨٨٣ ماتت جولييت وهى فى السابعة والسبعين ودفنها فكتور حيث أوصت ، بجوار بنتها . ومات هو فى ٢٢ مايو ١٨٨٥ وهبت على باريس عاصفة بردية ونقلت رفاته فى موكب مهيب من ميدان « إتوال » الى «البنثيون» وشيع الجنازة أكثر من مليونى شخص وبكته فرنسا كلها .. كان من المشيعين من يحمل لافتات عليها اسماء بعض مؤلفات فكتور هوجو « البؤساء » ـ « أوراق الخريف » ـ « ٩٣ » .. على ان فرانسوا ـ فكتور ابن فكتور هوجو اصر دائماً على أن « اخطبوط البحر » كانت أعظم ما كتب أبوه .

جمال الكناني ـ لندن

دور العمائم في تاريخ مصر الحديث:

عمامة الشيخ محمد عبده

بقلم: فتحي رضوان

في تاريخ مصر الحديث ، عمامة ضخمة ، هي عمامة الشيخ محمد عبده . ونحن نعني بالعمامة ، المكانة وبعد الأثر ، والهيبة . فقد كان العلماء في مصر كلما كبر مقامهم ، وعلا نفوذهم ، لبسوا عمامات كبيرة .

وقد كان لمحمد عبده نفوذ في أكثر من مجال ، وكان له أثر في أكثر من جانب من جوانب الحياة . اشتغل منذ شبابه بالصحافة ، وبالاصلاح الاجتماعي ، ثم استدرج لعالم السياسة الهائج المضطرب، فنزل الى بحرها بقاربه الصغير ، وعرف الأمواج العالية ، والعواصف العاتية ، ثم كابد الاتهام والمحاكم فالسجن والنفي ، كما مر بتجربة الغربة الموحشة ، والحنين الى الوطن ، والعودة إليه ، يتوجس منه الحكام ويخافون نوازعه وما يخفي في أطواء صدره ، ثم اتصل بالحكام ، وجاورهم وظفر بصداقتهم ثم بعداوتهم . وكان في كل هذا معتدلا ، ينأى عن التطرف ، ومتطرفاً لا يطيب له إلا الوصول الى اقصى الغايات ، فكان وسطاً لا يخشاه أصحاب السلطة فتأثر أو يتعقبه الحكام ويصادرون ما يكتب . ورمي بالالحاد وضعف العقيدة ، واعتبر إماماً يؤخذ بفتواه . ومن ثم كبرت عمامته ، أي عظمت مكانته .

ويمكننا أن نقول بلا تجاوز إن محمد عبده تمثل جيله كله ، كما لم يفعل احد من اندداه او معاصريه ، سواء كانوا من اعدائه او خصومه ، او محبيه او مريديه . محمد عبده ، كان فلاحاً وازهرياً ، وطلب العلم الغربي ، واتقن الفرنسية ، وملك ناصية اللغة العربية ، وشغل الوظائف الصغيرة والكبيرة ، وسافر الى اوروبا وأقام فيها ، وعرف كبار الاجانب وصادقهم واتصل بكبار المصريين فكانوا اصحابه ولداته ، وكانوا من محبيه واعوانه ، ثم كانوا من اشد الناس كراهة له ، وبغضاً لاسلوبه ومنهجه . ولم يتيسر لغيره كل ذلك ، فسعد زغلول صاحبه الودود ، التمس شيئاً من العلم في الأزهر ، ولكن لم يكن ازهرياً قط ، فان القدر الذي حصله من العلم الأزهري ، ضئيل ، وصلته بالأزهر لم تطل ، ومصطفى كامل سافر إلى اوروبا ، كثيراً ، وعرف كبار الساسة والصحفيين ، ولكن لم يتح له ان يعرف تجربة السجن والمنفى ، ولا المرور من الأزهر الى الوظائف المدنية والدينية .

وهكذا كان محمد عبده ، فريداً في تاريخ مصر ، ومن ثم استطاع ان يوزع على



الشيخ محمد عبده .. كبرت عمامته وعظمت مكانته حتى اصبح لـه نفـوذ وتـاثير في كـل مكـان

منح عديدة فى حياة مواطنيه اثره .

ولد محمد عبده ، ابناً لفلاح ، فكان فلاحاً منذ عرف الحياة ، وكانت مصريته اصيلة ، ففى الريف يصنع اكثر المصريين ، ويرثـون صفاتهم ، وخصائصهم ، من صبر وجلد ، والمعية مدفونة ، ومواهب مطمورة .

وقد ظهر هذا اكثر ما ظهر فى محمد عبده ، فانه ولد فى قرية من اعمال محافظة البحيرة ، فارسله ابوه الى المعهد الاصيل ، اى الى الكتاب الذى تخرج فيه ، كل نوابغ وافذاذ مصر ، الطهطاوى ، وعلي مبارك ، وعبد الله فكرى .. الى آخر القائمـة المجيدة .

وحفظ الغلام (محمد) القرآن ، وهذا الحفظ دور من دور التنشئة والتعليم ، يمر بها كل طفل فى مصر قبل ان يرقى الى الدرجات العليا . ثم ارسله ابوه الى المعهد الدينى فى طنطا ، فى مرحلة من عمر التعليم فى مصر ، كان التعليم الدينى ، عقبة كاداء فى طريق كل طفل نابه ، تزهده فى العلم ، وتنفره من الدراسة ، وتثبط همته عند التحصيل . ولم يشذ الأمر عند محمد عبده ، فقد كان عند لحاقه بالمعهد الدينى فى الخامسة عشرة من عمره ، وقضى فى المعهد عاماً ونصف عام ، فحاول ان يتعلم فلم يتعلم ، وجهد ان يفهم فلم يفهم ، فزهد فى التعليم ، وفى الوصول الى درجات اعلى من حياة القرية وفلاحيها ، عاد الى قريته كاسف البال ، حزيناً ولكنـه لم يعد مسلماً بالضعف والعجز ، فقد كان يحس انه فشل لان الفشل فى تحصيل ذلك النوع من العلم هو النجاح بعينه . وكره ابوه ان يعود ابنه الى القرية ، وهو الذى يتوسم فى ابنه النجابة والذكاء ، والقدرة على ان يتفوق ويمتاز كان يعقد عليه الآمال الكبار ، فحمله قسراً الى المعهد ، فما كان مـن الطفل (محمد) إلا ان فر من قرية ابيه ، ومضى الى قرية اخرى ، يعيش خاله فيها . وفى هذه القرية ، تغير مسار حياته ، إذ لقى هناك (الشيخ درويش) . والشيخ (درويش) كان ينتمى الى طائفة (المثقفين) . وانا اعتبران (المثقف) رجل غير (المعلم).

فالمعلم يعطى الناس شيئاً من المعرفة الفعلية ، فيتعلمون كيف يكتبون ، وكيف يعرفون جمـع الأرقام وطرحها ، وضربها وقسمتها اى قواعد الحساب الأربع الأساسية . اما المثقف فلا يمنح الناس علماً إنما يمنحهم حباً للحياة ، ورغبة خفية فى تذوق اللذائذ العقلية ، فيسمع الشعر ويحفظه ، وينصت الى القرآن ، ويتفهم معانيه ، ويجالس الكبار يسمعهم ويكلمهم ، ويتلقى عنهم اشياء لا توجد فى الكتب ، فاذا هو انسان آخر . يبدو اكبر من عمره ، واكثر طموحاً من لداته وافصح لساناً ، وازكى وجداناً .. وبالجملة يصبح خلقاً آخر وتبارك الله خير الخالقين .

فالمثقف يصنع وجدان الناس ، وقد لا يكون هو ذاته قارئاً وكاتباً. كان الشيخ درويش غير متنطع ، ولا مبالغ . فكان إنساناً صالحاً ، وفاضت الدماء فى عروق محمد عبده فاصبح ينافس الشبان الآخرين فى الفروسية . وبدت الحياة اجمل مذاقاً ، والأمل فيها اعظم بكثير مما كان،وعـــاد (محمد) الى المعهد ، فاذا الغامض ينجلى ويتضح ، واذا المقعد المنفر يسفر عن وجه حلو جذاب ، وتحدث المعجزة ، فبعد ان كان (محمد) عاجزاً ان يفهم ولا ان يفهم نفسه ، اصبح يفهم زملاءه فيتحلقون حوله ويستمعون اليه .

عمامة الشيخ محمد عبده

وفرغ الشيخ الصغير (محمد عبده) من طلب العلم فى المعهد الدينى ، وسافر الى القاهرة ، ليلتمس العلم الازهرى ، فى اكبر جامعات الاسلام .

ولسنا نريد ان نحدثك عن حياته فى الازهر ، فالاجتهاد فى صوغ هذه الحياة شاق ، إذ ان للحياة الازهرية قوالب معروفة يدخل فيها جميع الطلاب ، سواء اتوا من ريف مصر ام من صعيدها ، وسواء كانوا مصريين او مغاربة او شواما او اتراكا او اكرادا . فكان يصحو عند الفجر ، فيصلى الصبح ، ويذهب الى الازهر ليحضر درس الفقه ويستمر فى الدرس الى الضحى . التلاميذ يجلسون على الارض ، والاستاذ يقرأ من (كرسى) . هذا (الكرسى) هو المصدر للتسمية الحديثة فى جامعات اوروبا التى نقلت عنها مصر ، والتى تطلق على كبير الاساتذة فى العلم ، فالاستاذ صاحب الكرسى فى التاريخ او الجغرافيا ، هو الاستاذ الكبير ، نقل الاوربيون عنا هذه التقاليد باسمائها ، ونسينا نحن اننا المصدر ، فنقلنا عنهم ، والاصل عندنا ، ولله فى خلقه شئون .

وفى كل سنة يدرس كتاب ، وكل هذه الكتب ، من تاليف المؤلفين فى العصور المتاخرة ، حينما كان اكثر العلم حشدا ، ملؤه الخزعبلات والاباطيل .

وكان من شيوخ ذلك الزمان الذين يشار اليهم بالبنان الشيخ احمد الرفاعى ، والشيخ عليش الذى وفد الى مصر من المغرب ، ثم الشيخ البسيونى ثم الشيخ حسن الطويل .

فى هذا الجو عاش محمد عبده اثنى عشر عاما من سنة ١٨٦٥ الى سنة ١٨٧٧ وقال عن نفسه انه قضى فى الازهر اثنى عشر عاما ، ولكنه قضى حياته كلها بعد ذلك يحاول تنظيف عقله مما حفظه فى هذه السنوات الاثنى عشرة .

وبعد ان اتم محمد عبده دراسته الازهرية ، وخرج الى الحياة العامة وكان السيد جمال الدين الافغانى ، قد وفد الى مصر ، وارتبطت اسبابه باسباب الشيخ الفتى ، فاوحى اليه بالدرس الاول فى الدعوة الى الاصلاح ، فصنع منه الداعية ، والرائد ، والثائر .

وإن كان جمال الدين الافغانى هو صاحب الاثر الاكبر فى حياة محمد عبده ، إلا ان الشيخ حسن الطويل كان اثرا لا يمحى ، فقد علم الشيخ محمد عبده ، شجاعة فى إبداء الراى ، وجراة فى التعبير عن النفس ، وزهدا فى الحياة وجراة على اصحاب المناصب والمقامات . وقد جنت هذه الشجاعة عليه فطرد من استاذية دار العلوم ، وخلت يده من النقود فاواه صاحب مقهى بلدى واخذ ينفق عليه فلما عاد الى العمل ، وقبض مرتبه ، دفع بالمرتب الى صاحبه صاحب المقهى البلدى وطلب منه ان ينفق من المرتب على كليهما .

● ●

ومجيء جمال الدين الافغانى ، مرحلة من مراحل الحياة العامة فى مصر . على الرغم من ان مصر فى تلك الحقبة وهى العقدان الاخيران من القرن التاسع عشر ، قد وفد اليها العديد من اهل البلاد العربية والاسلامية امثال عبد الرحمن الكواكبى ، واديب اسحق ، وفرح انطون ، وشبلى شميل ، وسليم نقاش ، وسليم تكلا ، إلا ان جمال الدين الافغانى ، كان نجم تلك الايام الساطع ، ومصدر القلق الروحى عند اكثر المصريين والمبشر بالثورات والاضطرابات والانقلابات .

وانا وإن كنت لا انكر ضخامة الدور الذى لعبه جمال الدين الافغانى فى اصطفاء محمد عبده ، وتاهيله للعمل العام بشقيه : الاصلاحى والثورى ، وفى إلقاء بذور الثورة التى تجسدت فى ثورة عرابى إلا اننى لا استطيع ان ادفع نفسى على القول بانه شخصية غامضة ، وإن اضطرابه وتنقله يثير الارتياب . وقد وضع الدكتور محمد حسين استاذ تاريخ الادب المصرى الحديث رسالة ذكر فيها ان السيد جمال الدين لم يكن افغانيا بل كان فارسيا (ايرانيا) وانه لم يكن سنيا بل كان شيعيا ، وانه كان يحيط نفسه اينما ذهب بيهود ، كان منهم يعقوب صنوع اليهودى المصرى الذى لا اخاله من دوافع صهيونية وهو يؤلب المصريين ضد الخديوى اسماعيل لتكمل الخطة التى ساهم فيها اليهودى دزرائيلى رئيس وزراء بريطانيا ، وروتشيلد كبير اعيان اليهود فى انجلترا ، و (جامبتا) اليهودى الفرنسى ورئيس وزراء فرنسا وهى الخطة التى انتهت باحتلال بريطانيا لمصر . وقد كان جمال الدين لا تطيب له الاقامة اينما ذهب إلا فى



جمال الدين الافغاني لعب دورا ضخما فى تاهيل محمد عبده للعمل العام .

(الجيتو) اليهودى اى حارة اليهود ، حتى فى مصر ، وكان ماسونيا صريحا ، وقد اقام محفلا للماسونية فى مصر . والماسونية هى إحدى شعب العمل الصهيونى . ولا يغير فى الامر ان يكون جمال الدين ثائرا .

ولقد استوقف نظرى امران : اولهما ان بريطانيا حينما نفته من مصر ، ارسلت به الى الهند ، حيث ملأ من المسلمين من جهة وحيث ضمائر الثورة ضدها ، متوافرة ومتكاثرة . فهل يتفق هذا مع مصلحتها .

وقد استوقف نظرى كثيرا ، تردد السيد جمال الدين على بريطانيا ، بعد عودته من الهند . مع ان بريطانيا هى التى عالنها بالعداء ، واثار عليها اتباعها فى كل مكان .

ولما زار الافغانى استانبول ، اكرم السلطان عبد الحميد وفادته . ولكنه وضعه فى قفص من حديد ، فقد كان يخشى لسانه ، وتحريضه على الثورة ، فى وقت كثر فيها اعداء تركيا ، الذين تزيوا بكل زى وظهروا فى كل مظهر ، وكان اكثرهم اذى لها دعاة الاصلاح ، والتحرر

ولكن لا يحسبن القارىء الكريم اننى اريد ان اقضى فى امر المجاهد الكبير ، والثائر المتجدد ، السيد جمال الدين الافغانى ، فى هذه السطور العجلى ، فهذا جرم لا اتورط فيه وخطا لا ارتكبه .

إنما هى خواطر ، تلح علي ، منذ قديم ، حاولت ردها عنى فلم استطع ، لغير هوى او غرض ، وقد جاء موقعها من هذا الكلام هنا ، فلم اتردد فى ايرادها ، مؤملا ان ينهض اهل الذكر ، بابداء الراى السليم ، واصحاب الحجة القاطعة .

● ●



عبد الرحمن الكواكبي جاء مع العديد إلى مصر من البلاد العربيـــة والاسـلامية .

جاء جمال الدين الأفغانى ، فوجد فى الشيخ محمد عبده ضالته المنشودة ، فقد خلق محمد عبده ، قوى الشخصية ، نافذ الأثر ، ميالا الى التغيير الكامل وإن كان به

الميل الى الاعتدال والاتئاد ، يصاحب غضباته الثورية ، ويعوله نحو الانقلاب ولو شابه عنف . وقد كان يشوب مزاجه عنف يغضب الناس ، وقد اجتمع هذا الميل فى كل من جمال الدين الأفغانى وسعد زغلول وكانوا الثلاثة : حلقات فى سلسلة واحدة .

وقد جاء جمال الدين الأفغانى يبشر بالثورة الاسلامية ، بحيث تنتظم هذه الثورة العالم الاسلامى كله ، فينتفض المسلمون فى الهند ، وفى الأفغان ، وفى ايران ، وشبه الجزيرة العربية ومصر والسودان وشمال أفريقيا ، فيسقط فى يد الاستعمار ، ولا يرى لنفسه مخرجاً ولا مناصاً . وكان جمال الدين مهيئاً لهذا العمل الضخم بثلاثة أمور امتاز بها : لسان حاد ذرب ، يقذف بحمم الغضب ، كانها قذائف المدفع .

وطبع حاد ، لا يهدأ معه صاحبه ، ولا يخاف ، ويابى معه الاكتفاء بالغايات والأهداف القريبة .

وهمة مادية جسمانية ، تحبب له الانتقال ، والاتصال ، والسفر .

وقد كان محمد عبده فى مطلع حياته ، تواقاً الى ما يستنفد حيويته ويرضى حبه للثورة ، ولو كان هذا الحب ، فكرياً ذهنياً . وقد اتصل بهذا الزعيم المتاجج والمؤجج عدد من الناس ، لكن لم يقع الاتصال بين احدهم وبينه ليكون الوعاء الكامل ، لما يريده ويدعو اليه السيد جمال الدين إلا محمد عبده . فابراهيم اللقانى ، وابراهيم المويلحى ، ومحمود سامى البارودى تاثروا به جميعاً ، ولكن وقفت به طباعهم عن المرتبة الدنيا من العمل السياسى الشامل .

لا نستثنى إلا أديب اسحق الكاتب السورى الشاب الذى خطفه الموت فى التاسعة والعشرين من عمره ، وكان جديراً بان يكون خليفته .

ولما عين محمد عبده ، مدرساً فى دار العلوم ، لم يعلم تلاميذه المواد التقليدية ، بل كان يدرس لهم كتباً فى التاريخ ، تمكنه من الحديث عن الثورة والانقلاب والتغيير. فقرأ كتاب «تاريخ المدنية الاوربية» تاليف السياسى الفرنسى الكبير «جيزد» ، كما قرأ لتلاميذه «مقدمة ابن خلدون» طليعة الفكر الاجتماعى الحديث .

كانت نفس محمد عبده تمور بالغضب على كل ما يجرى فى بلاده من بنى قومه من تكاسل وتخاذل ، وبلادة حس ، وسكوت على الاهانة ، وكذب فى الموعد ، وخيانة فى العمل ، اما ما كان من امر السياسة فى مصر ، فكان عنده امر وادهى ، ففى هذه الفترة انشىء صندوق الدين والمراقبة الثنائية ورأى بعينى راسه ، كيف يتوغل الحكم الاجنبى فى بلاده ، مقوضاً سلطتها، مبدداً هيبتها ، مذلا شعبها ، والناس لاهون لا يحركون ساكناً ، ولا يردون اذى .

ورأى استاذه جمال الدين الأفغانى ، فى هذه الظروف المشينة والمهينة ، الفرصة السانحة ليقذف بحممه ، ويستثير الشعب على العدوان الصارخ عليه ، محرضا تلاميذه وفى مقدمتهم اديب اسحق ، ليكتب بكل ما أوتيه من حرارة قلم . وكتب محمد عبده فى جريدة الأهرام ، وهى بعد فى مطلع حياتها ، بل فى السنة الاولى من عمرها ، ولم يكن قد اتم تعليمه وحصل على اجازة العالمية .

ووصلت الاحداث الى قمتها فنزل الخديوى اسماعيل عن عرشه ، وجاء ابنه توفيق ، ولكن جاء معه رياض باشا رئيس الوزراء الذى كان تواقاً الى اجراء اصلاح روحى واجتماعى ، إفدعا بطرس البستانى اللبنانى الى مصر ، وشجعه على ان يطبع دائرة معارف عربية ، كما شجع اخوان صروف على اصدار مجلة المقتطف اول مجلة علمية ، كما حضر شبلى شميل الثائر والمبشر بنظرية النشـــــوء والارتقاء الداروينية .

واصبحت الحياة فى مصر تفيض بالحركة ، وتموج بالجديد ، تاليفا وترجمة واقتباساً ، وراحت الندوات تعقد ، وحلقات العلم والأدب والسياسة تتجدد فى المقاهى وفى دور الأغنياء والاعيان فيما يسمى بالمنادر جمع (منظرة) من الانتظار والاجماع .

وتوج هذا السعى الحميد كله ، باصدار (مجلة الوقائع المصرية) وفتحها لقلم الشيخ محمد عبده ولصديقه عبد الكريم سليمان وللشيخ محمد خليل وابراهيم الهلباوى . فقرأ المصريون لأول مرة فى مجلة واحدة لاقلام عديدة ، لا تخطىء فى النحو ، ولا فى الصرف ، ولا تسف فى الرأى ولا النقد ، وتحلق فى سماء السياسة الكبرى ، باقوى الأجنحة .

ومكث الشيخ محمد عبده فى جريدة الوقائع المصرية يكتب وينقد ويقترح ويلهم بالأفكار ، ويوحى بالمشروعات ، حتى استطاع أن يجعل من هذه المجلة بداية لديوان المحاسبات يؤاخذ الموظفين ، ويضع يده على الأخطاء الجسيمة ، والهنات البسيطة ، وكبار الموظفين يخافونه ، ويحسبون حساب قلمه ، حتى استطاع ان يصدر قراراً وزارياً من رياض باشا يلزم جميع المصالح ، بان تكتب للجريدة عن الأعمال الهامة التى تنوى عملها ، كما الزم المحاكم ، بأن تنشر فيها جميع احكامها ، واطلق لسانه حتى فى وزارة الداخلية التى تتبعها (الوقائع المصرية) . وكان يصحح الأخطاء النحوية والاملائية فيما ياتى فى قرارات الدواوين ، ومديرى المديريات ، وقد نجحت هذه الحملة فالف مجلس اعلى لوزارة المعارف ، وقد ختير محمد عبده عضواً فى هذا المجلس الهام .

ولكن كان الى جانب المصلح محمد عبده ثوار ، يريدون الاصلاح طفرة ، ولا يقنعون بالتدرج .

فكانت الثورة .

فكيف كان موقف محمد عبده منها . لماذا أيدها ، ولماذا خالفها ، وكيف انتهى هو من الثورة الى الاعتدال ؟

أمور نتحدث فيها إن شاء الله فى العدد القادم .

فتحى رضوان



فصول أبي البهاء في خلقة الطب

بقلم

الدكتور عبد السلام العجيلي

قال لي أبو البهاء عندما لقيته منذ أيام :

ـ في آخر مقال لك وعدت قراءك بأن تحدثهم عن فصولي التي دبرتها للآخرين بدافع العشق والغرام . أرجوك الأحاديث في هذا الموضوع لم تعد تليق بي . فقد تجاوزت السن الذي يحلو فيه الكلام عن الحب وأحواله .

قلت ـ ولكنها مجرد رواية للذكريات القديمة يا أبا البهاء . ثم أن قرائي يطالبونني بمزيد مما أعرفه عن فصولك .

قال : لماذا لا تروي بعض تجاربي في ميدان الخدمة الطبية ؟ لا تنس اني كنت موظفاً في مديرية الصحة العامة ، وأن كثيراً من معارفي لايزالون ينادونني بلقب دكتور .

قلت : ذكرني ببعض هذه التجارب ، وأنا حاضر لروايتها .

قال : على عيني وراسي . هل سمعت بالمراة التي تدعى أنها بلعت في ذات يوم فرخ أفعى ، تحول إلى حية تسكن جوفها منذ عشرة أعوام ؟ .

قلت : أذكر أني قرأت مؤخراً تحقيقاً عن حكاية هذه المراة في الصحف .

قال : ساروي لك ما أذكره عن واقعة تماثلها حدثت منذ أكثر من عشرين عاماً . حالة مرضية عجز عن معالجتها أطباء المستشفى الوطني والجراحون الكبار ، واضطروا في النهاية الى الالتجاء إلي .

قلت مبتسماً في شك : عجز الأطباء والجراحون ، ونجحت أنت ؟!

قال : لا تعجب . عند أخيك أبي البهاء حل لكل عقدة . ساروي لك الواقعة بالتفصيل .

● ● ●

تلك الواقعة ، على ماروى أبو البهاء ، جرت لرجل من قرية قريبة من المدينة . رجل نحيل الجسم ، عصبي الحركات ، كان قد انفق كثيراً من المال في التردد على عيادات الأطباء الخاصة وانتهى أخيراً ، لقلة ذات يده إلى مستشفى الحكومة الكبير في المدينة يطلب عند اطبائه الشفاء من علته المستعصية .

عن علته ، كان الرجل يقول لكل من يلاقيه انها تعود إلى سنوات عديدة . ففي ذات يوم حار ، في الظهيرة ، كان نائماً القيلولة في الكرم فاحس ، وهو بين الحلم واليقظة ، بشيء يتسلل إلى بلعومه . انتبه من غفوته لهذا فلمحت عينه طرفاً دقيقاً ، كانه ذيل زاحف ، يتلوى بين شفتيه ثم لا يلبث أن يختفي في فمه . تصور انها حية دقيقة اخرجها حر النهار القائظ من جحرها واندست في فمه المفتوح ثم دخلت إلى معدته . لقد أحس بشيء يتحرك في معدته حقاً ، فركض نحو القرية يستنجد باهلها ويقول لهم أن أفعى دخلت بطنه .

أصيب أهل ذلك الرجل ، ولنسمه نحن موسى ، بالفزع في أول الأمر . سقوه ماء فاتراً مذاباً فيه ملح ، ودسوا في حلقه طرف حزام جلدي ، يريدون بذلك أن يجعلوه يتقيأ فيخرج ما في جوفه . ولما أفرغ كل ما حوته معدته لم يجدوا في ما أفرغ حية ، ولا حشرة ، لا صغيرة ، ولا كبيرة . قالوا له انه توهم شيئاً لم يحدث ، لعله رأى حلماً واختلط عليه الأمر فظنه حقيقة . أما هو ، موسى ، فكان مصراً على أنه ابتلع أفعى ، وعلى أن تلك الأفعى ترتع في أحشائه . صحيح أنه في الأيام التي تعاقبت بعد ذلك كان يأكل ويشرب ويعمل وينام كما يفعل الأصحاء ، ولكنه كان يقول لمن حوله أنه يحس بتلك اللعينة تنتقل في بطنه من مكان إلى مكان ، مرة في معدته ومرة في خاصرته ، تلكزهنا وتدغدغه هناك . لا تؤلمه ولكنها لا تتركه في راحة . وهذا ما ساقه إلى استشارة الأطباء واحداً بعد واحد ، دون أن يستطيع طبيب منهم انقاذه من بليته .

اولئك الأطباء ! ... كلهم أضجعوه على مناضدهم فجسوا بطنه وقرعوا صدره وظهره . منهم من أحاله إلى مخبر التحاليل أو أرسله إلى زميل له صوره بالأشعة . ومنهم من أدخل أنبوباً في بلعومه أو دس أصبعاً في شرجه . وكلهم انتهوا إلى أن قالوا له بأن جوفه خال من الحية التي يشعر هو بها تتنزه في أمعائه . بعضهم كان يودعه بابتسامه اشفاق ، وبعضهم بضحكة استهزاء ، ومنهم من انتهره وطرده من عيادته طرداً . ما منهم من ساعده مقدار ذرة في تخفيف شكواه ، وما منهم مع ذلك من تنازل عن فلس من أجر معاينته . وهذا ما أفرغ جيب موسى من محتواه ، واستنفد تلك القروش القليلة التي جمعها لأيامه السوداء ، وجعله في النهاية يلجأ إلى طلب العناية المجانية من مستشفى الحكومة في المدينة الكبيرة .

وفي هذا المستشفى لقي موسى أبا البهاء . كان أبو البهاء آنذاك مجرد موظف اداري في المستشفى ، إلا أن أساليبه الضاحكة في حل المشاكل الادارية ، وأحياناً في تعقيد تلك المشاكل ، جعلت له شهرة خاصة بين زملائه

الموظفين ، وبين الأطباء ، وبين المرضى كذلك . استدعاه رئيس الأطباء فى المستشفى ذات يوم وقال له : يا أبا البهاء ، لابد أن لديك طريقة تقنع بها هذا الرجل الذى اسمه موسى والذى ازعجنا بتردده علينا وبالتوصيات التى يحملها إلينا من كل جانب تطلبنا بان نخرج الحية التى تعيش فى بطنه منذ عدة سنوات ، تقنعه بانه مريض بالوهم ، لا صورنا الاشعاعية ، ولا التحاليل المخبرية ، ولا تنظير الجهاز الهضمي ، كشفت لنا عن شيء غير عادي فى جوفه . لعلك بذلاقة لسانك تقنعه أن ما يشعر به هو مجرد تشنجات عصبية فى كولونه وقرقعة غازات فى أمعائه الدقيقة والغليظة ...

قال أبو البهاء : كنت أعرف جيداً حكاية موسى هذا وحكاية غلاظاته التى فرغ منها صبر أطباء مستشفانا ، فقلت لرئيس الأطباء حين حادثني بأمره :

ـ ياسيدي ، لقد رأيت ملازمة هذا الرجل للعيادات وسمعت توسلاته إلى السادة الأطباء ومشاحناته مع المرضى والحجاب . ما أظن ذلاقة اللسان تفيد فى اقناعه . فاذا اذنت لي خلصتك منه بطريقة أخرى .

قال : لك منى ما تريد . كيف تخلصني منه ؟

قلت : الأمر بسيط . افتح لك بطنه .

حسبنى رئيس الأطباء امزح ، فقال وهو يضحك : ليس إلى هذه الدرجة ... لا أريدك أن تخلصنى من الرجل بان تقتله .

قلت : معاذ الله ياسيدي . انا تربية يدك . كل ما أريده أن تسمح لى باستعمال غرفة الجراحة عشر دقائق ، ولك منى بعدها أن ارى صاحبنا بعينيه تلك الحية التى لم تكتشفوها انتم وقد خرجت من بطنه ...

وتابع أبو البهاء روايته بقوله :

ـ كنت أعرف أن أطباء الدنيا كلهم لا يستطيعون اقناع موسى بأن ما من حية فى جوفه مادام يحس بها تتجول فى أمعائه ومادام يسمع ، كما يقول ، أحياناً فحيحها بأذنيه .

فى صباح اليوم التالي جلست فى غرفة المعاينة وطلبت من الحاجب أن لا يطرد موسى كما اعتاد أن يفعل كل صباح ، بل ليدخله إلي باعتبارى جراحاً جديداً فى المستشفى . انا كما ترى لا أقل في الأناقة وهيبة المظهر عن أنق اطبائنا واكثرهم رزانة . أضجعت موسى أمامى بعد أن عريته من ثيابه ، ورحت افحصه بالقرع والجس والاصغاء من رأسه إلى أخمص قدمه . وبينما كنت أجيل يدي على بطنه الهزيل امسكت بعروة من عرى امعائه ، متشنجة تحت الجلد ، وصحت : هذه هي ؟ قال موسى : ما هي هذه ؟ قلت : انها حية ... لابد انك بلعت حية فى ذات يوم يارجل ! فتهلل وجهه فرحاً برغم الم القرصة التى كنت ألوي بها جلد بطنه وصاح : انت والله الطبيب الذى ما فوقه طبيب ... أبوس ايدك ، خلصنى منها ...

قال أبو البهاء : ولم يكن خلاص موسى من حيته أمراً عسيراً علي . أصدرت أوامري بلهجة الجراح الواثق من نفسه الى الممرضين بنقل موسى إلى غرفة العمليات .

التخدير فى تلك الأيام لم يكن يمارسه اختصاصيون بآلات معقدة وأدوية متعددة كما فى هذه الأيام . وضعت على وجهه قناع الكلوروفورم فنام سريعاً ، ولدقائق قليلة كانت كافية لأشرط بطنه بشق سطحي لايقل طوله عن عشرة سنتيمترات . هل تستكثر هذا على أبى البهاء ؟ لعلك لا تعلم انى ، فى سنوات عديدة ، كنت اساعد الدكتور مفيد فى مستوصفه الجراحي كل ساعات بعد الظهر . ثم إنى خطت ذلك الشق بخيط معقم حقاً ، ولكنه كان أغلظ خيط وجدته تحت يدي فى ذلك اليوم . وبدا موسى يفيق من أثر المخدر حين كنت اعقد الخيط على جرحه ، فكان لابد له أن يصرخ مما يحسه من الم . غير أن صراخه تحول إلى ابتسامة ثم إلى ضحكة سرور حين أشرت له إلى طاولة كانت بجانب رأسه وإلى وعاء زجاجي مختوم على تلك الطاولة تلتوي فيه على نفسها حية غليظة مرقشة . كنت أحضرت تلك الحية من صاحبي عبد الوهاب ، وهو صيدلي كان يحتفظ بها محنطة فى وعائها الزجاجي على أحد رفوف صيدليته منذ افتتاحها . قلت لموسى وأنا أشير إلى تلك الحية فى الأناء :

ـ هذه أفعاك ياموسى . قبل يدك ظهراً وبطناً واشكر الله الذى أعانني فى انقاذك منها ...

● ● ●

قلت لأبي البهاء وأنا معجب بطريقته فى الوصول إلى ما عجز عنه نطس الأطباء :

ـ وهكذا أعدت موسى إلى قريته معافي ، وأرحت الأطباء من رؤيته صباح مساء .

فهز أبو البهاء رأسه ، كان عنده تتمة للحكاية وقال : الصحيح أن موسى شفى من كل أوجاعه منذ ما رأى ندبة الجرح العريض على جلد بطنه وعاين الحية ملتوية على نفسها فى الوعاء الزجاجي . إلا انه مع ذلك لم يهجر المستشفى ولا ترك ملاحقة الأطباء . كان يقول لهم : كيف أتركم وفضلكم فى عنقي وشفيتموني من هذه البلية ... أؤمروني ، أخدمكم بعيوني ! أصبحت ملازمته للمستشفى واطبائه ومرضيه بلية جديدة ، وكان علي أن أتدخل مرة أخرى ...

قلت : أنت لها يا أبا البهاء ! وماالذى فعلته بموسى هذه المرة ؟

قال : هذه المرة لم أعالج موسى ، وإنما توجهت بمعالجتي إلى رئيس الأطباء نفسه .

وضحكت وقلت : ماذا هل شققت بطن الرئيس أيضاً ؟

فلم يتوقف أبو البهاء عند ضحكتي ، وإنما استمر قائلا : تحدثت إليه ، إلى رئيس الأطباء ، وأفهمته بأنه ، مادام موسى مواظباً على الحضور إلى المستشفى منذ الصباح حتى انصراف الأطباء إلى بيوتهم ، فمن الخير أن يعين عاملا باليومية . إنه قادر على العمل . وبذلك تصبح مواظبته قانونية ومفيدة فى أن واحد ...

قلت : اقتراح وجيه ، فهل اقتنع رئيس الأطباء بوجاهته ؟

قال : وكيف لا ؟ لقد الف المسكين موسى المدينة بشوارعها النظيفة وظلالها الكثيفة ، فما كانت معقولة عودته إلى ضيعته . أصبح موظفاً . وهكذا تراني حللت مشكلته بما أفاده وأفاد المصلحة العامة .

قلت : مرحى يا أبا البهاء . وماذا كانت مكافأتك على هذا الحل البديع ؟

قال : كأنك لا تعرفني ياصاحبي . المكافأة يطلبها غيري ، أما أنا ، فانما نخدمكم لوجه الله لا نريد جزاء ولا شكوراً ...

قال أبو البهاء هذا بلهجته المترفعة اللامبالية التى يختم بها عادة حديثه عن كل فصل من فصوله ، وذلك قبل أن يودعني إلى لقاء قريب ورواية فصل جديد .

د . عبد السلام العجيلي

وثيقة تاريخية بالغة الأهمّية

في المسألة الصهيونية الفلسطينية بالكونجرس الأمريكي (١٩٤٣ - ١٩٤٥)

مشروع الكونجرس لإنقاذ يهود أوربّا!

● لقد نفذ صبر اللجنة العاجلة ، ولم تعد تقتنع باجراءات انقاذ يهود اوربا من خلال اللجنة الدولية المشتركة ، أو من خلال الجهود المتقطعة التى تبذلها وزارة الخارجية الامريكية . وقد تاكد لها ذلك بعد ان تسربت انباء فشل مؤتمر برمودا لتنظيم جهود اللجنة الدولية المشتركة . ومن ناحية أخرى فان اللجنة العاجلة كانت ترى ان اللجنة الدولية اعجز من ان تحل مشكلة اليهود لأن مهامها كانت تنحصر فى توطين اللاجئين الدوليين بشكل عام وقبل ان يبدأ هتلر هجومه المكثف على يهود المانيا . ومن ثم فقد سعت الى فصل قضية اليهود عن قضية اللاجئين الدوليين . وكانت تخطط لأن تقوم الحكومة الامريكية بانشاء هيئة خاصة لمعالجة المشكلة تخترق الحواجز التى تضعها ادارة التاشيرات بوزارة الخارجية .

وتحقيقاً لذلك دعت اللجنة العاجلة لعقد مؤتمر طارىء بنيويورك فى يولية ١٩٤٣ (١) ، لمناقشة كيفية انقاذ اليهود ، انعقد لمدة ستة أيام . واشترك فى هذا المؤتمر امريكيون من كل الاحزاب والفئات . اذ اشترك فيه خبراء لدراسة المشكلات الفنية المتعلقة بانقاذ اليهود . ومن هؤلاء الخبراء قيادات عليا من الجيش والبحرية الامريكية بينهم الادميرال يارنيل Yarnell ، ومسئولون عن المواصلات ، وخبراء فى التخطيط الاقتصادى . كما اشترك فيه عدد من اعضاء مجلس الشيوخ ، وعدد من القيادات الدينية المسيحية بينهم الاسقف هنرى اسقف سانت جورج توكر Tucker ، ورئيس فيدرالية عمال امريكا (المستر جرين) ، ورئيس مجلس المنظمات الصناعية Congress of Industrial Organizations المستر موراى Murray) ، كما كان رئيس شرف المؤتمر المستر سبنجلر Spangler رئيس لجنة الحزب الجمهورى بنيويورك . وحضره ايضاً توماس واطسون من شخصيات الحزب الجمهورى المرموقة ، ووندیل ویلیکی Wendell Willkie المرشح الجمهورى فى انتخابات الرئاسة الامريكية قبل رئاسة روزفلت .

وعلى هذا فقد كان الحزب الجمهورى اكثر نشاطاً من الحزب الديموقراطى فى هذه المسالة . وقد يرجع ذلك الى التنافس الحزبى بينهما ، ومحاولة الجمهوريين كسب أصوات اليهود لانتخابات الرئاسة الامريكية لأخذها من الحزب الديموقراطى .

لقد ضم المؤتمر اذن خبراء من كل جانب وانعقد فى شكل ندوات يناقش كل منها فرعاً من الفروع المرتبطة بالعملية ، مثل المواصلات والنقل والعلاقات الدولية . ولقد رأس ندوة العلاقات الدولية هوفر وهيرست (عن غير اليهود) ، وايكس Ickes وماكس ليرنر الاستاذ بكلية وليامز (عن اليهود) . وشارك فيها اناس يعرفون أوربا معرفة جيدة ، اذ كان بينهم الكونت سفورزا الذى كان لاجئاً فى الولايات المتحدة ، وايضاً رئيس وزراء رومانيا السابق . ولقد عرضت فى هذه الندوة عدة اقتراحات لعلاج المشكلة اهمها ان تقوم السلطة التنفيذية المختصة فى الحكومة الامريكية بتعيين جهاز بشكل او باخر يكون مختصاً فقط بعلاج هذه المشكلة .

وقد انتهى المؤتمر الى امكانية التغلب على اية مشكلة تواجه عمليات الانقاذ ، وذلك بانشاء ملاجىء مؤقتة فى اراضى دول الحلفاء تقبل ايواء اى يهودى ينجح فى الهرب من أوربا ، واعتبار ذلك لجوءاً سياسياً لا يجب انكاره على الذين يواجهون خطراً ما حقاً .

وعلى هذا فقد قدمت اللجنة العاجلة بعد انتهاء المؤتمر اقتراحاً محدداً بشان تشكيل وكالة agency حكومية لانقاذ يهود أوربا باسم Government Agency to Save the Jews of Europe

وقام المشتركون فى المؤتمر من أعضاء الكونجرس ومجلس الشيوخ بصياغة مشروع قرار من واقع ذلك الاقتراح لتقديمه لكل من المجلسين . اما الذين اشتركوا فى هذه الصياغة فكانوا السيناتور جيليت

بقلم : الدكتور عاصم الدسوقي

في العدد السابق تناولت هذه الدراسة مقدمات الاقتراب الامريكى من المسألة الصهيونية ـ الفلسطينية ، وكيف ان هذا الاقتراب يعود الى عام ١٩٤٢ حينما أعلن هتلر عن سياسة « الحل النهائى » التى تتمثل فى القضاء على اليهود . وإزاء هذا لم يجد يهود المانيا مفراً من الهروب خارج أوربا . غير أن « المكان » الذى يلجأ اليه هؤلاء الهاربون كان يمثل مشكلة كبرى لم تكن فى الحسبان .. كانت فلسطين هدفهم .. لكن الكتاب الأبيض البريطانى لعام ١٩٣٩ ادى الى تضييق فرص هجرة اليهود الى فلسطين . وفى نفس الوقت ظهرت بالولايات المتحدة موجة معادية لهجرة الأجانب اليها منذ الأزمة العالمية (٢٩ / ١٩٣٠) وفى أعقابها .

وأمام هذا المأزق الذى وقع فيه يهود أوربا بدأت عناصر نشطة من يهود فلسطين التى دخلت الولايات المتحدة منذ ١٩٤٠ بهدف تحريك الرأى العام الامريكى نحو تفهم قضية يهود أوربا ومساعدتهم . وقد أسست هذه العناصر عدداً من المنظمات الصهيونية لهذا الغرض كان أهمها قاطبة « اللجنة العاجلة لانقاذ يهود أوربا » .

ثم اتجه نشاط المنظمات الصهيونية فى امريكا الى اختراق السلطة التشريعية المتمثلة فى الكونجرس وصولا الى تشريع رسمى بانقاذ يهود أوربا . وقد لعبت اللجنة العاجلة الدور الأكبر فى هذه الخطوة ، وهذا هو موضوع الجزء الثاني من الدراسة بعنوان « الكونجرس ومشروع انقاذ يهود أوربا » .

Gillette (عن ولاية ايوا Iowa) ، والسيناتور تافت Taft ، وعضوا الكونجرس جوزيف كلارك بولدوين (جمهورى ونائب نيويورك) ، وويل روجرز (ديموقراطى ونائب كاليفورنيا) ، بل ان جيليت وتافت كان لهما الفضل الأكبر فى الصياغة .

وطبقاً لأسلوب العمل البرلمانى بالولايات المتحدة لم يكن من الممكن تقديم مشروع واحد بتوقيع الأربعة الى كل من مجلس الشيوخ والكونجرس ، بل ان اسلوب العمل بمجلس الشيوخ لم يكن يسمح الا بوضع اسم واحد فقط على المشروع . ومن هنا تقدم السيناتور جيليت بالمشروع الى مجلس الشيوخ فى نوفمبر ١٩٤٣ ، كما تقدم به للكونجرس كل من روجرزوبولدوين فى نفس التاريخ (٩ نوفمبر برقم ٣٥٠ ، ٣٥٢ لسنة ١٩٤٣) ومن هنا كان المشروع يعتبر مشروعاً امريكياً قومياً اذ اشتركت فيه العناصر الديموقراطية والجمهورية والهيئات والمنظمات المختلفة .

غير ان المشروع المقدم للكونجرس اختلف عن المشروع المقترح من اللجنة العاجلة فى مصطلح هام وجوهرى . فالمشروع المقترح من قبل اللجنة كان ينص كما سبقت الاشارة على تشكيل وكالة agency . اما المشروع المقدم للكونجرس فقد استبدل الوكالة بكلمة هيئة commission لانقاذ يهود أوربا باسم Commission to effectuate the rescue of the Jewish people of Europe

ولم يكن هذا التغيير مجرد تغيير فى الالفاظ ، ولعله يعكس محاولة امريكية لعدم الزام امريكا بالتورط فى حل قضية اليهود بما يؤدى الى تعارض مع الوجود البريطانى فى فلسطين ، خاصة ، وان الامريكيين كانوا يعلمون آنذاك نية الحركة الصهيونية فى ضرورة فتح ابواب فلسطين وهو ما سوف نلمسه بالتفصيل فيما بعد . وعندما اشار برجسون فى شهادته امام لجنة الاستماع (٢) الى هذا التغيير الجوهرى ، سئل عن الفرق بين الكلمتين (وكالة وهيئة) فقال ان « وكالة » تعنى القيام بخطوات عملية تنفيذية وهو المطلوب ، اما « هيئة » فتعنى القيام بمزيد من الدراسة حول الشىء . كما قال انه عمل على ان توضع كلمة لجنة Committee بدلا من هيئة ، لكنه اخفق فى مسعاه .

اما مشروع القرار المقدم للكونجرس ولمجلس الشيوخ بتاسيس هيئة لانقاذ يهود أوربا باسم Commission to effectuate the rescue of the Jewish people of Europe فينص على ما يلى (٣) :

« لما كان الكونجرس الامريكى ومجلس الشيوخ قد عبرا عن ادانتهما فى ١٥ مارس ١٩٤٣ لما قامت به المانيا النازية من مذابح جماعية لليهود رجالا ونساء واطفالا ، واعتبار ما حدث جريمة كبرى ادت الى التخلص من نحو مليونين من البشر يمثلون حوالى ٣٠٪ من اجمالى يهود أوربا وهى عملية تزداد وطأة وتركيزاً كلما شعرت المانيا بقرب هزيمتها ..

ولما كانت تقاليد العدالة والانسانية الامريكية تملى استخدام كل الوسائل الممكنة لانقاذ يهود أوربا الاحياء من هذا المصير ، وهم حوالى أربعة ملايين حرمها النازيون من المأوى ..

لهذا فان الكونجرس يطالب بتكوين هيئة يدعو الى انشائها رئيس الجمهورية تضم خبراء فى الشئون الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية لوضع خطة عاجلة لانقاذ يهود أوربا الأحياء من الابادة على يد المانيا النازية » .

وغنى عن البيان القول بان مشروع قرار الكونجرس هذا كان يهدف الى اجبار حكومة روزفلت على تجاهل الاجراءات القائمة بشأن اللاجئين الدوليين بشكل عام وانشاء هيئة ادارية جديدة تستطيع تحقيق اجراءات عاجلة لانقاذ اليهود الذين نجحوا فى الهروب من البلاد الأوربية التى خضعت للقوات النازية .

مشروع الكونجرس لإنقاذ يهود أوربا !

ولما كان المشروع يهدف بشكل محدد الى ايواء اليهود وليس اللاجئين بشكل عام ، فان اوضاع فلسطين قد فرضت نفسها على جلسات الاستماع ـ كما سنرى ـ من حيث القيود التى فرضتها بريطانيا على الهجرة الى فلسطين . غير ان رئيس هذه الجلسات (صول بلوم) أعلن أكثر من مرة انه ليس من اختصاص هذه الجلسات مناقشة مثل تلك الموضوعات ، كما اعلن ان الكونجرس لا يفكر فى ممارسة ضغوط على بريطانيا فى هذا الخصوص اكتفاء بتنسيق التعاون مع انجلترا فى مواجهة الخطر الالمانى .

وقبل ان ننتقل الى ما دار فى جلسات الاستماع وما انتهت اليه ، تجب الاشارة الى انه لم يتم التصديق على مشروع القرار ابدا رغم حرص رئيس لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس (صول بلوم) على ان تقوم لجنته بعمل شىء ايجابى لاراحة اليهود من « آلامهم » ، وخوفا من انتقاد العالم الخارجى فى الاذاعة والصحافة لهذه اللجنة اذا ما فشلت فى القيام بشىء .

• • •

وبينما لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس تعقد جلساتها لمناقشة مشروع القرار المقدم بشان العمل على انقاذ يهود أوربا ، وقع أمران دفعا برئيس اللجنة الى عقد جلسات استماع hearings للتعرف على مختلف الجوانب والاستماع الى مختلف الاراء ووجهات النظر من كل الاطراف المعنية دفاعا عن « نزاهة » الكونجرس . وكان الأمر الأول يتلخص فى البرقية المطولة التى ارسلتها اللجنة العاجلة بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩٤٣ لمختلف الشخصيات الامريكية والتى اشير فيها الى مشروع القرار المقدم للكونجرس بشان تشكيل هيئة الانقاذ ، وكيف ان المطلوب هو « تحريك الرأى العام فى الولايات المتحدة لتمرير مشروع القرار بالقوة ومساعدة مكاتب اللجنة العاجلة فى واشنطون ولندن وفلسطين وتركيا لمواصلة العمل على نطاق واسع » .. كما اشارت البرقية إلى ان اللجنة العاجلة تترقب الاسهامات المالية ممن تصله البرقية (٤) .

على ان الذى اثار رئيس لجنة الشئون الخارجية حقيقة ما ورد فى البرقية بشان استخدام الأموال لتمرير مشروع القرار بالقوة بالضغط على الكونجرس للتصرف . وزاد من حساسية الموقف ان رئيس اللجنة صول بلوم يهودى العقيدة وان كان قد اعلن اكثر من مرة انه مواطن امريكى فى المحل الأول ، وانه لا يسمح باستخدام العقيدة سلاحا للتشهير بنزاهته فى مثل تلك الامور .

اما الأمر الثانى الذى جعل جلسات الاستماع امرا أكثر الحاحا ، ما ورد فى البرنامج الاذاعى Confidentially Yours بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٩٤٣ ، حيث اشار مقدم البرنامج آرثر هيل A. Hale الى الخلاف بين المنظمات والمجموعات اليهودية حول ما يجب عمله لانقاذ يهود أوربا ، وان جلسات الاستماع المقرر عقدها يوم الجمعة ١٩ نوفمبر ، تعقد فى وقت غير مناسب قبل اعداد الشهود اللازمين ، وفى غيبة ويل روجرز فى كاليفورنيا وهو أحد مقدمى المشروع للكونجرس الذى عليه كما قال مقدم البرنامج الاذاعى ان يسرع فى العودة الى واشنطون لقيادة المناقشات حول المشروع . كما اشار البرنامج ـ وهذا ما اثار صول بلوم ـ الى ان عدداً كبيراً من المجموعات اليهودية تشارك صول بلوم الرأى فى معارضة أى اجراء تتخذه الحكومة الامريكية للمساعدة على انقاذ اليهود (٥) .

والحق ان صول بلوم كان قد دعا بالفعل لجلسات الاستماع فى اليوم التالى لتقديم مشروع القرار للكونجرس (١٠ نوفمبر) . غير ان ويل روجرز أحد مقدمى المشروع طلب ارجاء الجلسات مؤقتا . فلما وضح أمر البرقية ، اتصل صول بلوم بروجرز (الثلاثاء ١٦ نوفمبر) واخبره بانه سوف يعقد جلسات الاستماع يوم الخميس (١٨ نوفمبر) ، ثم تاجل الانعقاد الى يوم الجمعة (١٩ نوفمبر) بسبب تواجد وزير الخارجية الامريكى كورديل هال فى جلسة دعا اليها الكونجرس يوم الخميس .

• • •

على كل حال .. ففى ١٩ نوفمبر ١٩٤٣ (يوم الجمعة) بدأت لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس فى عقد جلسات الاستماع . وكانت اللجنة برئاسة صول بلوم من الحزب الديموقراطي (نائب نيويورك) ، وتضم بالاضافة اليه أربعة عشر عضواً من الحزب الديموقراطي ، واحد عشر عضواً من الحزب الجمهورى (٦) .

اما الجلسات التى عقدتها فقد بلغت خمس جلسات خلال المدة من ١٩ نوفمبر الى ٢ ديسمبر ١٩٤٣ استمعت خلالها الى شهادات وبيانات أربعة عشر شخصاً يمثلون مصالح مختلفة على النحو التالى :

ـ جلسة الجمعة ١٩ نوفمبر ١٩٤٣ حيث استمعت فيها الى كل من : دين الفانج أحد رؤساء اللجنة العاجلة لانقاذ يهود أوربا ، ووليام زيف W. Ziff ويعمل ناشراً وكاتباً ويقيم فى بورت توباكو بولاية مريلاند بواشنطون ، وبيتر برجسون أحد رؤساء اللجنة العاجلة ، وجوزيف كلارك بولدوين نائب الكونجرس عن نيويورك واحد مقدمى مشروع القرار ، وهربرت مور أحد نواب رؤساء اللجنة العاجلة .

ـ جلسة الثلاثاء ٢٣ نوفمبر ١٩٤٣ وقد خصصت للاستماع الى بيتر برجسون فقط للمرة الثانية .

ـ جلسة الأربعاء ٢٤ نوفمبر حيث استمعت إلى كل من : السيدة فرانسيز جونثر زوجة المعلق الصحفى جون جونثر وامينة صندوق اللجنة العاجلة ، وفيوريللو لاجواردييا Fiorello La Guardia عمدة نيويورك .

ـ جلسة الجمعة ٢٦ نوفمبر ١٩٤٣ وقد خصصت للاستماع الى بريكنريدج لونج مساعد وزير الخارجية الامريكى .

ـ جلسة الخميس ٢ ديسمبر ١٩٤٣ حيث استمعت الى كل من : ويل روجرز نائب كاليفورنيا واحد مقدمى مشروع القرار وآرثر هيل الاذاعى فى Mutual Broadcasting System, WOR Artists Bureau ومقدم برنامج Confidentially Yours الذى سبقت الاشارة اليه ، ولويز هاينز عن فيدرالية عمال امريكا ، والحاخام ستيفن وايز رئيس المؤتمر اليهودى الامريكى American Jewish Conference ، وادوين جونسون عضو مجلس الشيوخ عن ولاية كولورادو ، وكيرمت ايبى Ebby عن مجلس المنظمات الصناعية ، وبيتر برجسون للمرة الثالثة .

• • •

كان دين الفانج أول المتحدثين امام لجنة الاستماع حيث القى بياناً مطولا (٧) وقد قال فى بيانه ان تاسيس «هيئة الانقاذ» بمعرفة الحكومة الامريكية جاء متاخراً جداً وبعد ان نجح هتلر فى ابادة ما يقرب من مليون يهودى .. وان اخفاق امريكا فى معالجة هذه الأزمة يعد تخليا عن سياستها الانسانية التى اتسمت بها منذ زمن طويل . ثم أخذ يقارن بين خسائر اليهود وخسائر سائر الشعوب الأوربية التى اضيرت من الحرب ووصل الى نتيجة تقول ان خسائر بريطانيا وتشيكوسلوفاكيا وبولندة وروسيا قل من ــ من خسائر اليهود الذين فقدوا ما يقرب من ٣٠٪ من اجمالى عددهم فى اوربا او ما يساوى ١٥ مليون من البريطانيين ، و ٦٠ مليوناً من الروس ، و ٤٠ مليوناً من الامريكيين .

ثم اشار الفانج الى ان البيانات التى صدرت عن الحلفاء سواء فى موسكو او فى اوتاوا أو فى اى مكان آخر ،تجاهلت ذكر اليهود بالاسم وما يعانونه من اضطهاد ، وان اشارت اجمالا الى ضحايا هتلر من الاوربيين بشكل عام ، فى الوقت الذى لم ينس فيه هتلر ابداً ان يهاجم اليهود فى اى خطبة أو بيان له .

ثم اشار الى الجهود التى تبذلها اللجنة العاجلة التى يمثلها ، والى انها وضعت خطة محددة لانقاذ البقية الباقية من اليهود وعددهم أربعة ملايين . وبعد ان اشار الى مشروع القرار (رقم ٣٥٠ ، ٣٥٢) المقدم للكونجرس ، وان الخطوة الأولى التى يجب ان تتخذها الولايات المتحدة فى سبيل انقاذ اليهود هى التصديق على مشروع القرار واعطاؤه الصفة القانونية اللازمة ، قال ان الخطوات التى يمكن ان تتخذها اى وكالة أو هيئة حكومية فى هذا الخصوص تتكون من شقين اساسيين :

الشق الأول ويتلخص فى اجبار المانيا النازية على ايقاف القتل الجماعى الذى تمارسه .

والشق الثانى يتلخص فى نقل اليهود من البلاد الخاضعة للنازية الى اقاليم خارج نطاق سيطرتهم .

وفيما يتعلق بالشق الأول قال الفانج انه يجب على دول الحلفاء اصدار بيان محدد يتعلق بالتعذيب الوحشى الذى اقترف ضد اليهود ، وتحذير كل من رومانيا وبلغاريا والمجر وحكومة فيشى الفرنسية من تعريض انفسهم للعقاب اذا ما ارغموا مواطنيهم اليهود على الخروج ليقعوا فى قبضة النازى .

واما بخصوص الشق الثانى فقد قال الفانج ان على كل البلاد الأوربية والاراضى التى تتبع دول الحلفاء ايواء أى يهودى يتمكن من الهروب من « مصيدة موت النازية » ، وان على الدول المحايدة ان تفتح ابوابها امام اليهود ، وان تقيم فيها معسكرات خاصة لاقامة كل اليهود الذين يهربون من المانيا . وهذه الدول كما حددها الفانج هى : تركيا والسويد وسويسرا والبرتغال واسبانيا ومراكش والجزائر وليبيا . وعندما يتم هذا تصبح مشكلة هؤلاء اليهود جزءاً من مشكلة اللاجئين الدوليين التى تدخل فى اختصاص اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين . ومن هذه المعسكرات الخاصة وبمساعدة اللجنة الدولية يمكن نقل اليهود الى مختلف الأراضى المحايدة واراضى الحلفاء ليعيشوا فيها وبصفة خاصة فلسطين التى يمكن ان تستوعب ستمائة الف يهودى .

على ان الفانج ينبه سامعيه بأن هناك فرقاً جوهرياً بين مشكلة اليهود ومشكلة اللاجئين الدوليين ، لأن اللاجئين يتم انقاذهم ــ كما يقول ــ بتوفير الطعام والدواء لهم ، اما اليهود فانقاذهم لا يتم الا بنقلهم الى معسكرات إيواء خاصة . وهو يذكر فى ثنايا كلامه انه ليس مهما الآن ما إذا كان البعض يعتبر اليهود أمة nation أو جنساً race أو أصحاب عقيدة دينية معينة . فمثل هذه التوصيفات لا تتصل بموضوع انقاذهم خاصة وان هتلر ــ فى رأيه ــ يبيد اليهود لأنهم مجرد يهود .

وبعد ان انتهى دين الفانج من القاء بيانه بدأت المناقشة معه بسؤال من تشارلز ايتون (جمهورى) مركزاً على كيفية تخليص يهود أوربا من قبضة الالمان واخراجهم عبر الحدود الى المناطق التى قد تقترح ويتفق عليها ، وما هى الاطراف الدولية الأخرى التى يمكن ان تشارك فى هذا المشروع . فاشار الفانج الى المبادرة التى قامت بها السويد عندما اعلنت استضافتها لليهود المضطهدين ، وما نتج عن ذلك من دخول ستة الاف يهودى اليها من الدنمرك عبر الممرات المائية . ثم اشار الى امكانية استخدام تركيا كممبر برى ليهود بلغاريا ورومانيا ثم نقلهم على سفن تركية الى الملجأ الذى ينتظرهم وهو فلسطين ، لأن فلسطين هى « الوطن الطبيعى» اليهود homeland ففيها ستمائة الف يهودى ويمكن ان تستوعب ستمائة الف أخرى (٨) ، وان الكونجرس الامريكى اذا وافق على مثل هذا الاجراء سوف يضغط الرأى العام على انجلترا ويرغمها على تعديل سياستها بالنسبة لهجرة اليهود الى فلسطين .

ولما سأله ايتون عما اذا كان اقتراح فلسطين كملجأ لليهود يثير عصبية العرب الدينية وحميتهم السياسية ، قال الفانج انه لا يعنيه ذلك ، وان مسألة اليهود لها اسبقية على موضوع السياسة . فما كان من ايتون الا ان قال له ان الوضع السياسى فى فلسطين متفجر وكأنه حربة مشهرة ، وعلينا مواجهة حقائق الموقف .

ويبدو ان ايتون قد اثارته حماسة الفانج وتعاطفه المتشدد مع اليهود فساله عما اذا كان منتميا للعقيدة اليهودية ، فقال الفانج انه ارثوذكسى يتبع الكنيسة اليونانية . وهنا طلب منه ايتون ان يقول رأيه فيما اذا كان اليهود يمثلون أمة أم عقيدة دينية أم جنساً . وحاول الفانج ان يتهرب من الاجابة على اساس ان السؤال خارج عن موضوع الحوار ، الا انه صرح أخيراً بأن اليهود تاريخياً يعتبرون أمة لعبت دوراً فى صياغة تفكير وثقافة نصف العالم خلال فترة معينة من الزمان ، وليس هناك من مبرر لأن لا نعتبرهم أمة الآن اذا ما اعترفنا بأن فلسطين هى وطنهم الطبيعى .

ثم انتقلت المناقشة الى كيفية القيام بانقاذ اليهود ، والى الأهمية التى يعلقها الفانج على اعتماد الحكومة الامريكية لمشروع القرار المقدم للكونجرس بتأسيس هيئة الانقاذ ، فقال الفانج ان تبنى مشروع القرار فى حد ذاته والاعلان عن ذلك للعالم سيكون له قيمة سيكولوجية هائلة تجعل هتلر واعوانه يدركون اعتناء الولايات المتحدة بمصير هؤلاء الناس .

وهنا تدخل لوثر جونسون (ديموقراطى) مشيراً الى أن البيانات المتشددة والخطب الحماسية لا تؤدى الى أى أثر سيكولوجى كما يتصور الفانج ، بل على العكس قد تزيد من التمادى . واعطى مثالا لذلك بالبيان الذى صدر عن مؤتمر وزراء الخارجية بموسكو (نوفمبر ١٩٤٣) بادانة الجرائم النازية دون جدوى (٩) ، وقرار مجلس الشيوخ فى ٩ نوفمبر ١٩٤٣ بهذا الخصوص ايضاً (١٠) .

مشروع الكونجرس لإنقاذ يهود أوربا !

وازاء هذه الحجج والبراهين اضطر الفانج الى التراجع قائلا ان ما يقصده بكلامه يتلخص فى عدم اتخاذ اية خطوة عملية لتطبيق النوايا الطيبة ، فقد « عبرنا عن تعاطفنا وعن اسفنا بشكل دقيق جداً ، ولكننا لم نقدم على شيء لترجمة شعورنا الى واقع عملى » . وان ما يعنيه بترجمة الشعور الى الواقع العملى هو التصديق على مشروع القرار الخاص بتاسيس هيئة الانقاذ . وهنا ابتدره ايتون متسائلا عن « الخطوة الأولى العملية التى يجب القيام بها فى حالة تشكيل هذه الهيئة وبصفة خاصة مصادر تمويلها والواجبات التى سوف تناط بها » .

وهنا تدخل رئيس الجلسة (صول بلوم ديموقراطى) قائلا ان الكونجرس قد خصص لمشكلة اللاجئين ٨٥ مليون دولار ، انفق منها حتى الآن ٦٠ مليوناً ، وما يزال الباقى (٢٥ مليوناً) مودعاً فى خزانة الدولة لاستخدامه فى هذا الغرض أو أى غرض اخر اذا ما رأى رئيس الجمهورية ، أو أية ادارة حكومية اخرى ضرورة لذلك (١١) .

غير ان هيرمان ايبرهرتر (ديموقراطى) هب قائلا ان هذا المبلغ مخصص ـ طبقاً لشروط انفاقه ـ لمساعدة رئيس الجمهورية لشراء المواد التموينية والطبية للولايات المتحدة فقط . وهنا اوضح رئيس الجلسة المسألة بقوله ان هذا يتعلق بشراء تلك الحاجيات من داخل البلاد ، اما توزيعها فيمكن ان يتم فى الخارج . واعلن على مسئوليته انه « يمكن استخدام أى مبلغ من هذه المخصصات لأى غرض يتعلق باعانة هؤلاء اليهود لاخراجهم من بلادهم والانفاق على حمايتهم » فى البلاد التى قد ينقلون اليها من حيث توفير الطعام والدواء وذلك بمعرفة اية ادارة رسمية . ثم اضاف محدداً ان هذا « قد يعنى عدم تحمل نفقات اية وكالات أو منظمات أو لجان أخرى كتلك التى يمثلها الفانج مثلا » .

والتقط الفانج الفرصة ليقول ان الحكومة الامريكية يمكنها « اعارة » هيئة الانقاذ المعنية الأموال اللازمة ثم تقوم الحكومة باستردادها من الالمان الذين « سرقوا من اليهود ثلاثة بلايين دولار » ، وهذا يعنى فى النهاية ان اليهود هم الذين سوف يتحملون النفقات فى نهاية الأمر .

ولم يعلق أحد على ما قاله الفانج فى موضوع التمويل هذا حيث عاد ايتون بالمناقشة الى كيفية اخراج أى مشروع لحيز التنفيذ بصرف النظر عن موضوع التمويل وضرورة اقتناع الكونجرس والشعب الامريكى بقابليته للتنفيذ . واشترك معه فى نفس الملاحظة جيمس ريتشاردز (ديموقراطى) ، واديث نورز روجرز (جمهورية) التى سبق أن قدمت مع روبرت واجنر مشروع قانون الطفل اللاجىء ١٩٣٩ كما سبقت الاشارة . فكرر الفانج ما سبق ان ذكره فى بيانه من ضرورة اقامة معسكرات ايواء خاصة فى البرتغال واسبانيا وشمال افريقية لاستقبال اليهود حيث تقوم اللجنة الدولية المشتركة بترحيلهم الى البلاد المختلفة .

وعند هذه النقطة تدخل رئيس الجلسة ليوضح دور اللجنة الدولية المشتركة وكيف انها كانت متوقفة منذ عام ١٩٣٨ الى سبتمبر ١٩٤٢ بعد انعقاد مؤتمر برمودا حين اشتركت الأرجنتين وفرنسا فى مجلسها التنفيذي « لأسباب معينة » .. وقال إن المشكلة التى تواجه هذه اللجنة هي كيفية تدبير الفي دولار قيمة تكاليف استقدام أي مهاجر الى اي دولة اخرى تشمل اطعامه وإيوائه والايفاء بكل ضرورياته ثم اعادته لبلده الأصلي فيما بعد . وهذا يعني الحاجة الى مائتي مليون دولار لاستقدام مائة الف مهاجر .

ومن خلال المناقشة نعرف ان اللجنة الدولية المشتركة تقوم بعملها فى سرية تامة بواسطة مندوبيها فى مختلف البلاد حتى لا يعرف النازيون بخططها فيفسدون عملها مثلما حدث فى رومانيا حيث اعتقل مندوب اللجنة هناك واودع السجن بعدما اتم الاتفاق على تاجير سفن تاخذ خمسة آلاف طفل يهودي من رومانيا وبلغاريا يصحبهم خمسمائة شخص بالغ الى معسكرات التجميع فى شمال افريقيا وراء خطوط العمليات الحربية .

ورغم أن الفانج ابدى اعجابه بما تقوم به هذه اللجنة من أعمال إلا انه كان حريصاً فى كل مرة يتكلم فيها على ضرورة التمييز بين مشكلة اللاجئين الدوليين بشكل عام ومشكلة اليهود المضطهدين بشكل خاص . كما انه رفض بيانات المسئولين الأمريكيين التى تدور حول أن الطريقة الوحيدة لانقاذ اليهود تتمثل فى القضاء على هتلر واقتلاع جذور النازية من أوربا ، وما يقال من ان اشتراك القوات الأمريكية فى الحرب العالمية الدائرة هي الطريق الحقيقي لانقاذ يهود اوربا . وعاد ليذكر المجتمعين بان مشروع القرار المعروض للمناقشة والخاص بتاسيس هيئة الانقاذ هو الحل الحاضر للمشكلة .

د. عاصم الدسوقي

الجزء الثالث في العدد القادم

الهوامش :

(١) جلسة ٢٣ نوفمبر ١٩٤٣ من شهادة برجسون

(٢) جلسة ٢٣ نوفمبر ١٩٤٣ .

(٣) سوف نشير الى هذه الهيئة فيما بعد باسم « هيئة الانقاذ » على سبيل الاختصار .

(٤) نص البرقية كما اثبت فى جلسة ١٩ نوفمبر ١٩٤٣ :

« ان حملة انقاذ الشعب اليهودى فى اوربا من التشريد التام فى سباق مع الزمن ، اذ ابرق الينا مندوبونا فى انجلترا وفى فلسطين وفى تركيا بالاحتمالات الممكنة لعملية الانقاذ .. وانهم يحتاجون الأموال اللازمة لعملهم فى تلك البلاد ، وان مجهوداتنا ونشاطاتنا المبهرة فى الولايات المتحدة تستنفد الأموال المتاحة . وكانت جهود الاسابيع القليلة الماضية متعلقة بحركة الالتماسات العامة للوجهة الى السويد والدنمرك . وفى خلال الأسبوع الأخير اعربت ستة الاف كنيسة مسيحية عن تعاطفها مع المشكلة ، وحدثت احتجاجات ضد تجاهل بيان موسكو للكارثة اليهودية ، وهو البيان الصادر بشان العمليات الوحشية . وقد تكللت هذه المواقف

فس بتقديم مشروع قرار فى الجلسة المشتركة بين السناتو والكونجرس لتكوين هيئة حكومية فورا بشان مشكلة انقاذ يهود أوربا . والمطلوب تحريك الرأى العام فى الولايات المتحدة لتمرير مشروع القرار بالقوة ومساعدة مكاتبنا فى واشنطون ولندن وفلسطين وتركيا لمواصلة العمل على نطاق واسع . ويجب الاسراع فى جهودنا . ونحن نلتمس منكم تحديد العون والتاييد ، فكل يوم يمر يزيد فى موت الالاف . ونحن نعتمد على كريم اسهامكم . نرجو ارسال الشيكات باسم : مسز جون جونثر امينة الصندوق . ودين الفانج ، ومدوموازيل سيجريد لوندست من الرؤساء على عنوان اللجنة العاجلة : ١ شرق شارع ٤٤ ، نيويورك » .

وفى اولى جلسات الاستماع (١٩ نوفمبر ١٩٤٣) واجه صول بلوم رئيس الجلسة دين الفانج (احد رؤساء اللجنة العاجلة) بامر البرقية ومجافاتها للواقع ، وبانها تظهر لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس بانها تتقاضى اموالا لتمرير مشروع القرار مما يسيء الى سمعة ونزهة الكونجرس . وقد اعتذر الفانج مسرعا ومعترفا بان صياغة البرقية غير مناسب ، وان كان قد تعلل بانها امليت عليه بالتليفون وكان منشغلا بالحديث مع البعض فلم يستطع تمييز العبارات المملاة بدقة ووافق على ابراقها . واضاف قائلا انه لو ادرك حقيقة تلك العبارة ما كان قد وافق على ابراقها . هذا الى ان برجسون قال فى شهادته امام اللجنة (٢٣/١١/١٩٤٣) ان هذه البرقية قد ارسلت قبل ان تظهر فى الافق فكرة عقد جلسات الاستماع . كما قال ايضا ان هذا المشروع ليس بحاجة الى مثل هذه الجلسات ، والمطلوب ان يعرض على التصويت بنعم او بلا دون مناقشة لوضوحه .

(٥) نص البرنامج الاذاعى كما اثبت فى جلسة ٢٣ نوفمبر ١٩٤٣ والذى بثته اذاعة :
Transradio News Features, Inc.,

« ان الاختلاف بين المنظمات والمجموعات اليهودية حول ما يجب عمله لانقاذ اليهود الذين ما يزالون على قيد الحياة فى اوربا قد وصل الى مرحلة الانشقاق العلنى . ويتضح ذلك من المناورة المفاجئة التى قام بها صول بلوم رئيس لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس حين دعا اللجنة لعقد جلسات استماع عامة تبدأ يوم الجمعة فيما يتعلق بمشروع القرار الذى قدم مؤخرا الى الكونجرس والسناتو ، والذى يهدف الى مطالبة الرئيس روزفلت بانشاء هيئة مشتركة لبحث مشكلة يهود اوربا اللاجئين . ولقد قدم مشروع القرار هذا الى الكونجرس بواسطة ويل روجرز نائب كاليفورنيا وجوزيف كلارك بولدوين نائب نيويورك . وفى مجلس الشيوخ تقدم به السيناتور جيليت نائب ولاية ايوا . وكان فى حسبان مقدما المشروع اعطاء فرصة من الوقت لاعداد الشهود والخبراء الذين سوف يستقدمونهم للادلاء بشهادتهم حول مشروع القرار عندما تعقد الجلسات . غير ان صول بلوم فرض حلا معينا بتحديد يوم الجمعة لبداية جلسات الاستماع بينما ويل روجرز مايزال مرتبطا ببعض الامور الهامة فى كاليفورنيا . وهذا يعنى ان عليه ان يترك جانبا هذه الامور ليلحق باول طائرة الى واشنطن ليصل فى وقت مناسب ليقود المناقشات التى تدور وصولا الى اجراء فورى وفى صالح انقاذ اليهود الباقين فى أوربا والمقرر ذبحهم قبل ان يفوت الأوان . ويقال ان عددا كبيرا من المجموعات اليهودية تشارك صول بلوم الرأى فى معارضة اى اجراء تتخذه الحكومة الامريكية للمساعدة فى انقاذ مواطنيهم . ومع ذلك فلم يجرؤ اى متحدث باسم هذه المجموعات ان يعلن على الملأ اسباب معارضة سياسة الانقاذ . ومن المحتمل ان تكشف جلسات الاستماع التى ينظمها الكونجرس الآن (لجنة الشئون الخارجية) عن السبب الحقيقى لهذه المعارضة » .

وعند المناقشة مع ارثر هيل فى جلسة ١٩٤٣/١٢/٢ حاول المناقشون عبثا معرفة الشخص المسئول عن مادة هذا البرنامج .. وكل الذى قيل ان عددا من الخبراء الذين يشتغلون فى المحطة الاذاعية قاموا بذلك . ولكن من خلال المواجهة ثبت ان كثيرا من الحقائق التى وردت فى هذا البرنامج كانت مغلوطة حيث اتضح ان روجرز لم يكن فى كاليفورنيا ، وانه لم يكن مرتبطا باعمال هامة غير اعماله الخاصة ، وانه لم يكن مرغما على ركوب اول طائرة للعودة الى واشنطون فى الوقت المناسب ، وانه كان على علم بكل الخطوات التى اتخذت بشان عقد جلسات الاستماع يوم الجمعة ١٩ نوفمبر ، وانه كان على صلة بذلك الترتيب طوال الوقت . ولعل هذا يوضح ان يدا خفية صهيونية كانت تمسك بخيوط الاحداث وصولا لدفع الكونجرس الى الموافقة على المشروع .

(٦) اعضاء لجنة الشئون الخارجية لدور الانعقاد رقم ٧٨ لعام ١٩٤٣/١٩٤٤ كما يلى :

الديمقراطيون : صول بلوم (نيويورك) رئيسا ، ولوثر جونسون (تكساس) ، وجون كى (فرجينيا الغربية) ، وجيمس ريتشاردز (كارولينا الجنوبية) وجوزيف بفيفر Pfeifer (نيويورك) ، بيت جارمان Jarman (الاباما) ، وبورجين (كارولينا الشمالية) ، وبرت كورتنى (تينيسى) ، وهرمان ايبرهيرتر (بنسليفانيا) ، وتوماس جوردون (الليونوى) ، وهوارد مكموراى (ويسكونسن) ، وويل روجرز (كاليفورنيا) ، ووليام فولبرايت (ارکانساس) ، وما يك ما نسفيلد (مونتانا) ، وجيمس رايت (بنسليفانيا) .

الجمهوريون : تشارلز ايتون (نيوجيرسى) ، اديث نورز روجرز (ماسا تشوستس) ، روبرت شيبرفيلد (الليونوى) ، وجون فوريز (اوهايو) ، وفوستر ستيرنز Stearns (نيوها مبشير) ، وكارل موندت (داكوتا الجنوبية) ، وتشارلز جرلاك (بنسليفانيا) ، واندرو سخيفلر Schiffler (فرجينيا الغربية) . وكاتب الجلسة بويد كراوفورد ولقد تغير اسم هذه اللجنة فيما بعد الى لجنة العلاقات الدولية .

(٧) انظر نص البيان بالملحق رقم (١)
وقد قال الفانج اثناء الحوار معه انه يعمل فى اللجنة العاجلة بصفة شرفية ، ومتطوعا ولا يتقاضى اجرا مثلما كان يعمل مديرا لمنظمة اغاثة المتضررين من الحرب فى اليونان Greek War Relief وعدد من المؤسسات الخيرية الاخرى . وقد احتج هربرت مور على عقد هذه الجلسات دون حضور ويل روجرز احد مقدمى المشروع . ولكن قيل له ان روح اللجنة العاجلة التى يمثلها دين الفانج هى التى وراء مشروع القرار المقدم وبالتالى فليس هناك افضل من دين الفانج لتوضيح مرامى ومقاصد المشروع .

(٨) تقول التقديرات الرسمية البريطانية استنادا الى احصاء عام ١٩٣١ ان يهود فلسطين يبلغون ٥٠٢٩١٢ نسمة فى نهاية ١٩٤٣ . بينما تقدر الوكالة اليهودية العدد فى نفس التاريخ بـ ٥٣٧٠٠٠ نسمة وفيما يتعلق بعدد سكان فلسطين تحت الانتداب انظر : A Survey of Palestine الذى اعد فى ديسمبر ١٩٤٥ ويناير ١٩٤٦ لمعلومية لجنة التحقيق الامريكية الانجليزية ، المجلد الأول ص ١٤٠ ـ ١٦٤ .

---

(٩) جاء فى هذا البيان ان المؤتمر « كان فرصة لتوجيه اعلان مقدس عام من رؤساء الحكومات الثلاث (امريكا وبريطانيا وروسيا) فيما يتعلق بالجرائم التى لم يسبق لها مثيل فى الوحشية والتى ارتكبها زعماء النازية ضد سكان الاقاليم المختلفة ، وضد الناس من كل العناصر والاديان وخاصة اليهود الذين اختصهم هتلر بابشع انواع العذاب .. ولسوف يقع العقاب المستحق على مرتكبى هذه الجرائم » . فقرة من بيان وزير الخارجية الامريكى (كورديل هال) امام الكونجرس ـ وكان قد عاد لتوه من مؤتمر موسكو ـ ، دور انعقاد رقم ٧٨ ، الجلسة الأولى ١٨ نوفمبر ١٩٤٣ ، ص ٩٦٧٨ ـ ٩٦٧٩ .

(١٠) جاء فى هذا القرار ما يلى : « لما كان الشعب الامريكى ينظر بعين السخط الى التعذيب الوحشى الذى انقض على الاهالى المدنيين فى البلاد التى تحتلها القوات النازية وخاصة القتل الجماعى رجالا ونساء واطفالا .. ولما كانت تلك السياسة النازية قد اوجدت حكما من الرعب والقسوة فى بولندة وفى بلاد اخرى فى وسط وشرق أوربا .. لهذا فقد قرر مجلس الشيوخ ان هذه القسوة وانتهاك الحرمات الذى يرتكب ضد ملايين الضعفاء رجالا ونساء واطفالا يجب ادانته . بل لقد ادينت تلك الاعمال باعتبارها شيئا حقيرا ترتكبه اى امة او دولة تدعى انها متحضرة . واكثر من هذا فان مبادىء الشرف والانسانية التى قامت من اجلها الحرب تتطلب ايقاف هذه المذابح وسوء المعاملة التى لا مبرر لها ، وانه من مبادىء هذا المجلس العمل على محاسبة هؤلاء المذنبين على ارتكاب تلك الجرائم سواء بطريق مباشر او غير مباشر ، ومعاقبتهم بشكل معادل لما ارتكبوه » .

(١١) وفى هذه اللحظة تلى مستر كراوفورد (كاتب الجلسة) تقريرا ماليا جاء فيه : « ان الرصيد غير المنصرف والمخصص لاعانة اللاجئين الذين تشردوا من ديارهم بسبب العدوان او بسبب الغزو وقدره خمسون مليون دولار ادرج فى القسم رقم (٤٠) من قانون الاعانة المالية الطارئة لسنة ١٩٤١ Emergency Relief Appropriation Act

واما مبلغ الخمسة والثلاثين مليون دولار للخصصة لاعانة الحرب فى الخارج فقد ادرج فى قانون الملحق الثالث لتمويل الدفاع القومى لسنة ١٩٤٢ Third Supplement National Defence Appropriation Act وقد تم دمجها معا فى ميزانية واحدة تسرى بدءا من ١٧ ديسمبر ١٩٤١ وهو المبلغ الذى سيكون فى المتناول حتى ٣٠ يونيه ١٩٤٣ للصرف منه على كل المشروعات والاغراض الخاصة ببنود الميزانية الموحدة . واما الأموال المخصصة « لاعانة الحرب فى الخارج » فقد ادرجت فى القانون الثانى للعجز المالى لسنة ١٩٤٢ Second Deficiency Appropriation Act وما تزال سارية المفعول حتى ٣٠ يونيه ١٩٤٤ » .

من روائع الفن العالمي

جمال قطب

الفنان الهائم

بين جمال الفطرة وبراكين الطبيعة



بول جوجان

في أواخر عام ١٨٩٤ طلب جوجان من صديقه الشاعر الشهير أوجست سترندبرج أن يكتب له مقدمة (كتالوج) معرضه الذى كان منهمكا فى الاعداد له فى قاعة (دريو) بباريس ، ولكن الشاعر ـ كمعظم مفكري عصره آنذاك ـ اجهد نفسه عبثا فى محاولة لفهم الفنان أو تذوق فنه .. واخيراً كتب هذه القطعة التى تعتبر اغرب ما كتب فى سجلات المعارض :

« لقد اردت منى أن اكتب مقدمة كتالوج معرضك .. وكم وددت ان اقدم لك هذا التذكار ، ولكني اصارحك باننني لا استطيع أو قل لا اريد ! . فانا لا افهم فنك ، وليس فى مقدوري أن احبه ، وانا اعلم ان هذا الاعتراف لن يدهشك ولن يسيئك ، لانك ـ كما يبدو لي ـ تستمد من كراهية الناس قوة لنفسك ! . لقد حاولت جاداً أن اضعك فى مكانك وأبين مكانتك .. وحاولت جهد طاقتي أن افهم أسلوبك وفكرك وتطورك .. ولكن عبثا .. فلوحاتك وحشية ذات شمس محرقة وأشجار غريبة وبحر يمكن أن ينفجر منه بركان ، كما أن سماءك القانية الملتهبة لا يمكن أن تسكنها الملائكة ! . أما فتياتك اللاتي ترسمهن .. ارى فيهن حواء التى تخالف الصورة المالوفة للجمال .. والسمات التى أحبها فى النساء ! . إنك جوجان الوحش الذى يكره المدنية ، ويؤثر سماءه الحمراء القانية على سمائنا الزرقاء الصافية .. إنك على وشك أن تبدأ رحلتك الى جزر المحيط البعيدة .. عد إلينا ثانية ، فقد أستطيع فى المرة القادمة أن أكون أكثر فهماً لك » .

وهكذا كان جوجان .. قصة طويلة مع الصراع والقلق والمعاناة .. مما جعله يميل الى البدائية هرباً من قيود الحياة وقسوة متطلباتها .

ولد فى باريس عام ١٨٤٨ .. وفى طفولته .. اضطر ابوه الصحفي الى الهجرة مع عائلته الى بيرو .. ومات الأب فى تلك الأراضي النائية .. والتحق الابن بالبحرية وعاش مشرداً فى رحلات الى آفاق بعيدة .. واشتد حنينه الى الاستقرار .. فعمل فى بنوك باريس .. ولكن حبه الشديد للرسم ساقه الى مجالس أهل الفن وندواته وبهرته كلمات (بيسارو) ودعوته الى التحرر وتذوق الجمال والاستمتاع بحياة التجوال والفكر والابداع ! ، فترك جوجان عمله فى البنك .. وهجر زوجته الدانمركية وأطفاله الاربعة .. وهام على وجهه فى طرقات باريس يبحث عن شيء ضائع فى داخله .. وظل يبحث عن هذا الشيء المفقود حتى مات بائساً يعاني من الفقر والمرض فى جزر الدومينيك السحيقة ، وقضى نحبه فى تلك الغربة الموحشة عام ١٩٠٣ .

حياته قلق وصراع دائم مع الحياة . ومع فنه ، ومع التطلع للمجهول والهجرة الى الجزر السحيقة فى متاهات المحيط اللانهائية .. وقضى معظم حياته القصيرة المثمرة فى جزر تاهيتي وجزر الدومينيك .. حيث الدفء وجمال المراة الفطرية ولهيب الشمس يصبغ حواسه والوانه وعواطفه باحر المؤثرات والانفعالات النفسية الثائرة ولذلك تميزت اعماله والوانه بصراحتها وصرامتها ووحشيتها الصارخة فى بعض الاحيان .

أما هذه اللوحة المنشورة فى الصفحة المقابلة ، فقد رسمها جوجان عام ١٨٩٠ فى باريس لفتاة تدعى (ماري ديريان) حيث كان الفنان متأثراً بفن (سيزان) آنذاك ومحاولا أن يدور فى فلكه حتى اننا نلحظ فى خلفية اللوحة تقليداً للوحة سيزان الشهيرة التى تتكون من زهور وفواكه وغير ذلك .

إن فن جوجان فريد فى نوعه ، ويعرف فى تاريخ الفن باسم الوحشية أو الحوشية .. وقد أسماه الفنان نفسه : تجريد مستمد من الطبيعة .

وعلى أية حال ، فان نقاء الوان جوجان وحلاوة الفطرة فى رؤياه وتبسيطه للشكل واللون .. كل هذا ، قد ساهم فى اقامة مايعرف فى الفن باسم (التجميع البنائي) الذى كان من أهم رواده : سيزان وفان جوخ .. ثم قاد مسيرة الابداع بعد ذلك الى التكعيبية .. وإلى آفاق رحبة معاصرة كثيرة .

جمال قطب



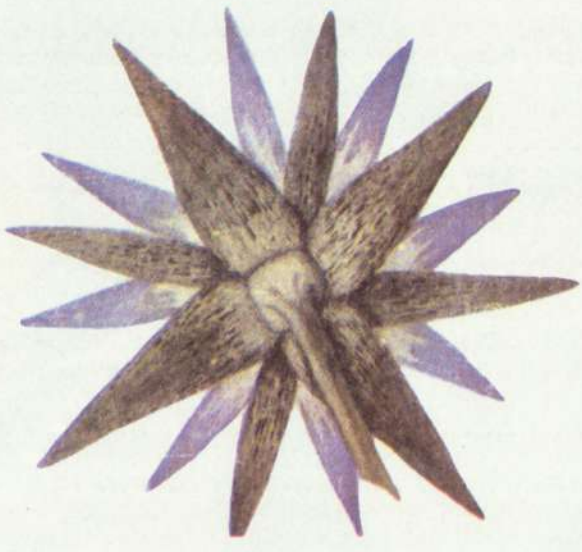
«ماري ديريان» من روائع بول جوجان (عام ١٨٩٠)

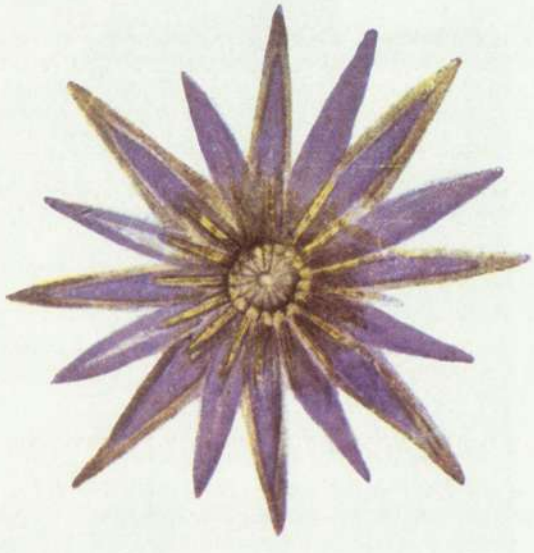
اللوتس

زهرة الحب والأساطير

بقلم : سمير عطا







عرفت الحضارات القديمة فى الهند والصين واليونان زهرة اللوتس ... غير أنها ارتبطت باسم مصر أكثر من غيرها من دول العالم القديم لما كان لها من تاثير فى كثير من مجالات الحياة المصرية القديمة . وهناك انواع متعددة من زهرة اللوتس وإن كان اشهرها ثمانية انواع رئيسية عرفت جميعها منذ عهد الاغريق باسم Lotos واللاتين باسم Lotus وعرفت مصر نوعين من هذه الزهرة .. هما زهرة اللوتس البيضاء وزهرة اللوتس الزرقاء .. اما زهرة اللوتس الحمراء فقد وصلت مصر من الهند عن طريق فارس .

اللوتس البيضاء

وقد عرف نبات اللوتس الابيض فى مصر قبل عصر بناة الاهرام .. وكان المصريون يسمونه « سشن » أو « شن » أو « سن » ومنها جاءت كلمة « سوسن » المعروفة فى اللغة العربية كما يعرف ايضاً باسم بشنين الخنزير أو عرائس النيل .. وذكر فيكتور لوريه فى كتابه (النباتات الفرعونية) أن هذا النبات كان مستعملا عند المصريين القدماء كمرطب فضلا عن استعماله للزينة فى البيوت والحفلات .

كما ذكر أن المصريين كانوا ياكلون جذوره مشوية ومسلوقة . ويشير هيرودوت الى انهم كانوا يطحنون بذوره بعد جمعها وتجفيفها ويصنعون منها ـ على النار ـ خبزاً وفطيراً ياكلونه كحلوى .. وجذور البشنين مستديرة الشكل بها قليل من الحلاوة مما يجعلها مستساغة للاكل .

وتتميز هذه الزهرة عموماً بانها تنمو على جذع هش ضعيف قد يبلغ من ٤ الى ٨ أقدام طولا يمتد إلى اعلا فى الماء ثم يرتفع الى مسافة قصيرة جداً فوقه ، وتنتشر اوراقه على سطح الماء وقد تبلغ القدم عرضاً .. وتتميز بانها مسننة . وللزهرة بتلات بيضاء سبلاتها خضراء وشكلها نصف دائرى تقريباً وتنتمى الى عائلة « نيمفيا » أو الحورية المعروفة فى الاساطير الاغريقية القديمة التى تقول إن هرقل قد هجر حورية فالقت بنفسها من الحزن فى الماء فتحول جسدها الى زهرة اللوتس .

اللوتس الزرقاء

اما نبات اللوتس الازرق فقد عرفه المصريون القدماء باسم « ساربات » ويعرف الآن باسم البشنين العربي او قاتل النمل لانه يقتل النمل الذى يقترب منه فوراً

ويبدو أن معظم الاكاليل التى كانت توضع فوق رؤوس السيدات كانت تصنع من هذه الزهرة .. ويرجع تفضيل المصريين لها على وجه العموم الى ما تتميز به عن الزهرة البيضاء من رائحة منعشة .

اللوتس الحمراء

وقد قدس المصريون القدماء هذا النبات وكانوا يسمونه « نخب » وعرفه العرب باسم الفول المصري أو الباقلي القبطي .. وهو من اصل هندي كما أشرنا .. وزهرته تشبه زهرة اللوتس المصري وإن كانت تتميز باللون الاحمر وهي عطرية الرائحة .. واوراقه درقية مستديرة يبلغ عرضها حوالي ٣٠ سنتيمترا وترتفع فوق سطح الماء الى ارتفاع قد يبلغ متراً فى بعض الاحيان .. قال عنها ثيوفراستوس قديماً



زهرة اللوتس فى الهند .. ارتبط اسمها بالأساطير والكتابات القديمة .

على ضفاف نهر الاندوس يستخدمون زهرة اللوتس كطعام للسكان !



(٣٧٢ ـ ٢٨٧ ق.م) إن ورقتها تشبه قبعة تساليه (نسبة الى اقليم تساليا) وقد عثر على رأس طفل مصري من العصر الروماني فى الفيوم يضع فوق رأسه قبعة من ورق اللوتس الهندي ..

وينتشر هذا النبات فى البحيرات والمستنقعات فى الصين واليابان والهند الصينية والهند وشواطىء بحر الخرز .. ورغم أن هيردوت قد ذكر اللوتس الهندي ووجوده فى مصر منذ القدم ووجدت آثاره فى مقابر هوارة من العصرين الاغريقي والروماني ووجد على عصبة نفرتوم وصنع منه مهد حورس فى صباه (حورس بن بتاح وسخمت رمز الشمس المشرقة) . كما وجد على رؤوس أغلب العمد فى الهياكل والدور والتى كانت تقام على شكل اللوتس الاحمر ـ إلا أن أثر هذا الوجود لم يتزايد إلا منذ العصر الروماني المتأخر ثم بدأ يتوقف عند بداية العهد المسيحي ..

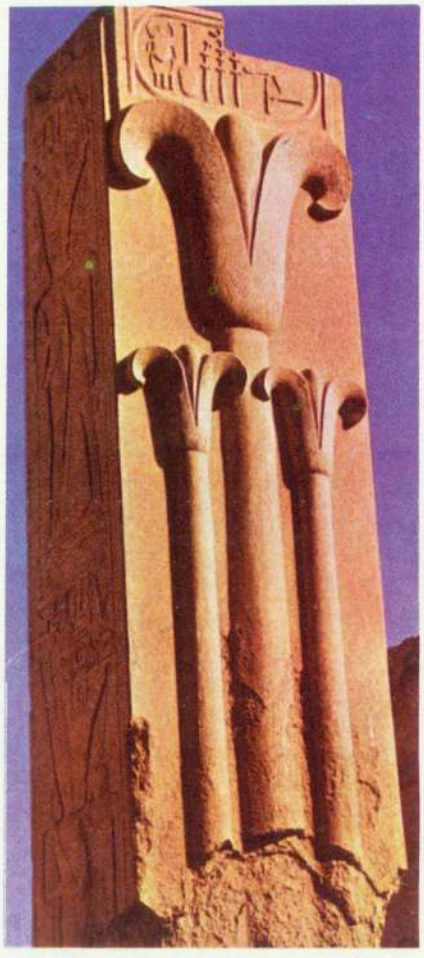
ويندر وجوده فى مصر اليوم فيما عدا القليل منه فى حدائق الاسكندرية والقاهرة والاسماعيلية .

فى حياة الناس

لم يكن نبات اللوتس مجرد نبات يبهج المصريين القدماء بمنظره أو يسرهم برائحته أو يتخذون من جذوره غذاء لهم ، وإنما كان رمزاً لعملية الخلق انعكس على حياتهم وأفكارهم وبلغ من سمو مكانته لديهم أن شبهوا به الملك . فهم يقولون « إن الملك مثل نفـرتم كزهرة اللوتس عند انف رع » .

وحين كانت المناقع تغمر ارض مصر ويخيم عليها السكون تخيل المصري القديم الماء الأزلي فيها ، وقد نشأ منه الكون وفى وسطه تخرج زهرة جميلة تستقبل الشمس فى الصباح حين تنفتح زهرة اللوتس ثم تنغلق على نفسها فى الغروب وتغوص ليلا تحت الماء . فاضفى ذلك عليها نوعاً من الرمزية جعلها ترتبط بالشمس وحركتها وربطها المصري القديم بسيد الشمس نفرتم فهى تتخذ الماء عرشاً لها وبذورها تمزق الغلاف الذى تنبت فيه . والزهرة تشبه الدائرة التى هي قوة العقل والذى هو بدوره مظهر للقوة ولأن حوريس ذا العقل حاكم السماء ولأن اللوتس رمزت الى الشمس فقد أصبحت تمثله أيضاً بصفته حاكماً للسماء التى فيها الشمس

وقد اعتقد القدماء ـ كذلك ـ أن الموتى المعمدين سوف يولدون ثانية من زهرة لوتس تلك التى تنتمي الى العالم الآخر .. لذلك كانت زهرة اللوتس من أهم ما يقدم قرباناً فى المعابد والموتى فى قبورهم. وهكذا تحولت الرمزية الى عقيدة دينية



استخدم المصريون القدماء زهرة اللوتس كوحدة زخرفية فى تزيين الاعمدة !

كان لها اثر كبير فى حياة المصريين يبدو لنا فيما تركوه من آثار ونقوش تمثلهم وهم يقدمون القرابين من زهرة اللوتس (كما كانوا يقدمونها للاحباء تعبيراً عن مشاعرهم) ، ثم تنوعت النقوش فى الفن المصري القديم واستعلمت زهرة اللوتس باشكال مختلفة ولاغراض متعددة وأصبحت من أشهر الأشكال فى الرسومات والزخرفةحتى لتكاد لا يخلو اثر مصري من أي شكل من أشكالها ، فاستعملت فى الأفاريز كما استعلمت راسية الوضع او فى أشكال حلزونية ، أو بوضع منعكس كما استخدم شكل الزهرة الطبيعية ذات الاربع اوراق باعلاها التويج الابيض أو الأزرق تحيط بمجموعة من اعضاء التذكير والتانيث ، كما رسم مسقطها الجانبي أو الافقي فى تكرارات متعددة ، أما برعم الزهرة فقد استخدم شكله فى تزيين رءوس العواميد وتيجانها حتى قال العالم «بتري» : إن العالم مدين فى زخارفه للمصريين الذين أوجدوا أول مدنية على الأرض .

اللوتس
زهـرة الحب والأساطير



تفصيلية من كتاب الموتى لطبيب مع زوجتـه يبدو فيها واضحا زهور اللوتس رمز الحياة ! .

رمزية اللوتس

هكذا كان المصريون أقدم من استخدم اللوتس للتعبير الفني على اساس من الرمزية التى انتشرت من مصر الى معظم الحضارات القديمة لاسيما الهندوسية والبوذية حيث تلاقت فكرة الخلق المصريـة ورموزها عن الخصب مع مثيلاتها من رموز تدور حول الحياة لدى هذه الحضارات .. وبالتالي تعددت المعاني التى أصبحت ترمز لها اللوتس فى الحضارات المختلفة فاصبحت ترمز الى

ـ الأساس الأنثوي للحياة او الرحم أو القوة الخلاقة للانتاج .

ـ الخصب والاثمار والسعادة والرخاء والازدهار والحياة الطويلة والصحة والشهرة .

ـ فكرة الخلق أو القوة الخالقةوفعل التولد الكوني الذاتي وفكرة الأم والعضو المنتج للحياة فى الأنثى والنيل واهب الحياة .

ـ القداسة او الميلاد المتميز عن البشرية أو التوالد الخالد .

ـ الخلود والبقاء وحفظ الحياة والميلاد الجديد وشروق الشمس وكاس الشمس والزهرة التى تفتح أرواح الموتى ومقام بوذا الذى يجد فيه راحته .

ـ النقاء والصفاء والطهارة وحفظ القانون والحكمة التى تؤدى الى النيرفانـا روح المعرفة .

من كل هذه المعاني والأفكار يمكننا إدراك الاستخدامات العديدة لزهرة اللوتس فى التقاليد والأساطير والفن حتى لقد أصبحت مثالا للراحة والصحة والجمال والسحر والحب والتفاؤل .

الزهـرة عند الهنود

وترتبط فكرة الخلق في اللوتس ارتباطاً كبيراً عند الهنود بالناحية الجنسية باعتبارها أساساً للخلق ..

فالخلق بالنسبة للهنود (والذى يعتمد على فكرة ظهور العالم من المياه العالمية او من الفراغ الذى ينام عليه المارد فشنو) مبنى على أسس كونية وإن كانت زهرة اللوتس تقوم فى ذلك بدور الوسيط حيث انها رمز الجنس .. و « فشنو » الذى هـو « سرة اللوتس » او أن اللوتس هي « سرته»

خرجت من جسده زهرة لوتس وحيدة عملاقة تلك التى جلس عليها براهما المولود من اللوتس .

وهذه اللوتس العملاقة ببتلاتها الألف الذهبية تنمو بسعة العالم كله .. ومن هذه البتلات تبرز الجبال وتنبع المياه .. بينما الشياطين والحيات تكمن تحت هذه البتلات .. وبتتابع الكالبا Kalpa (وهي اليوم الواحد بالنسبة لبراهما ويعادل ١٢ الف سنة سماوية) يولد براهما من جديد على زهرة اللوتس من « سرة فشنو » .

وفى الأساطير المرتبطة ببراجاباتى (فى البراهمانا) قيـل انـه رأى ورقـة لوتس فى مياه الفيضان العالمى فغطس تحت سطحها وأحضر قطعة من الأرض ونشرها فوق الورقة أو أنه ـ ثانية ـ ظهر بنفسه فوق هذه الورقة .. وفى (البراهما) كذلك ـ ٨٠٠ ق.م ـ أشير الى اللوتس بأنها الرحم وأنها رمز « اليونى » عضو الانسال فى الأنثى « الأم العالمية » ـ أو اللوتس الكونية (رحم الخلق) أو مقعد (منبع) القداسة أو القوة الروحية

واقدم مظهر للوتس ظهر فى الهند عثر عليه فى « دوهنجو ـ دارو » بوادى الاندوس منذ خمسة الآف عام ، فى شكل سيدة بسيطة ذات اكفال عريضة ترفع ثديها بيدها كما تفعل (الأم) فى كثير من المناطق وترتدى فى شعرها برعم زهرة اللوتس .. وكثيراً ما ظهرت هذه السيدة فى النقوش وهى فوق حجر فشنو أو تداعب قدميه .. وكانت تسمى « بادما » وهى كلمة تعنى اللوتس أو « لا كشمى » أو « سرى » واعتبرت لا كشمى هذه زوجة لفشنو ورمزاً للخصب . وتقول احدى الاساطير انها جاءت الى الحياة من زهرة لوتس نبتت أصلا من جبهة فشنو .. ونجد فى الكتابات القديمة أوصافاً أو تشبيهات لها متنوعـة كعبارات الغزل التى تعرفها النساء فى كل العصور فهى توصف بأنها ولدت من اللوتس أو أنها تقف على زهرة لوتس أو أنها تحيط نفسها دائماً بزهر اللوتس أو أنها عنق اللوتس ولها عين كزهرة اللوتس وغير ذلك .. وتظهر النقوش الخاصة ببادما منذ القرن الأول قبل الميلاد هذه الشخصيات وهى تقف فوق زهرة لوتس وتحيط بها الفيلة من الجانبين حيث تصب عليها الماء من خراطيمها وعلى الزهرة التى تقف عليها .

.. وفى الصين

وينبع أثر اللوتس فى الفن الصينى من اعتقادهم بوجود بحيرة لوتس مقدسة فى السماء القريبة ويظهر ذلك كثيراً فى مناظر المعابد ويعتقدون ان كل روح لها شجرة لوتس خاصة فى البحيرة تظهر عقب موت صاحبها ولا تتفتح الا فى الوقت المحدد لها .. وحياة المرء فى دنياه هى التى تؤثر على حالة اللوتس فى البحيرة فاذا كان تقياً. أو رجلا صالحاً فهى تتفتح مباشرة بعد موته لتسمح لروحه بالمثول امام الخالق .

ولقد كانت اللوتس منذ القدم زهرة مقدسة لدى الصينيين وتحظى بمكانة كبيرة وتعد احد المخلوقات الثمانية الخالدة فى الديانة الطوائية كما يقرر الكاتب الصينى « هو هسين ـ كو » . وتعد اللوتس زهرة فصل الصيف من بين الزهور الأربع لفصول السنة .. وهى رمز للطهارة لأنها تبرز من بين المياه ـ مهما كانت كدرة ـ نظيفة زاهية كما انها لا تنبت فى الأرض .. وهى رمز الأنسال والقوة ومازالت بعض المجتمعات الريفية تحرق البخور لروح اللوتس لمنع أذى الأرواح الشريرة .

اللوتس والبوذية

وعندما انتشرت البوذية فى كل من الهند والصين تداخلت فيها معتقدات كل من الهنود والصينيين حول اللوتس فانتقلت اليها بكثير من مظاهرها القديمة فى هذه البلاد .. فاصبح عرش اللوتس عند البوذيين يرمز الى الطهر والميلاد المقدس ولما كان اللوتس ينمو تحت الماء ثم يبرز فوقه فهكذا ولد بوذا فى النقاء ثم برز بنوره الى العالم .. وازهار اللوتس فى البوذية الصينية هو ميلاد جديد لبوذا ، وفى الهند يرون ان كل خطوة من خطى بوذا تعطي أو تخلف وراءها زهرة لوتس .. وفى الهند كما فى الصين تجلس تماثيل بوذا والكهنة البوذيين على اللوتس .. واللوتس الكاملة المتفتحة تضم بين جوانحها قوة شمسية هائلة وفى حين تعتبر أوراقها جزءاً أو خزاناً لأشعة الشمس يعتبر ساقها علاجاً كونياً هاماً . ويزين الصينيون زهرة اللوتس عادة بالشرائط التى ترمز لأشعة الشمس ..

وفى الديانة البوذية نجد أن العصور البوذية تبدأ بظهور زهرة لوتس تشير الى المكان الذى كانت فيه شجرة بوذا المميزة .. وفيها انه اذا كان العصر (أى زمن من الأزمنة) فراغاً ـ أى لا أثر للبوذية فيه ـ فلا تزهر براعم اللوتس ، وهذه اشارة الى قدم البوذية قدماً مطلقاً . ويقولون انه فى بدء احدى العصور ظهرت ألف برعم لتدل على عدد شخصيات بوذا التى سوف تظهر فى الوجود .. ويوصف فردوس بوذا بانه المكان الذى يولد فيه كل انسان وكأنه سيد على زهرة لوتس .

وفى احدى مذاهب البوذية (البوذية التنترية) تؤدى اللوتس دوراً هاماً فهى كامرأة تتحد مع الرعد الذى يقوم بدور الرجل (فاجر) .

فى الشرق والغرب

وفى اليابان فان من يأكل زهرة اللوتس أو ساقه فان ذلك يكسبه قوة جسدية . وما زال أثر اللوتس موجوداً الى الآن فى بلاد شبه جزيرة الهند الصينية ومن الأغنيات الشهيرة التى يتغنى بها بعض الفنانين فى فيتنام اليوم أغنية « أجمل زهرة هى زهرة اللوتس » .

ولقد ظهر اللوتس على الأختام الأشورية القديمة فى مظهر يوحى بالقداسة .. ومن البحر الأبيض والشرق انتشرت المعتقدات الخاصة باللوتس فى الميثولوجيا الكلاسيكية فى بلاد الاغريق وفى العالم الغربى فظهرت فى بعض الاساطير رواية وعلى بعض العجلات والميداليات والحليات الدائرية كنقش أو رسم وهى تمثل للعقل الغربى سحر الشرق الغامض .



اكثر الرسوم المصرية القديمة تحتوي على زهور اللوتس ضمن زخارف الجدران !

وعند العرب

ولقد وصف كثير من الكتاب والعشابين العرب زهرة اللوتس التى عرفوها باسم النيلوفر .. ويقول داود الانطاكى ان الاسم أصله فارسى وان كان الصحيح انه انحدر من المصرية القديمة وانتشر فى لغات الشرق ، فالزهرة لجمالها سميت فى عصر الدولة الحديثة باسم « نانوفر » وهى كلمة تعنى « الجميل » ثم حرفت الكلمة الى نيلوفر ونينوفر .. ويقول الزبيدى عنه ان العوام فى مصر كانوا يسمونه « نوفر » . وقد ذكر ابن البيطار اللوتس الأحمر باسم « الفالس القبطى » و « الجامسة » . وقد ذكروا للوتس فوائد كثيرة فيذكر الزبيدى انه صالح للسعال وأوجاع الجنب والرئة والصدر وانه اذا عجن أصله (جذره) وطلى به البهق مرات أزاله واذا عجن بالزفت ازال داء الثعلبة أما الانطاكى فيذكر انه أجود ما استعمل لقطع الحمى واللهيب والحرارة والعطش شرباً والقروح والخفقان والصداع والنزلات والبرص والبهق وداء الثعلبة والنزيف والأورام اذا خلط بالخل ، وهذا فضلا عن استخدامة كمرطب وكنوع من العطور .

الزهرة والآداب الحديثة

وفى الآداب الحديثة تستخدم عبارة « أكل اللوتس » للتعبير عن الشخص الفاقد الذاكرة أو الشخص الذى يبنى قصوراً فى الهواء .. وليس للوتس دخل حقيقى فى انتشار هذه العبارة فلقد كانت نباتات العائلة « النيمفية » كلها تؤكل وقت المجاعات طبقاً لما تركه لنا الكتاب القدامى والكتاب العرب انما هى ترجع الى احدى الاساطير الاغريقية عن شعب من الناس كانوا يعيشون فى ليبيا وقيل ان طعامهم كان يتكون فقط من ثمار وبراعم شجرة تسمى اللوتس وهى شجرة شحرية كان كل من يأكل منها ينسى وطنه وكل ما يربطه بأسرته واصدقائه . وقد وصف « تنيسون » تأثيرها فى أشعاره تحت عنوان « أكلى اللوتس » ، وتحدث هوميروس عنهم عند وصفه لرحلة « أوليس » .. وفى آدابنا نحن فقد انحدرت الينا فى لهجاتنا الحالية كلمات مثل « نفر » بمعنى شخص وأصلها « جميل » و « سوزان » و « سوسن » ذات الأصل القديم « شوشن » أو « سوشن » .. وحين يصف شخص شخصاً آخر بأنه « شربات » لا يدرى انه يقول له انه « كالسيد نفرتم » السيد الجميل الذى يضع فوق رأسه زهرة اللوتس الزرقاء المسماة « ساربات » ..

سمير عطا



الجامع الكبير بالدوحة .. منارة اشعاع وهدى .. وجامعة للعبادة ودروس العلم والاعتكاف والمواسم الثقافية والمكتبات المتنقلة .

المسجد
ودوره الحضاري في دولة قطر

بقلم : الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر

الحديث عن المسجد ودوره الحضارى فى دولة (قطـــر) حديث قديم وجديد نو شجون وافانين .

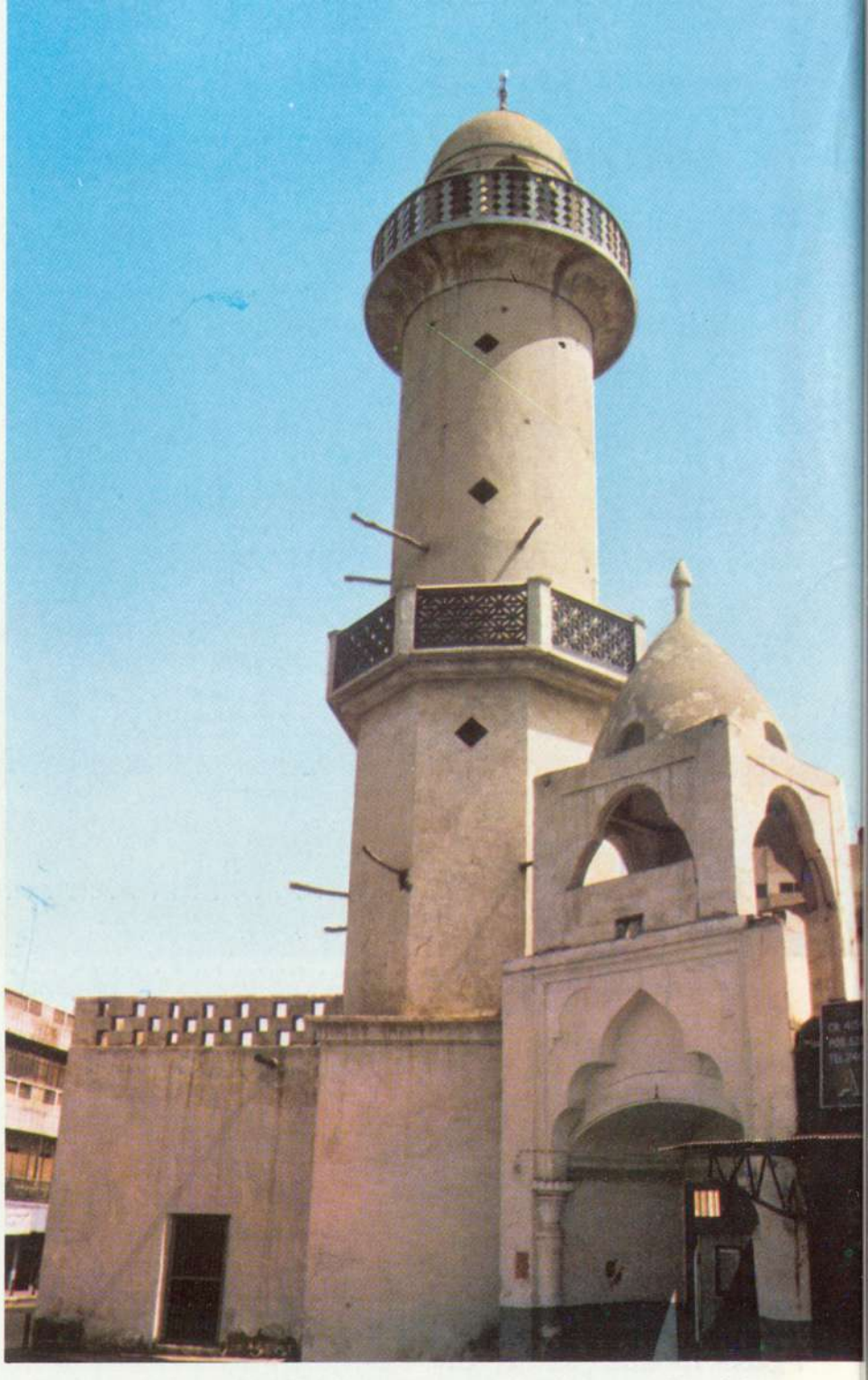
ذلك أن ثانى مسجد بنى فى الاسلام بعد مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، واقيمت فيه اول جمعة خارج المدينة المنورة بعده كان فى قرية (جوانا) بالقرب من سيف البحر (الخليج) غرب (قطـــر) فى (ربيعة) فى بطن منها فى قبيـــلة (عبد القيس) فى السنة الرابعـــة من الهجرة النبوية .

ومن هذا يعرف مدى قدم الدور الـــذى قام به المسجد من فجر الاسلام فى هـــذه المنطقة ، وحتى الآن .

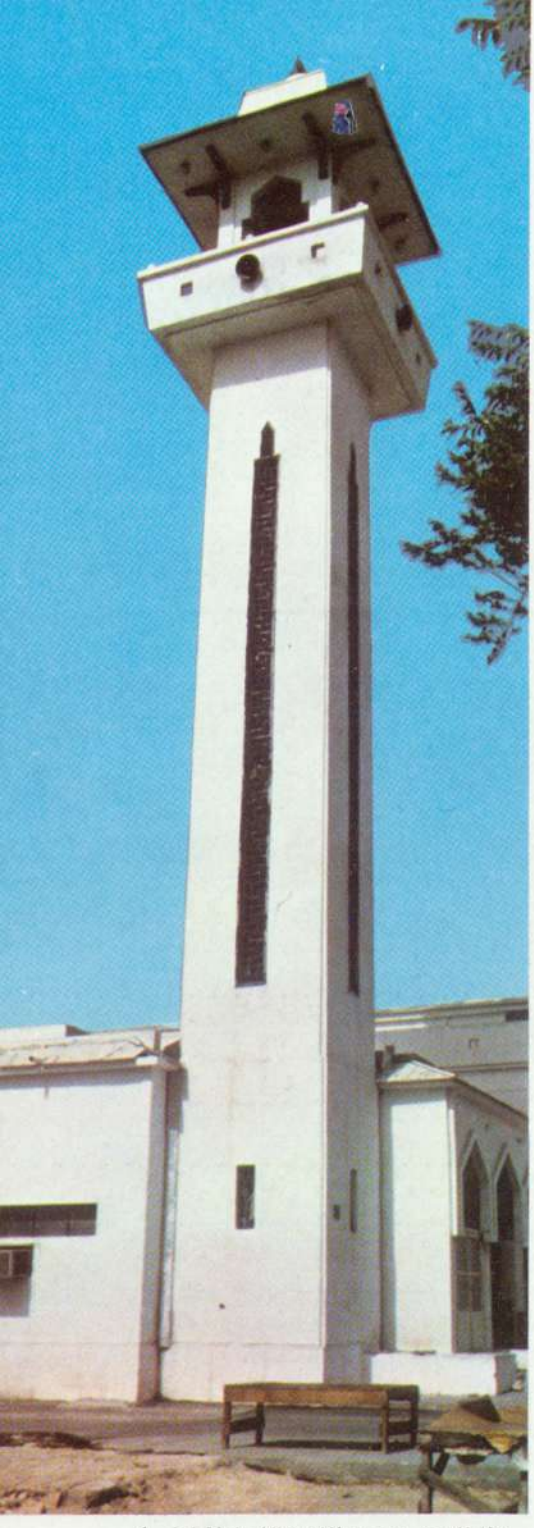
وإذا عرفنا أن المســـاجد فى الارض تتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجـوم لأهل الأرض عرفنا مكانة المسجد ومنزلته فى بناء المجتمع ، وكيف تتجه إليه القلوب وترتبط به العقول ، وتتالف عليه العواطف وتنمو فيه المعارف ، وتربو الحضارة ، من

اجل هذا وغيره كان الاهتمام بالمســجد عمارة ورسالة يشكل جانباً حضارياً خصباً فى حياة المجتمع الاسلامي وبنائه .

ومن هذا المنطلق انبعث الاهتمـــام بالمسجد فى (قطـــر) ديناً وحضـــارة وللدنيا والآخرة .



مسجد قديم يحكي بعمارته الاصالة والوقار والسكينة .



هذا المسجد يروي بمأذنته الشامخة لونا من العمارة الحديثة .

مظاهر الاهتمام

وياخذ الاهتمام بالمسجد فى (قطر) اتجاهين متساوقين ومتناسقين :

الاتجاه الأول : يدور حول عمارة المسجد

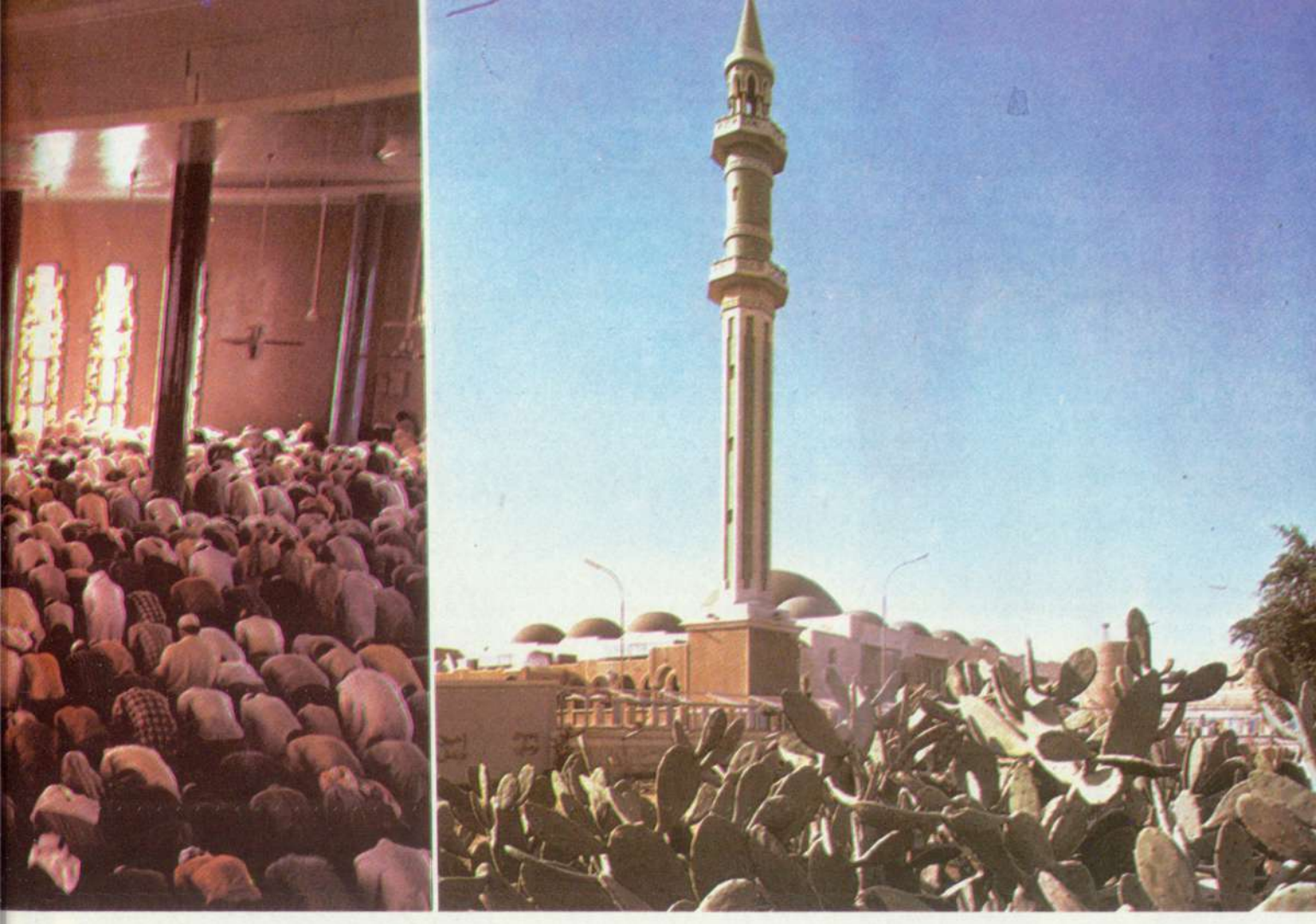
والاتجاه الآخر : يدور حول رسالة المسجد .

وأيما يممت وجهك فى بادية أو حاضرة فى مدينة أو قرية تجد كلا الاتجاهين بارزاً على المستوى الحكومى وعلى المستوى الشعبى ، اهتمام مزدوج ينشد الاحسن دائماً من كلا الجانبين .

عمارة المسجد فى قطر

وتتسم عمارة المسجد فى (قطر) بسمات واضحة ومتميزة منها : البساطة بشكل هادىء غير معقد ، فالزخارف بشتى اشكالها من مكتوبات ومحفورات وبارزات وتعدد الالوان والعقود إلى غير ذلك تكاد تكون مستبعدة تماماً فى عمارة المسجد إلا ماجد أخيراً فى بعض المساجد المستحدثة وفى الشكل الخارجى فقط .

واختفاء مثل هذه المظاهر وان كان من الوجهة الفنية وعلى مستوى الفن المعمارى



الجامع الكبير بقبابه المتعددة النادرة ، التى تحتضن تحتها اندر واكبر الثريات فى العالم .. ثم مظهر آخر من داخل المسجد لجموع المصلين مع كل فريضة .

للمسجد قديماً وحديثاً وفى مختلف البيئات والعصور الاسلامية يعد بعداً عن الناحية الفنية أو الشكلية الا انه من جانب آخر أهم يفرغ المسجد لطابعه ورسالته الخاصة مما يعين رواده على أداء العبادة بعيداً عن الاشتغال بمعنى آخر غيرها ، فما تكاد تقع عينك على مسجد منها الا وتحس بمعنى الوقار والبساطة ، وتشعر انك أمام مسجد لا أمام متحف أو قطعة فنية تسبق إلى العين بمعنى الفن فى المقام الأول .

ويبدو هذا بشكل أوضح داخل المسجد ، فلا نقوش ولا زخارف لا ملصقة ولا ثابتة ، ولا بارزة ، ولا محفورة بحيث لا يجد المصلى ما يستقطب نظره غير الهدف الذى جاء من أجله وهو العبادة ، ولا يمنع ذلك أن تقع عينك خارج المسجد على ألوان من الفن الأصيل بادياً فى صور المآذن المتعددة الأشكال والرسوم والجامعة - تقريباً - لكل أنواع الفن المعمارى القديم والحديث من شرق العالم الاسلامى وغربه ومن مختلف العصور والبيئات من أندلسية ومغربية ومصرية وشامية وفارسية وهندية فى تناسق بديع يضفى الجمال والبهجة وهى تتراءى فى السماء متلألئة بالأضواء فى الليل وبخاصة للمحلقين بالطائرات فى سماء قطر .

ومنها : التكامل الجيد : بمعنى أن المصلى يجد كل ما يحتاجه ويعينه على العبادة بخشوع فهناك الأماكن المعدة للتطهر اعداداً كاملا وجيداً .

وهناك التكييف الكامل داخل المسجد بصورة يحس معها العابد براحة تعينه وتحببه لمواصلة عبادته فى خشوع .

وهناك الأثاث الجيد النظيف ، الأضواء الكاملة ، وأجهزة الاستماع التى تصل الى كل أذن فى المسجد .

كل هذا فى إطار من الحفظ ، والصيانة المتجددة فى كل وقت .

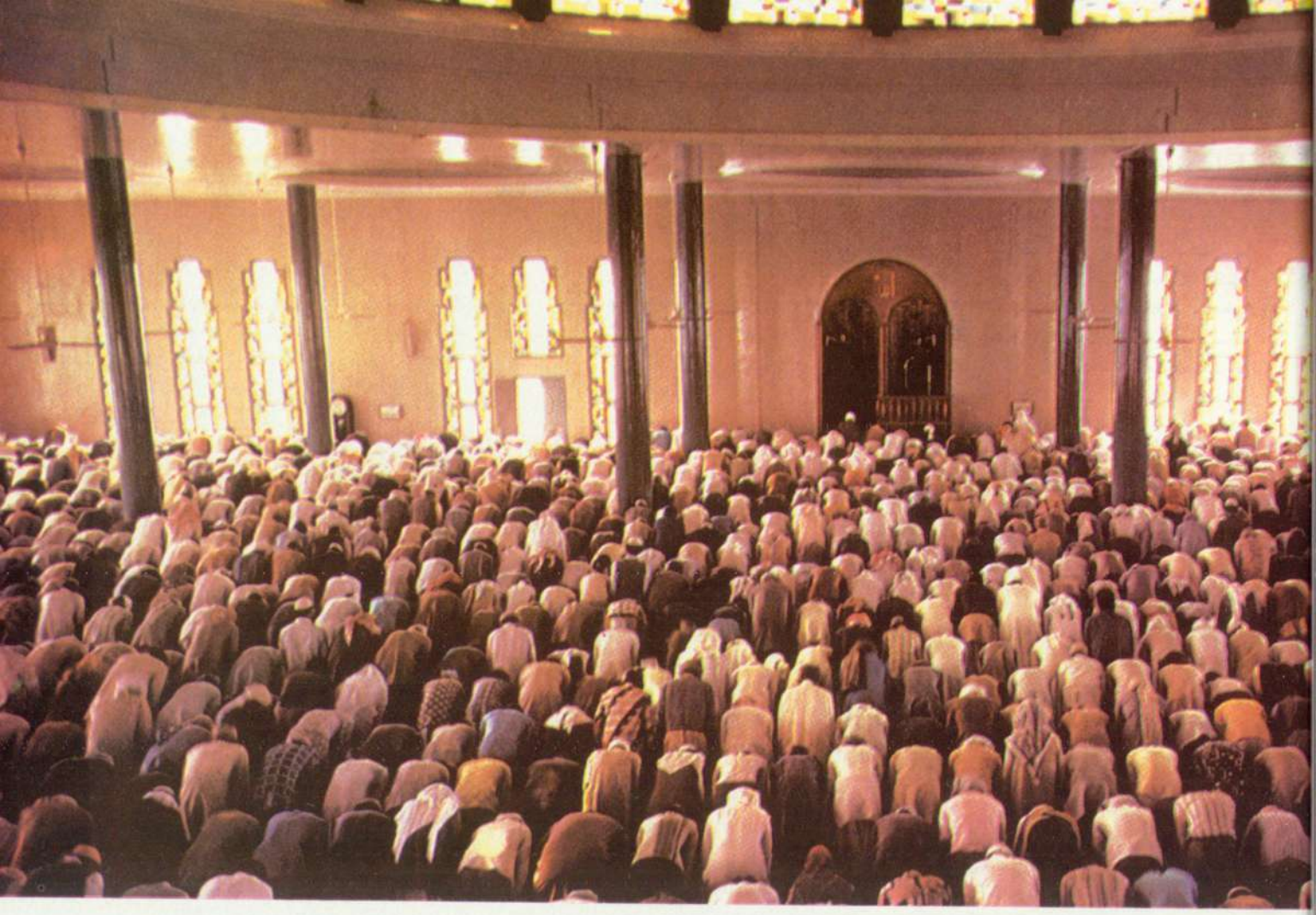
ولا يكاد يخلو مسجد من مبردات لماء الشرب فى الصيف وسخانات لماء الطهر فى الشتاء مما يجعل المسجد مكاناً محبباً إلى النفس ، ويجعل أداء العبادة فيه عملا مريحاً للروح والجسد معاً . ويلحق بكل مسجد (سده) فسيحة فى شرقه تستوعب العشرات بل المئات من المصلين إذا ضاق المسجد برواده ، وفيها يؤدى بعض المصلين بعض نوافل العبادات من صلاة وقراءة قرآن ، واحتباس للصلاة وغيرها .

وبدولة (قطر) أنواع من المساجد إذ فيها :

● المسجد الجامع : ويتسع للمئات بل للآلاف ، وفيه تؤدى الجمعة والجماعات وتقوم حلقات التلاوة ، ودروس العلم ، ولا يكاد يخلو حي أو (فريج) من مسجد جامع لأهل الحي جميعاً يوم الجمعة ، ومثل هذه المساجد الجامعة معدة إعداداً كاملا لذلك ففيها المنبر وغالباً ما يكون دكه أو مكاناً مرتفعاً داخل تجويف المحراب غير بارز فى الصف الأول ويصعد إليه الخطيب على درجات مبنية فى شكل دائرى ومجهز بأجهزة الارسال الكافية .

● مسجد الفريضة : وهذا النوع من المساجد صغير نسبياً ومنتشر بشكل كبير لا يكاد يخلو منه شارع أو زقاق ، وتؤدى فيه الفرائض الخمس فى جماعة .

● المساجد الخاصة : بمعنى أن كل مؤسسة تحرص على إقامة مسجد للعاملين بها وكل مدرسة بداخلها مسجد للمدرسين



والتلاميذ ، وبالقسم الداخلى مسجد للساكنين من الطلبة ، وفى الجامعة مسجد للطلبة ، وآخر للطالبات ، بل وفى البيوت الكبيرة وداخلها مساجد لا يحجب عنها أحد .

● مساجد الشيعة والحسينيات :

وهى موجودة فى بعض الأحياء ، ويؤدى فيها الشيعة الشعائر على مذهبهم من أذان وصلاة .

والمساجد بعامة سواء كانت جوامع أو مساجد فريضة تكتظ بالمصلين فى كل صلاة ويتوافدون إليها زرافات ووحداناً مع دخول وقت كل فريضة وحين يؤذن لها ، ويحرص كل مصل على حضور الجماعة فى المسجد بصفة دائمة وعامة ويأخذ ذلك مأخذ الواجب الحتمى ، ويقام لصلاة الفريضة بعد الأذان بوقت يكفى المستمع أداء التطهر والسعى إلى المسجد ـ وغالباً ما يتراوح ذلك بين ثلث الساعة ونصفها .

رسالة المسجد

«فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار » ولذا كانت « أحب البلاد إلى الله مساجدها » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقدم من سفر إلا نهاراً فى الضحى فاذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين .

ومن المسجد كان توجيه المجتمع الاسلامى ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين فقال : انثروه فى المسجد . فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فما كان يرد أحداً إلا أعطاه فما قام وثم درهم ، وما ألم بالمسلمين أمر ذوبال ، ولا عرض لهم عارض فى شأن دينهم ودنياهم إلا نودى (الصلاة جامعة) وتداعوا إليه يتشاورون .

وعلى أرض المسجد وحول أعمدته نبتت بذور الحضارة الاسلامية وأينعت وسطرت أنضر صفحات فكرها وثقافتها ، وفيه تربت الأجيال من مهد الصبا إلى الشيخوخة والكبر ، فالمسجد هو المثل والنموذج للمجتمع والبيئة والوطن الاسلامي ، فيه يدرب المسلم على ممارسة الحياة بوضوح واستقامة وطهر وخير ، وحين يفقه المسلمون رسالة المسجد على هذا النحو تستقيم لهم وبهم الحياة ، هكذا كانوا ، وهكذا يجب أن يكونوا .

ومن هذا المنطلق والفهم يجب أن تتأصل رسالة المسجد فى كل نفس وبيئة .

ونظرة إلى دور المسجد ورسالته فى مجتمع (قطر) نجد الدلائل والمؤشرات تتجه نحو تحقيق الكثير من هذا الدور والرسالة ويبدو ذلك فى المعالم التالية :

العبادة

وفى الذروة منها الصلاة ، وفى جماعة ، ولا يكاد يخلو مسجد صغير أو كبير فى حي أو زقاق من المصلين وبكثرة ، فى كل فريضة يحثون الخطى إليها عند سماع الأذان ويتوافدون من كل صوب متطهرين أو عازمين ، عليهم السكينة والوقار ، وتقام الجماعة صفوفاً متراصة كالبنيان فى سمت خاشع بوقار العبادة

المسجد
ودوره الحضاري في دولة قطر

وزينة الايمان ، من بين مواطن ووافد ومقيم ومرتحل تجمعهم عقيدة واحدة ورباط واحد وقبلة واحدة وان تباينت الأشكال والأجناس واللغات لا ترى إلا وقاراً ولا تسمع إلا سلاماً ، ولا تحس إلا طهراً ، فهذا قطرى ، وآخر فارسى وثالث هندى ورابع عربى وخامس افغانى هكذا من اجناس وشعوب تعارفت بالاسلام واتحدت قلوبها وصفوفها على الايمان .

التلاوة والأذكار

وقبل الصلاة وبعدها يدوى المسجد فى وقار وسكينة بترتيل القران فى انتظام وتناسق وبصفة دائمة ، وعقب الصلاة لا ينصرف مصل قبل ختمها بالمأثور من السنن .

حلقات التلاوة : ولا يكاد يخلو يوم من حلقات القرآن فى مسجد او اكثر بصفة منتظمة تضم الدارسين والمدرسين من كل عمر وثقافة ، ويقوم عليها قارىء مجيد يسمع ويوجه ، وتجرى فى كل عام المسابقات بين الدارسين وتمنح الجوائز للمتفوقين ، وبكل مسجد مئات من المصاحف من أجود الطبعات واجملها مهيأة ومعدة لكل مصل وقارىء .

وتهدف هذه الحلقات إلى تعليم التلاوة وإجادتها ، وتشجيع الحفظ لتعليم القارئين والمدرسين والمحفظين تلك الاحكام وهناك مجلس دائم كل يوم خميس بعد صلاة المغرب بمسجد الندوة للتلاوة وتعليم أحكام التجويد ، ويكتظ كل أسبوع بالدارسين .

دروس العلم

وحلقات الدروس والوعظ بالمساجد منتظمة طوال أيام الأسبوع ويقوم بها علماء مخصصون وتجمع بين دروس التفسير ، والحديث ، والفقه ، والوعظ ، وهناك محاضرات ثابتة ودائمة فى بعض المساجد ، من أبرزها محاضرة (الأثنين) فى مسجد (خليفة) بعد صلاة العشاء ، ومحاضرة الأربعاء فى مسجد القسم الداخلى ، ومحاضرة الخميس فى مسجد (السلطة) ودرس الجمعة فى مسجد (إسحاق) وغيرها كثير .

وللمساجد الخاصة داخل كل مدرسة دور هام فى تعليم النشء وتهذيبهم حيث يصحبهم مدرس متخصص قبل صلاة الظهر يعلمهم الوضوء والصلاة وبعض الأحكام ويشترك معهم صفوة من المدرسين والمشرفين فى مظهر طيب يأخذ منه التلاميذ القدوة الطيبة ، كذلك يقام فى بعض المساجد دروس بغير العربية للجاليات الأفغانية ، والباكستانية ، والهندية ، ويؤديها بعض أبناء هذه الجاليات المتفقهين .

المكتبات فى المساجد

وبكل مسجد مكتبة يتفاوت حجمها بتفاوت حجم المسجد ، وتضم مئات الكتب فى الثقافة الاسلامية بعامة ، وبعض التفاسير وكتب الحديث والفقه بخاصة وكذا كثير من المسجلات من المصحف المرتل وخطب الجمعة والدروس والمحاضرات وهى معدة ومهيأة لكل مصل يرغب فى القراءة ، وبعض المكتبات يضم بعض المطبوعات بلغات اردية ، وفارسية لخدمة المصلين الذين لا يجيدون العربية .

نشاط ديني واجتماعي

ولا تخلو المساجد الكبيرة من بعض وجوه النشاط الدينى الاجتماعى ، ومن ذلك النشاط القائم حول فريضة الزكاة تفقيها ، وتوجيهاً ، وجمعاً ، وتوزيعاً ، فهناك التوجيه الدائم لها فى الخطب والدروس ، وهناك الصناديق المعدة فى المسجد لجمعها وتجمع الحصيلة وترد على مستحقيها ويشرف عليها صندوق (قطر) الاسلامى للزكاة بالبنك العربى ، ويبدو هذا النشاط ملحوظاً فى شهر رمضان بخاصة ، كذلك لا يمر أسبوع من وجود (وفد) أو اكثر من مختلف انحاء العالم الاسلامى لجمع التبرعات لاقامة مشاريع اسلامية من مساجد ومراكز ومدارس وغيرها من مرافق لخدمة الجاليات الاسلامية وتجد هذه الوفود ضمن ما تجد من رحابة الصدر وسعة الانفاق مجالا خصباً فى المسجد وبخاصة بعد صلاة الجمعة حيث يبادر المصلون بتبرعاتهم الكريمة ، وتجمع هذه التبرعات وتصرف لهم تحت اشراف رئاسة المحاكم وادارة المساجد ، كذلك للمسجد دور هام فى معونة المجاهدين فى أفغانستان وغيرها وقد كان للشئون الدينية دور مشكور فى هذا الجانب .

المسجد فى رمضان

ولشهر رمضان فى دولة (قطر) سيما مميزة ، ومعالم بارزة يحس بها كل مسلم ، وبخاصة فى المسجد ، فخلال الليل والنهار لا تخلو المساجد من مصلين ، وعاكفين ، وقارئين ، ودارسين ، ومزكين .

ويتضاعف عدد المصلين حتى لتضيق

مسجد خليفة الذي يقام فيه الموسم الثقافي طوال العام بمحاضرات يوم الاثنين .





مسجد الوكرة يحكي بشموخه البساطة وجلال القدم .

بهم بعض المساجد على كثرتها وسعتها ، وبخاصة فى صلاة الليل ، حيث تبدأ صلاة التراويح بعد العشاء فى وقار وسكينة وخشوع وطمانينة وبعض المساجد يختم فيها القرآن كله خلال الشهر فى صلاة الجماعة فى التراويح مثل المسجد الكبير ، ويتخلل الصلاة درس أو محاضرة لا تقتصر فائدتهاعلى رواد المسجد فقط بل ينقلها المذياع عبر الأثير ، وفى العشر الأواخر من رمضان تبدأ صلاة القيام فى المسجد ابتداء من منتصف الليل تقريباً الى قبيل الفجر بقليل ، وينتظم فى صفوفها الشيب والشباب من كافة الأعمار فى خشوع وتبتل وصلاة طويلة يتلى فيها جزءان من القرآن كل ليلة .

كذلك تتضاعف دروس العلم والوعظ فى رمضان عصراً وعشاء وفجراً لايكاد يخلو منها مسجد من العلماء والوعاظ ، وبعضهم يستضاف لذلك من بعض البلاد الاسلامية وتنقل الاذاعة هذه الدروس من المسجد الكبير فى الفجر والتراويح والقيام وفى أخر رمضان ينشط المصلون لأداء فريضة الزكاة ، وزكاة الفطر . كذلك تقيم بعض المكتبات العامة سوقا للكتاب على أبواب المساجد الكبرى ويتزود المصلون منها كل ليلة بالكثير من الكتب لمكتباتهم الخاصة . وتتضاعف حلقات تلاوة القرآن فى ذلك الشهر فى المساجد بعامة وفى مسجد الندوة بخاصة ، وبعض هذه الحلقات تدرس فيها أحكام التجويد وبعض القراءات .

المسجد والمرأة

وللمرأة مجالها الطيب فى المسجد فى (قطر) حيث خصص لها مكان بارز يحاط بالحواجز الساترة فى جانب منه ؛ أو تخصص لها الطوابق الثانية الموجودة فى بعض المساجد كالجامع الكبير .

وتواظب المرأة على حضور دروس العلم المنتظمة كدرس الاثنين فى (مسجد خليفة) ، كما تواظب على صلاة التراويح ثم صلاة القيام فى العشر الأواخر من رمضان ولا يكاد يخلو مسجد منهن وباعداد كبيرة فى صحبة المحارم حتى ليبلغ عددهن بالمئات كما يشاهد ذلك فى الجامع الكبير ، ولهذه الظاهرة اثرها الكبير والطيب فى كثير من الأسر والبيوت ،

المسجد والطفل

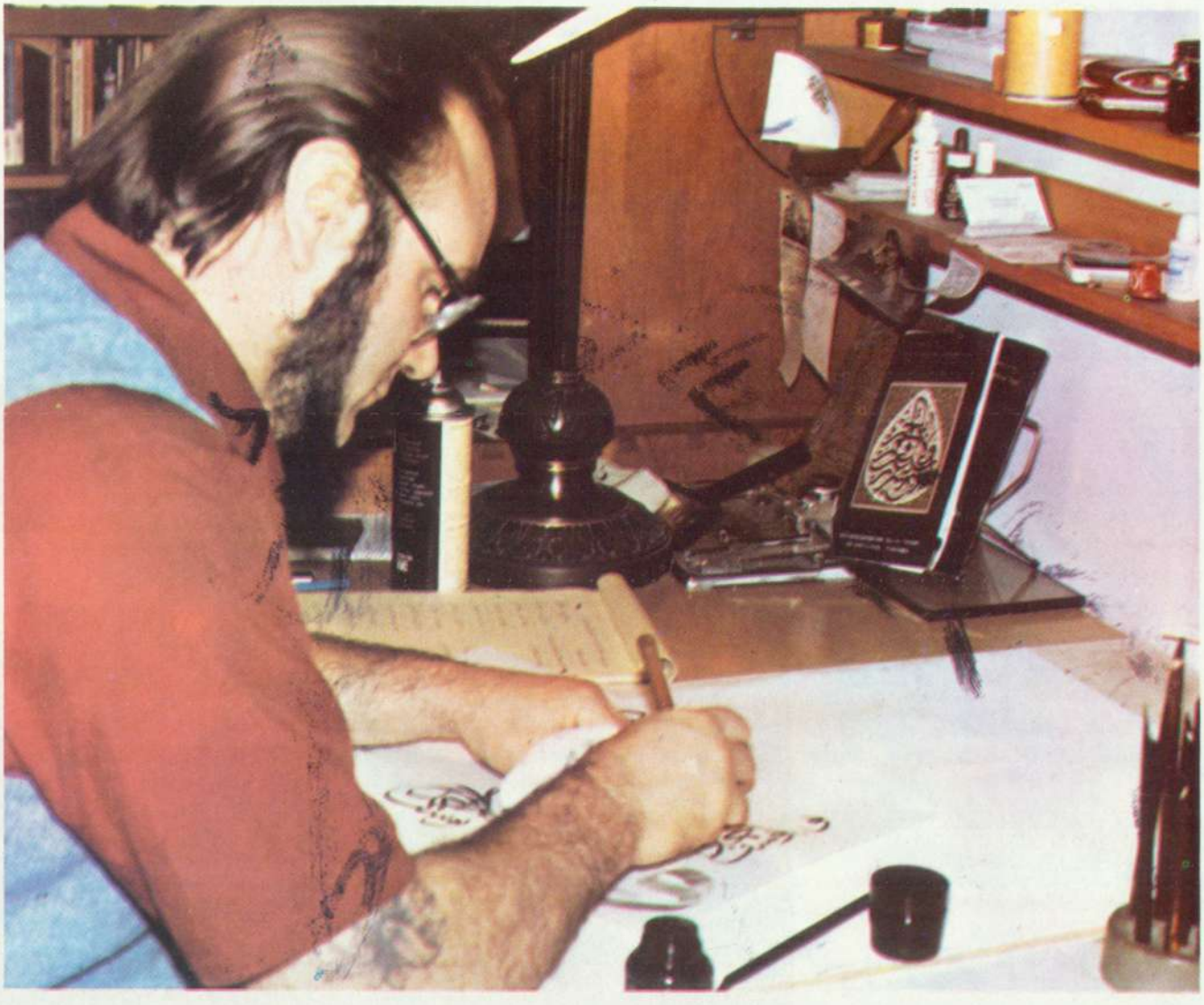
ويحرص الآباء على اصطحاب أولادهم إلى المساجد تربية وتدريباً لهم على الصلاة فى جماعة حتى فى قيام رمضان بعد منتصف الليل وكذلك حضور مجالس العلم .

هذا فضلا عن حلقات تحفيظ القرآن التى تضم بين جنباتها عشرات بل ومئات الأطفال والصبيان فى مختلف ساعات النهار والليل .

إن للمسجد فى (قطر) مكانته ودوره الذى لا ينكر ، والاهتمام به على المستوى الرسمى والشعبي اهتمام ملحوظ وبارز لاسيما الاهتمام الدائب فى اختيار الخطباء وتدريب الأئمة ويبدو ذلك فى إنشاء معهد تدريب لهم يقوم على التدريس به صفوة من العلماء .

هكذا يقوم المسجد فى (قطر) معلماً اسلامياً وحضارياً بارزاً واصيلا قديماً وحديثاً عمارة ورسالة ، ديناً ودنيا .

دكتور حسن عيسى عبد الظاهر



الفنان الأمريكي الشيخ محمد زكريا اثناء انهماكه في كتابة الخط العربي .

الفنان الأمريكي المسلم مع زوجته وإبنه في حديقة بيته !



فنان أمريكي يعتنق الإسلام ويبدع في الخط العربي

بقلم : يوسف أحمد



لوحة رائعة من اعمال الفنان الامريكي المسلم ، وقد اهتم فيها بالزخارف الاسلامية والمساحات اللونية التى تعكس جمال وروعة الفن الاسلامي

قصة هذا الفنان تؤكد لنا أن الفن كنشاط انسانى عظيم هو الذى يقرب المسافات بين الشعوب ويعرفها على العادات والتقاليد التى قد تكون غائبة عن الأذهان ..

وكما نعرف فان الفن يلعب باستمرار دوراً هاماً فى نقل مفاهيم الناس ومعتقداتهم والمزج بين كثير من الأفكار والآراء ، ولذلك فان أهمية هذه الرسالة ازدادت مع تقدم وسائل الاعلام التى جعلت من السهل علينا أن نتعرف فى نفس اليوم على المعارض الهامة التى اقيمت فى هذه المدينة أو تلك ، أشرطة الفيديو والشرائح الشفافة والكتب ذات الطباعة الفاخرة التى أصبح فى مقدورنا من خلالها أن نرى أهم المعارض الفنية ، والتى جعلت هذا العالم الكبير يبدو أمامنا وكأنه لا يحمل بين لرجائه تلك المسافات البعيدة ، فكل شىء أصبح فى متناول اليد ـ وبسرعة رهيبة ـ بداية من الأخبار والأحداث إلى اللوحة الفنية !

البداية كتاب مطبوع

ان حياة الفنان الامريكى الشيخ محمد زكريا انقلبت رأسا على عقب ، عندما اهتم بقراءة كتاب مطبوع عن الفن الاسلامي فى المتحف البريطانى ، فمن وقتها أخذ يبحث فى كل مكتبة عن الكتب التى تناولت موضوع الفن الاسلامى الذى انتج هذا الفن الرفيع ، خاصة وأنه لا يعلم عنه أى شىء ، وبدأ يقرأ ـ فعلا ـ عن الاسلام فى شوق ورغبة عارمة للتعرف على كافة تفاصيل هذا الدين العظيم ..

وقد حدث هذا فى الخمسينات ، عندما رحل هذا الفنان من مدينته « لوس انجلوس » بجنوب كليفورنيا إلى أوربا على ظهر باخرة اقلته من شرق الولايات المتحدة الأمريكية .

وترك خلفه أثناء هذه الرحلة ذكرياته أيام صباه ، عندما كان معجباً بنمط الحياة السائد بعد ظهور موضة « الهيبز » واتساع نطاق الرغبة فى الاسترخاء والسلبية وعدم المشاركة فى تحديث المجتمع ..

وكثيراً ما كان فى تلك الفترة يضيع وقته فى اللهو مع اصدقائه بقيادة الموتوسيكلات بسرعة جنونية هرباً من الملل والرغبة فى التجديد !

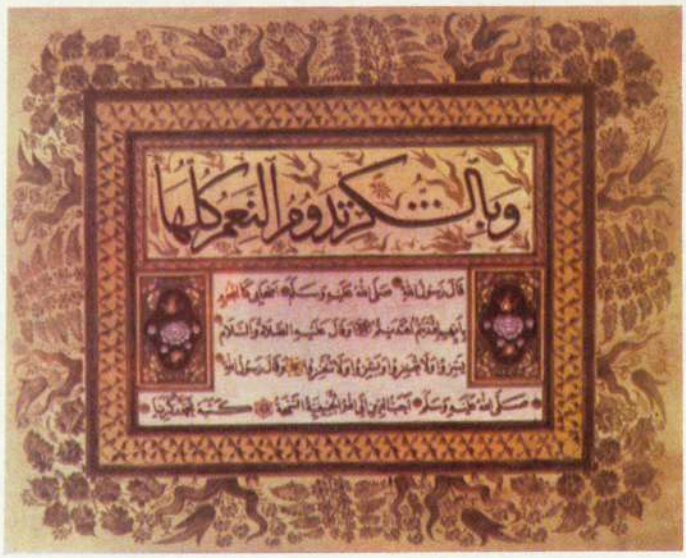
إلا أن حياته هذه غير المستقرة سرعان ما شعر نحوها برغبة فى التغيير ، خاصة وأن ظروفه الخاصة وتاملاته المعينة جعلته يبحث عن وسيلة تعطيه الأمل فى

فنان أمريكي يعتنق الإسلام ويبدع في الخط العربي



كاتب المقال مع الفنان الامريكى







مجموعة من لوحات الخط العربي التى قدمها لنا الفنان الأمريكي المسلم ، ملتزما بقواعد الخط المتوارثة .. ثم نموذج لساعة اسلامية قديمة برع الفنان فى صنعها .

مستقبل مشرق بعيداً عن هذا النوع من اللهو الرخيص !

وهنا قرر أن يقوم برحلة اوربا ، طمعاً فى البحث عن الأشياء التى افتقدها داخله ..

رحلة للمغرب

ورتبت له الصدفة موعداً مع مطالعة كتاب الفن الاسلامى ، وموعداً آخر مع فنان عربي مصرى هو الخطاط علي نور ، الذى بدأ يلازمه ويقاسمه حياته ويعرفه على الكثير من مميزات وروحانيات الدين الاسلامي وكنوزه التشكيلية المعجزة المتمثلة فى فنون الزخرفة والخط العربى بجميع انماطه الابداعية من ثلث ورقعة ونسخ وديوانى ، وغير ذلك من أساليب الكتابة العربية .

وبعد أن اعتنق فناننا الامريكى الاسلام قرر السفر الى المكان المناسب والبيئة الخصبة للاسلام ، ووقع اختياره على المغرب هذا البلد الساحر الذى عشقه من قبله فنانو اوروبا فى القرن السابع عشر مثل ديلاكروا وغيره وأصبح مسرحاً لممارسة الكثير من المدارس الحديثة مقتبسين حياة الشرق وسحره والابهارات اللونية التى تزخر بها بلاد المغرب .

لم يدخل فناننا الامريكى الذى أصبح اسمه محمد زكريا أي معهد أو مدرسة لتعليم الخطوط ، ولم يكن يعرف حرفاً من العربية قبل هذا التحول الخطير الذى دفع فناننا لأن يجعل شغله الشاغل هو اقتناء الكتب والمجلات التى تعني بالخط العربي وفنونه واسراره ؟!



هذه اللوحة البديعة استخدم الفنان فى كتابتها الوانا واحبارا صنعها بنفسه .

الخط حياته !

لقد حاول فى بادىء الأمر تقليد انماط الخط العربى ، ومكث السنوات العديدة فى التعرف على اسرار هذا الفن يعمل ويتعلم فى جدية لا مثيل لها .

اخذ يدرس بامعان كل ما وقعت عليه عيناه فى معاهد الخط العربى ومكتبته ووثقائه التاريخية والمستحدثة ، وما أن احس بانه قد استوعب كل هذه المؤثرات حتى بدأ فى اتجاه جديد ، حاول أن يشق لنفسه اسلوباً مميزاً يجمع بين كلاسيكيات الخط وقواعده المتوارثة وبين أسلوبه وشخصيته المميزة مازجاً بين الزخارف والخطوط والتشكيلات الفنية (الا ابيسك) ولكن أهم تلك الملامح الى تستحق التسجيل هو ما عنى به أكثر من غيره من صناعة ألوانه وأحباره واوراقه بنفسه ..

كان كالناسك المتعبد فى محراب الفن الاسلامي الذى ملك عليه حياته ووجدانه ، وعاماً بعد عاماً استطاع أن يتمكن من اتقان هذا التخصص الرائع ..

واخيراً قفل راجعاً الى امريكا ليبدأ حياة حديثة كلها عطاء وتالق ، خاصة وانه يعتبر حدثاً فريداً من نوعه فى المحافل الثقافية والفنية الامريكية .

وتهافتت المؤسسات الفكرية على انتاجه وتسابق جامعو التحف الاسلامية والمهتمين بالتراث العربي وفنون الخط بالذات الى الاستفادة من خبراته واقتناء أعماله ، وأسرع المسئولون فى قسم الدراسات الشرقية بجامعة « جورج تاون » بالعاصمة الأمريكية الى التعاقد معه ليصبح استاذاً متخصصاً فى تعليم الخط العربي .

لقاء مع الفنان

وعندما سمعت عنه قررت زيارته ، فذهبت الى محراب عمله ، واستقبلني بكل سماحة المسلم ومثاليات الفنان المؤمن ، واطلعنى على المساحيق القديمة التى قرا الكثير عنها فى الكتب الاسلامية القديمة والتى أخذ يطبقها فى صنع أحباره بيده .

وعرفت أثناء لقائى به أن هذا الفنان برع فى صناعة الساعات الاسلامية القديمة بنفس الطريقة التى كان المسلمون يستخدمونها فى الماضى ، وهو يعتمد على هذه الساعات فى تحديد الوقت الى درجة اننى صليت وراءه صلاتي العصر والمغرب على توقيتها الدقيق !

وقد بدأت أخيراً المؤسسات الثقافية تعترف بهذا الفنان المبدع ، وبدأت جامعة جورج تاون فى طباعة ونشر كتاب كامل ضمنه أربعين شكلا من أشكال الخط العربي ، كما أنه بدأ يمارس رسالته فى تعليم عشاق الخط العربى من الأوربيين والامريكيين كافة التفاصيل التى تجعلهم يتذوقون بصورة أكبر هذا الفن الجميل ..

اننى اذ أقدم هذا الفنان الامريكى المسلم الى القارىء العربى ، فان كل أملى أن تهتم به المؤسسات العربية والخليجية وتقيم لأعماله معارض على أرضها ، ويا حبذا لو استضافته دول الخليج وفى مقدمتها وزارة الاعلام بدولة قطر ، ليتعرف جمهورنا على هذه الظاهرة الفريدة من خلال معرض متكامل لخطوطه العربية الغاية فى الجمال والدقة ، ويمكننا أثناء استضافته أن نستفيد من معلوماته عن الخط العربى وصناعة الأحبار عن طريق إقامة ندوة حول هذا الموضوع الهام ، وكل ذلك ـ بالطبع ـ إضافة إلى اننا نتيح أمامه بهذه الزيارة فرصة اللقاء باخوانه المسلمين فى الوطن العربى .

يوسف احمد

بقلم
مجدي نصيف

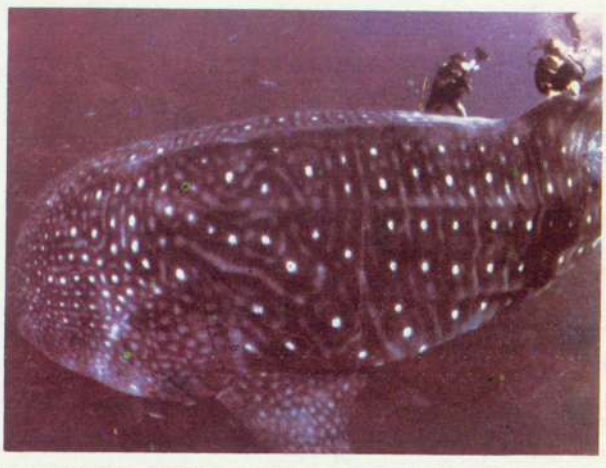
أستاذة جامعية تقول لنا :

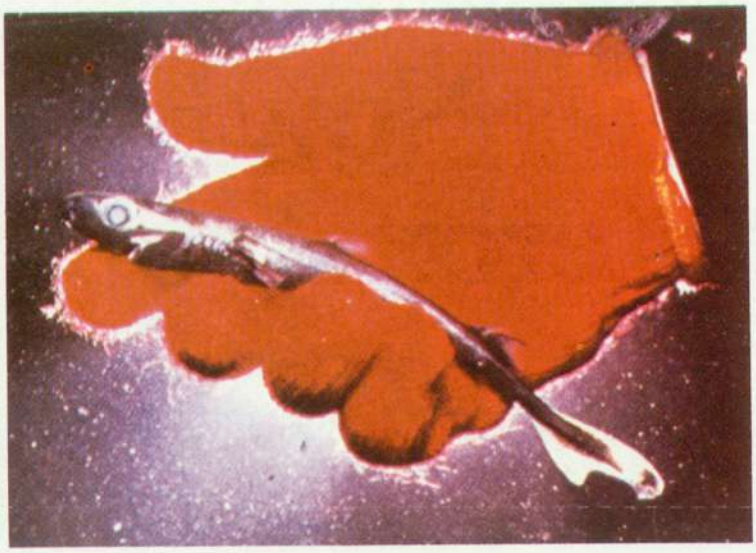
تعلموا عشق الفلك المفترس!



سمكتان من أسماك القرش فى أحد الكهوف تحددان مكان الفريسة لتنطلقا نحوها ، وإلى أسفل « القرش النمر » وقد ظهرت أسنانه الحادة . وإلى اليمين « القرش الحوت » أكبر سمكة قرش فى محيطات العالم ويصل طولها ١٨ مترا لكنها لا تهاجم الإنسان

تقوم البروفيسور « ايوجين كلارك » الأستاذة « بالمعهد البحرى » بكيب هيز بفلوريدا بدراسة خاصة عن سمك القرش .. ولذلك عرفت بين زملائها باسم « سيدة سمك القرش » لأنها تعتبر نفسها صديقة لهذا الوحش السلاب النهاب الذى يذرع المحيطات وينشر الرعب بين الصيادين والمصطافين ، حتى لقد بنيت عليه أسطورة « الفك المفترس » التى نجحت على الشاشة الفضية وحققت كفيلم أرباحاً خيالية ، رغم أنها قصة مبالغ فيها !





اصغر انواع اسماك القرش ويطلق عليه للسخرية اسم « القرش الشيطان » ولا يزيد طوله عن ٣٠ سم فقط . ويعيش على عمق مائتين وخمسين متراً حيث يرى بعينيه الحادتين فى ظلام الاعماق .



نوع من سمك القرش يطلق عليه اسم « القرش الخنزير » يعيش فى قاع البحار ويأكل نجوم البحر والحيوانات الصدفية ويصل طوله الى حوالى المتر

تقول البروفيسور ايوجين كلارك مدافعة عن « القرش » .

– « لقد بالغ الناس كثيراً فى تصوير سمك القرش كاكل للبشر ، ولعبت الافلام مؤخراً دوراً كبيراً فى هذا التصور .. اننى اريد ان اقول انه حتى « سمك القرش » يستحق بعضاً من التعاطف ومن الخطأ القول أن سمك القرش نوع فتاك رهيب مسلح بانياب حادة وله شهية مفتوحة دائماً .

الذكاء والاصل

فبعد ثلاثين عاماً من الدراسة العلمية يظهر سمك القرش ككائن لم نقيمه التقييم المضبوط . ففى فلوريدا قامت الاستاذة كلارك بتدريب سمك القرش على قرع الجرس حين يجوع . وتقول الاستاذة .

– إن سمك القرش ذو ذكاء حاد وذاكرة جيدة ، وهو يتعلم بنفس السرعة التى تتعلم بها فئران التجارب فى المعامل ، وله ذاكرة تستفيد من الأخطاء » .

واذا ما قمنا بمقارنة الانسان بسمك القرش ، فالانسان ليس الا محدث نعمة على هذه الكرة الارضية بالنسبة له . لقد تواجد سمك القرش فى محيطات أرضنا منذ اكثر من ٣٠٠ مليون سنة ، بينما تواجد الانسان منذ ثلاثة ملايين عام على اكثر تقدير علماء الاجناس البشرية . اسماك القرش إذن هى « حفريات » حية ، مزودة بكل ما تحتاجه لتقوم بدورها « كمفترسات تجوب البحار ، وهى لم تتغير منذ نشاتها ، بينما استمرت معظم الحيوانات الاخرى فى التطور ، استمر سمك القرش « ماكينة مفترسة » بحرية متحركة .

ويعكس التشريح الأولى لسمك القرش اصله القديم . واول ما يلفت النظر ان كل اسماك القرش غضروفية ، اى ليس بها عظام . وسمك القرش البالغ له خمسة أزواج من الخياشيم المنفصلة (كالجنين البشري عندما يكون عمره ثلاثة اسابيع) . وجلده خشن – كورق « الصنفرة » – مكون من ملايين الاشواك المكونة من مادة الأسنان ، فهي بذلك عبارة عن ملايين الأسنان . واسنان سمك القرش تتكون من نفس المادة ، لكنها ليست مثبته باللثة (كما هو الحال فى الانسان) ، وإنما تنمو دائما كما ينمو الشعر والأظافر ، وهي تنمو فى صفوف تتحرك دائما إلى الأمام لتحل محل ما فقد او تاكل من الأسنان الأمامية .

الحاسة السادسة

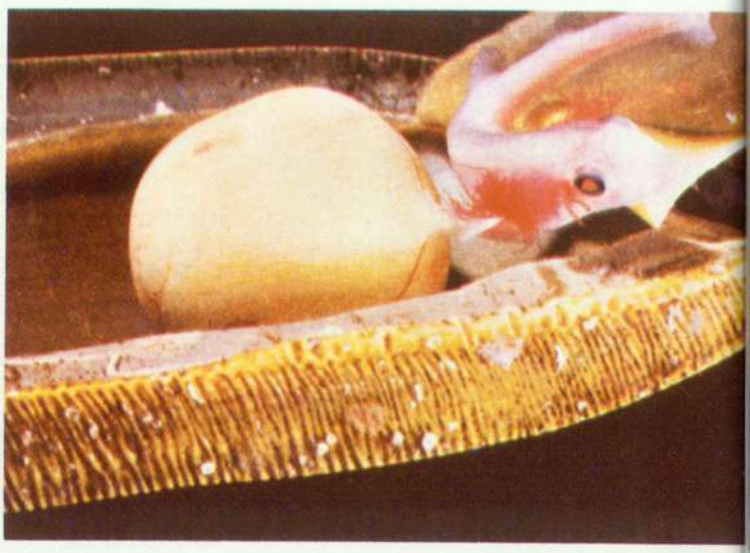
وسمكة القرش عبارة عن جسم – او بالأحرى ماكينة متحركة ذات حساسية فائقة . ان حاسة الشم عند القرش يمكنها ان تدرك رائحة عصير سمك التونا عندما يكون تركيزه فى الماء جزء من أكثر من نصف المليون . ويمكنه ان يشم رائحة دم حيوان من على بعد نصف كيلومتر . لكنه يستطيع أن يعرف ما اذا كانت تلك السمكة التى تبعد عنه مسافة ٣٠٠ متر ، مريضة او سليمة ، برصد ذبذباتها ، عن طريق نهايات أعصاب حساسة للغاية موجودة تحت جلده !

هذه الحاسة السادسة هى التى تجعل سمك القرش صياداً مفترساً مميتاً . إنه يستطيع حتى أن يحدد مكان السمك « المسطح » الذى يدفن نفسه تحت الرمال ، بالاتجاه نحو الاشارات الالكترومغنطيسية التى تصدرها كل الاسماك . ويعتقد بعض العلماء أن اسماك القرش قادرة على التقاط الاشارات الاليكترومغنطيسية من الأرض ، والاستعانة بها للابحار فى رحلاتها لمسافات هائلة فى المحيطات .

وعينا سمكة القرش لا تغمضان ابداً . ويؤكد الدكتور صمويل جروبر من جامعة ميامي أن حاسة الرؤية عند سمك القرش قوية للغاية ، بل إن بعض الانواع وهو مايطلق عليه اسم « قرش الليمون » تصل حاسة الرؤية عنده إلى عشرة اضعاف تلك الحاسة عند الانسان . ويضيف الدكتور جوبر قوله :

– إن القرش يمكنه ايضاً التفرقة بين الألوان . ونامل من خلال قيامنا ببعض التجارب أن نصل إلى الالوان التى يفضلها اكثر من غيرها !

وبدأ العلماء فى الولايات المتحدة الامريكية برنامجاً لمعرفة تحركات اسماك القرش ، ومنذ بدأ البرنامج العام الماضى ، تم الامساك بـ ٣٠ الفاً من هذه الاسماك



جنين سمكة القرش عن قرب . الكيس داخل البيضة يطعمه لمدة عام كامل



جنين سمكة قرش تحيط به كبسولة للحفاظ عليه . وقد ثبت الجنين بقطعة من صخور للرجان وتقوم الكبسولة بحماية الجنين وتغذيته حتى يفقس .

ووضعت عليها علامات مميزة وارقام ، ثم اخذت النتائج تتوالى بعد ذلك . ظهر ان سمك القرش يسبح ويسير لمسافات خيالية فى بحثه الدائب اللانهائي عن الطعام . واعطى لقب «بطل المسافات الطويلة» ، « للقرش الأزرق » وطوله ثلاثة امتار . وقد امسك باحد هذه الاسماك عند الشواطىء الشرقية للولايات المتحدة ، ثم امسك به مرة ثانية بعد عام فقط ، عند « جبل طارق»

الانسان أخطـر

وهناك ٣٥٠ نوعاً على الاقل من اسماك القرش مدونة لعلماء الاحياء ، ويزداد عددها كل عام . ففى عام ١٩٦٧ تم اكتشاف نوع جديد سمى بـ « الفم الضخم » على شواطىء هاواي ، بعد ان ابتلع خطأ مرساة سفينة ، وتشع فكاه الغائرتان لمعاناً فسفورياً ، تمكنه من ان يرى بوضوح فى أحلك الاعماق . لكنه رغم مظهره الهائل لا ياكل إلا الكائنات البلانكتونية العالقة بالماء .

واكبر سمكة قرش فى العالم هي النوع المعروف باسم « قرش الحوت » ، وهو نوع يصل طوله فى بعض الاحيان إلى ١٨ متراً. واصغرها النوع المعروف باسم « قرش الشيطان » ، والنوعان ياكلان البلانكتون اي العوالق . هناك نوع اخر صغير الحجم اسمه « قرش المطبخ » لانه ياكل اي شيء فى طريقه ، ولحسن حظ البشرية ان هذا النوع لايزيد طوله عن النصف متر فقط ، لكن شهيته هائلة بل عنيفة ، فهو يستطيع ان يقضم قطعاً وافرة من اسماك اكبر منه بكثير ، ثم يختفى قبل ان تلحق به ضحاياه . وفى إحدى المرات قضم احدها غطاء مطاطياً لاحد اجهزة الغواصات النووية الامريكية .

إن مثل هذا الشره ، وتلك الأسنان ، والحركة الدائبة السريعة ، هو ما يجعل سمك القرش خطيراً للغاية . ويمثل « قرش الحوت » بالذات خطراً حقيقياً وسجلاته تشهد بذلك . ولكن نسبة حدوث حوادث هجومه إلى الناس مبالغ فيها جداً . لكن الانسان يمثل خطورة على سمك القرش اكثر من خطورة سمك القرش على الانسان، إذ يقتل الانسان ٣٠٠ سمكة قرش سنوياً ، بينما تذكر سجلات معهد سميثسونيان بان عدد المرات التى يهاجم فيها سمك القرش الانسان لا تتعدى ٢٠ هجوماً كل عام فى كل محيطات وبحار العالم . حتى ان احتمال الموت بسبب عاصفة برقية اكبر بكثير من احتمال الموت عن طريق هجوم لسمك القرش ! .

مهاجمة الصيادين

وإذا كان عدد انواع سمك القرش يصل إلى اكثر من ٣٥٠ نوعاً ، وليس فيها اكثر من ثلاثين نوعاً هي الأنواع الشرسة تضم « النمر » و « راس المطرقة » و « ماكو » و « الممرضة الرمادية » و « الثور » . واكثرها شراسة هو « راس المطرقة » .

تقول الاستاذة الدكتورة كلارك مدافعة عن اسماك القرش :

ـ « إن اكثرها شراسة وهو « راس المطرقة » يفضل تجنب البشر . فهو لا يهجم إلا حين يستفز . ومن الحظ السيىء ان حركة السابح فى الماء تولد موجات ضاغطة يفسرها سمك القرش بانها علامات ضيق ، فيتجه نحو ضحيته المنتظرة » .

وطبقاً « لمكتب هجوم القرش » بالولايات المتحدة فان اكثر الاوقات خطورة بالنسبة للسابحين حين ترتفع درجة حرارة الماء عن ٢١ درجة مئوية لأن الماء الدافىء يزيد من سرعة التمثيل الغذائي فى سمكك القرش ، ومن ثم احتياجه للغذاء . لذلك ففى بريطانيا التى يصطاد فيها الهواة والصيادون اربعة الاف سمكة قرش سنوياً تقل برودة المياه إلى حد كبير من هجوم سمك القرش . ورغم ذلك تتجول « الماكو » حول شواطىء بريطانيا ، وهناك حوادث مسجلة حول هجومه على الصيادين .

ورغم كل ما يقال من حواديت حول اسماك القرش ، تظل الحقيقة ان الانسان يصطاد كل عام ماوزنه ٣٠٠ الف طن من سمك القرش ويعطى كبده زيتاً مشهوراً جداً فى صناعة مستحضرات التجميل التى تستخدم من بين اشياء اخرى لصنع احمر الشفاة .

• • •

إن الاستاذة الامريكية « ايوجين كلارك » تتعاطف بشدة مع سمك القرش ، ولا تنظر إليه نظرة الخوف التى ترعبنا ، وهى دائماً تقول لكل الذين يقابلونها :

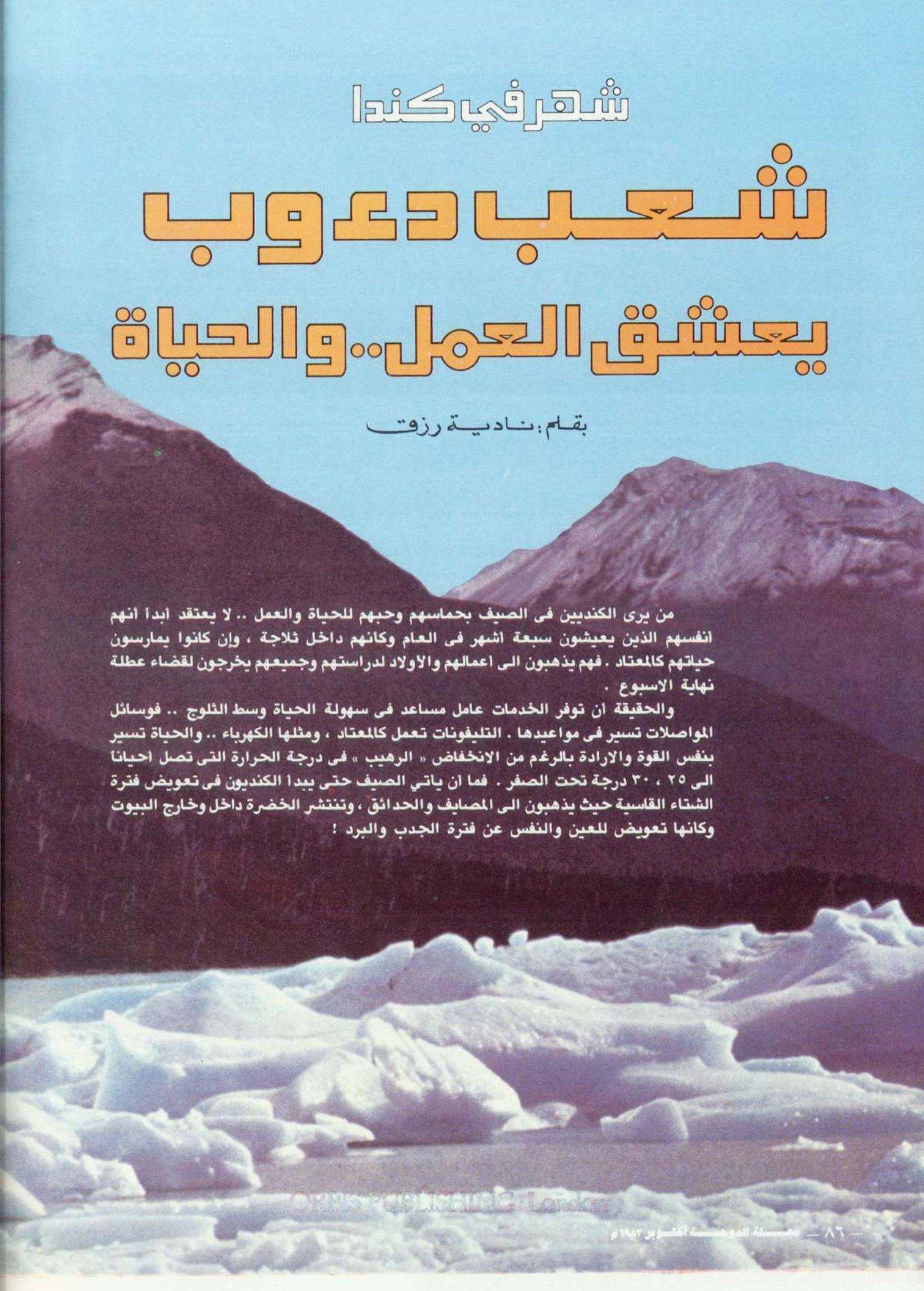
ـ تعلموا عشق الفك المفترس .. ولا تصدقوا خيالات الذين ينشرون الرعب بين الصيادين والمصطافين ! .

مجدى نصيف

شهر في كندا

شعب دءوب يعشق العمل.. والحياة

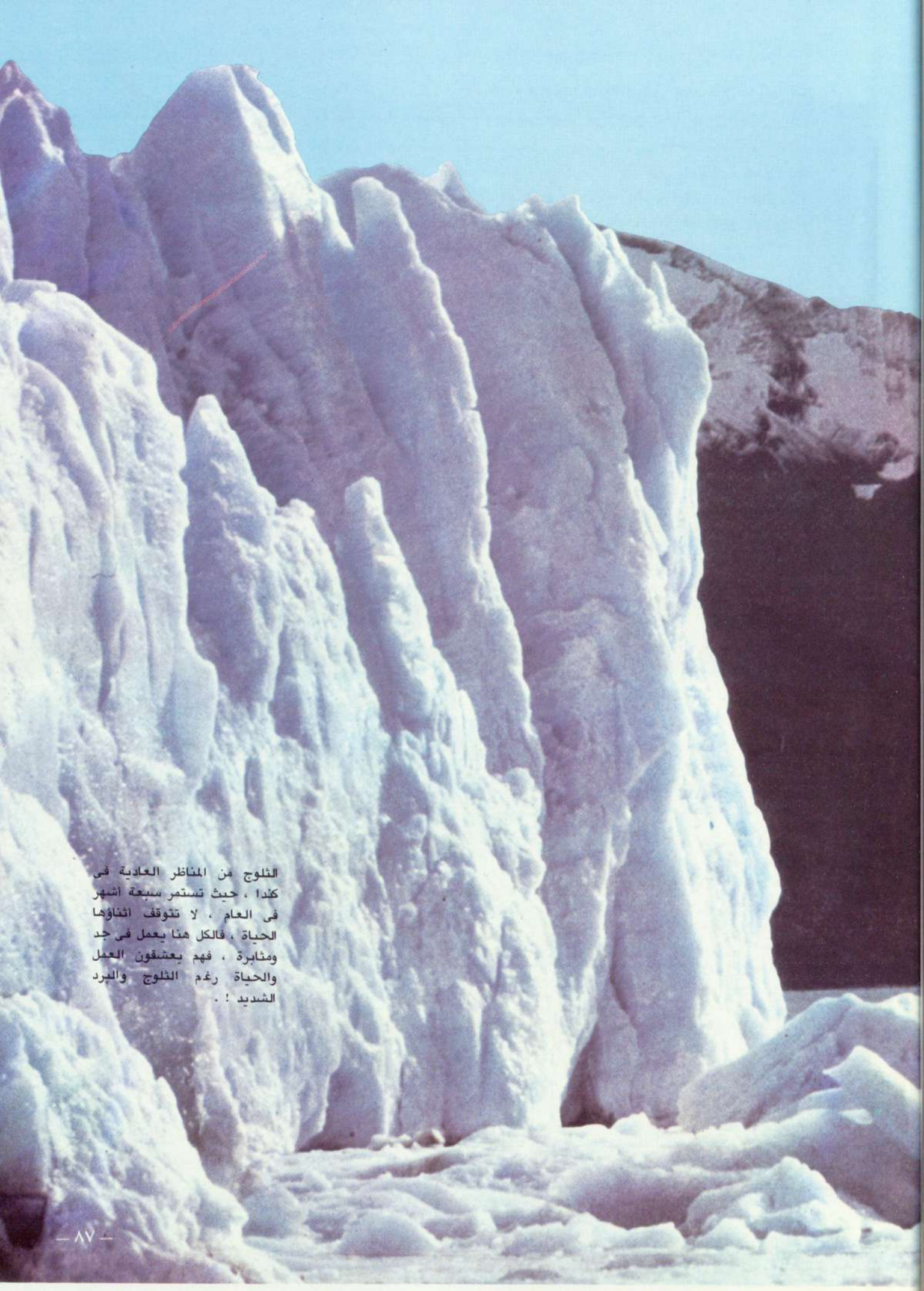
بقلم: نادية رزق



من يرى الكنديين فى الصيف بحماسهم وحبهم للحياة والعمل .. لا يعتقد أبداً أنهم انفسهم الذين يعيشون سبعة اشهر فى العام وكانهم داخل ثلاجة ، وإن كانوا يمارسون حياتهم كالمعتاد . فهم يذهبون الى اعمالهم والأولاد لدراستهم وجميعهم يخرجون لقضاء عطلة نهاية الاسبوع .

والحقيقة أن توفر الخدمات عامل مساعد فى سهولة الحياة وسط الثلوج .. فوسائل المواصلات تسير فى مواعيدها . التليفونات تعمل كالمعتاد ، ومثلها الكهرباء .. والحياة تسير بنفس القوة والارادة بالرغم من الانخفاض « الرهيب » فى درجة الحرارة التى تصل أحياناً الى ٢٥ ، ٣٠ درجة تحت الصفر . فما أن ياتي الصيف حتى يبدأ الكنديون فى تعويض فترة الشتاء القاسية حيث يذهبون الى المصايف والحدائق ، وتنتشر الخضرة داخل وخارج البيوت وكانها تعويض للعين والنفس عن فترة الجدب والبرد !

ORBIS PUBLISHING London



الثلوج من المناظر العادية فى كندا ، حيث تستمر سبعة أشهر فى العام ، لا تتوقف أثناؤها الحياة ، فالكل هنا يعمل فى جد ومثابرة ، فهم يعشقون العمل والحياة رغم الثلوج والبرد الشديد ! .

● « سوق الحميدية أيضاً في كنـدا ! ● ● تعاطف الكنديين واضح تماماً مع القضية الفلسطينية ! ● ● ● ماذا يطلب العرب فى كندا من جامعة الدول العربية ؟ ● ● ● ● من هم المحظوظون فى هذه البـــلاد ؟
● النهضة الاقتصادية من أسباب نمو الفنون بكندا ! ● ● الكتاب والأدباء الكنديون ... لماذا تتجاهلهم البلاد العربية ! ● ● ● مهرجان سنوي للدراما يقام بكل مقاطعة كندية ! ● ● ● ● المشاهد فى كندا يستطيع استقبال ٧٩ قناة تليفزيونية !.
● شوارع كندا كأنها مبنى الأمم المتحدة ، تجمع كل جنسيات العالم ! .



بـــرج تورونتـــو الشهيـــر كمـا يبـــدو في الليـــل وخلفـــه ناطحـــات الســـحاب .

شهر في كندا

ولو تتبعنا جودة الخدمات المتوفرة لسكان كندا لعرفنا صعوبة القيام بها وسط هذا الجو « المثلج » والظروف البيئية الصعبة . فكندا قطر كبير جداً يمتد من المحيط الأطلنطي حتى شاطىء المحيط الهادى ، ومن حدود الولايات المتحدة حتى القطب الشمالي ، وهي قدر مساحة انجلترا سبعون مرة ، ولا يفوقها فى المساحة سوى الاتحاد السوفييتي ، ولكن متوسط كثافة السكان بها اقل من ٩ اشخاص فى الكيلومتر الواحد ..

وفي هذه المساحة الشاسعة نجد تفاوتا كبيراً فى المناخ ، فاربعون بالمائة من مساحتها تقع داخل المناخ شبه القطبي .. ولهذا السبب يتركز اغلب السكان فى الجنوب .

وتعتبر كندا بلاد الجبال المرتفعة ، وتمتد الجبال بها من الشمال الى الجنوب وهى جبال « الكورديلليرا » الغربية .. وإلى الداخل تمتد جبال الروكي التى تصل جنوباً حتى الولايات المتحدة ، ولها قمم ترتفع لاكثر من ٣٣٣٣ متراً وتتمتع البلاد باكبر عدد من البحيرات فى العالم : بحيرة متشجان ، وبحيرة سوبريور ، وبحيرة هورون ، وايري ، وبحيرة اونتاريو . بالاضافة الى نهر سانت لورانس الذى يستمد ماءه من البحيرات الخمس ويكونون اكبر طريق مائي فى العالم .

الثروات المتعددة

اما مصادر الدخل هناك فعديدة ومتنوعة واهمها تاتي من الاخشاب حيث يوجد بها اكبر غابات العالم التى تشتمل على الكثير من انواع الاشجار . يكفى ان نعرف ان نصف الورق الذى تطبع عليه جرائد العالم كله ياتي من كندا .. كما ان الثروة المعدنية بها ضخمة جداً ، فبها النيكل ، وتعتبر ولاية « البرتا » مصدراً هاماً فى العالم لانتاج البترول ، ويوجد اليورانيوم فى أجزاء متعددة منها ، كما تتمتع بكمية هائلة من اليورانيوم ، كما تستخرج الفحم . إلا أن بعد المسافة بين المراكز الصناعية ومصادر الطاقة يهبط بالانتاج .

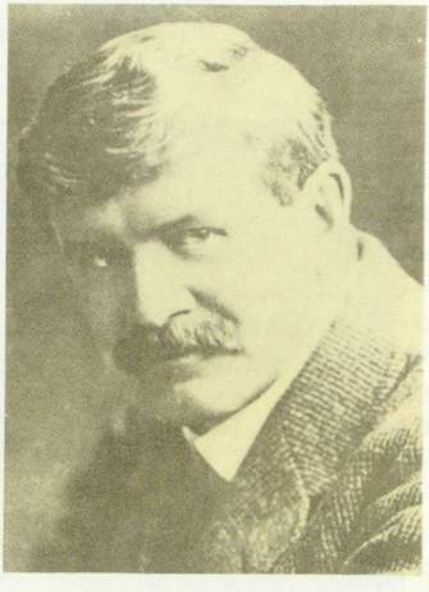
وقد أدى قلة عدد السكان مع توافر مساحات كبيرة من الارض إلى ضرورة تنمية الميكنة الزراعية فى كندا .. غير ان المناخ السائد فى معظم انحاء البلاد لا يسمح سوى بفصل زراعي قصير . وبالرغم من ذلك تعد من الدول المصدرة للطعام فى العالم ، والمحصول الرئيسي هو القمح ، ولا يفوقها فى تصديره سوى الولايات المتحدة كما يزرع الشعير والبطاطس وفول الصويا والتفاح والدخان .

وتقوم كندا بتصدير الثلثين مما يتم صيده من السمك كل عام ، وتعد الثالثة فى هذا المضمار بعد اليابان والنرويج .

واهم الأسماك السالمون .. وهو يصطاد من المحيط الهادي .. وتستخدم صناعة صيد السمك الكندية نحو ١٥٠ر٠٠٠ شخص ، وبها أكثر من ٩٠٠ مصنع لتعليب الاسماك.



اطفال كندا الذين يمثلون كل شعوب العالم .. إنهم أصحاب الجنة الحقيقية فى كندا ! .



ستيفن ليكوك .. اديب كندي اشتهر بكتاباته الكوميدية الراقية التى يعشقها الجمهور .



الكاتبة مازو . د . لاروش أصدرت سلسلة من الكتب القيمة التى تبحث فى الادب الكندى .

سياحة من الهواء

عرفت كندا كيف تجعل من نفسها بلداً سياحياً يؤمه الآلاف سنوياً ، وهي اصلا لا تتمتع بمعالم سياحية ـ كالتى توجد فى العالم العربي ـ سوى شلالات نياجرا وتوجد على الحدود بين كندا والولايات المتحدة الأمريكية ، والقسم الكندى منها على شكل حدوة حصان . وقد استطاع القائمون على استغلاله سياحياً أن يجعلوا منظر الشلالات خلابة خصوصاً فى الليل باضافة الأضواء والظلال ، وإنشاء مدينة حولها بها كل ما يريده السائح من فنادق والعاب ومحلات ويؤمها آلاف من السياح ليستمتعوا بمنظر اندفاع ملايين الأطنان من المياه التى تستعمل فى توليد الطاقة الكهرومائية .. وكل المشروعات السياحية قائمة على الأفراد والشركات الخاصة ، فهناك حديقة الحيوان المفتوحة (السفارى)

شعرفي كندا

.. ويعد « برج أونتاريو » ـ ويبلغ ارتفاعه حوالي ٥٥٦م ـ من المعالم السياحية بكندا ايضا حيث توجد اسفله مدينة كاملة من الألعاب .. اما الكنديون فيفخرون بقلعتهم التاريخية وتدعى « كزالوما » التى بناها حاكم كندا منذ ١٥٠ عاما ليستقبل فيها ملكة بريطانيا اثناء زيارتها لكندا ، وتبدو القلعة من الداخل عادية قياسا على الآثار الموجودة بالبلاد العربية ، ولكنهم عرفوا كيف يجذبون السائحين لرؤيتها ..

مع التاريخ

فى عام ١٤٩٧ اكتشف كندا رحالة يدعى « جون كابوت » ، وبعدها تطلع الفرنسيون لاستعمارها ، فانشاوا المستوطنات فى منطقة تدعى « نوفاسكوتيا » عام ١٦٠٤ ،

وفى منطقة « كوبيك » عام ١٦٠٨ . وسرعان مابدأ الصراع بينهم وبين البريطانيين للسيطرة عليها فنشبت الحرب الفرنسية الهندية عام ١٧٥٤ ـ ١٧٦٣ التى انتهت بتخلى فرنسا عن الاراضي الكندية لبريطانيا بموجب معاهدة باريس عام ١٧٦٣ . وفى عام ١٨٦٧ اتحدت مقاطعات كندا وشكلت ما يعرف بـ « دومنيون كندا » ، وعند انشاء الكومنولث انضمت إليه عام ١٩٣١م ومازالت الى الآن صورة ملكة بريطانيا على الدولار الكندي ، وفى الدواوئر الرسمية إلا ان تبعيتها لبريطانيا اصبحت شكلية ، وتدور حاليا مناقشات فى البرلمان الكندي ، لاستقلال كندا تماما عن بريطانيا .

وقد اشتركت كندا فى الحربين العالميتين إلى جانب الحلفاء .. وبعد الحرب الثانية بدات كندا تاخذ وضعها معتمدة على الولايات المتحدة التى يرتبط اقتصادها بها حتى الآن .. وهناك كثير من رؤوس الأموال الامريكية التى تجد مجالا واسعا للاستثمارات بكندا ، إلا ان هذه التبعية الاقتصادية لا تروق للاقتصاديين الكنديين ، حيث يرون انها سبب للتضخم الموجود حاليا بسبب ارتفاع الاسعار ، وازدياد نسبة البطالة ، مما اضطر الحكومة الى وقف كثير من المساعدات التى كانت تقدمها إلى بعض الفئات مثل « الضمانات الاجتماعية » للمتعطلين عن العمل ، وزيادة الضرائب .

وما يثير الرأي العام الكندي هذه الأيام هو فرض ضريبة على الماكولات بنسبة ٧٪ بعد ان كانت معفاة تماما من الضرائب ولا يمر يوم دون أن تسير المظاهرات من المستهلكين واصحاب المطاعم ومحلات الطعام للمطالبة بالغاء هذه الضريبة بعد أن قل اقبال الناس على الشراء .

ولكن الحكومة الكندية مسئولة عن الخدمات الهامة مثل العلاج ، ورصف الطرق ، وانشاء الحدائق. ومواردها تاتي عن طريق الضرائب . وتتميز كندا بشبكة ضخمة من الطرق والكباري العلوية ومترو الأنفاق الذى يربط كل مقاطعة من جهاتها الأربع .

هل يتحقق الانفصال ؟

مازالت مسالة انفصال كوبيك الناطقة باللغة الفرنسية تؤرق بال السياسة الكندية ، ومازالت هناك دعوات من اعضاء برلمان تلك المقاطعة تنادي بالانفصال عن كندا الأم ، وتكوين دولة مستقلة ، إلا أن الاستفتاء الذى طالب باجرائه « بيير ترودو » رئيس الوزراء فى العام الماضى ، واسفر عن رفض سكان تلك المقاطعة الانفصال مفضلين البقاء تحت راية كندا الموحدة ، قد شجع على ابتعاد شبح الانفصال ولو مؤقتا . وحجة الحكومة الكندية فى ذلك ان الدولة مكونة من جنسيات متعددة من المهاجرين ، ففيها الصينيون ، والفرنسيون ، والانجليز ، والأفارقة ، والعرب .. ولو طالبت كل جنسية بانفصالها لتفتتت كندا ، ولساعد ذلك على ظهور دعوات انفصالية فى كل المقاطعات ... وتعتبر كندا مثل هيئة الامم المتحدة ، فهي تضم جنسيات من كل انحاء العالم ، ويتمتع الجميع بنفس الحقوق دونما تفريق .

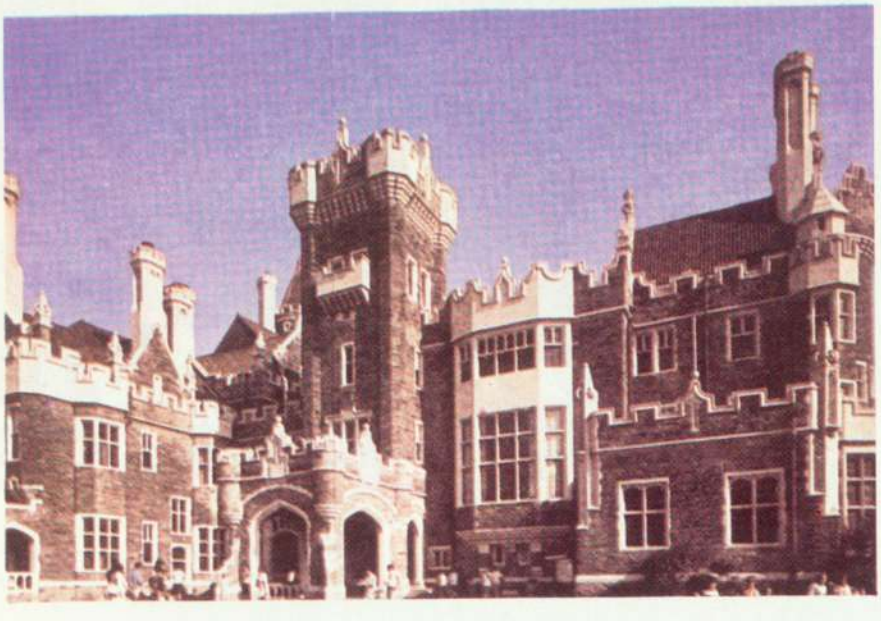
والعرب فى كندا

ولو تتبعنا المهاجرين العرب الى كندا لوجدنا لهم وجوداً متمثلا فى اكثر من شكل سواء على الصعيد الرسمى او الاجتماعي او الاقتصادي والاجتماعي ، فالهجرات العربية بدات ما بين عامي ١٨٧٠ و ١٨٨٠ من لبنان ، ثم نشطت بعد الحرب العالمية الأولى ،وازدادت عام ١٩٥٦م وحتى ١٩٦٠ عندما بدا بعض العرب مثل المصريين والعراقيين واللبنانيين من الأطباء والمهندسين والخبراء فى الاتجاه لكندا ، بلغ عددهم وقتها حوالي ١٥ الفا ، واغلبهم يشغلون حاليا مناصب هامة فى المجتمع الكندي . ومعظم العرب يعملون فى إدارة المصانع والتجارة ، وهم يشكلون نسبة ٩٠٪ من عمال المصانع فى مونتريال ، و٦٠٪ لباقى كندا .

وتقول التقارير الرسمية الكندية إنه ما بين عام ١٩٦٦ وحتى ١٩٧٦ كان يصل لكندا حوالي ١٢٠٠ عربي سنويا .

وعندما كنت اسير فى شوارع كندا كانت تطرق اذني كلمات عربية ، فكنت اسمع احدهم يسال زميله « الساعة كام ؟ » ،

قلعة « كازالوما » التى يصل عمرها إلى ١٥٠ عاما فقط ، ومع ذلك فان كندا تخلق من « الحبة قبة » فى آثارها !



« اسرع قليلا » .. وقتها كنت اشعر اننى لست فى « آخر الدنيا » .. كما يقولون !

والاعلام الكندي محايد ، فعندما بدأ الهجوم الاسرائيلي على بيروت ، كانت محطات التليفزيون تعرض الأفلام ، وترسل مراسليها للقاء ياسر عرفات وغيره من قادة المنظمة .

ويتعاطف الشعب الكندي مع القضية الفلسطينية . فيظهر هذا واضحاً فى تعليقات الصحف والاذاعة والتليفزيون ، ولكن هذا لا ينفى وجود دور للصهيونية فى كندا حيث يوجد كثير من رجال الأعمال اليهود ، وهؤلاء لهم ثقلهم فى البرلمان .. إلا أن موقف الحكومة الكندية يبدو واضحاً الى جانب العرب .. وخاصة عندما نقلت كندا سفارتها الى القدس ، حين كان جو كلارك رئيس الوزراء فى الحكم ثم اعادتها مرة أخرى الى تل أبيب . كما تقيم كندا علاقات اقتصادية كثيرة مع العالم العربى .

وتنتشر النوادي العربية بكندا . منها الاجتماعية والثقافية . ويوجد عدد من المساجد فى كل مقاطعة .. كما تنتشر المحلات العربية التى تحمل أسماء مثل « خان الخليلي » و « سوق الحميدية » و « العربى » . وتبيع البهارات والملوخية والخبز العربي .

إلا أن الشكوى التى سمعتها فى اماكن متعددة من العرب المهاجرين إلى كندا ، هو عدم وجود رابطة واحدة تضمهم جميعاً ، ويطالبون جامعة الدول العربية بالقيام بدور فى هذا الصدد ، خاصة فيما يتعلق بانشاء مدارس لتعليم العربية لابناء المهاجرين حتى لا يفقدوا صلاتهم بوطنهم الأم .

المحظوظون فى كنـــدا !

الأطفال فى كندا يتمتعون بكل شيء ، وحسب القانون لابد من إيجاد اماكن خاصة للعبهم مثل حمامات السباحة الملحقة بالعمارات الضخمة والحدائق العامة المزودة بالعاب مجانية .. وتستطيع العائلات الاستفادة من ملاعب المدارس وحدائقها فى الاجازات حيث انها بدون أسوار .. والطفل الكندى يستطيع أن يناقشك فى الاقتصاد .. والفضاء .. والتاريخ ..

والمرأة أيضاً من الفئات المحظوظة بكندا على عكس مثيلاتها فى كثير من الدول الاوربية ، فلها نفس حقوق الرجل ، وتعمل بكل الوظائف دون تمييز .. وقد فتحت مواطنة كندية تدعى بين سميث الباب امام زميلاتها للعمل كشرطية إطفائية وذلك



تمثال من فنون الهنود الحمر أصحاب البلاد الأصليين .

عندما رفعت قضية وكسبتها ضد شرطة الاطفاء التى رفضت استخدامها عندما حددت شروط القبول للرجال فقط ، واستطاعت بحكم المحكمة أن تدخل الامتحان وتنجح ..

ولكن بالرغم من المكاسب التى حصلت عليها المرأة الكندية ، إلا أن هناك صيحات تطالب النساء بالاهتمام باولادهن وبيوتهن وتدعو لاعادة النظر فى الضغوط النفسية التى تقع على النساء نتيجة لبقائهن طوال اليوم خارج المنزل مما يسبب التفكك الأسري .

فنون الهنود الحمر

يرجع نمو الفنون والحياة الثقافية فى كندا إلى التغيرات السريعة العلمية والثقافية فى البلاد ، ومنذ عام ١٩٥٠ كانت النهضة الاقتصادية سبباً كبيراً فى استمتاع غالبية الكنديين بالفنون ، هذا بالاضافة لوجود مهاجرين قادمين من مناطق متعددة من العالم .. أصحاب الثقافات القديمة أمثال الصينيين والعرب

وفى كل مقاطعة يوجد مجلس أعلى للفنون تساهم الحكومة فى انشائه . وهناك العديد من الأدباء الكنديين الذين قدموا أعمالا لاقت رواجاً فى العالم ، وإن كان مازال الكثيرون منهم لا يعرفهم القراء العرب من أمثال « مارك لسكاربوتس » و «روبرت وي » و « ستيفن ليكوك » و «توماس رادال ومـازو . د . لاروش وآخـــــرون

والذى يزور المتاحف الكندية يرى آثاراً واضحة للأعمال الفنية المكتشفة فى الاماكن التى كان يقطنها سكان كندا الأصليون من الهنود الحمر فى الساحل الشمالي ابتداء من عام ١٨٨٠ . هذا بالاضافة إلى ما تشمله الجامعات الكندية المتعددة من مجموعات هامة مماثلة لأغراض البحث العلمي .

وتعطى الحكومة اهتماماً خاصاً للمسرح فى كندا منذ بداية عام ١٩٢٠ ، ويقام سنوياً مهرجان للدراما فى كافة المقاطعات تتبارى فيه الفرق فى تقديم أعمال عالمية ومحلية .

أما السينما فقد بدأت تظهر عالمياً عندما اشتركت كندا فى المهرجانات بافلام من انتاجها ، وبدأ جمهور المشاهدين فى العالم يتعرف على الأسماء الكندية من امثال « بيير جاسمان » و « ليلي مارفن » .. ويوجد فى جامعات كندا ٣٢ قسماً لدارسة وابحاث الموسيقى ، كما لا ننسى أوركسترا مونتريال السيمفوني الذى قام بجولة أوربية عام ١٩٨٠ ، وشد انظار واسماع معظم العواصم التى زارها .

أما الارسال الاذاعي والتليفزيوني فهو ملك لشركات وأفراد ، ولا تمتلك الحكومة الكندية سوى محطة واحدة رسمية ، وعلى سبيل المثال يوجد بمقاطعة تورونتو فقط ٤ محطات إرسال تليفزيوني ، بالاضافة لاستمتاع المشاهد ببرامج تليفزيونية لاكثر من ٧٩ قناة .

وعند عودتي واثناء الرحلة الطويلة فوق المحيط الهادي والتى استغرقت حوالى ٨ ساعات ، كنت افكر فى هذا الشعب الدؤوب الذى يحب عمله ويستمتع به ، كما يستمتع باوقات فراغه ، وجمال بلاده سواء فى أثناء الثلج أو الحـر . !

نادية رزق

لقطات من الكون المثير



من الصنبور إلى الخرطوم

الصنبور صغير ، والخرطوم كبير ، والماء المنساب قليل ، لكن القليل مع القليل كثير ، أو أن شيأ خير من لا شيء على أية حال .. وهكذا توصل صاحب هذا الخرطوم الضخم إلى وسيلة للشرب لم يعرفها آباؤه ولا أجداده ، ولن يهتدوا إلى مثله أبداً ، لأن صاحب الخرطوم فيل ، وعندما رأى الماء يتسرب من الصنبور ، هدته غريزته إلى الاستفادة بما يضيع من الماء على الأرض هباء ، وبهذا يروى عطشه بماء نقي صاف من صنع الانسان .. وكل مخلوق يتعلم ، حتى الحيوان ، ودون تدخل من الانسان !

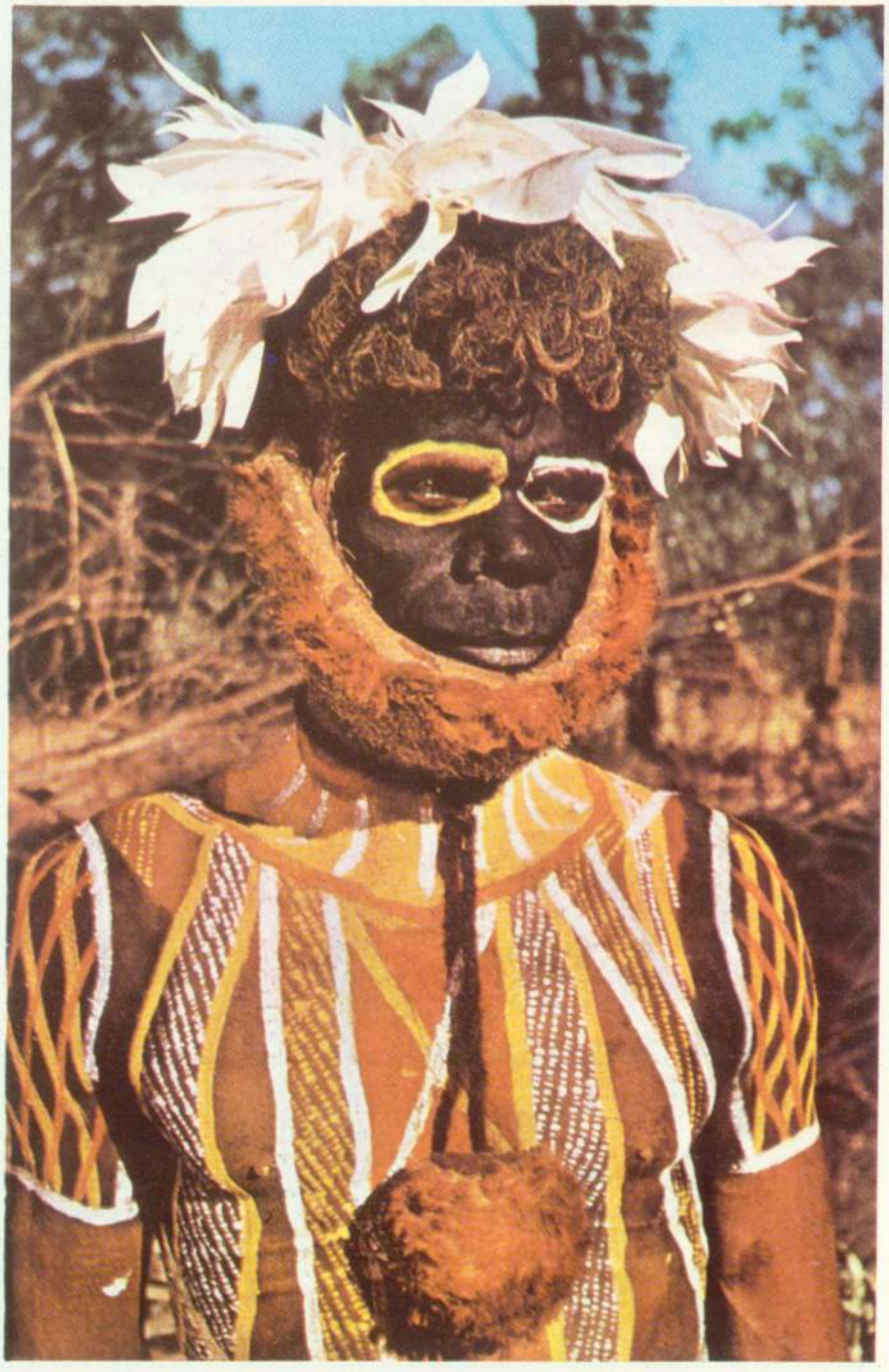


براڤو.. للبقرة

فلنقدمها أولا .. اسمها بيتشر ارليندا ايلين .. بقرة من سلالة هولشتاين ، ومملوكة للسيد هارولد بيتشر وزوجته من ولاية انديانا الأمريكية .. وسر شهرة البقرة انها تفوقت على كل ابقار العالم فى ادرارها للبن ، ففى غضون عام ١٩٧٥ ، درت هذه البقرة ٢٥٢٤٧ كيلوجراماً من اللبن على مدى ٣٦٥ يوماً بمعدل حلبة واحدة فى كل يوم ، أو بما يساوى ٧٠ كيلوجراماً فى المتوسط يومياً ، ولم يتحقق هذا الانتاج السنوى لبقرة أخرى حتى الآن .. هذا ومما يذكر ان بقرة فريزيان بريطانية تدعى جارسدون مينى قد درت فى يوم واحد ٨٩٫٩٢ كيلوجراماً ، وهو رقم لم يتحقق منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن .. وصفقوا معنا لهذه الأبقار ، وكذلك للانسان الذى يقف وراء تحسين مثل هذه السلالات ، التى تنطوى على العطاء والخيرات .

أغرب ماكياج .. وأوهى دواء!

ليس ذلك للزينة ، أو لجذب الأنظار ، بل لطرد الأرواح والأشباح .. ولهذا جاء الماكياج مخيفاً على مستوى البشر ، وأيضاً على مستوى الأرواح ـ على حد اعتقاد بعض قبائل استراليا البدائيين ، فلقد مات عم هذا الرجل ، ومهمته أن يطرد روحه الى الأبد ، حتى لا تعود الى القبيلة ، وتسبب لها المتاعب ، ولهذا يقضى الساعات الطويلة فى دهان وجهه وبعض اجزاء جسمه بالفحم ، أو بالأصباغ المختلفة التى تراها هنا على ذراعيه وصدره وكأنما هى رداء (وليست هى كذلك حقاً) ، ثم يضع على رأسه ريش طير واليافاً نباتية ، وعلى وجهه لحية مستعارة من ريش خفيف ملون ومثبت بشمع النحل ، ومن عنقه تتدلى كرة من نفس ريش اللحية ، ومثبتة بشعر مجدول من شعور النساء ، وهو على أهبة الاستعداد للقيام برقصات تشنجية ، تصحبها أصوات مدوية مختلفة بدقات الطبول ، وصراخ النساء ، حتى تخاف روح العم وتهرب الى غير رجعة .. وكم على الأرض من خرافات تختلف باختلاف المجتمعات .

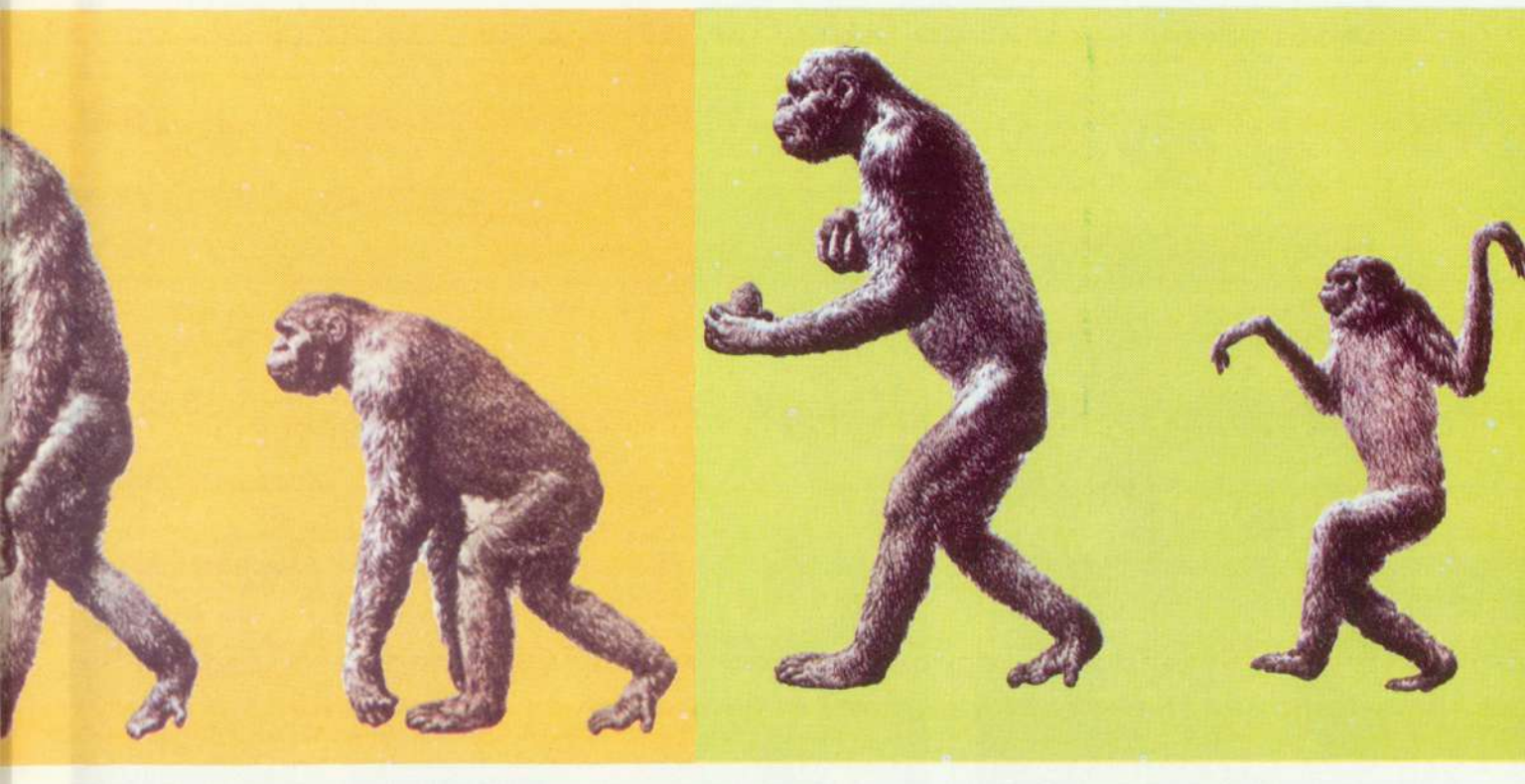




لعبة التخفي "الاستغمائية"!

هذه اللقطة قد لا تجذب الانتباه .. لكن دقق النظر جيداً ، علك تصل إلى سرها ، لأن الطبيعة هنا تلعب لعبة دقيقة ومثيرة .. صحيح اننا نرى فرعاً أكبر يحمل فرعين صغيرين ومبتورين من أعلى .. لكن أحدهما ينتمي إلى عالم النبات ، والآخر ينتمي إلى عالم الحيوان ، .. فأيهما النبات ، وأيهما الحيوان ؟ .. تظنك الآن قد توصلت إلى سر اللعبة ، فالفرع الصغير الأيمن جزء من الفرع الأكبر ، لكن الأيسر دودة اتخذت وضع وشكل ولون وحجم الفرع النباتي ، لتخدع أنظار الطيور التى تستطعم لحم هذا النوع من اليرقات ، وأيضاً تخدع أنظارنا ، لأنه من الصعب علينا اكتشافها على الطبيعة ، وهذه إحدى الوسائل الفعالة التى قدمتها الطبيعة لبعض كائناتها ، لتحميها وتعوضها عن ضعفها .. « صنع الله الذى اتقن كل شيء » .

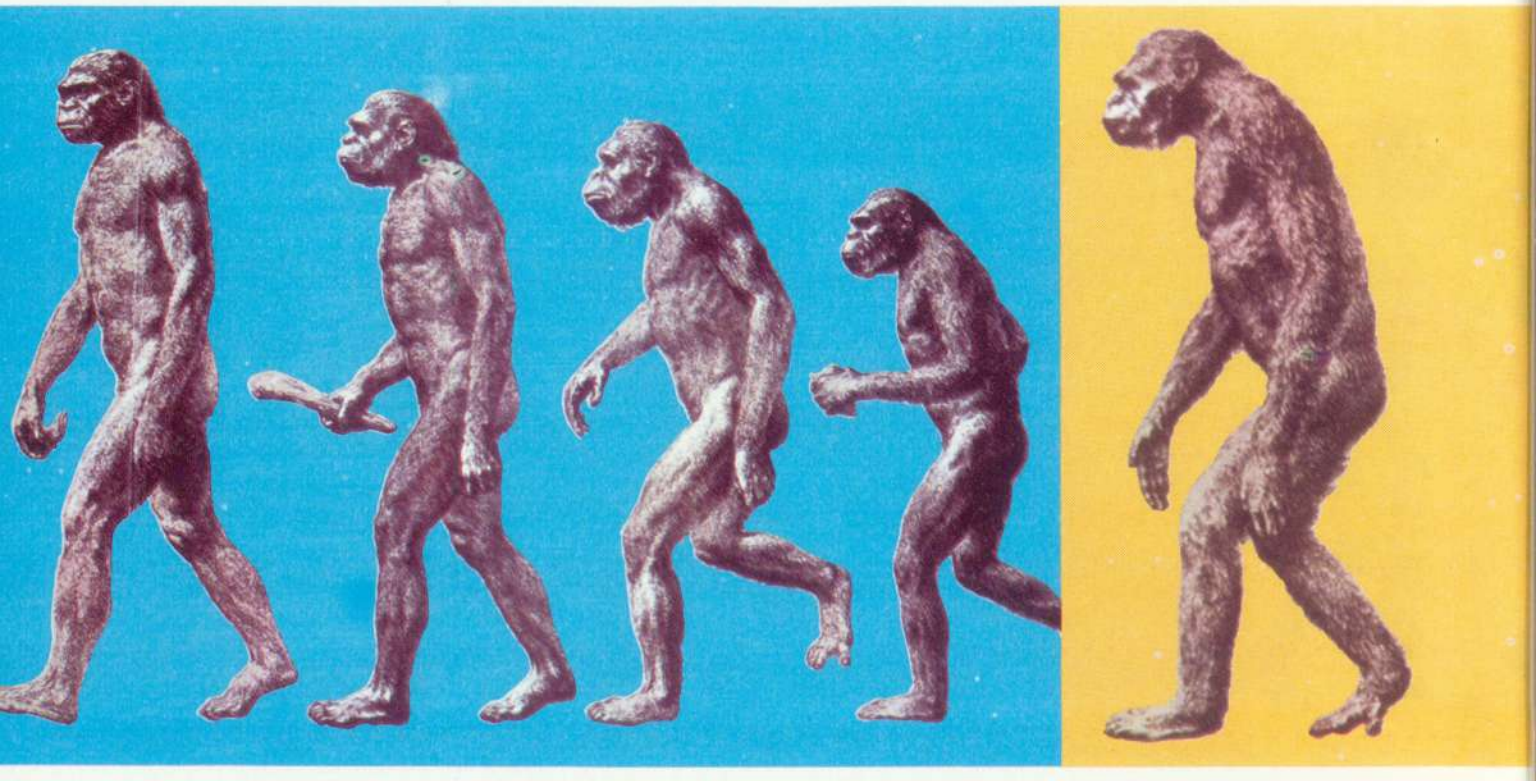
بقلم: الدكتور عبد المحسن صالح



العلم أمام القضاء في قضية القرد المظلوم

في أوائل هذا العام ، وبينما العلماء يحيون ذكرى مرور مائة عام على وفاة تشارلز داروين ، صاحب نظرية التطور الشهيرة ، ظهر لهم في الأفق ما يكدر صفوهم ، ويعكر مزاجهم ، ويحول بعض اهتمامهم فيما يكتبون ويعلقون على آراء العملاق الذى يرقد منذ قرن من الزمان في هدوء وسلام .. فهناك قضية مرفوعة أمام إحدى محاكم ولاية كاليفورنيا تهاجم نظرية التطور ، والتطوريين ، والذى رفعها ضدهم مجموعة من الناس المتعصبين ، وهم الذين يطلقون على أنفسهم « جماعة الخلق المستقل » .. أى أن الانسان لم يتطور عن قرد ! .

على هذه الصفحة ، وفيما يتلوها من صفحات ، تستطيع أن تشهد وتقارن « الموكب » المثير والغريب للكائنات التى ادت الى ظهور الانسان الحكيم فى رحلة طويلة عمرها حوالي ٢٥ مليونا من الاعوام ، وهي تشير الى الحلقات التطورية الناقصة التى تنبأ بها داروين منذ اكثر من قرن وثلث قرن من الزمان ... ولقد أشار إليها دون أن يشهد فى حياته اثراً لأي كائن منقرض منها ، فكل هذه المخلوقات التى نراها هنا قد كشف علماء القرن العشرين عنها الحجاب على هيئة حفريات فى القارة الافريقية ، وهي الدليل الوحيد الذى يستند إليه العلماء الآن فى رسم صورة شبه متقنة لاسلاف الانسان ، وهي ـ بلاشك ـ قابلة للتحوير والتعديل والتطوير ، كلما زادت حصيلة العلماء من الكشف عن حلقات اخـرى من الحفريات ... اما كيف توصلوا الى اظهار هذه الكائنات الحفرية بالصور التى نراها هنا ، فذلك يرجع الى منهج علمي له أصوله ومقوماته ، وهو ما سنتعرض له فى دراسات اخرى قادمة .. لاحظ أن البداية كانت مخلوقات أشبه بالقرود ، ثم اعتدلت قاماتها ، وكبرت رؤوسها ، وارتفعت جباهها ، وكلما مر الزمن ، تحولت من اشباه القرود الى اشباه الانسان .



ولقد شغلت هذه القضية أجهزة الاعلام التى بالغت فيها ، لتشغل بدورها الرأي العام ، فطغت أحداثها على مناسبة احياء ذكرى الرجل الذى هوجم كثيراً فى حياته ، وبعد مماته ، وإلى يومنا هذا ، فربما يستمر ذلك إلى أجيال قادمة .

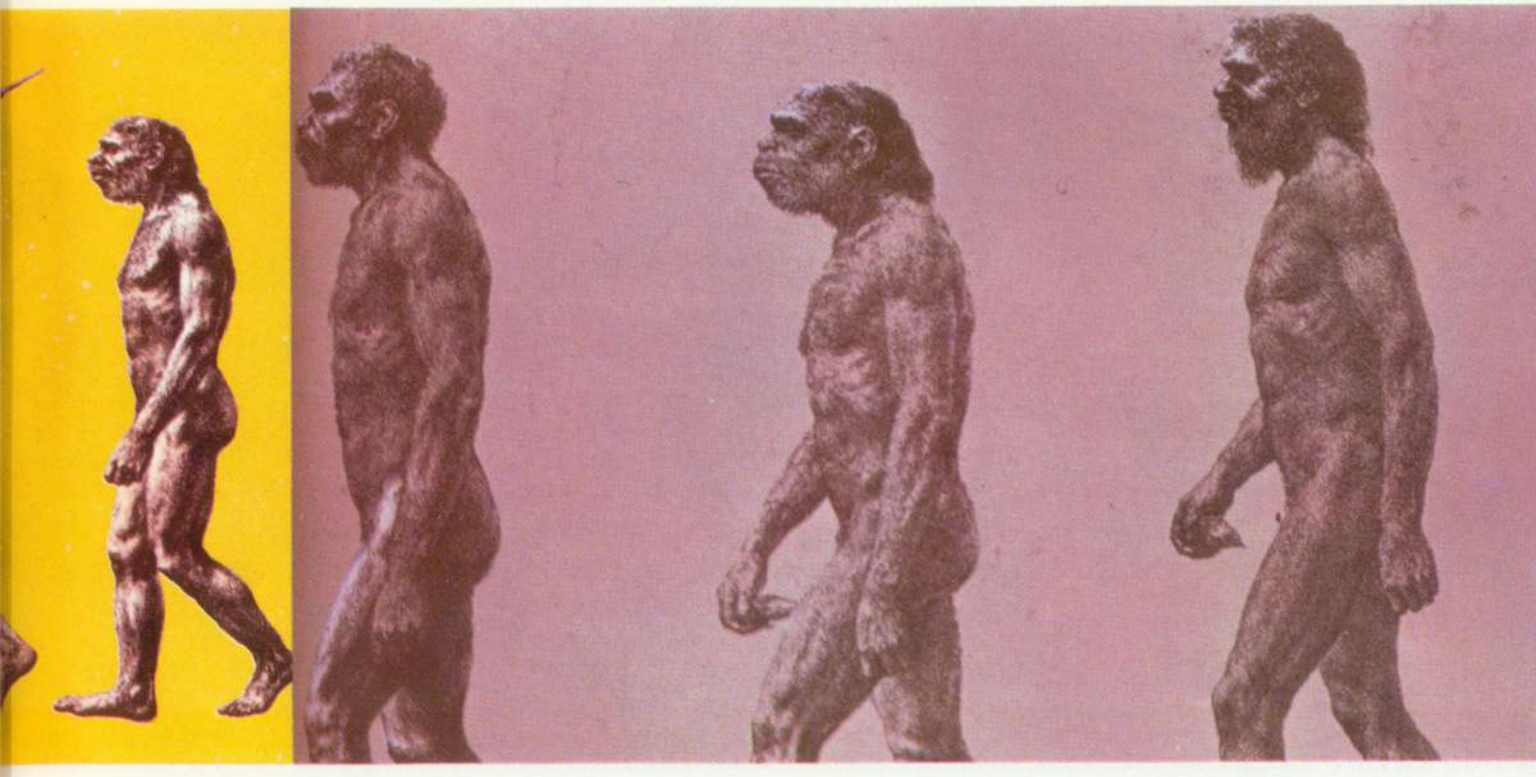
ولم يحدث فى تاريخ العلم أن تقدم نظرية علمية لتمثل أمام القضاء فى قفص الاتهام إلا هذه القضية المعروفة باسم نظرية التطور والنشوء والارتقاء والاختيار الطبيعي ، فالمعارضون للنظرية هم أصلا من خارج ساحة العلم ، وهم الذين يطلقون على أنفسهم أنصار أو جماعة « نظرية » الخلق المستقل ، ودليلهم الوحيد الذى يستندون إليه هو ما جاء فى أسفار العهد القديم والجديد . وهو أن الله قد خلق الانسان خلقاً مستقلا قائما بذاته ، ولا تربطه بالكائنات الاخرى ادنى رابطة ، ومن أجل هذا يعترضون على تدريس نظرية التطور فى المدارس حتى لا تصبح مفسدة لعقول النشء ، ومخيبة لآمالهم فى عقائدهم .

جدل مستمر

ففى أوائل هذا العام ، أفردت معظم المجلات العلمية صفحاتها لعرض نظرية التطور بمفهومها الداروينى ، ومفهومها الحديث ، خاصة بعد أن زادت الحصيلة العلمية وتطورت على ايدي كثير من العلماء الذين جاءوا من بعد داروين ، ولقد شهدوا للرجل شهادة حق ، ولم يكن ذلك عن طريق مجاملة ، لأن المنهج العلمي لا يحتمل المجاملة أو النفاق أو التدليس على حساب الحقيقة العلمية ، فهم ـ أي العلماء ـ الحراس والأمناء على محراب العلم من أي دنس أو تلوث ، ولو حدث ، فسوف يكتشفونه إن آجلا أو عاجلا ، لأن كل حقيقة علمية لاحقة ، قد تأسست على حقيقة سابقة ، ولهذا فان لبنات البناء العلمي ذاته هي الحقائق ، وطريقة البناء تتمثل في النظريات والمعادلات والقوانين ، وهذه لم تنشأ من فراغ ، بل من نظام الخلق ذاته .. والنظام حق ، والخلق حق ، لانه من الحق ، ومن أجل هذا تقدم العلماء ، فتقدمت شعوبهم تبعاً لذلك .

وفى أوائل هذا العام أيضاً ، نشرت عدة مجلات علمية تفاصيل هذه القضية التى رفعها أصحاب فكرة الخلق المستقل ضد نظرية التطور ، فتجيء مجلة علمية بريطانية (نيوساينتست ـ العالم الجديد) لتكتب تعليقاً مستفيضاً بعنوان « انتصار العلم ـ على الطريقة الأمريكية » ، وفيه تناولت عرضاً للقضية ، وتبعتها بعد ذلك بشهرين من نفس العام مجلة « العلم ـ ٨٢ » الأمريكية بمقال تحليلي عنوانه : التطور ـ منذ عصر داروين ، وفيه تناولت أيضاً نفس القضية بالتحليل ، كذلك أفردت مجلة « الكشف » العلمية الأمريكية مقالين ، أحدهما بعنوان : المنادون بفكرة الخلق المستقل فى مجابهة خطرة مع التطوريين ، والثاني بعنوان : التطور كحقيقة ونظرية وهى أيضاً فى موضوع القضية ورغم حساسية الموضوع ، إلا أن القاضي لم يجد حرجاً ـ نظراً للأدلة القوية التى قدمها العلماء ـ فى

العلم أمام القضاء
في قضية القرد المظلوم



الحكم لصالح النظرية الداروينية ، وعلى هذا تعلق إحدى الصحف الأمريكية : « الدين فى مجابهة العلم .. مرة أخرى » .. وهي بذلك تشير الى محاكمتين أخريتين جرت احداثهما فى أمريكا عامي ١٩٢٥ ، ١٩٦٨ ، وجاءت الأولى من جراء شكوى تقدم بها بعض أولياء التلاميذ فى إحدى مدارس ولاية تينيسي ضد أحد المدرسين – لأنه يفسد عقول التلاميذ بتدريس نظرية داروين المخالفة لنصوص الانجيل ، ولقد عرفت هذه القضية باسم قضية القرد ، وصدرت عدة تشريعات قانونية تنظم هذه العملية ، لكنها لم تنفذ إلا فى أضيق الحدود ، ثم فقدت فاعليتها بمرور الوقت ، وعلى هذا يوجه محامى المتهم كلارنس دراو الى هيئة المحكمة سؤالا واقعياً : أليس من الصعب على العقل أن يتقبل أنه بالامكان اجراء محاكمة من هذا القبيل فى القرن العشرين وأين ؟ .. فى الولايات المتحدة الأمريكية ؟! .. ومغزى هذا السؤال لا يخفى على لبيب ، لأنه يعنى جموداً فكرياً فى عالم أخذ بأسباب العلم .

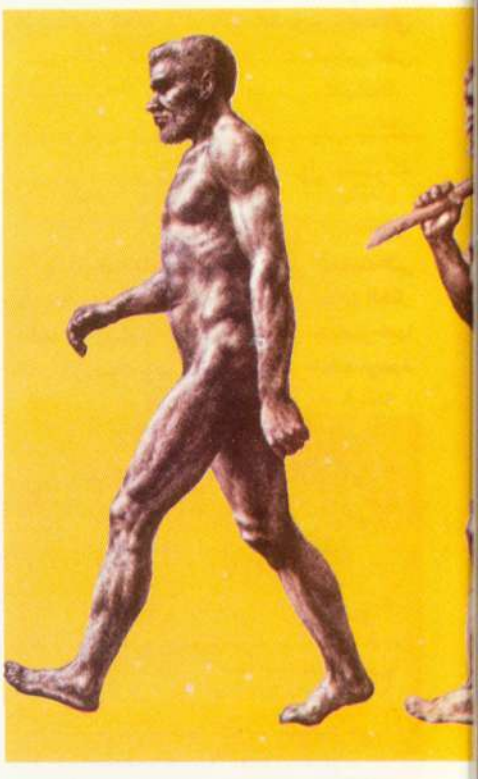
لكن مما لاشك فيه أيضاً أنه من الأصعب على العقل أن يتصور ذلك فى نهاية القرن العشرين ، وخاصة فى مسألة علمية يجب أن تناقش من قبل جهات علمية ، لا قضائية ، ورغم ذلك فقد ناصر القضاء رأى العلماء ، وقال القاضى أوفرتون فيما قال : ان نظرية الخلق المستقل ليست نظرية علمية ، وهى لا تستطيع أن تقف ضد نظرية التطور ، ولقد كسب العلم هذه الجولة ، لكن العلماء فى قرارة أنفسهم يعلمون تماماً أنها لن تكون الجولة الأخيرة ، طالما أن الناس يجهلون معنى النظرية ، ومعنى الخلق الذى قامت عليه النظرية .

خلط مشين

ولاشك أن معنى النظرية فى عقول الناس ، غير معناها فى عقول العلماء ، فهى فى عرف الناس ظن وتخمين ، أو هى حقيقة زائفة ، أو قد يذهبون الى أبعد من ذلك فيستنتجون أن العلماء «يخترعون» النظريات لتغطية عجزهم فى الفهم والادراك ، وهذا – بدوره – قد يؤدى الى انطباع مشوش ربما يهوى بمعنى النظرية العلمية فى عقولهم الى الحضيض ، فالحقيقة فى زعمهم أقوى من النظرية ، والنظرية وليدة الافتراض ، والافتراض ناشىء من التخمين ، أى كأنما العلم فى عرفهم مجموعة من التخمينات ، تمخضت عن نظريات ، وبهذا المنطق الساذج والزائف ينشرون فتاواهم على الناس فيريحون ويستريحون .

وتختلط هذه المفاهيم الخاطئة أكثر فى عقول الناس الذين يهاجمون نظرية التطور ، وذلك عندما يتشدقون بأن النظرية لازالت غير مستقرة بدليل أن العلماء أنفسهم لايزالون يثيرون كثيراً من الجدل حولها ، وهذا وحده ، كفيل باسقاطها ، وبرهان قوى على فشلها (البعض يفضلها عفونة !) ، وعندئذ «يفركون» أيديهم سعادة وطرباً علامة على الانتصار .

وقد يكون ذلك صحيحاً من حيث المظهر ، لكنه ليس كذلك من حيث الجوهر ، لأن الجدال أو النقاش فى المسائل العلمية ليس دليلا على الفشل ، إذ لو صح ذلك عند الذين يرددونه ، لأسمينا المؤتمرات العلمية «مؤتمرات الفشل» ،



لانها تقوم أيضاً على الجدال والمناقشة وتبادل وجهات النظر ، واختلاف الآراء ، ليس فى مسائل سياسية أو عقائدية أو فلسفية أو اجتماعية وما شابه ذلك ، بل فى حقائق الكون ذاته ، والاجتهاد هنا ليس فى الحقائق ، بل فى ادراكنا لهذه الحقائق ، وليس العلماء ـ بطبيعة الحال ـ نسخة واحدة فى الفكر ، بل لكل منهم فكره الخاص عن اية ظاهرة أو حقيقة تخضع للدراسة والتجربة والتمحيص ، ولاشك أن عرض الآراء المختلفة ، وتناول وجهات النظر ، والاختلاف فيها وعليها ، لاشك انه ينطوى على عملية صقل وتطوير وارتقاء بالمفاهيم ، وعندما ينفض الجمع يذهب كل منهم ـ بافكار طازجة ـ الى معمله ومعهده ، ليبحث ويجرب ويستنتج ، ويعود بحصيلة ما جمع الى مؤتمر قادم ، وهكذا تسير الأمور ، وتتطور المفاهيم ، وترتقى المعرفة بحقائق الكون وأسراره ، ومن أجل هذا يعطينا العلم باستمرار كل ما هو جديد ومتطور .

ومن خلال هذه المفاهيم لن تجد أدنى عناء فى معرفة أصول نظرية التطور ، لأنها أيضاً خضعت للتطوير بمرور الزمن ، وهى لازالت باقية وصامدة لأن أساسها سليم ، وكل ما يضاف اليها ، يزيدها شموخاً ورونقاً وأصالة ، وهى هنا كاى بناء اخر ، فاذا انهار البناء باضافة أدوار زائدة ، فلاشك أن الأساس عليه أساس واه وضعيف ، وعكس ذلك صحيح .

ثم ان العلم ليس كلاماً يتردد ، بل منهجاً أصيلا له مقوماته وتطبيقاته التى نراها مجسدة فى حياتنا ، ومن هنا تنبع أصالته ، وهو بهذا يختلف عن اى كلام اخر ، فما أكثر ما نصح الفصحاء وتحدث الخطباء ، وكتب الحكماء ، لكن كل هذا لم يتمخض عن تطبيق يطور حياة الناس أو على الأقل يجعلهم ارقى سلوكاً ، وأكثر تالفاً ، وأعظم تعاطفاً ، لكن حالنا ـ للأسف الشديد ـ يشير الى غير ذلك ، رغم الكلام الذى يتردد ليل نهار ، وربما كان العيب فى الناس ، وليس فى الحكم والنصائح أو اى منهج اخر يعتمد على كلام كثير نستهلك فيه وقتنا وطاقتنا دون اضافة حقيقية تعلى شأننا !

لكل شيء بداية متواضعة

ولاشك أن نقد أية نظرية وتقييمها ، يستلزم ممن ينتقدها الماماً عميقاً باصولها ، ولهذا إذا أردنا أن نعرف قيمتها ، فلنرجع الى المشتغلين فى حقل الكائنات الحية ، أو بالتحديد فى تطورها ، وهم كثيرون ، ولنأخذ منهم واحداً كان قد أدلى بدلوه فى قضية القرد الأخيرة ، فنراه يعلق على تلك المحاكمة الغريبة فيقول : عندما أجلس لأفكر أننا لازلنا نقع مرغمين مرة اخرى فى شراك الصراع القائم على واحدة من أحسن النظريات المؤسسة على الأدلة المدعمة بالحقائق ، ومن أعظم المفاهيم الواضحة فى مجال كل العلوم ، فاننى لا أعرف أن كان ذلك يدفعني لكي أضحك أو لكي أبكي ! .

ويذكر دكتور ريتشارد دوكينز بقسم علم الحيوان ـ جامعة أكسفورد فى مقال له بعنوان « الداروينية المطلوبة » .. يذكر « إن نظرية داروين فى الوقت الحاضر قائمة ومدعمة بكل الدلائل التى لها صلة وثيقة بالموضوع ، ولا يشك فى صحتها الآن أي عالم من علماء الحياة المتمكنين » .

وفى مقالة له بعنوان « التطور منذ عصر داروين » يقول د. بويس رينسبيرجر رئيس تحرير مجلة العلم ـ ٨٢ « .. لو أن نظرية داروين التطورية ظلت بدون مجابهة أو تغيير طوال المائة عام التى انقضت بموت الرجل ، لكانت واحدة من أندر وأرفع الانجازات التى تمت فى العلوم ، فهي التى بصرتنا بالكيفية التى تقوم عليها الحياة ، كيف نفهمها ونصفها بدقة منذ اللحظة التى أعلنت فيها لكن المجابهة التى حدثت بين العلماء حول النظرية ، لم تكن بالتشكيك فى مدلول التطور ذاته ، بل فى الكيفية التى نعمل بها من خلال النظرية » .. وهو بذلك يعني أن الاختلاف فى الوسائل ، وليس فى الهدف ، لأن التطور ذاته لا خلاف عليه .

وحتى القاضي أفرنون الذى حكم هذا العام لصالح النظرية يشير إلى أن « التطور هو حجر الزاوية فى العلوم البيولوجية الحديثة ، ولهذا فان كل طالب يحرم من تدريسه ، فلاشك اننا ننكر عليه جانباً هاماً من المنهج العلمي » !

ولسنا هنا متحيزين لداروين ولا لنظريته تحيزاً أعمى ، ولسنا كذلك فى موقف المدافع عنه أو عنها ، لكن التحيز الحقيقي ينصب أساساً على ما درسناه ، وكذلك على الحقيقة العلمية التى تمتهن على أيدي أدعياء العلم ، إذ لو درسوا وتعمقوا ، لأدركوا أن التغيير شيء متوارث فى طبائع الكون والحياة ، وأن هذا التغيير يسير نحو هدف أو أهداف لا خلاف عليها ، ثم أن كل شيء يبدأ بسيطاً ، وبمرور الزمن يتعقد ، أو بمعنى آخر يتطور ، ليس فقط على مستوى الكائنات الحية ، بل على مستوى الكون ذاته بما فيه من سدم ونجوم ومجرات ، ومن وراء ذلك سنن وشرائح تغير وتبدل وتطور ، ولهذا فانه من الصعب على العقل أن يتصور ـ مجرد تصور ـ أن يبقى كل شيء على حاله ، فذلك يعنى الجمود ، ولا ندري حقاً كيف يعادي بعض الناس سنة التطور ، ويفضلون عليها فكرة الجمود ، اللهم إلا إذا كانت العقول ذاتها جامدة غير متطورة بتطور العصر الذى نعيش فيه ، فهذا يعنى التخلف ، ومن تخلف ، بافكاره تجمد ، فلا يلومن إلا نفسه ؟ ولن يضير العلم فى ذلك فى قليل أو كثير .

وحتى فكرة التطور قد بدأت أيضاً بداية متواضعة ، ثم تطورت ، وكذلك الأديان التى انتهت فى آخر مراحلها بالاسلام (هل هناك اعتراض على ذلك ؟) ، فلقد أشار طاليس الفيلسوف الاغريقي الذى عاش فى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد إلى أن بداية الخلق قد ظهرت فى الماء ومن الماء ، ويجيء أرسطو بعده بقرنين من الزمان ليقارن بين بعض السمات التشريحية لبعض الحيوانات ، ويشير إلى وجود صفات مشتركة ترتقى بارتقاء رتبة الكائن الحي ، وحتى جد داروين نفسه ـ دكتور ايرازموس داروين ـ الطبيب والشاعر والعالم ـ قد ألف كتاباً فى عام ١٧٩٤ خصص جزءاً منه لعلم الأمراض ، والجزء الأخير عن توالد الأجيال فى الحيوان ، وفيه تعرض لشرح الحياة ذاتها من خلال نظرية تطورية ، فنراه يتساءل : هل نستطيع أن نتجرأ كثيراً ونتصور على مدى عصور جد طويلة ، أي منذ أن بدأت الأرض فى التكوين ، ربما بملايين العصور التى سبقت ظهور الجنس البشري .. هل يمكن أن تكون لدينا الجرأة الكافية لنتصور أن كل الحيوانات ذات

العلم أمام القضاء في قضية القرد المظلوم

الدم الحار قد نشأت من خيط واحد حتى ..؟!» ..

ولقد كانت « جرأته » على التصريح بهذا القول ناشئة من تخوفه من افكار عصره الذى عاش فيه ورغم أن كتابه هذا قد ترجم الى عدة لغات ، إلا أن أحداً لم يأخذ ماجاء فيه محمل الجد ، على عكس ماجاء به حفيده تشارلز داروين ، فلقد كان جريئاً غاية الجرأة بالنسبة لعصره أيضاً ، ويرجع ذلك - فى المقام الأول - الى وقوفه على أرض صلبة ، وتسلحه بحقائق كثيرة ، أمضى فى تحقيقها سنوات طويلة ، حتى أنه كان يصف نفسه بقوله « لقد سعيت بثبات لكي أجعل تفكيري حراً غير متحيز ، وبحيث لا أجد غضاضة فى التخلى عن أية نظرية أصل إليها ، مهما كانت قريبة مني ومحببة الى نفسي ، طالما جدت حقائق مناقضة لها » .. وهـذه صفـة محمودة ، لأن التحيز لرأي بدون دليل يسانده ، سوف يصطدم لا محالة بمن يفنده ويهدمه ، وهو حرص واجب فى مجال العلوم التجريبية .

ويجيء العالم الطبيعي الكبير لامارك الفرنسي (١٧٤٤ ـ ١٨٢٩م) وهو واحد من أشهر عالمين طبيعيين فى فرنسا ـ ليدرس ويصنف الحيوانات اللافقارية الى أنواع وأجناس وعائلات ، ووجد بينها علاقات تطورية ، وبحيث تبدو وكأنما هي ترتقى فى حلقات أو درجات ، ولهذا كتب يقول : أي مواطني .. ابدأوا بابسط كائن ، وانتهوا باعقد كائن ، وعندئذ ستتوصلون الى الخيط الحقيقي الذى يربط بينهما جميعاً ، وستتوصلون أيضاً الى الفكرة المتقنة التى تدل على ارتقائها فى سلاسل تطورية ، وستقتنعون تماماً أن ابسط الكائنات قد تمخضت عن كل ما عداها » (أي ما فوقها) .

وطبيعي أن داروين قد اطلع على كل هذه الآراء ، ودفعته دفعاً الى مزيد من البحث والتقصى والملاحظة ، وقدم لنا ثروة علمية هائلة ، فاقت كل ما حصله السابقون كماً ونوعاً ، ولقد فسرها بما يتلاءم مع امكانات عصره المتواضعة ، وهي تختلف حتماً عن الامكانات المذهلة التى يعيش فيها علماء القرن العشرين ، وبها تعمقوا فى باطن الخلق ، فتطورت أفكارهم بتطور الحصيلة العلمية الهائلة التى تتعاظم مع مرور الزمن .

بين الظاهر والباطن

ولاشك أن الخلق ينطوى على ظاهر وباطن ، والظاهر للناس ، والباطن للعلماء ، إذ يرونه ـ أى الباطن ـ بعين غير عيونهم التقليدية ، ولقد توصل كل من داروين ووالاس الى حقائق التطور من خلال نظرتهما ودراستهما للظاهر ، أى الى الصفات التى يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، لكن ليس كل من نظر بقادر على أن يستنتج ، بل إن ذلك يستلزم استعداداً خاصاً واستيعاباً جاداً ، وفكراً منظماً ، ومنهجاً علمياً محدداً ، وتدويناً له أصول ، وحصيلة تحتاج الى ترتيب ، ثم ربط كل هذا فى نسيج من المعرفة .. هو النظرية العلمية .

وغنى عن القول ان الخلق منظم ، ولقد انعكس نظامه على فكر منظم كذلك ، ومن أجل هذا يحقق العلم أهدافه ، ويصل الى انجازات لا يستطيع الوصول اليها هؤلاء الذين يقفزون الى الاستنتاجات قفزاً ، أو يحكمون على النتائج العلمية حكماً غوغائياً ، أو يأخذون الأمور أخذاً عشوائياً ، ذلك أن الاستنتاجات العلمية بمثابة مخاض عقلى صعب ، أو ولادة عسرة تخرج من العقول المهيأة لها بعد تمحيص عظيم ، وصقل جميل ، وطبيعى أن أى عالم جاد يدرك مقدماً أن نظرياته أو استنتاجاته سوف تخضع إن اجلا أو عاجلا الى اختبارات مستمرة من العلماء الآخرين ، فاذا حققت الهدف ، تقبلوها قبولا حسناً ، وإذا كان غير ذلك ، فالى سلة المهملات !

ولقد اعترف داروين بعجزه عن ادراك بعض النقاط التى قابلته فى دراسة الكائنات وتنوعها وارتقائها فى حلقات ، ولابد أن نعطيه عذره ، إذ لا يمكن لانسان أن يتوصل الى معرفة كاملة ، ولقد عرف العلماء الذين جاءوا من بعده ما غاب عنه ، وخاصة علماء النصف الثانى من القرن العشرين ، لأنهم درسوا الظاهر والباطن بتفصيلات أكثر ، وعرفوا أن تنوع الكائنات وارتقائها إنما هو نتيجة لفكرة رائعة أرسى الله قواعدها فى الباطن .. فى لب الكائنات ، والفكرة تكمن فى شفرات وراثية لم يكن داروين يدرى عنها شيئاً ، ولا كذلك العلماء الذين عاشوا فى عصره ، ولو عرفها ، لكانت نظريته فى أصل الأنواع أتقن بناء ، وأكثر اشراقاً فى العقول ، لكنه مع ذلك حقق الكثير من خلال دراسات مقارنة بين الأنواع ، وتوصل الى وجود علاقات واضحة تربطها فى حلقات ترتقى وتتطور بمرور الزمن .

وطبيعى أن الذين ينظرون الى الكائنات نظرة سطحية يجدون أنه من الصعب جداً على الفهم والادراك أن يتقبلوا علاقة هذه الكائنات ببعضها أو اشتراكها فى أصل واحد ، ولهم عذرهم ، فما هى الصلة مثلا بين سمكة تسبح ، وثعبان يتلوى وطائر يطير ، وحيوان يمشى على أربع ، وآخر ينتصب معتدلا على ساقين ؟ .. ومن هذه المقارنة السطحية تنبع فكرة الخلق المستقل لكل نوع من الأنواع ، ومع ذلك فالعلم لا يستقى منهجه من آراء الناس ، بل إن مرجعه الأصيل الذى يرجع اليه ، هو «كتاب» الخلق ذاته ، أو «القاموس» الصادق الذى يحوى المفردات ، والمفردات تنعكس على الصفات الظاهرية التى نراها فى الكائنات ..

أصول مشتركة

وبمثل هذا المفهوم المبسط ينظر العلماء الى كل الكائنات ، بما فى ذلك الانسان بطبيعة الحال فكلها من عناصر هذه الأرض ، والعناصر فيها جميعاً واحدة ، وهى تتجمع حسب خطط موحدة

تعريف بأسلاف الانسان التى انقرضت ، وهي التى تراها فى العرض المصاحب لهذا المقال :

١ ـ بليوبيثيكس : الأصل الذى تسلسل عنه قرد الجيبون .
٢ ـ بروكونسول : الأصل الذى تسلسلت عنه القردة العليا (مثل الشمبانزى)
٣ ـ دريوبيثيكاس : لازال عليه جدل في صلته بالكائنات الشبيهة بالانسان .
٤ ـ اورويوبيثيكاس : مشكوك فى صلته بالجذور القديمة لأشباه الانسان .
٥ ـ رامابيثيكاس : بداية أصول أشباه الانسان ، وظهر منذ ٥ مليون عام .
٦ ـ اوسترالوبيثيكاس : طور متقدم عن سابقه ، وكان يمشي منتصبـاً على قدمين .
٧ ـ بارانثروباس : من أشباه الانسان ، وظهر من حوالي ٣ مليون عام .
٨ ـ اوسترالوبيثيكاس الأحدث : جاء بمخ أكبر وعرف استعمال الأحجـار كأدوات .
٩ ـ هوموإريكتس (أي الانسان المعتدل): أول بشائر عائلة الانسان .
١٠ـ نوع مبكر وبدائي يتبع الجنس البشري ، وبدأ ظهوره منذ ٤٠٠ الف عام وانقرض .
١١ـ انسان جاوة ـ يحمل صفات بشرية ومشكوك فى نسبه ، وانقرض .
١٢ـ انسان روديسيا : أرقى من الانسان المعتدل ، لكنه انقرض .
١٣ـ انسان نيندرثال : عاش متجولا حول حوض البحر الأبيض وانقرض .
١٤ـ انسان كرومانون : أقرب الى الانسان الحديث أو الحكيم ، فقد كان أول من عرف الرسم على جدران الكهوف .
١٥ ـ الانسان الحديث (هوموسابينس) جاء متوجاً للمشوار الطويل .

ونظم مقدرة ، ومنها تنشأ الشفرة ـ شفرة الحياة والشفرة أيضاً واحدة ، لكن من أهم صفاتها الطفرة ، والطفرة تعنى تغيراً أو حيوداً عن الأصول ، ومن هذا السر الذى كشف العلم الحديث عنه الحجاب ، يمكن تفسير التنوع الهائل فى طوفان المخلوقات ، والتنوع والتغير يحمل فى طياته بذور التطور ، ولاشك أن حصيلتنا العلمية عن أسرار الشفرة الوراثية ، والتكوينات الخلوية ، والتفاعلات الكيميائية ، والعمليات الفسيولوجية ، والهندسة العضوية التى تقوم عليها حياة المخلوقات حصيلة هائلة لها وزنها ، ومن خلالها نستطيع أن نتتبع مسارات التطور وأصوله ، لكن هذا موضوع آخر سوف نفرد له دراسة مستقلة ، لنوضح فيها الفكرة البديعة التى وضع الله أسرارها فى كل مخلوقاته ، فخلق يقوم على فكرة مذهلة أحق أن نتدبر فيه ، ونسعد به ، ولا يقدر ذلك إلا العلماء العالمون ببواطن الأمور .

وطبيعى أننا لا نستطيع أن نتعرض هنا لكل الأصول الموجودة فى الخلق ، ولا كذلك الأصول التى قامت على أساسها نظرية التطور ، فما عرض منها ، وما قيل عنها ، لا تكفيه مجلدات من فوق مجلدات ، لكن يكفى أن نشير هنا الى ظاهر الخلق ، فهو أقرب الى تصور الناس ، وهو أيضاً الذى دفع داروين الى صياغة نظريته ، ولكن بدراسات أعمق غوراً ، واستنتاجات أعظم تنظيماً .

فهناك علم قائم بذاته يتناول تقسيم المخلوقات الى ممالك وقبائل وطوائف ورتب وعائلات وأجناس وأنواع وسلالات ، ولابد من هذا التقسيم ، لأنه فى حد ذاته ينطوى على تنظيم ، خاصة وأن لدينا حصيلة هائلة من أنواع الكائنات ، فعددها يربو على المليونى نوع ، غير ما انقرض واندثر ، وهو كثير ، ولهذا يقدر العلماء أن عدد الأنواع التى انقرضت يزيد على عشرة ملايين نوع ، وفى تقدير آخر عشرون مليوناً ، ومعظمها اكتشف على هيئة حفريات محفوظة أو مطبوعة على الصخور .

إذن .. كيف يمكن دراسة هذه الملايين من الأنواع ، وايجاد علاقات بينها ، فنحيل هذه الفوضى الظاهرية الى نظام ؟

الواقع أن النظام موجود ، لكنه يحتاج من يرتبه ويصنفه فى مجموعات تجمعها صفات مشتركة .. وربما كان القرآن الكريم قد ألمح الى ذلك بطريقة مختصرة «والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشى على بطنه ، ومنهم من يمشى على رجليه .. ومنهم من يمشى على أربع ، يخلق الله ما يشاء» (النور / ٤٥) .. وعلى هذا الخلق ينكب العلماء فى تقسيمات كثيرة كما ألمحنا .. فهناك مثلا الحيوانات الفقارية ، أى التى لها سلسلة ظهرية تتكون من فقرات والحيوانات اللافقارية أى التى بدونها ، ولهذه وتلك قبائل وطوائف ، فمن الفقاريات مثلا تبرز طائفة الثدييات ، أى التى تدر لبنها فى غدد (حلمات) لترضع بها مواليدها ، ونحن من الثدييات ، لأننا نرضع كغيرنا ، وغالباً ما يكون لاناثها أرحام لتحمل فيها أجنتها ، ومن هنا كانت لنا بعض صفات مشتركة مع ما دوننا .. كذلك تنقسم الثدييات الى ٣١ رتبة ، ولنا رتبة تسمى الأوليات وتشترك معنا فيها على سبيل المثال لا الحصر عائلات قرود العالم القديم والجديد والقردة العليا (الشمبانزى وانسان الغاب والغوريلا) وهى أقرب الأنواع شبهاً بالانسان ، ومع ذلك ، فالعلماء متفقون على اننا لسنا من سلالتها أو أصولها ، لأن شجرة النسب قد تفرعت من أصل آخر قديم ، وسوف نعود لنوضح ذلك بشىء من التفصيل فى دراسة قادمة .

هذه إذن قطرة من بحر ، لأن علم التقسيم يقع فى مجلدات من فوق مجلدات ، فلو أننا أفردنا لكل نوع (حى ومنقرض) نصف صفحة فقط للتعريف به ، فان ذلك يستلزم ما بين خمسة وعشرة ملايين صفحة ، تشغل خمسة آلاف مجلد (على أقل تقدير) ، فى كل مجلد ٢٠٠٠ صفحة .. و «يخلق الله ما يشاء» ، ليدرس العلماء ليل نهار .

وقد يبدو أننا خرجنا من موضوع الى موضوع ، وما ذلك بخـــروج ، بل أوردنا ما أوردنا ليتبين لنا كيف يتعامل العلماء مع هذا الطوفان من أنواع المخلوقات ، ومنهم داروين بطبيعة الحال ، لكن ذلك لا يوضح لنا كيف تسلسلت كل هذه الكائنات من بساطة الى تعقيد ولا كيف اشتقت من أصل واحد ، تمخض بعد ذلك عن أصول ، ثم كيف يمكن تصور أن هناك علاقة ما بين الديدان والحشرات والبرمائيات والأسماك والزواحف والطيور والحيوانات الثدية بما فيها من خنازير وخيول وجاموس وفئران وقطط وكلاب وقرود .. وبشر ؟

إنه تصور صعب ورديء ، ومع ذلك ، فان كل من يدرس ، لابد أن يستنتج ويدرك ، وهذا ما فعله داروين ، أو من جاء قبله وبعده ، ومن هذه الأصول نشأت نظرية التطور ، لتفسر التطور والتنوع ، لكن لابد أن نشير أن النظرية ذاتها قد أخذت عليها بعض المآخذ ، لكن ليس معنى ذلك أنها فى جملتها خاطئة أو زائفة ، بل يعنى أن مفهومنا الأكثر تطوراً للتطور ذاته قد أعطانا زاداً فكرياً أكبر ثراء ، لنحكم حكماً أكثر صواباً ، ونرتقى بها الى الصيغة المناسبة لأنماط التفكير العلمى المعاصر .

وماذا تمخضت عنه بحوث العلماء الحاليين عن أصل الانسان وحسبه ونسبه ؟ .. وهل تخلوا عن الفكرة التى نادى بها داروين من قبل ، ونسب الانسان الى رتبة القرود ؟

الواقع أن داروين لم يقل ذلك صراحة ، بل أشار الى أن الانسان ـ بطبيعة اشتراكه فى صفات كثيرة مع صفات الرتبة ـ له أصول قديمة اشتق منها ، لكن هناك فجوة واسعة ، أو حلقات تطورية ناقصة بين الانسان وأقرب الكائنات الحية شبهاً به ، نعنى عائلة القردة العليا ، وهو لم يستطع طيلة الخمسين عاماً التى قضاها فى البحث أن يشير الى حلقة واحدة ، واعتبر ذلك نقصاً معيباً فى نظريته ، لكنه ـ مع ذلك ـ أشار الى امكان الكشف عن بعض هذه الحلقات التطورية أو كلها ، وقال : ان القارة الافريقية ربما تكون هى الموطن المناسب للبحث عن هذه الأصول فربما وجد من يأتى بعده ما أسماه بأشباه الانسان .

ولقد تحققت نبوءته ، واكتشف علماء الحفريات ثروة لاباس بها من مخلوقات حفرية مثيرة ، فلا هى ببشر ، ولا هى بقرود ، لكنها تتدرج من صفات القرود الى صفات الانسان الحالى ، وأصبح للانسان عائلة قديمة تضم عدة أنواع ، انقرضت جميعاً ، بعد أن عبرت عليها الحياة مشوارها الطويل ، لتنتهى بالانسان ، وهو ما تراه فى الصور المنشورة ضمن هذا المقال ، ففيها ما يغنى عن الكلام فى مثل هذا المجال ، لكنك تستطيع أن ترى بنفسك أن الأنماط شبه البشرية تختلف أعظم ، كلما باعدت بينها حقب زمنية أطول ، وهى تقدر هنا بملايين السنين .

وقد يخالج الكثيرون الشك فى طبيعة هذه الكائنات ، وقد يتساءلون بمرارة : ومن أين جاء العلماء بهذا ، وهو ما لم يره أحد على الاطلاق ؟.. وقد يستطردون فيقولون : ان الأمر يبدو وكأنما هو «تلفيق» متقن لشىء غير موجود أساساً ، وإلا فأين الدليل الذى يوضح ذلك ؟

صحيح أن أحداً لم ير مثل هذه المخلوقات ، لكن العلماء اكتشفوا الكثير منها فى القارة الافريقية .. اكتشفوها حفريات محفوظة ، ورأوها عظاماً مدفونة ، وعاينوها هياكل تنبىء عن الأصول .. كيف ؟

لهذا دراسة أخرى قادمة نوضح فيها الأمور ، ونقرأ منها «كتاب» التاريخ المطبوع على صفحات الصخور .. فالصخر أحياناً أصدق أنباء من الكتب ، ومن الناس ، «ولكن أكثـــر الناس لا يعلمون» .

د. عبد المحسن صالح

كتاب الشهر

عرض وتقديم :
الدكتور علي حسن تقي



المستشرق الفرنسي « روجيه جارودي » الذي يحتوي كتابه عن الاسلام على معلومات جيدة مطلوب الاطلاع عليها للدراية والمعرفة

نشرت الصحف في الفترة الأخيرة خبراً عن المستشرق الفرنسي الكبير « روجيه جارودي » يقول أنه قد اعتنق الاسلام بعد أن قضى سنوات طويلة في دراسة الفكر الاسلامي .. وعلى هذه الصفحات عرض لآخر كتاب كتبه جارودي في الدفاع عن الاسلام !

مستشرق فرنسي في دفاع مجيد عن الإسلام

وعود الإسلام

للفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي

في كل عام تصدر في فرنسا عشرات الكتب عن العرب والاسلام . بعض هذه الكتب جيد وبعضها سيء ، ولكن معظمها لا يصل إلى القارىء العربي لعدم المعرفة باللغة الفرنسية أو لتعذر التسويق . كما أنه لا يترجم الى اللغة العربية إلا القليل جداً من هذه الكتب . ومن بين ما صدر مؤخراً من كتب جيدة عن العرب والاسلام هو كتاب « وعود الاسلام » للفيلسوف الفرنسي الكبير روجيه جارودي . وجارودي ليس غريباً عن الاسلام والعرب فموقفه من الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي معروف وكذلك موقفه من الثورة الجزائرية . فعندما كان الاستعمار الفرنسي في الجزائر يمنع على العرب المسلمين تعلم لغتهم وثقافتهم ودينهم كان صوت جارودي يأتي ليساعد الجزائريين على الوقوف ضد محو ثقافتهم الأصلية وضد "التفرنس" كما يتذكر ذلك الدبلوماسي الجزائري محمد البجاوي الذي قدم لكتاب « وعود الاسلام » ، كما أن جارودي قد ساند جميع حركات التحرر في العالم .

لقد ظل الاسلام فى نظر الغرب مشوها لمدة طويلة . فقد اقترن بالفقر والجهل والتخلف والتعصب ونسي عهود الاسلام المشرقة . وحتى كتابات الشعراء الرومانسيين الغربيين مثل جوته وستندال وجوتييه وجيرار دى نيرفال الذين أعجبوا بالعرب والشعراء المسلمين لم تغير كثيراً فى نظرة الغربيين للعرب والمسلمين .

ولقد ظل الأمر هكذا حتى هذه السنوات الاخيرة . ولكن فى السنتين أو الثلاث الماضية اخذ الغرب يهتم مرة اخرى بالاسلام وبصورة جدية ومباشرة .

إن الاسلام هو دين الاغلبية فى كثير من بلدان اسيا وافريقيا والشرق الاوسط كما أن هناك أقليات اسلامية كبيرة فى الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية . ولا ننسى أن الشرق الاوسط ياخذ أهمية خاصة بالنسبة للغرب فهو يقع على ابواب أوربا كما أن البلاد العربية التي تشكل أكبر رقعة من الشرق الاوسط تحتل المرتبة الاولى فى انتاج وتصدير البترول علاوة على كونها سوقا للمنتجات الصناعية الغربية .

لقد أدت كل هذه العوامل الى اهتمام الغرب بالعرب والاسلام من جديد . فتوالت الدراسات والكتابات عن هذه المواضيع . وكما قلنا فى أول هذا المقال فانه يصدر فى فرنسا وحدها سنويا عشرات الكتب عن العرب والاسلام .

إن من الاهمية بمكان ان نطلع على هذه الكتب والدراسات التى تصدر فى الغرب أولا : من حيث ان بعضها يحتوي على معلومات جيدة يجب على العربي والمسلم أن يطلع عليها للمعرفة والدراية وثانيا : أن كثيراً من هذه الكتب توضح لنا نظرة الغرب الى العرب والاسلام وموقفه منا .

ان كثيراً من هذه المواقف خاطئة ومبنية على أحكام مسبقة توارثها الغرب منذ العصور الوسطى . فكثير من الغربيين ينظر الى الاسلام على انه دين متعصب وعداوني ، وأن العرب هم شعب من المتعصبين وفيهم خطر كبير على أوربا خاصة لمركزهم الجغرافي فى جنوب البحر الأبيض المتوسط . والغربيون يتذكرون العرب في الأندلس لا على انهم أمة متمدنة قدمت للعالم حضارة متكاملة وسابقة للحضارات الغربية بل على انهم غزاة .

كما أنهم يعتبرون هزيمة العرب فى بلاط الشهداء (معركة بواتييه فى فرنسا) على انه نصر للغرب المسيحي المتمدن على الغزاة العرب المسلمين . كما أن الحروب الصليبية من جهة أخرى قد عمقت هذه النظرة الغربية للعرب والمسلمين . وأخيراً لا آخراً فهم لا زالوا يتذكرون الامبراطورية العثمانية وحصارها لفيينا وتهديدها للغرب فى البحر الابيض المتوسط .

تصحيح بعض الأخطاء

هذه النظرة الغربية للعرب والاسلام تحمل كثيراً من المغالطات المتوارثة بعضها متعمد والبعض مبطن . فالعرب لم يكونوا غزاة ظالمين للأندلس بل على العكس حيث أن شعب شبه الجزيرة الآيبيرية هو الذى أيد العرب ليخلصوه من حكامه الظلمة . فاسس العرب فى أيبيريا مدنية قلما وجد مثلها فى التاريخ . كما أن معركة بلاط الشهداء لم تكن غزوة من قبل العرب لفرنسا كما يؤكد ذلك روجيه جارودي وإنما كانت زيارة ودية لفصيلة من الجند العرب بدعوة من امير فرنسي فهاجمها بعض الفرنسيين ، فضخمت المعركة وبولغ فيها إلى أن جعلوها من أهم الاحداث فى تاريخ فرنسا بل وفى تاريخ الغرب عامة .

لقد آن الأوان لتبديد جميع هذه المغالطات وإحلال الحقيقة محلها . فكما أن العرب بحاجة الى أوربا فان أوربا كذلك بحاجة الى العرب . إن أوربا المسيحية هي أكثر ما تكون اليوم بحاجة الى معرفة الاسلام على حقيقته ، كما أن أوربا الصناعية هي أحوج ما تكون الى معرفة الشرق الأوسط الذى يحمل المواد الخام والذى يحمل معه كذلك المستقبل . وهذا ماأراد أن يفعله الفيلسوف الكبير روجيه جارودي فى كتابه الجديد « وعود الاسلام »

مصدران ؟ أم ثلاثة ؟

لفترة طويلة اعتبر الغربيون أن حضارتهم قد جاءت من مصدرين لا ثالث لهما . الاول : هو الحضارة اليونانية الرومانية ، والثانى : هو الوحي الالهي لأنبياء اليهود وأخرهم المسيح بن مريم عليه السلام . وبالرغم من أن هذه النظرة قد برهنت خطأها وكتب عن ذلك بعض الكتاب قبل روجيه جارودى إلا أن جارودى يعيد البرهنة على خطأ هذه النظرية ببراهين كثيرة ودامغة . فالحضارة اليونانية الرومانية لم تكن حضارة نمت من لا شيء وإنما سبقتها حضارات أخذت عنها واستفادت منها . فحضارات وادى الرافدين ووادى النيل ووادى الأندوس فى الهند كانت أقدم من الحضارة اليونانية وقد أصبح واضحاً الآن أن هذه الحضارات كانت على اتصال بعضها ببعض وأن الواحدة تأثرت بالأخرى . أما المسيحية فانها كذلك لم تكن بمعزل عما كان يجرى فى جميع بلدان الشرق الأوسط فاليهود كانوا فى بابل وفى مصر وهناك أنبياء عرب الى جانب أنبياء اليهود وان ابراهيم الخليل عليه السلام كان أب العرب واليهود على حد سواء .

الاسلام وتراث الغرب

لقد نمت الحضارة الغربية الحديثة وتطورت بعد ظهور الاسلام وانتشاره فى العالم وبعد قيام الامبراطورية العربية الاسلامية فى الأندلس وصقلية فلماذا لا يعتبر الغربيون الاسلام مصدراً ثالثاً لحضارتهم . لقد رفض الغرب هذا الارث الثالث وهذا الرفض يؤدى بالتالى الى فقدان الوحدة بين الشرق والغرب حيث أن العرب هم همزة الوصل فى هذه الوحدة وهم بناتها . ان أول نهضة أوروبية حدثت فى اسبانيا بعدة قرون قبل تلك التى ازدهرت فى ايطاليا ، وحتى النهضة الايطالية جاءت فى بادىء الأمر من جزيرة صقلية التى عاشت تحت حكم العرب المسلمين فترة طويلة فازدهرت فيها الحضارة وتقدمت المدنية .

إن معرفة ما يدين به الغرب للاسلام ليست مهمة المؤرخ أو العالم بل انه واجب كل فرد تهمه الحقيقة والمستقبل . فالاسلام بالنسبة للغرب لم يعد ذلك الدين المخيف كما كان الحال أيام الحروب الصليبية وحرب الجزائر . الاسلام هو هذه الرؤية لله والعالم والانسان الذى يخصص لكل علم وفن ولكل انسان ومجتمع خطة بناء عالم رباني وانساني يحتوى على البعدين الأساسيين البعد المتسامى والبعد الاجتماعى .

نقد الحضارة الغربية

فى هذه المقدمة لكتابه يقرر جارودي أيضاً الحقائق الهامة التالية :

وعود الإسلام

للفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي

أولا : ليس هناك نظام اقتصادي عالمي جديدبدون نظام ثقافي عالمي جديد .

ثانيا: ان مصيبة الغرب اليوم سواء فى البلاد الراسمالية او الاشتراكية هو اعتماده على النمو المتواصل بدون هدف انساني او اخلاقي . هذا الواقع قد ادى الىمشاكل كثيرة ويؤدى بالتالي الى استعباد الآخرين والسعي وراء الهيمنة واستغلال العالم الثالث .

ثالثا: ان المسالة الاساسية والحية لعصرنا هذا ليست هي الصراع بين الراسمالية والاشتراكية التى تسعى كلاهما الىالهيمنة واستغلال الآخرين بل ان المسالة هي فى خلق مجتمع يتعدى الفردية المشوهة التىتفصل بين الفرد ومجتمعه ويتعدى ايديولوجية التقدم الذى يفصل بين العلوم والتكنولوجيا وبين الحكمة . انها في بناء مجتمع اخلاقي يجمع بين البعدين الاخلاقي المتسامي وبين مفهوم الامة .

لقد حطم الاسلام الامبراطوريات القائمة فى زمانه ليس بقوةالسلاح فقط وإنما بقوة الدعوة الاسلامية التى دعت الىالمساواة بين البشر فجعلت شعوب هذه الامبراطوريات تتقبل الاسلام بسهولة لتخرج من الظلم والاضطهاد الذى كانت ترزح تحته فى ظل هذه الامبراطوريات .

مفهوم الجهاد

ينتقل جارودي بعد ذلك الى شرح مفصل عن وضع الجزيرة العربية قبل الدعوة الاسلامية وكذلك حالة الدول المجاورة فى ذلك الوقت ، وكيف ان شعوب هذه الدول كانت تعاني من الظلم والاستعباد ، فلذلك كانت على استعداد لتقبل الدين الاسلامي الذىيدعو للمساواة والاخاء والعدل . وبهذا الخصوص يتحدث جارودي عن مفهوم الجهاد فى الاسلام حيث ان الغربيين قد شوهوا الدعوة للجهاد وجعلوا منه (بعبعا) مخيفا . فالجهاد فى عرفهم لا يعني إلا القتل المتعصب والحرب المدمرة . لذلك فان جارودي يتوسع فى الحديث عن مفهوم الجهاد لكي يوضح للغربيين معناه الاساسي . « فالجهاد » لايعنى القتل والقتال حيث ان هناك كلمة اخرى لذلك وهي كلمة « الحرب » وإنما كلمة « الجهاد » جاءت من الجهد وهي تعني الجهد والاجتهاد فىسبيل الله . فالقرآن الكريم واضح حين يقول « لا اكراه فى الدين » . إن القتال فى سبيل الله ليس سوى الوجه الآخر من الجهاد . فالاسلام يميز بين الجهاد الاكبر والجهاد الاصغر ، والجهاد الاكبر هو الجهاد ضد النفس للسيطرة على شهواتها وانانيتها وغرائزها وهذا هو الجهاد الاكثر صعوبة . وقد ميز النبي صلىالله عليه وسلم بين الجهادين فى حديث شريف .

يختتم جارودي مقدمة كتابه بالقول انه قبل التحدث عن الاسلام فى الوقت الحاضر وعن اثره على النهضة فى اوربا وما يمكن ان يقدمه للمستقبل فانه حرىبنا ان نتبين ما قدمه الاسلام فى السابق من صفحات مشرفة .

فى الفصول التالية من الكتاب يعرض جارودي بشكل مختصر انجازات الاسلام فى شتى الميادين .

انجازات الاسلام

فى الفصل الاول من كتابه يتحدث جارودي عن الصوفية . ويبدأ بالقول بان الصوفية هي بعد من ابعاد العقيدة الاسلامية . فهي بعدها الداخلي . وان اية محاولة لجعلها تيارا مستقلا او عملا منفصلا يسيء اليها بالضرورة . فالاسلام الذى هو دين الوحدانية لا يفصل بين التامل والعمل ، بين الداخل والخارج . فالصوفية وهي شكل اسلامي للروحانية هي في الاساس توازن بين الجهاد الاكبر (أي الجهاد ضد كل الرغبات التى تبعد الانسان عن مركزه) وبين الجهاد الاصغر اي العمل لوحدة وتناسق الامة الاسلامية ضد كل اشكال الوثنية سواء وثنية السلطة او الثروة او المعرفة الخاطئة التى تبعده عن طريق الله .

أصالة التصوف الاسلامي

إذن فانه من الخطا جعل الصوفية مطابقة للباطنية المسيحية او التامل الهندي . صحيح انه مع انتشار الاسلام حدث هناك بعض الاتصال بالباطنية المسيحية والتقشف البوذي ولكن المنبع العميق للصوفية هو القرآن الكريم .

يتحدث جارودي بعد ذلك عن الحب الصوفي وعن الشعر الصوفي فيقول ان الشعر الصوفى هو قمة الشعر العالمي ، وان الشاعر جلال الدين الرومي هو احد القمم الشعرية العالمية إن لم يكن اعظمها . ويستعرض الكاتب اهم الشعراء الصوفيين . ثم ينتقل الى نقد الحضارة الغربية حيث الفرد الغربي فقد كل وحدة فى علاقاته مع الطبيعة والمجتمع والله . ويستطرد جارودي فى نقده للمجتمع الغربي منذ النهضة وحتى الآن ويقول إن الاسلام بامكانه ان يقدم الخميرة للصراع ضد الغربة وضد السيطرة على الانسان من قبل ،، ضرورات ،، قادمة من الخارج تسحب الانسان خارج نفسه وخارج مركزه ، لقد استطاع الاسلام ان يوجه الدور التحرري ضد الاستعمار والغربة التى فرضها الاستعمار وان الذين ينتقدون الانظمة السياسية التى تدعى الاسلام يجب عليهم ان يسالوا انفسهم هذين السؤالين :

١ ــ ما هو نصيب الغرب الاستعماري فى تعصب بعض الانظمة الاسلامية ؟

٢ ــ انه من النبل بمكان ان لا نقارن بين نظام اسلامي كما هو ونظام مسيحي او اشتراكي كما يجب ان يكون فليس هناك اليوم مجتمع اسلامي مثالي كما ليس هناك مجتمع مسيحي او اشتراكي مثالي .

الاقتصاد .. والقانون .. والمراة

فى الفصل الثاني من كتابه ينتقل الكاتب الى مسالة العقيدة السياسية ، وهو يتبع نفس الطريقة فى عدم فصل مشاكل العقيدة عن مشاكل المجتمع وذلك بالمحافظة على الوحدة بين التسامي والامة بين الوحدة ومظاهرها .

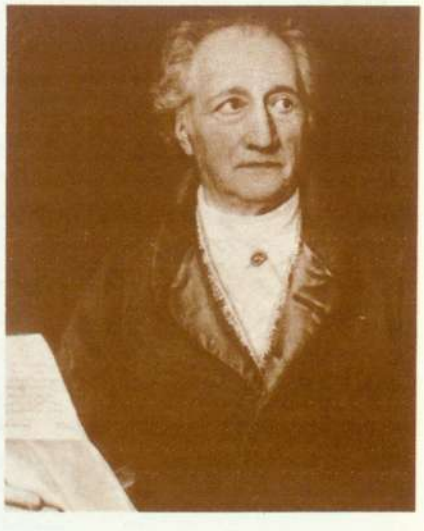
أ) ففى الاقتصاد يقول جارودي إن اهم شيء فى الاسلام هو ان الملكية ليست للفرد او للجماعة او للدولة ، وإنما هي فعل اجتماعي . فالمالك ليس سوى منفذ وعليه ان يقدم حسابا بذلك للامة مهما كانت صيغة الملكية سواء فردية او اجتماعية او حكومية . فالقرآن الكريم يندد بالذين يجمعون المال ويعددوه او يخزنوه كما ان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول بان ملكية الأرض هي للذى يعمل بها .

ب ــ اما فى القانون فكما ان الله هو

المالك الوحيد فانه هو المشرع الوحيد . وهذا هو المبدأ الاساسي لنظرة « التوحيد » فى الاسلام . فالتعاليم القرانية الاساسية بعكس الفردية الغربية الهوجاء هي أن الفرد ليس حقيقة معزولة وإنما يكون جزءاً من كل اعظم هو الامة وان الامة محدودة بغايات اعلى منها . وبهذا الخصوص يتعرض جارودي الى مسالة حالة المراة فى الاسلام فيقول انه يجب ان نفرق بين امرين اولا : التفريق بين التعاليم القرانية الكريمة والتطبيق فى الدول الاسلامية . وثانياً : المقارنة بين التطبيق الواقعي للشعوب المسيحية والتطبيق الواقعي للشعوب الاسلامية (وليس بين النظرية بالنسبة للبعض والتطبيق بالنسبة للآخرين) . ثم يبين جارودى بعض النقاط حول الموضوع وهي نقاط معروفة ولا داعي لتكرارها .

زيف الديمقراطية

ج) اما فى السياسة فحيث انه فى المنظور الاسلامي ليس هناك سلطة إلا لله فكذلك فى السياسة تقودنا هذه النظرية إلى نتائج شبيهة بتلك التى بيناها فى الاقتصاد والقانون . فبجعل السلطة نسبية (الله اكبر) فان الاسلام لا يمكن ان يكون مطابقا لا للتيوقراطية (حكم رجال الدين) ولا للملكية المطلقة (الملكية المقدسة كما فى الغرب) ولا الديمقراطية البرلمانية . فالقرآن يبعد على سبيل المثال الملكية



الشاعر الالمانى جوته .. رغم كتاباته عن العرب واعجابه بالشعراء المسلمين ، فان ذلك لم يغير من نظرة الغربيين للعرب والمسلمين !

الدينية أو حكم رجال الدين لانه لا توجد فى الاسلام كنيسة كما هو الحال فى المسيحية تحكم باسم الله . كذلك فان الاسلام يبعد بنفس الطريقة الديمقراطية البرلمانية القائمة على فردية المواطنين والتى ليس لها غاية إلا تحقيق مصلحة مجموعة دون اخرى بدون مراعاة مصلحة الامة . كل تمثيل هو مزيف ، فليس هناك فى الاسلام بديلا عن الشعب . فالديمقراطية إما ان تكون مباشرة او لا تكون .

ويختتم جارودى هذا الفصل بالنقاط التالية :

١ ـ لا يمكن اقامة اشتراكية داخل النظام الغربى المبني على النمو الاعمى بدون هدف انساني .

٢ ـ لايمكن اقامة اشتراكية انطلاقا من فرديتنا الغربية والتى تشكل الراسمالية اساسها وتعبيرها .

٣ ـ لا يمكن ان تتحقق اشتراكية بدون تسام وبدون امكانية مستمرة للتخلص من مصائرنا المقررة ومن غربتنا .

كل ثورة سيكون مصيرها الفشل إن لم يغير الانسان نفسه كما قال الله تعالى : « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » .

العلم والحكمة

فى الفصل الثالث والرابع والخامس والسادس من كتابه يتحدث جارودى عن العلوم الاسلامية والفلسفة الاسلامية واللغة الاسلامية والشعر الاسلامي .

يبدأ جارودى فصله هذا بالقول بأن تاريخ العلوم والتكنولوجيا كما هو معروف فى البلاد الغربية يرتكز على فريضة وهى قياس تقدم العلوم والتكنولوجيا انطلاقا من معيار واحد هو فاعلية هذه العلوم والتكنولوجيا لتحقيق السيطرة الكبرى على الطبيعة والانسان حتى ولو ادت تلك السيطرة الى تدمير الطبيعة والانسان . ان ذلك فيه خطر كبير على الانسان فالعلم يجب أن لا يفصل عن الابعاد الاخرى للانسان كالحب والخلق الفنى وتامل الحياة والرغبة البسيطة فى التوازن والاتساق فى علاقتنا مع الطبيعة وفى علاقاتنا الانسانية . فى ضوء هذه الابعاد يدرس جارودى العلوم الاسلامية فيقول انه يجب أن لا نقع فى الخطا الذى وقع فيه بعض المؤرخين الغربيين الذين اعتبروا أن العلوم الاسلامية لم تكن سوى نقل لما حققه الفرس والهنود والصينيون وانها مجرد اكتشافات سبقت العلوم الاوربية الحديثة ، من هذا المنظور يجب فهم العلوم الاسلامية فى خصوصيتها ومعناها بانها لا تفصل بينها وبين العقيدة الاسلامية التى حددت غايات هذه العلوم . فمبدأ التوحيد ، وهو مفتاح التجربة الاسلامية الآلهية ، ينفى فصل العلم عن العقيدة . كل شيء فى الطبيعة هو اية من ايات الله لذلك فان معرفة الطبيعة تصبح ، كالعمل ، شكلا من اشكال العبادة وتقربا من الله .

الفلسفة والتنبؤية

يبدأ جارودى فصله عن الفلسفة الاسلامية بالتفريق بينها وبين الفلسفة الغربية . فيقول ان المسالة الاساسية فى الفلسفة الغربية قد اصبحت : كيف تكون المعرفة ممكنة ، بينما المسالة الاساسية فى الفلسفة الاسلامية قد اصبحت : كيف يكون التنبؤ ممكنا . فالقرآن الكريم قد اتى بطريقة جديدة لرؤية الله والعالم وكذلك بقانون عمل يختلف عن الفلسفة اليونانية . فالوحى القراني قد اثار ثلاث مسائل جديدة جداً :

١ ـ مسالة معرفة الحقيقة . ما هو الحقيقى ؟ فكل شيء لا يمكن ان يرى الا بالله والله نفسه هو فى كل شيء .

٢ ـ ما هو قانون العمل الذى يتبع هذه النظرة ؟ العمل والقانون للمسلم هو الظاهر الخارجي للعقيدة . العقيدة هى الداخل والقانون هو الخارج . وليس هناك ازدواجية بين الواحد والآخر .

٣ ـ حسب القرآن الكريم فان الله لا يكشف عن ذاته وانما يكشف فقط قوله وشريعته .

بعد ذلك يستعرض جارودى الفلسفة الاسلامية منذ بدايتها فيتحدث عن الكندى والرازى وابن سينا والسهراوردى وابن عربى الخ ...

الفن الاسلامى

يقول جارودى ان الفن الاسلامى ، كالعلم الاسلامي والحياة الاجتماعية والفلسفة الاسلامية ، لا يمكن فهمها إلا من خلال مبدئها الاساسى وهو العقيدة الاسلامية . لقد حاول البعض ان يرد الفن الاسلامى الى اصول غير اسلامية وان يرى فيه نفوذ الفنون الاخرى . ولكن جارودى يؤكد ان ذلك غير صحيح . فنظرة بسيطة على الاعمال الفنية الكبرى الاسلامية فى

وعود الإسلام

للفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي

العالم تؤكد لنا وحدتها واصالتها . لقد قيل انه فى الاسلام كل الفنون تقود الى المسجد والمسجد يقود الى الصلاة . فالمسجد هو المركز الذى انطلقت منه الفنون وهو مركز العالم ويمثل وحدة الأمة .

الشعر .. والشعر الصوفى

ان الأدب الاسلامي هو فى غالبيته شعر وهذا الشعر هو شعر تنبؤى . شعر قرآني . وبعد نبذة مختصرة جداً عن المعلقات وعن ابى نواس يرجع جارودى الى الشعر الصوفي . وكما قلنا سابقاً فان جارودى متاثر جداً بالصوفية ولذلك فهو يهمل الشعر غير الصوفي فى العصور الاسلامية ويركز على الشعر الصوفى والشعراء الصوفيين . وفى حديثه عن الشعر الصوفى يورد اهم الشعراء الصوفيين كجلال الدين الرومي والجامي ثم يستعرض كلا من الجرجاوي والنظامي . ويتحدث عن اثر الشعراء الاسلاميين على الشعر الغربي فيورد امثلة لذلك كاثر الشعر النبيل على شعراء الأوكستان التروبادور .

يعرض جارودى بعد ذلك لفترة الانحطاط فى الشعر العربى اثناء السيطرة العثمانية حيث لم يخرج شاعر واحد جيد حتى القرن التاسع عشر . ففى النصف الاخير من هذا القرن ظهر فى مصر بعض الكتاب الذين تحرروا من نير السيطرة العثمانية . وهكذا ينهى جارودى فصله عن الشعر العربى بالتعرض للشعر العربى الحديث فيقول ان الشعر العربى الاسلامي الحديث قد ابرز امام التاريخ والسياسة المشاكل الرئيسية للتاريخ والسياسة ، فهو قبل أى شىء اذن شعر تنبؤى .

الخاتمة

يبدأ جارودى خاتمته بالقول بأن كتابه ليس كتاب تاريخ وانما هو كتاب يهم مستقبلنا جميعاً وانه محاولة جديدة لفهم الاسلام وبالتالى العالم الثالث ، لذلك فهو يثير مسالة الاسلام كقوة دافعة حية ليست فى ماضيه فقط وانما فيما يمكن ان يقدمه اليوم وللمستقبل.لقد ظل الغرب لمدة الف عام يخاف من الاسلام ويخشاه وقد آن الأوان ان ينظر الى الاسلام بمنظار جديد .

دعوة لنبذ التعصب

ينهي جارودى بعد ذلك كتابه بالقول بان المسالة الاساسية اليوم تطرح نفسها على مستوى العقيدة بشرط ان نعمل ضد النظرة المسيحية المتعصبة التى تنظر الى الاسلام على انه نقيض ومعاد لها وكذلك بشرط ان نعمل ضد التعصب الذى يميز بعض المسلمين والذى هو مخالف لتعاليم الدين الاسلامي المجيد ولروح الاسلام الذى يجعل من المسيحية جزءاً من العقيدة الدينية . ان الحل هو بالحوار والتفاهم . وحبذا لو تحقق حلم جميل وهو ان تقوم الأمم الغربية وبالأخص تلك التى تاثرت بالثقافة والعقيدة الاسلامية بان تخلق فى المدن التى انتعشت فيها تلك الثقافات ، فى قرطبه وباليرما وباريس ، مراكز للحوار واللقاء والبحث والنشر الواسع لما يمكن للغربيين ان يقولوه للمسلمين .

التعليق والنقد

فى نهاية هذه المقالات اود ان اورد بعض الملاحظات الشخصية التى تكونت لدي عند قراءة الكتاب :

اولا : من الملاحظ ان جارودي لم ينصف الحضارة الأوربية كما يجب ، فهو ياخذ على الغرب قيامه على قاعدة النمو المستمر . وانطلاقا من رفضه لهذا المبدا ينتقد جارودي الحضارة الغربية كلها . ونحن إذ نتفق مع جارودي فى ان النمو المستمر قد ادى الى عواقب وخيمة وانه ربما يؤدى فى المستقبل الى كوارث اشد خطراً ، إلا اننا نود ان نقول بان النمو المستمر كان فيه الى فترة ما فى الماضي شيء ايجابي فهو الذى دفع بعجلة التقدم الى ما هو عليه الآن . فالأزمة التى يمر بها الغرب الآن لا يجب ان تعمينا عما حققه الغرب فى ميادين كثيرة . ويجب ان لا ننسي ما قدمه الغرب من تطور فى العلوم والطب وعلم الفضاء وكذلك فى الآداب والفنون . وهذه الامور لا يمكن رفضها او تجاهلها مهما تعقدت الأزمة فى الغرب اليوم .

إن جارودي يؤكد ان الحضارة الأوربية هي وليدة الحضارة الاسلامية الى حد كبير إذن لماذا نرفض الحضارة الأوربية وبها اشياء كثيرة من الاسلام . إننا نعتقد ان الغرب قد قدم الكثير للعالم ولكنه يمر منذ فترة بازمة وعلينا جميعاً الخروج من هذه الأزمة التى لا تهدد الغرب وحده وإنما تضر بالعالم اجمع . وعلى كل الحضارات والثقافات ان تساهم بنصيبها فى حل هذه الأزمة وعلى راس هذه الحضارات والثقافات الحضارة والثقافة الاسلامية . إننا نتفق مع جارودى بان الغرب يمكنه ان يتعلم الكثير من الاسلام ، ولكننا فى نفس الوقت نقول إن المسلمين يمكنهم ان يتعلموا كثيراً من الغرب .

ثانياً : لقد ابدع جارودي فى فصله . عن الصوفية ، ولكنه فى فصله عن الشعر يعود فيتحدث مرة اخرى عن الصوفية . إننا نجد ان فصله عن الشعر ضعيف ويبدو ان جارودي ينقصه الاطلاع الجيد على الشعر العربي . فالبرغم من ان الشعر الصوفي يشكل قسماً كبيراً من الشعر العربي ، إلا ان هناك جزءاً كبيراً من الشعر العربي غير الصوفي . وهذا مالم يتعرض له جارودي . ولا نستطيع القول ان الشعر العربي غير الصوفي يقل جمالا او عظمة عن الشعر الصوفى ، فالشعراء مثل المتنبى وابو تمام والبحتري وابن الرومي لم يكونوا شعراء صوفيين ولكنهم يشكلون قمماً من قمم الشعر العربي . لذلك اعجب من ان جارودي لم يتحدث عنهم فى كتابه .

ثالثا : يدمج جارودي العالم العربي فى العالم الثالث . وقد آن الأوان ان نميز بين الاثنين والا نخلطهما خلطاً سطحياً غير دقيق . فالعالم العربي ولو انه جزء من العالم المتخلف إلا انه يختلف عنه اختلافاً كبيراً . فالعالم العربي هو حلقة الوصل بين الشرق والغرب وهو يقع على ضفاف البحر الأبيض المتوسط . وهناك وشائج كثيرة بين العرب والأوربيين وخاصة الأوربيين الجنوبيين بحكم المجاورة والتبادل الثقافي والحضاري . فكما ان هناك علائق كثيرة بين العرب والصين مثلا فان هناك علاقات اوثق بين العرب واسبانيا .. بين العرب وصقلية .. بين العرب واليونان .. الخ .

هذه هي بعض الملاحظات التى بدرت لي عند قراءة كتاب « وعود اسلامية » لجارودي ، ولكنها لا تقلل من قيمة الكتاب ومن اهميته للقاريء العربي ، وعسي ان يكون هذا العرض مدعاة للاطلاع عليه خاصة وانه سيترجم قريباً الى اللغة العربية .

د. علي حسن تقي



بقلم : الدكتور محمد البهي

"العُسر واليُسر"

ياتى هذان المفهومان فى بعض آيات القرآن مرتبطين بمعنى الرافة وعدم الحرج لمفهوم اليسر .. وبمعنى المشقة والمكروه لمفهوم العسر . فيقول تعالى فى سورة البقرة :

فمن شهد منكم الشهر (اى شهر رمضان) فليصمه .

ومن كان مريضاً او على سفر فعدة من ايام اخر (اى فرخص له بالافطار على ان يعيد صوم ما افطره فى ايام اخرى لا يكون فيها مريضا . ولا مسافراً) .

يريد الله بكم اليسر (اى يريد بترخيص الأفطار فى هاتين الحالتين : الرافة وعدم الحرج لكم فى حياتكم) .

ولا يريد بكم العسر (اى ولا يريد بكم المشقة ، والزامكم بما من شانه : ان لا يحتمل) ..

وياتيان فى بعض آيات اخرى مرتبطين بمعنى : الانفراج والسهولة ، وينتهى الى رضاء الله لمفهوم اليسر .. وبمعنى الشدة والتعقيد ، وينتهى الى العذاب فى الآخرة لمفهوم العسر . يقول تعالى فى سورة الليل:

فاما من اعطى (اى اعطى لصاحب حاجة معه فى امته : من ماله .. او علمه .. او صحته .. او جاهه) واتقى (اى وتجنب المنكر .. والجرائم..والآثام) . وصدق بالحسنى (اى وآمن بالقيم العليا فى حياة الانسان .. آمن بالمودة ، والاخوة والتعاون ، والرحمة .. الخ) . فسنيسره لليسرى (اى فسيصير امره فى حياته : الى السهولة فى معاملة الناس له وسلوكه معهم ، لانه يعطى من نفسه .. ويصدق بالعلاقات الطيبة معهم .. وينتهى امره فى الآخرة الى رضاء الله ونعيمه) .

واما من بخل (فتحكمت فيه انانيته .. وامسك عن الآخرين وعاش لنفسه فقط مع طاقاته العديدة التى تفيض عن حاجته) واستغنى (اى بنفسه .. وطاقاته .. وماله .. وعصبيته عن الناس والترابط الطيب معهم) وكذب بالحسنى (ومن اجل واستغنائه بنفسه عن الآخرين : لا يؤمن بالمودة ، والاخوة ، والتعاون .. وبقية القيم العليا فى حياة الانسان) فسنيسره للعسرى (اى فسينحدر امره فى حياته الى الشدة والتعقيد فى معاملة الناس له وسلوكه هو معهم .. سيجره وضعه فى الحياة الى ان يكون مكروها منهم .. مساء فهمه .. ومصوباً اليه حقدهم عليه .. وينتهى مصيره فى الآخرة الى غضب الله عليه وعذابه اياه) ..

وفى سورة الشرح قوله تعالى :

فان مع العسر يسراً . ان مع العسر يسراً .. ياتى العسر بمعنى الأزمة والشدة .. واليسر بمعنى الانفراج وزوال الضيق والحرج .

واقتران اليسر بالعسر هنا : « فان مع العسر يسراً » .. وتكرار هذا الاقتران : ان مع العسر يسراً » .. ليفيد : ان مبدأ الحياة الانسانية كقانون يحكمها ويمثل ارادة الله هو : ان مع وجود الأزمة والضيق فى حياة اى انسان توجد بالفعل فى حياته ايضا : حالة الفرج واقتراب زوال الضيق والحرج . فالعسر لا يوجد وحده منعزلا عن فرج الله ويسره . وانما العسر كظلام الليل يتحول قليلا قليلا الى ضياء الفجر .. ثم الى ضياء النهار . فكذلك العسر يتحول تدريجيا وعلى ممر الوقت الى يسر وخلاص من الضيق . ومن ثم لا ياس فى حياة اى انسان . بل الأمل قوى فيها . والعامل الرئيسى فى تبديد الياس .. وفى الانتقال من العسر الى اليسر .. اى فى الانتقال من الأزمة والشدة والخروج منهما : هو عامل الايمان ، الذى يعتبر الصبر فيه ضرورة لوجوده .

وما ينتهى اليه هنا مفهوم العسر : من الأزمة والشدة .. وكذلك ما ينتهى اليه مفهوم اليسر : من الانفراج وعدم الضيق : يكاد يكون الأصل فى كل منهما . وما جاء بعد ذلك فى الآيتين السابقتين هو توضيح لذلك حسب مقام الحال الذى يكتنف كل آية منهما .

وعبادة الصوم هى لتعويد الانسان على الصبر فى اجتياز العسر .. والاعتدال فى المسلك وعدم الاسراف فى امكانيات الحياة هو لامتداد أجل اليسر فى حياة الانسان .

كليوباترا

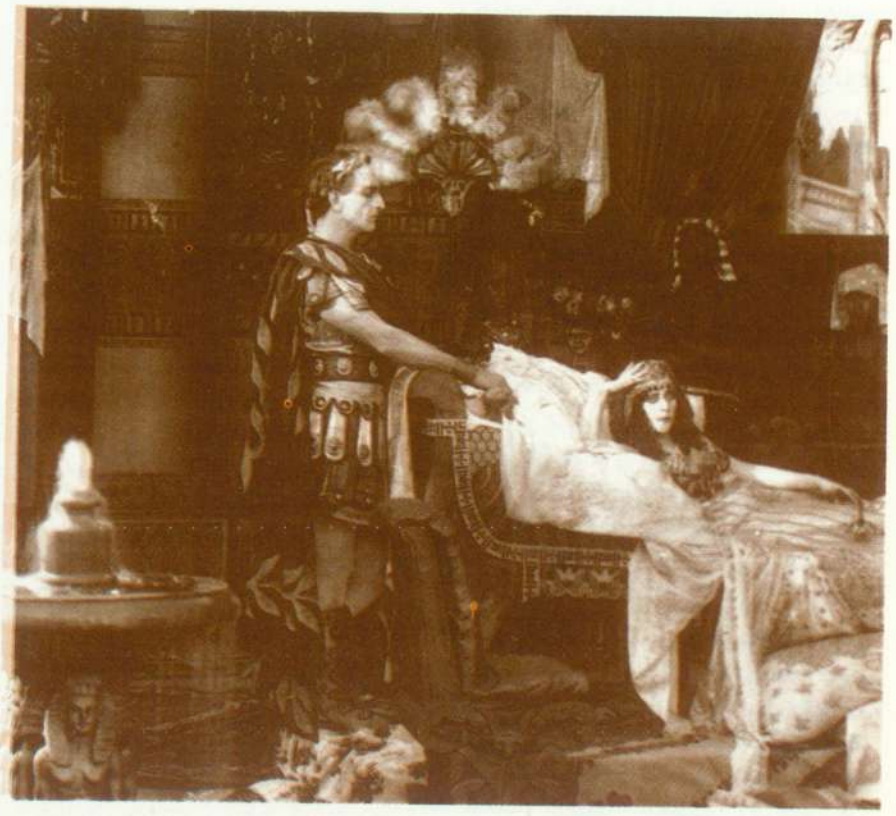
زعيمة الشرق ورمز الوطنية في الأدب الشعبي المناهض لروما

بقلم: الدكتور أحمد عثمان

في كثير من الأحيان تستطيع شفافيه العبقرية الابداعية عند الأدباء والشعراء الوصول إلى جوهر الأشياء وحقائق التاريخ السحيق برغم ما قد يلف الماضى البعيد من إبهام وإلغاز أو ما قد يكتنفه من تلفيق وتزييف . وقد لا يحتاج الأديب أو الشاعر إلى كثير عناء فى الدراسة والبحث لكى يصل الى مثل هذه الحقائق ، وإن كان مؤكداً أن عمله الإبداعى سيكسب أبعاداً جديدة ويصيب أهدافاً عديدة ويتميز بتأثيرات خاصة وفريدة لو أنه جمع بين شفافية العبقرية الابداعية من ناحية والخلفية الثقافية الدالة على طول البحث والفحص ، من ناحية اخرى .

ومثل صارخ للشاعر الذى استطاع أن يصل إلى جوهر الحقائق التاريخية دون معاناة طويلة فى البحث يمكن أن نجده فى أمير الشعراء أحمد شوقى عندما نظم أفضل مسرحياته « مصرع كليوباترا » فلقد تغنى بهذه الملكة البطلمية كزعيمة وطنية برغم أن التراث الادبى والتاريخى لا يحفظ لنا إلا الجانب السيىء من شخصية هذه الملكة حتى صارت صورتها التقليدية الراسخة فى الأذهان هى صورة عاهرة تجيد فن الهوى . هكذا صورها شعراء العصر الأوغسطي فى روما بايعاز من أوكتافيانوس (ت أوغسطس) عدو كليوباترا اللدود ، وبالمثل صورها بلوتارخوس فى « سيرة انطونيوس » عاشقة ماكرة وقادرة على سجن انطونيوس فى أحضانها وحبسه فى دائرة لا يملك الفكاك منها . هى معه أينما حل فحتى لو تزوج فى روما الف مرة حتما سيعود إلى عشيقته الساحرة التى تشده إليها بخيوط من ذهب . وتعكس هذه الصورة وجهة النظر الرومانية الشعبية والرسمية عن كليوباترا . فاذا أضفنا إلى ذلك المخاوف السياسية التى انتابت أهل روما من طموحات هذه الملكة فهمنا مدى الحقد الذى تنضح به كتابات أدباء ومؤرخى ذلك العصر تجاهها . ولقد آن الأوان لكى يعيد الباحثون عندنا صياغة تاريخنا الذى زيفه المغرضون أو من كانوا يتحكمون فى مصائرنا . ولو تحقق لنا ذلك ستنعكس آثاره على أعمال مؤلفينا المبدعين حيث ستتوفر لهم مادة تاريخية يسهل عليهم استلهامها . ومن أهم الموضوعات التى تحتاج إلى إعادة نظر موضوع كليوباترا الذى نحن بصدده .

لقد ظهرت هذه الملكة فى وقت كانت فيه الدولة البطلمية قد وصلت الى الحضيض وكانت على وشك أن تتهاوى وتتلاشى . ولقد أثبتت الأحداث فعلا أن الازدهار الذى أصابها على عهد كليوباترا كان بمثابة وهج الشمس أو الشفق الذى يزداد بريقاً ورونقاً كلما اقتربت لحظة الغروب . لقد امتد سلطان كليوباترا ولاسيما بعد هدايا انطونيوس الى رقعة فاقت ممتلكات البطالمه السابقين بل ضمت أقاليم لم يحلم بها أحد من الملوك الثلاثة الأوائل مؤسسى الامبراطورية البطلمية بقوة سواعدهم وببذل أقصى جهد ممكن . أما الآن فها هى حفيدتهم كليوباترا تقيم صرح امبراطورية بطلمية جديدة معتمدة على



كليوباترا .. الملكة البطلمية التى يحتاج تاريخها إلى اعادة نظر من الباحثين حتى تتوفر لمؤلفينا المبدعين المصادر البعيدة عن الزيف والتلفيق .

سلاح الجمال والفتنة وهو سلاح اثبت التاريخ فعاليته فى كثير من فترات الزمن . وينبغى ان نتذكر هنا ان كراهية الرومان وخوفهم لم يولدا مع قصة حب انطونيوس وكليوباترا . ولكن ظهرا للوجود عندما استولت كليوباترا من قبل على قلب يوليوس قيصر . فعندئذ خشى الرومان أن يحول هذا العاهل الكبير جمهوريتهم الى مملكة هيللينسنية يتربع على عرشها جنباً الى جنب مع كليوباترا . وتردد القول فعلا بأن يوليوس قيصر كان ينوى نقل عاصمة الامبراطورية الرومانية الى الشرق . فان دلت هذه الاشاعات على شىء فانما تدل على مدى سيطرة كليوباترا على يوليوس قيصر الذى لم يعد فى نظر أصحاب هذه الشائعات رومانياً بل حاكماً شرقياً . زد على ذلك ان كليوباترا كانت تعتبر نفسها زوجة يوليوس قيصر وسجلت على احد المعابد انها انجبت قيصرون من أمون رع الذى خالطها فى صورة يوليوس قيصر . ويبدو أن الأخير قد اعترف بأبوته لقيصرون وانه اقام تمثالا من الذهب لكليوباترا فى معبد فينوس الوالدة أو راعية الولادة.

ولو كانت كليوباترا تشك فى نوايا يوليوس قيصر لنسب طفلها الى زوجها وأخيها بطليموس الثالث عشر (٦٣ ـ ٤٧ ق.م) الذى توفى قبل ميلاد قيصرون بستة شهور فقط .

وعندما ذهبت كليوباترا لتقيم فى روما بالقرب من يوليوس قيصر اثارت موجة عارمة من الاستياء فى الأوساط الرومانية . ففى ذلك الحين وعلى وجه التحديد عام ٤٦ ق.م قاد يوليوس قيصر موكب انتصاره حيث سيقت فيه أخت كليوباترا الصغرى ارسينوى الأميرة العنيدة وحملت صوراً لبوثينوس واخيلاس ، وتمثالا للنيل والفنار تمجيداً وتخليداً لانتصار يوليوس قيصر فى الحرب السكندرية عام ٤٨ ق.م . ولقد شاهدت كليوباترا هذا الموكب بعينيها مما أثار سخط الرومانيين الذين تأثروا أيما تأثر بمنظر ارسينوى الأميرة المكبلة بالقيود بسبب اخلاصها ووطنيتها . وقارنوا بين هذا المصير البشع وبين حياة كليوباترا الماجنة التى أسرت عاهلهم يوليوس قيصر وجاءت بنفسها الى ضفاف نهر التيبر وكانها تسعى للسيطرة على روما نفسها .

فلما وقع انطونيوس فى بحر الحب الذى سبح فيه من قبل يوليوس قيصر زاد الطين بلة ولما وهب كليوباترا هدايا الأرض والالقاب ضاعف من ذعر الرومانيين . وفى نفس الوقت تخلق تحت الأرض أدب النبوءات الذى شاع فى بلدان الشرق الأوسط شيوع النار فى الهشيم . ويتخذ هذا الأدب موضوعاً أساسياً هو أن الشرق سيتفوق يوماً ما على الغرب مهما طال الزمن وأن منقذاً عظيماً سيظهر من بين أبناء شعوب هذه المنطقة وستأتى على يديه نهاية الغطرسة الرومانية . فلما حصلت كليوباترا على ما حصلت من مكاسب توسعية وشهرة عالمية تحول هذا الأدب اليها متخذاً منها الشخصية المحورية فبدت الملكة المنقذة التى ستعيد أمجاد الشرق الهيللينى والهيللينستى الى سابق عهدها . فلنتوقف قليلا عند صفحات هذا الأدب الغامض .

الرومان مهزومون لا محالة

هناك نبوءة تنسب الى تاريخ ما قبل عام ١٠٠ ق.م ويطلق عليها اسم « نبوءة البرايتور المجنون » نسبة إلى احد المناصب الرومانية وهى تنذر الرومان بأن جيشاً قوياً سيأتى من مشرق الشمس أى من آسيا بهدف استعباد روما واذلالها . وفى القرن التالى تنبأ رجل اغريقى شرقى أو متأغرق من الشرق يدعى هيستاسبيس (Hystaspes) وربما حكيماً فارسياً بأن الحكم والسلطان سينتقل بالعنف من روما إلى يد منقذ من الشرق . وبلغ من ذيوع هذه النبوءة وخطورتها أن الرومان فرضوا عقوبة الموت على كل من تخول له نفسه قراءتها أو ترديدها . ولكن أخطر النبوءات وأكثرها إزعاجاً لروما والرومانيين هى تلك التى جاءت فى الكتب السيبيلية ولا أدل على مدى الانزعاج الذى أصاب الرومان مما تحويه هذه الكتب من أنهم لم يحتفظوا الا بنسخة مختارة ومنقحة لها ثم اعادوا تعديلها وتشذيبها عام ٨٣ ق.م فيما يمكن أن نعتبره نسخة رسمية للنبوءات السيبيلية . ولكنها ظلت فى الأماكن التى انبثقت منها أصلا فى سوريا واماكن أخرى بالشرق تحمل النذير لروما والبشرى المريحة لشعوب الشرق بأن الحكم الرومانى لن يبقى أبد الدهر .

وترجع بعض هذه النبوءات السيبيلية الى عصر بعض الملوك الهيللينستيين مثل سيليوكوس انطيوخوس الرابع الملقب بالظاهر (١٧٥ ـ ١٦٤ ق.م) الذى كان قد أحيا الآمال فى سقوط روما . وتتحدث بعض فقرات هذه النبوءات عن بؤس بلاد الاغريق بعد أن وقعت تحت براثن الحكم الرومانى عام ١٤٦ ق.م وبعضها يمجد عدو

روما اللدود ميثريداتيس السادس الذى مات عام ٦٣ ق.م وتصفه بأنه المنقذ . ويورد أثينايوس الرواية الأسطورية التى ذاعت عن ولادته وفحواها أن مذنباً فلكياً توهج فى كبد السماء عندئذ واستمر كذلك لمدة سبعين يوماً . وتحدثت النبوءات أيضاً عن قرب ظهور ملك محارب سيمهد بسيفه الفتاك الطريق لسقوط روما وقيام العصر الذهبى .

وأهم من ذلك الاشارات الغامضة التى وردت فى أدب المقاومة التنبؤى هذا عن امرأة ستجلب الخلاص للشرق . فعندما ستكون فى ذروة المجد والقوة كما يؤكد العرافون ستتضاعف الخيرات وستكون الحياة وكافة المستلكات ملكاً للجميع ولن تكون هناك أسوار ولا استحكامات على ظهر الأرض التى ستحمل ثماراً أوفر مما حملت من قبل وستنفجر فيها ينابيع اللبن الصافى والعسل الشافى . فاذا شك بعض المؤرخين أو القراء فى أن هذه النبوءة تشير بطرف خفى الى كليوباترا فان النبوءة التالية باشارتها الواضحة لحكومة الائتلاف الثلاثى ستعينهم على التغلب على شكوكهم . تقول النبوءة : « وعندما ستكون روما مترددة فى فتح مصر ستظهر الملكة القوية بنت الملك الخالد بين الرجال .. وثلاثة سيخضعون روما لقدر يبعث على الاشفاق .. » . واكثر من ذلك فان النبوءات تتحدث عن هذه المرأة المنتظرة على أنها أرملة مما يزيد رقعة التشابه بينها وبين كليوباترا التى عزلت اخاها وزوجها بطليموس الرابع عشر عام ٤٤ ق.م وخرجت على التقليد البطلمى المعروف اى أن يكون الحكم فى يد الزوج الملكى شركة . تقول النبوءة :

« وعندئذ سيخضع العالم الواسع كله لحكم امرأة وسيدين لها بالولاء فى كل شىء وحدها ستكون هذه الأرملة ملكة العالم الواسع كله سيقذف الاله بالذهب والفضة الى البحر وفى الماء أيضاً سيقذف السيوف البرونزية لهؤلاء الرجال الغانين فى عمر يوم من الأيام . وعندئذ ستصبح كل عناصر الكون بائسة مترملة ولكن الاله العلى فى الأثير سيطوى السموات على السجل للكتب وستسقط السماء الزاخرة بالنجوم على الأرض القدسية وعلى مياه البحر . وتتساقط السنة اللهب من عل ودون توقف . سيحرق الاله الأرض والبحر بلعنة منه . الأيام والسموات الزاخرة بالنجوم وكل الكون سيتحول الى شىء واحد الى طهارة خالصة . والنجوم الضاحكة المضيئة ستصمت وستخبو فلن يكون هناك ليل ولا فجر ولن تكون للهموم سهام عديدة بل لن



كليوباترا

زعيمة الشرق ورمز الوطنية فى الأدب الشعبى للمناهض لروما

تكون هناك هموم قط ، لا ربيع ولا صيف لا شتاء ولا خريف وسياتى حساب الاله القدير فى كل شىء بهذا العصر العظيم القادم وعندها ستسقط كل هذه الأشياء »

وتضيف النبوءة « ولكنك لن تكونين بعد أرملة فسوف تتزوجين الأسد » . وهنا ينبغى أن نتذكر أن الأسد فى الأساطير الاغريقية هورمز بطولة هرقل الذى لم يكن يرتدى من ملبس سوى جلد الأسد فاذا أضفنا إلى ذلك أن انطونيوس كان حريصاً كل الحرص على أن يظهر بمظهر هرقل أصبح للنبوءة مغزى عميق . فالأرملة التى ستتزوج الأسد هى كليوباترا عشيقة وزوجة وحليفة انطونيوس المتشبه بالبطل الأسطورى هرقل .

وهناك نبوءة أخرى طويلة تقول « هائلة تلك الأموال التى دفعتها آسيا جزية الى روما ، ولكن روما ستدفع ثمن ذلك ثلاثة اضعاف لكى تتطهر من غطرستها القاتلة . وفى مقابل كل رجل من رجال آسيا خدم سيداً ايطاليا سيتعذب فى أغلال العبودية عشرون ايطاليا وسيدخل قفص الاتهام والادانة آلاف عديدة منهم . أى روما ذات السلالة اللاتينية أيتها العذراء المتزينة بالألوان والأصباغ الزخرفية ، أيتها المنتشية فى أحضان مئات العشاق ستضعين فى يديك سلاسل الأسر والعبودية . سيذهب عنك البهرج وسيقصون شعرك الناعم بأمر صارم من سيدة قوية وستلقى بك من السماء الى الأرض تلك التى بيدها تمسك العدالة ولكنها سترفعك بعد ذلك الى أعلى لأن السلام الوديع سيعود الى آسيا وستسعد به أوربا وسيمنح الهواء حياة أطول وقوة ، وطعاماً أوفر وستتزايد طيور الأرض وحيواناتها وستختفى العواصف والأعاصير . بارك الاله فى الرجل وبارك الاله فى المرأة اللذين سيشهدان هذا الزمان . انهم وكالفلاحين الذين لم يروا حياة القصور من قبل سيصعقون من الدهشة لرؤية الثروات . ذلك أن نظاماً واحداً حقيقياً وقانوناً واحداً حقيقياً سينزل من عالم النجوم ومعهما سياتى أيضاً ليقطن من البشر الشىء الذى طالما تمنوه وفضلوه على كل شىء . اى الوفاق والانسجام المتين والمقبول وكذلك الحب الأخوى بين كافة بنى البشر . وسيهرب الفقر من العالم وستذهب الحاجة والفوضى بلا رجعة وستختفى فى ذلك اليوم مشاعر الحسد والحقد ، الغضب والحمق وكذا المعارك الفتاكة والنزاعات والسرقات والتدمير وكل أنواع الشرور » .

ولقد تم فعلا قص شعر روما الناعم على يد سيدة مسيطرة هى كليوباترا التى تلقت من انطونيوس هدايا الأرض والولايات الخصبة على حساب الامبراطورية الرومانية . ومن الملاحظ ان هذه النبوءة مفعمة بمشاعر الغضب والرغبة فى الانتقام من غطرسة الرومانيين ، كما انها تنم عن عطش الشرق المغلوب على أمره للحرية والعدالة . فالنبوءة تمد المطحونين من أهل الشرق بالآمال الحالمة فى أن عجلة الحظ لن تتوقف بل ستستمر فى دوراتها العادية والمنتظمة وستعطيهم ما أخذت منهم وسيدفع الثمن فى المستقبل القريب من ظلم وتكبر . وهكذا توضح هذه النبوءة بما لا يدع مجالا للشك المعنى العميق لهدايا الأرض والألقاب التى اكتسبتها ملكة مصر كخطوة أولى نحو إعادة أمجاد الشرق والقضاء على تعسف الحكم الرومانى . وترسم لنا هذه النبوءة الجنة التى كان أهل الشرق يحلمون بها ، إنها جنة السلام والانسجام ، يتساوى فيها الاغريق والرومان ، ويتعاون فيها الشرق مع الغرب متاخين متحابين .

ولقد كان هذا الحلم بعيداً كل البعد عن مجرد أن يخطر بذهن روما واوكتافيانوس ولكنه كان مجسداً تمام التجسيد فى سياسة انطونيوس وكليوباترا . ومن المؤسف ان بلوتارخوس المتحمس بشدة لدعوة التاخى بين الأغريق والرومان ولفكرة الجمع بين العبقرية الاغريقية والعسكرية الرومانية لم يتفهم سياسة انطونيوس وكليوباترا التى كانت فى الواقع تسعى الى تحقيق الهدف نفسه وإنما على أسس انسانية من الحب والتاخى بين بنى البشر جميعاً .

د . أحمد عتمان

بحث جامعي جديد

مجلس التعاون لدول الخليج العربية



تأليف :

لميعة عبد العزيز الجاسر (جامعة الملك سعود)

« مجلس التعاون لدول الخليج العربية » ، بحث قدمته لميعه عبد العزيز الجاسر ـ الطالبة فى قسم الجغرافيا بكلية الآداب بجامعة الملك سعود ـ المملكة العربية السعودية ، وقد أشرف على هذه الرسالة الجامعية الدكتور طه عثمان الفـرا .

يعتبر البحث ذاته ، دراسة جديدة فى موضوع حديث جداً ، إذ من المعروف أن « مجلس التعاون الخليجي » ولد كمنظمة اقليمية عربية بتاريخ ١٩٨١/٥/٢٥ ، أي انه لم يمض على قيام هذه المنظمة أكثر من سنة وبضعة أشهر ، مما يسبغ على البحث اهمية خاصة . وعلى الرغم من اقتصار بعض الفصول على السرد تقريباً دون تحليل واستنتاج كافيين ، فان البحث يعتبر بشكل عام محاولة ناجحة فى وضع « مجلس التعاون الخليجي » في اطار تاريخي أولا ، ثم فى تلمس العوامل القومية والاقتصادية والاجتماعية التى أدت إلى نشوئه فى ظل ظروف اقليمية ودولية موضوعية .

وقد قامت الطالبة لميعة عبد العزيز الجاسر بتقسيم دراستها إلى خمسة فصول ، تناولت فى الفصل الأول منها موقع الدول الخليجية وموقع الخليج العربي وتضاريس منطقة الخليج ، كما قدمت فى هذا الفصل العوامل التاريخية والاجتماعية فى وحدة المنطقة ، والصفات المشتركة بين دول الخليج العربية التى تقرب مابين شعوب هذه الدول .

وفى الفصل الثاني تحدثت عن الوضع السكاني فى المنطقة من حيث النمو السكاني والزيادة الطبيعية فى السكان والهجرة ثم التركيب السكاني النوعي والعمري والمهني .

وتناول الفصل الثالث فى الدراسة الحديث عن الاقتصاد الخليجي قبل وبعد ظهور البترول ثم مرحلة انتاج البترول وتطور هذا الانتاج ، واحتياطى النفط وصادراته فى دول الخليج العربية الست الأعضاء فى مجلس التعاون الخليجي .

أما الفصل الرابع فقد تناول الموضوع الجوهري للدراسة ، بعد التمهيد السابق فى الفصول الثلاثة الأولى ، وتناول هذا الفصل الأسباب التى دعت الى قيام المجلس ومراحل تكوينه من خلال مؤتمر قمة ابو ظبي الأول ومؤتمر قمة الرياض الثاني .

واختتمت لميعه عبد العزيز الجاسر بحثها هذا ، بفصل خامس تحدثت فيه عن النتائج والفوائد التى اسفر عنها انشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربيـــة .

العوامل الوحدوية

حاولت الباحثة فى الفصل الأول تسليط الأضواء على العوامل الوحدوية التى مهدت لقيام مجلس التعاون الخليجي ، فركزت على جملة من العوامل أهمها التشابه الاقتصادي والاجتماعي بين شعوب المنطقة (قطر ـ المملكة

بحث جامعي جديد

مجلس التعاون لدول الخليج العربية

العربية السعودية ـ دولة الامارات العربية المتحدة ـ البحرين ـ الكويت ـ البحرين ـ سلطنة عمان) ، ثم على الانتماء القومي المشترك ، ووجود النفط فى دول الخليج العربية جميعها ، مما أضفى بدوره تشابها فى طبيعة التطور الاجتماعي والاقتصادي لشعوب هذه الدول ، اضافة الى العامل المناخى الواحد .

وبالنسبة لعامل الانماء القومي المشترك ، اشارت الباحثة إلى وحدة اللغة والدين والجنس التى صهرت شعوب المنطقة فى بوتقتها ، وقالت فى هذا المقام « إن دول الخليج كلها عربية منذ القدم ، وذلك من خلال القبائل والعشائر العربية التى جاءت وسكنت شواطئه (الخليج) ، باعتبارها امتداداً طبيعياً للوطن العربي الذى مدته شبه جزيرته العربية الاصلية ، بالفيض السكاني عبر الهجرات المتتابعة ، وتمتد جذور هذه الأواصر الاجتماعية والتاريخية الى فجر الاسلام ، وبظهور الرسالة المحمدية اندمجت القبائل واصبحت أمة واحدة تمتاز بالوحدة فى الدين واللغة . »

واشارت ايضاً إلى أن هذه الأواصر الاجتماعية والدينية والقومية كانت لها حوافز موضوعية ملموسة بين حكام وشعوب دول الخليج العربية ، شبيهة تماماً بتلك الحوافز العربية الأولى التى شهدتها الجزيرة العربية فى التعاون والتحالف وعقد الاتفاقيات والمواثيق والعهود بين القبائل العربية بهدف رد ومواجهة جميع الأخطار الخارجية . وقالت الباحثة إن العوامل الوحدوية السابقة ، هي التى دفعت شعوب المنطقة وقادتها منذ مطلع السبعينات الى اعادة اكتشاف الروابط الوطنية والتاريخية والاجتماعية والثقافية وتجميع كل الامكانات السياسية والاقتصادية والثقافية لايجاد صيغة وحدوية جديدة تتناسب مع الظروف الموضوعية فى المرحلة الراهنة وتتكفل بمجابهة الأخطار الخارجية .

الوضع السكاني

خصت الباحثة الفصل الثاني من دراستها بموضوع السكان فى منطقة الخليج العربية ، واشارت الى أن نسبة الوافدين الى السكان المحليين مرتفعة فى كل من دولة قطر والكويت ثم أبو ظبي ودبي ، أما بالنسبة الى المملكة العربية السعودية ، فان عدد السكان الاصليين اكبر من عدد الوافدين ، كما أن اكبر مجموعة من الوافدين هنا ، مؤلفة من اليمنيين الشماليين .

كما لاحظت الباحثة أن توزيع الفئات العمرية لسكان بلدان الخليج العربية الست ، تشير إلى أن مجتمعاتها هي مجتمعات فتية ، وأن قاعدة الفئة السكانية من الأطفال عريضة وواسعة ، واستنتجت من خلال هذا الواقع ، أن هذه القاعدة السكانية العريضة ستغذى خلال فترة تتراوح مابين خمس الى عشر سنوات ، المجموعة السكانية القادرة على العمل ، باعداد وفيرة من العمال والموظفين ، وبالتالي تجعل « خلجنة » الأعمال والمهن والوظائف المختلفة ، أمراً ممكناً فى المستقبل ، لكن الباحثة تشترط لذلك اتخاذ الخطوات المناسبة للتنمية السكانية ثقافياً وفكرياً واجتماعياً وصحياً ونفسياً .

الاقتصاد الخليجي

تتناول الباحثة فى الفصل الثالث موضوع الاقتصاد الخليجي قبل وبعد اكتشاف البترول ، فتشير الى أن المحور الاساسي للاقتصاد الخليجى فى مرحلة ما قبل النفط كان يعتمد على التجارة بالدرجة الأولى الى جانب انشطة اخرى كالزراعة وصيد الأسماك والغوص وتربية الحيوانات الداجنة ، ولكن اكتشاف النفط اسهم بصورة غير مباشرة فى تعزيز حياة الاستقرار ونشوء المدن على حياة البداوة والغوص وتجارة البحار .

وفى هذا المجال تذكر الباحثة أن البترول يشكل حالياً المصدر الرئيسي للدخل فى دول الخليج الست ، وبالنسبة لدولة قطر فان النفط يؤمن نحو ٩٠٪ من ايرادات الدولة .

وتقول ان النفط الذى اكتشف فى دولة قطر فى عام ١٩٣٨ واستخرج فى عام ١٩٣٩ ، قد تمت السيطرة الوطنية على شؤونه منذ عام ١٩٧٦ بانشاء الهيئة القطرية العامة لانتاج البترول ، وبذلك أصبحت مادة النفط التى هي اهم ثروات البلاد تحت سيطرة الدولة بشكل كامل .

وتشير الباحثة فى هذا الفصل الى أن الدول الخليجية رات انها لايمكن أن تعتمد دائما على مصدر طبيعي واحد قابل للنفاد والنضوب وهو البترول ، لذلك اتجهت الى تنويع قاعدة الانتاج بهدف إيجاد ثروة ومصادر اخرى للدخل بشكل ثابت ، وتتمثل هذه المصادر فى التنمية الصناعية والزراعية والاهتمام بالثروات الطبيعية الأخرى ، مستندة فى ذلك على عوائدها النفطية المتزايدة في كل عام .

ونظراً لتشابه اقتصاديات دول مجلس التعاون الخليجي ، اتجهت هذه الدول الى أسلوب التنسيق والتعاون على شكل اتفاقيات ثنائية أو جماعية ، من أجل القضاء على احتمال التنافس فى استغلال مواردها وفى تصريف انتاجها ، وسعياً وراء التكامل الاقتصادي . أما التعاون الجماعي فى هذا السبيل فهو يتم من خلال اتفاقيات تشترك فيها أكثر من دولتين . ومن الأمثلة على ذلك اتفاقية انشاء بنك الخليج الدولى (١٩٧٥) الذى ساهمت فيه سبع دول خليجية (بما فيها العراق ايضاً) ، وقد حددت اهداف هذا البنك فى تحقيق التكامل والتنسيق والترابط الاقتصادي للدول الخليجية عن طريق تمويل المشاريع الاقتصادية الخليجية ، وتنسيق الجهود مع المؤسسات المالية الخليجية لخلق جبهة اقتصادية تساعد على تنمية دول المنطقة . وكان من مساهمات هذا البنك فى التمويل ، مساهمته فى تطوير شركة البترول الوطنية بالبحرين بقيمة ٧٥ مليون دولار .

ومن الاتفاقيات التى تشترك فيها اكثر من دولتين تذكر الباحثة ايضا الاتفاقية الخاصة بانشاء « شركة الملاحة العربية » (١٩٧٦) ، والاتفاقية الاعلامية الخاصة بانشاء « مؤسسة الانتاج البرامجي والاذاعي المشترك لدول الخليج » (١٩٧٦) ، واخيراً الاتفاقية الخاصة بانشاء « منظمة الخليج للاستثمارات الصناعية » (١٩٧٦) ايضـــاً .

ومن خلال ما تقدم يتضح أن قيام مجلس التعاون الخليجي ـ كما تقول الباحثة ـ قد سبقه مسار خليجي شمل عدة مجالات من خلال جملة من الاتفاقيات الثنائية والجماعية ، مما توجد أرضية قوية لبناء المجلس .

قيام مجلس التعاون

كان قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية إذن نتيجة لعوامل وحدوية متعـددة (العوامل الطبيعية ـ العوامل التاريخية والاجتماعية ـ الصفات المشتركة بين دول الخليج ـ الاقتصاد الخليجي المتشابه وأثر البترول عليه ـ امكانيات التعاون بين الدول الخليجية لتحقيق تكامل اقتصادي فيما بينها ـ الخصائص السكانية الواحدة تقريبا لدول الخليج العربية) .

وفى اطار فاعلية وضغط هذه العوامل مجتمعة ، اضافة الى العوامل الخارجية المتمثلة فى المطامع والتنافس الدولي على منطقة الخليج الغنية بالبترول ، كان لابد لدول الخليج العربية من الاتجاه يداً واحدة نحو صيغة جديدة من الاندماج الخليجي ومواجهة التحديات المتعاظمة مع تعاظم حاجة العالم الصناعي للنفط .

وفى هذا الجو المشبع بروح العمل الجماعي فى المنطقة والتكاتف والتآزر بين دولها بدأت أولى الخطوات التنفيذية لانشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، بعقد اجتماع لوزراء خارجية دول المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين وقطر ودولة الامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان ، فى الرياض بتاريخ ١٩٨١/٢/٤ ، حيث وقع الوزراء الستة فى ختام ذلك الاجتماع على وثيقة اعلان قيام مجلس التعاون الخليجي معلنين بذلك بداية مسيرة التعاون بين الدول الست . وقد تحددت اهداف المجلس فى بيان لاحق صدر فى الرياض بتاريخ ١٩٨١/٢/١٤ عن طريق دول الخليج العربية الست ، ويمكن اجمال تلك الاهداف ـ كما توردها الدراسة ـ فى تحقيق التناسق والتكامل والترابط بين الدول الاعضاء فى جميع الميادين وصولا الى وحدتها ، وتعميق وتوثيق الروابط والصلات وأوجه التعاون القائمة بين شعوبها فى مختلف المجالات ووضع انظمة متماثلة فى مختلف ميادين الحياة ، ودفع عجلة التقدم العلمي والتقني فى مجالات الصناعة والتعدين والزراعة والثروات المائية والحيوانية ، وإنشاء مراكز بحوث علمية ، واقامة مشاريع مشتركة ، وتشجيع تعاون القطاع الخاص بما يعود بالخير على شعوب دول المجلس .

القمة الخليجية الأولى

أما الاعلان رسمياً عن إنشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، فقد تم فى البيان الذى اذيع فى أعقاب القمة الخليجية الأولى التى ضمت زعماء الدول الست الأعضاء فى المجلس ، والتى عقدت فى ابو ظبي فى ١٩٨١/٥/٢٥ ، حيث وقع هؤلاء الزعماء النظام الأساسي لمجلس التعاون .

الاتفاقية الاقتصادية

وكان من أهم ثمرات انشاء مجلس التعاون الخليجي إقرار وزراء مالية دول المجلس مشروع الاتفاقية الاقتصادية الموحدة بين دول مجلس التعاون الخليجي فى الرياض بتاريخ ١٩٨١/٦/٨م ، وأهم سمات هذه الاتفاقية البالغة الأهمية أنها جاءت لكي تستبدل الاتفاقيات الثنائية بين الدول الأعضاء بالمجلس باتفاقية اقتصادية وتجارية ومالية موحدة ، بما فى ذلك تنسيق خطط التنمية الوطنية والسياسة البترولية فى جميع مراحلها ، وعمليات التصنيع والمشروعات الصناعية ، بما يمنع الازدواجية أو المنافسة الضارة ، اضافة الى تنسيق الخطط فيما بين الدول الأعضاء بالنسبة لاستثماراتها فى الداخل والخارج .

وإضافة الى ما تقدم فان مجلس التعاون أعرب عن عزمه (البيان الختامي لاجتماعات الدورة الأولى للمجلس الوزاري للمجلس بالطائف فى ١٩٨١/٩/٢) ، على تعزيز التنسيق الأمنى والسياسي بين الدول الأعضاء لمواجهة الأخطار المحيطة بالمنطقة .

القمة الخليجية الثانية

بعد مضي حوالي ستة شهور على مؤتمر القمة الخليجي الأول عقدت القمة الثانية لدول المجلس فى الرياض بتاريخ ١٤ محرم ١٤٠٢هـ . وتشير الباحثة فى دراستها الى أن هذا الفاصل الزمني القصير نسبياً بين انعقاد القمتين يؤكد على حرص زعماء دول المجلس على المضي قدماً وبخطى ثابتة ووائقة لتحقيق الاهداف التى تضمنها البيان الختامي للقمة الخليجية الأولى ، كما يؤكد أيضاً على مدى ما يتمتع به زعماء دول المجلس من قدرة عملية على تحقيق الأمن والرخاء والاستقرار لشعوب هذه المنطقة .

النتائج والفوائد

تخلص الباحثة من دراستها الى النتائج والفوائد التى اسفر عنها انشاء مجلس التعاون الخليجي ، فتقول : إن أهم الانجازات على الصعيد الاقتصادي كانت اقرار مشروع الاتفاقية الاقتصادية الموحدة بين دول المجلس ، والتى تقضي كما اشرنا انفاً الى تنسيق السياسات النفطية والتصنيعية بما يمنع الازدواجية او المنافسة الضارة .

وعلى الصعيد الأمني والعسكري ، فقد أكد قيام مجلس التعاون استقلالية دول المنطقة وبعدها عن المحاور العسكرية الدولية ، ورفضها لأي تواجد عسكري فى منطقة الخليج ، وقد جاء قيام مجلس التعاون ليشكل وعاء تنظيمياً لامكانات دول المجلس الست على الصعد السياسية والاقتصادية والعسكرية تحقيقاً للسلام والاستقرار فى منطقة الخليج العربي .

وتختم الباحثة دراستها عن مجلس التعاون لدول الخليج العربية بطرح سؤال حول الامكانيات المتوفرة لنجاح فكرة المجلس وتحقيق الأهداف التى قام من اجلها ؟

وتؤكد أن هناك عوامل عديدة تؤكد نجاح كيان المجلس اكثر امكانيات النجاح المتوفرة للسوق الاوربية المشتركة ، أهمها كون دول الخليج تشكل منطقة جغرافية واحدة ، تكاد تكون كلا واحداً ، اضافة الى انتماء شعوب المنطقة الى قومية واحدة هي القومية العربية .

أما بالنسبة للاضافة التى يشكلها قيام مجلس التعاون ، فهي فى نظر الباحثة ، أن هذا الكيان التنظيمي الجديد سيدعم انتماءه العربي ويساعد أكثر فأكثر على خدمة القضايا العربية والاسلامية ، كما أن المجلس سيحمل آثاراً اقتصادية لابد وأن تؤثر على المسيرة الاقتصادية لدول العالم كافة ، بالنظر للامكانيات الاقتصادية العديدة لدول المجلس ، وأهمها الفوائض النقدية الضخمة الموزعة على مصارف عالمية متعددة ، اضافة الى الانتاج النفطي لهذه الدول وما تملكه من احتياطي كبير وبالغ الاهمية من هذه المادة الحيوية .

تقييـــم

في رأينا ، يكتسب البحث أهمية خاصة ، باعتباره محاولة جادة لتسليط الأضواء على « مجلس التعاون لدول الخليج العربية » ، بما يمثل قيام هذه المنظمة العربية ، من محاولة للقفز على عوامل التجزئة والتقسيم التى اقامها الاستعمار فى منطقة الخليج العربي قبل رحيلـه ، وبما يمثل أيضاً من طموح ونزوح نحو قيام وحدة عربية بين دول المجلس ، بحيث تصب هذه الوحدة فى تيار الوحدة العربية الشاملة فى نهاية المطاف ، اضافة الى المحاولات الناجحة للتنمية بشتى وجوهها فى هذه الدول ، وتسخير الطاقات النفطية والمالية التى تملكها فى خدمة القضايا العربية والاسلامية ، والسلام العالمي .

ونشير أخيراً إلى أن الدراسة اعتمدت السرد التاريخي احياناً ، دون الغوص فى التحليل والاستنتاج المطلوبين ، كما أن الهنات التى تؤخذ على الباحثة اعتمادها على المراجع والمصادر العربية دون الاجنبية ، ولكن نود أن ننوه الى أن الدراسة كانت مكتنزة أحياناً ـ وخاصة فى الفصل الثاني منها ـ بالجداول والبيانات الاحصائية ، وهي ضرورة لا مندوحة عنها للباحث الموضوعي أو الأكاديمي .

ع . ش

رسالة لندن من:
علي شلش

أزمة المجلات الأدبية في الغرب

يبدو ان المجلات الادبية فى العالم الغربى قد اصبحت مثل الديناصور الذى انقرض ولم يترحم عليه إلا المشتغلون بالمتاحف والحفريات . ففى مثل هذا العالم المكتظ بالامكانات المادية الهائلة تتراجع المجلات الأدبية شيئا فشيئا لتحل محلها ـ على أحسن الظروف المجلات الثقافية العامة ، وهى مجلات شبيهة بالبوتيكات التى تعرض الف صنف وصنف ولكنها لا تحدث حركة ولا تحيى اثرا ولا تكتشف موهبة . ولكن الغربيين ـ والحق يقال ـ واعون بهذه الأزمة التى تعانيها المجلات الأدبية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ومن مظاهر هذا الوعى إثارة القضية بين حين وآخر ومناقشة جوانبها المختلفة وتلمس الحلول لها . وهذا اضعف الايمان فى بلاد تمارس الديموقراطية وتخلو من امية العقول . وهذا أيضا ما فعله الملحق الأدبى لصحيفة التايمز حين طرح القضية واستكتب لها عددا من المختصين فى بعض دول أوربا وامريكا .

تحت عنوان « دور المجلة الأدبية » كتب ستة من الباحثين ورؤساء التحرير السابقين والأدباء من انجلترا وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة . وكان السؤال الذى طرحته الصحيفة على هؤلاء الكتاب الستة هو : ما دور المجلة الأدبية فى بلدك وهل تراه متحققا اليوم ؟ أما الجواب فقد تنوع بالطبع ، ولكنه تجمع فى النهاية عند نقطة واحدة تتعلق بالشق الثانى من السؤال . فقد أجمع الكتاب الستة على أن دور المجلة الأدبية لم يعد متحققا اليوم !

وكان أول المشتركين فى الرد على السؤال أديبا انجليزيا بالطبع ، هو ريموند وليامز . وقد أشار فى مطلع حديثه إلى اهمية ارتباط المجلة الادبية بالبلد الذى ينتجها ، بمعنى ان تعكس المجلة الادبية الطابع القومى للبلد الذى يصدرها . ثم ناقش وليامز دور المجلة الادبية بشكل عام . وكان مما ذكره :

« ان اهم وظيفة للمجلات الادبية ـ فى اطار الهيمنة الثقافية الراهنة والمتزايدة ـ هى ان تتيح العديد من الفرص للتجارب والمحاولات الاولى للكتاب ، وكذلك للتبادل والتجريب بين الادباء ، وهذه كلها عمليات يمكن ان تتحقق من خلالها الطوابع والهويات الحقيقية التى تختلف عن الطوابع والهويات التجارية القائمة على المنافسة واخلاقيات السوق ... وتعد ضغوط السوق الادبية اليوم قاسية ومتزايدة على الجميع . فالتغير فى حركة راس المال ونفقات التوزيع ، الذى يؤثر تاثيرا خطيرا على الكتب ، قد حدد المجلة الادبية ووضعها على الهامش مالم تستطع الارتباط بعملية الترويج للكتب عن طريق عرضها والتعريف بها او البحث عن انحياز سياسى أو شبه سياسى » .

ومن انجلترا ايضا رد جون ويتمان الذى يشكل مع ريموند وليامز ثنائيا مرموقا فى عالم الأدب والنقد الانجليزيين الراهنين . ولكن رده اختلف وتميز بالاحاطة . وكان مما قاله :

« إذا أخذنا تعبير « المجلة الأدبية » بمعنى الدورية التى تعنى بالانتاج الادبى الفعلى للعصر ، وتقوم بالنسبة للأدباء مقام الندوة ورف الكتب ، وتمكن الامزجة او « المودات » الأدبية الجماعية من الثبات ، وتحمى القيم الادبية من طغيان التجارة او السياسة ، فلا أعتقد أن فى انجلترا او فى امريكا ـ فى الوقت الحالى ـ أية صحيفة رئيسية ومركزية من هذا النوع » .

ثم عرض ويتمان للمجلات الادبية الحالية فى انجلترا وامريكا بما فى ذلك الملحق الادبى للتايمز نفسه ولكنه لم يجد خلال عرضه هذا اى تحقق لتصوره السابق للمجلة الادبية . فكل هذه المجلات الكثيرة التى عرض لها لا تعكس فى رايه المناخ السائد وسط جماعة الادباء ، وإنما تعكس الهموم التى تشغل بال الجمهور العريض من المثقفين والصحفيين والمهنيين والقراء من كل نوع . بل انها لا تهتم فى رايه الا بتصنيف وتقييم ما يقع فى دائرتها من ادب معاصر ، ولا تشغل نفسها على نحو ايجابى بخلق بيئة مثمرة من التبادل الادبى المشترك ، ولا تستقر عند منبع الادب بمقدار ما تستقر عند نقطة توصيله ، وهى ايضا ـ على حد تعبيره ـ اشبه بمحلات البقالة الممتازة لا بالمشاتل المفيدة!

وقارن ويتمان بين المجلات الراهنة فى انجلترا وامريكا وزميلاتها قبل عقدين او اكثر فوجد القديم افضل من الجديد والسابق اقوى من الراهن . بل لم يجد وراء المجلات الراهنة شخصيات ادبية قوية تحركها وتوجهها مثلما كانت الحال فى الماضى حين حرك اندريه جيد مجلة «الروح» فى فرنسا ، أو.ت . اس . اليوت الذى حرك مجلة « المعيار » فى انجلترا ، على الرغم من أن المجلات الادبية القديمة كانت تعنى بالسياسة والدين قدر عنايتها بالأدب .

وانتقل ويتمان بعد ذلك إلى نقطة جديرة بالتامل فى هذا الموضوع . فهو يجد ان المجلة الادبية تواجه عادة خطرا من نوع غريب ، هو خطر الو[illegible] فى « الشللية » ، فتصبح تحت رحمة « عصبة » ادبية أو

تؤدى كما يقول الفرنسيون إلى خلق «الارهاب» الأدبى والفكرى مما يبعدها فى النهاية عن النبض الحقيقى لعصرها . فالأديب الشاب الذى ترفض انتاجه دار نشر أو مسئول فى صحيفة قد يحتمل ذلك من قوم ليسوا من جنسه ، ولكنه سيضيق حتما اذا جاء ذلك الرفض من قوم ينتمى هو اليهم . « والارهاب أيضا يخلق مدارس واتباعا وسياسات أدبية وغير ذلك من ألوان الضلال الجماعى يؤدى بدوره إلى الثرثرة الأدبية ويخلق ثروة من الركود وانعدام الوقائع الأدبية » .

ومع ذلك يعتقد ويتمان أن مزايا المجلات الأدبية الحقيقة تفوق ما يمكن أن تواجهه من خطر الانحراف فى أداء وظيفتها . بل انه يشعر بافتقاده ما سبق أن أشار إليه من المجلات الأدبية الجادة صاحبة الرسالة . ويحاول أن يجد سببا لهذا الافتقاد فيراه أحيانا فى طغيان التجارة وأحيانا فى طغيان وسائل الاتصال العصرية بالجماهير مما يؤدى فى النهاية الى ضياع الأدب الجاد ووقوعه فى أزمات الخلق والتعبير .

ومن فرنسا يأتى رد للكاتب الباحث موريس نادو يتفق فيه مع الرأيين السابقين حول غياب المجلة الأدبية الأصيلة والمتميزة فى بلد عريق فى تاريخه مع المجلات الأدبية كانجلترا . وقد عرض نادو لما كان فى فرنسا من مجلات أدبية راقية ومؤثرة ابان الثلاثينات والأربعينات حتى وصل إلى مجلة « العصور الحديثة » التى كان يحركها سارتر فلم يجد فى المجلات الراهنة ما يشفى غليله .

قال نادو عن دور المجلة الأدبية :

« تنشأ المجلة الأدبية بشكل عام من الحاجة التى تشعر بها حفنة من الأدباء لتجميع القوى حول فكرة جديدة أو مفهوم جمالى ، يريدون أن يقدموه فى كتبهم وأن ينتفع به قراؤهم . ومن ثمة تفتح المجلة الأدبية الطريق أمام هذا الجمهور من القراء فتعده وتشكله مقدماً ، لتقبل الفكرة الجديدة أو المفهوم الجديد . وهذا ما حدث فى رأى نادو لمعظم المجلات المعروفة فى تاريخ الأدب الفرنسى منذ « المجلة البيضاء » التى أنشأها الرمزيون ودعاة الحركة الرمزية فى الأدب فى أواخر القرن الماضى .

وضرب نادو المثل بمجلة أدبية راقية لم يعد لها نظير اليوم ، وهى « المجلة الفرنسية الجديدة » التى أثرت فى مجرى الأدب الفرنسى فى فترة ما بين الحربين . فقد كان ضمير تلك المجلة ـ كما يقول نادو ـ هو اندريه جيد وناشرها هو جاستون جاليمار الذى نشر لفاليرى وكلوديل وبروست . وكانت المجلة نفسها ذات أثر بالغ . فقد احتضنت المواهب الجديدة عند ظهورها مثل جيونوومالرو . وكانت أيضا احدى « المؤسسات الثلاث » التى أشار السفير النازى أوتو أبيتس على «الفوهرر» وقتها بأن يستولى عليها الألمان إذا لزم اخضاع الفرنسيين للنظام . وقد استولى عليها الألمان بالفعل وقت احتلالهم لباريس ولكنهم لم يستطيعوا اخماد صوتها الحر !

وقد طرح نادو نقطة أخرى طريفة تتصل بما يجده فى فرنسا من دور نشر تحتضن مجلات أدبية . ويرى أن هذا النوع من المجلات يأتى أولا بهدف العثور على مؤلفين جدد باستمرار . وقد اتبعت هذا التقليد دار النشر الفرنسية المعروفة «جاليمار» حين أصدرت « المجلة الفرنسية الجديدة » ، ودار « مينوى » (منتصف الليل) التى أصدرت مجلة باسمها هذا . ولكن الزمن قد تغير فى رأى نادو . فقد مضى الزمن الذى كان فيه المؤلفون الشبان يتمرنون على النشر قبل أن يواجهوا القراء فى كتب مستقلة . والسبب فى ذلك هو نهضة وسائل الاتصال العصرية من اذاعة وصحافة وتليفزيون ، وتشجيع هذه الوسائل للشبان وعدم تقيدها بلمعان الاسم فى كثير من الأحيان .

واختتم نادو مقاله بالاشارة إلى نوع جديد من المجلات الأدبية بدأ يظهر فى السوق الفرنسية ، وهو ما يسميه : « مجلات الهواة » التى تطبع على ورق فاخر بأعداد محدودة ، ويشارك فيها الفنانون التشكيليون بالتعبير عن الأعمال الأدبية المنشورة ، أو تطبع أيضا على ورق بسيط بطريقة التصوير وتوزع باليد فى كثير من الأحيان . ويوجد من هذا النوع مئات المجلات التى يصدرها الشباب فى الغالب . ولكنها لا تحل أزمة المجلات الأدبية فى فرنسا ولا تستقطب حولها حركات عميقة أو مؤثرة .

ومن الولايات المتحدة كتب الناقد ارفنج هاو ، فتحدث عن قوة تأثير المجلات الأدبية فى امريكا خلال العشرينات ، وكيف كان الناس ينتظرون صدور أعدادها بفارغ الصبر ، ولا سيما مجلة « المزولة » بالرغم من أنها لم تعمر طويلا . وضرب مثلا آخر بمجلة « مجلة النصير » فى أواخر الثلاثينيات التى كانت كما يقول أهم مجلة فى البلاد فى حينها ، ثم تساءل : هل يمكن أن نجد شابا فى الولايات المتحدة اليوم ينتظر صدور العدد الأخير من مجلة أدبية ؟ ويجيب عن سؤاله بقوله : أشك فى هذا !

وقد أشار هاو إلى نقطة لم يتطرق إليها من سبقوه فى الموضوع ، وهى نقطة جمهور المجلات الأدبية . وهو يقسم هذا الجمهور إلى ثلاث فئات : الكتاب . النقاد . المدرسون . ويضيف بأنه جمهور متعطش بالطبع لقراءة المجلة القيمة ولكنه لا يرى أى دليل على وجود مثل هذه المجلة بالرغم من أنه لا يوجد نقص فى كم المجلات فى بلاده . ويضيف مرة أخرى بقوله :

« ان مجلاتنا الأدبية قد أصبحت جزءاً من المنظر المقبول والمألوف . انها مثل الأقارب المسنين ، يتفق الجميع على احترامهم ولكن أحداً لا يزورهم كثيراً » ، لا لأن المادة التى تقدمها هذه المجلات أقل من غيرها فى الثلاثينيات أو الأربعينيات ، وانما لأنها أصبحت أقل اثارة وأقل التزاما ومصيرها العام هو افتقاد التأثير وانعدام الاهتمام بها بعد أن لم تعد هى نفسها مركزية فى اهتمامها أو حيوية فى قضاياها الثقافية . ويرى هاو أن ما تحتاجه المجلة الأدبية أساسا هو وجهة النظر والقدرة على تصعيد قضية ثقافية أو حتى قضية اجتماعية لم تكسب أو تحل بعد أو تكون قد أهملت . ثم تحتاج بعد ذلك إلى رأى قوى حول « الموقف » ، والمواقف كثيرة على قارعة الطريق إذا صح التعبير العربى .

ويختتم هاو رده ، أو مثاله بمعنى أدق ، فيشير إلى الوضع الراهن فى المجلات الأدبية الامريكية . ويرى أنه نتيجة

للتوسع فى التعليم الجامعى وانشاء الجامعات فى الخمسينيات والستينيات لم يعد الأدب والأدباء محصورين فى مدينتين أو ثلاث . ففى كل مدينة جامعة وفى كل جامعة مجلة على الأقل ، ولكن هذه المجلة قد لا تصل إلى أبعد من حدود الولاية التى تصدر فيها . واحياناً تعمل هذه المجلات الجامعية على تشجيع المحلية والاقليمية ، ونادراً ما تعمل على توحيد الضمير أو الوعى القومى .. لقد فقدت المجلات الأدبية أثرها ونفوذها ، « وهذه هى الحقيقة » كما يقول .

ومن الولايات المتحدة أيضاً يأتى دافيد بروميتش ، فيضيف عنصراً آخر فى أزمة المجلات الأدبية فى بلاده ، وهو عنصر يتمثل فى برامج ومناهج الابداع الأدبى التى انتشرت فى الجامعات الامريكية فى العقدين الأخيرين ، وعوضت الطلاب أو الأدباء الناشئين عن السعى وراء النشر فى المجلات الأدبية . وهو يرى أن هذه البرامج قد امتصت الرغبة العامة فى النشر أو متابعة ما ينشر . بل أصبح عدد طلابها أكثر من عدد القراء المنتظمين لأية مجلة أدبية . ومعنى هذا ـ كما يقول ـ أن عدد الأدباء المحتملين أو الذين تحت التمرين أكبر من عدد القراء العاديين للمجلات الأدبية ممن تحدوهم الرغبة فى الكتابة والابداع .

وأخيراً يأتى رد من ايطاليا حول هذه الأزمة الغربية العامة فى المجلات الأدبية . وهو رد كتبه جامعى وناقد اسمه ما سولينو داميكو . وقد اتفق مع زملائه فى كثير من النقاط التى أثاروها . وقال ان فى ايطاليا عدداً كبيراً من المجلات الأدبية ، منها ١٠ مجلات راسخة ، أكثر من ١٠٠ مجلة صغيرة ، وان متوسط توزيعها جميعاً محدود . فمعظمها يوزع بضع مئات ، وقليل منها يوزع أكثر من ألف نسخة . وخلص الناقد الايطالى الى ان وضع المجلات الحالى لا يتيح لها ان تلعب الدور الحقيقى الذى يجب أن تلعبه المجلة الأدبية ، أو الذى كانت تلعبه فى الماضى القريب فى ايطاليا نفسها .

وربما ينطبق هذا الاجماع بعد ذلك كله على كثير من بلدان العالم اليوم : فالشكوى من هبوط مستوى المجلات الأدبية وضعف أثرها أصبحت شكوى عامة تقريباً فى العالم الغربى (الأول) والعالم الثالث أيضاً . ولكن السؤال الذى قد يفرض نفسه الآن هو : ما العمل ؟ كيف يعالج هذا الهبوط أو الضعف أو الانقراض ؟ أما الجواب فلم يشر إليه احد من الكتاب الستة الذين اشتركوا فى هذا الاستطلاع الطريف . ولاشك أن الاجابة على مثل هذا السؤال تعد مرحلة متقدمة لابد أن تسبقها مرحلة فحص الظاهرة وتشخيص أعراضها وهذا ما نجح الاستطلاع فى تصويره . وربما يكون ذلك مشجعاً لنا على أن نفحص وضع مجلاتنا الأدبية الراهنة وتشخيص حالتها . وأخشى أن أقول : ان ما تقدم من رأى الغربيين فى مجلاتهم قد ينطبق كثيراً على ما عندنا نحن الشرقيين من مجلات أدبية . ولكن اذا كانت الحال من بعض الحال ، اذا صح تفصيح التعبير العامى عندنا ، فلا أقل من البدء بالفحص والتشخيص !

صناعة القواميس واجب وطني

قد يقال ان وضع القواميس عمل ممل ، ولكنه بالقطع عمل مفيد . فليس من الضرورى ان تطور القواميس اللغة ، ولكنها تحفظها بلاشك ، وتسجل تطور استخدام الألفاظ فيها . ومع ذلك فاللغة ـ ولا سيما فى الألفاظ والمفردات ـ تتطور أسرع من تطور المعاجم والقواميس . واذا لم تحاول هذه المعاجم والقواميس اللحاق بتطور اللغة فانها لا تعدو عندئذ أن تكون « أرشيفاً » قديماً .

وبعض بلادنا ، مثل مصر وسوريا ، فيها مجامع للغة تقوم بملاحقة تطورات العصر فيما يختص بالمفردات والتراكيب والاستعمالات الجديدة . ولكن بعض البلاد الأوربية مثل انجلترا لا يوجد فيها مجمع للغة ، وانما توجد فيها صناعة ضخمة للمعاجم والقواميس ورجال أفنوا أعمارهم فى أقسامها منذ دكتور جونسون فى القرن ١٨ الى دكتور روبرت برشفيلد الذى سنتحدث عنه هنا . فقد قضى برشفيلد الأعوام الخمسة والعشرين الأخيرة فى عمل جزئي محدد من أعمال صناعة القواميس ، وهو وضع ملحق لقاموس أوكسفورد الكبير بعد أن توالت السنون على ظهوره وزحفت الى اللغة مئات بل الاف الكلمات الجديدة من كل اتجاه . وفى الأسابيع الأخيرة كان برشفيلد سعيداً بظهور الجزء الثالث من الملحق وبقى عليه أن ينجز الجزء الرابع والأخير المقرر ظهوره عام ١٩٨٥ . وربما سعد برشفيلد ايضاً بظهور طبعة جديدة لقاموس أوكسفورد الوجيز فى ذات الوقت وان كانت من وضع معجمى آخر .

لقد نشر الملحق الأسبوعى لصحيفة « التلجراف » تحقيقاً طريفاً حول ظهور الجزء الثالث من هذا الملحق ، جاء أن برشفيلد يقود طاقماً من الشباب فى شقة صغيرة وسط مدينة أوكسفورد ، وان عمله هو الاشراف على انجاز ملحق القاموس الكبير الذى تنشره مطبعة جامعة أوكسفورد . وقد جاء برشفيلد من نيوزيلندا قبل ثلاثين عاماً ليعمل بتدريس اللغة فى الجامعة ، ثم اختير منذ ٢٥ عاماً لانجاز هذه المهمة التى أوشكت على الانتهاء .



د. روبرت برشفيلد ومساعدوه أمام مكتبهم في أوكسفورد .. انه مع هؤلاء الشباب يقود عملا هاما لانجاز ملحق القاموس الكبير الذى تصدره مطابع جامعة اوكسفورد .

وقد بدأت أجزاء « قاموس أوكسفورد الكبير » فى الظهور عام ١٨٨٤ . وتم ظهور آخر الأجزاء الاثنى عشرة عام ١٩٢٨ ، دون أى ملاحقة للجديد فى الكلمات او فى استعمالاتها . وكان القاموس يعاد طبعه على هذا النحو ويباع منه سنوياً نحو ألف مجموعة (بلغ سعر المجموعة حاليا ٤٠٠ جنيه استرلينية عدا الملحق) ومن هنا ظهرت الحاجة إلى وضع الملحق .

اما المنهج الذى يسير عليه د. برشفيلد (٥٩ سنة) فهو منهج يقوم على الأساس التاريخى لدخول الكلمة الاستعمال الانجليزى مع بيان طريقة هذا الدخول .

على أن تكون الكلمة الجديدة قد مضى على استخدامها خمس سنوات إلا ما كان واسع الانتشار بدرجة ملفتة مثل عبارة : « اية الله » التى شاعت منذ ثورة الخومينى وأصبحت ترسم فى كلمة انجليزية واحدة .

وقد قسم الرجل مجموعة العاملين معه (٢٤ باحثا) الى تخصصات مختلفة مثل :

العلوم الانسانية . الطبيعة . الميكانيكا . النبات ، الخ . أما كيف يحصل هؤلاء على الكلمات الجديدة فالطريقة هى أن يقرأ كل منهم كل ما كتب فى تخصصه من مؤلفات وابحاث جديدة ، ويقوم فى الوقت نفسه بالتقاط الكلمات التى ليس لها ذكر فى القاموس الكبير ، ثم يستخرج المقتطفات التى وردت فيها هذه الكلمات ، وبعدها يقوم بتخزين الحصيلة التى جمعها فى دواليب خاصة تشغل غرفة بأكملها .

ويعاون هؤلاء الباحثين عدد آخر من القراء المتطوعين فى الغالب ويصل عددهم الى ١٠٠ قارىء فى انجلترا وامريكا . وهؤلاء مهمتهم جمع الكلمات الجديدة التى يقرأونها أو يسمعونها ثم يرسلون بها الى برشفيلد . وأكثر هؤلاء المتطوعين من كبار السن والمتقاعدين . بعضهم من نزلاء المصحات . بل ان منهم سيدة امريكية ثرية تعيش فى امريكا وتنتقل بسيارة مزودة بحجرة نوم لتتابع اسماء الطيور والأشجار التى تصادفها فى تنقلاتها . وحين تصل الى المكتب هذه المعلومات من المتطوعين وغيرهم يقوم العاملون فيه بالكشف عنها فى القاموس الاصلى . فاذا لم توجد تصنف ويضاف اليها الدراسة اللازمة عن أصل الكلمة وتاريخها ونطقها ثم تقدم الى برشفيلد لاتخاذ القرار ، وبعدها تدخل فى سجلات الملحق .

انه عمل مرهق بلاشك ، ولكن الرجل سعيد به ، برغم كل المضايقات والمشكلات التى يتعرض لها من الشعراء الذين يثيرونه باللعب بالألفاظ ، والعلماء الذين يزعجونه بالاشتقاقات الجديدة التى لم يسمع عنها ، والمتهوسين الذين يعدونه صديقا لهم كما يقول !

والأهم من هذا كله فى مثل هذه الصناعة أن تجد صدى لمنتجاتها . وهذا فى الحقيقة مما يلفت النظر هنا . فبمجرد ظهور الجزء الجديد من هذا الملحق ، وظهور الطبعة الجديدة أيضاً من « قاموس أوكسفورد الوجيز » (التى تظهر كل ٦ سنوات) ، بدأت الصحف والاذاعات فى مناقشة العملين وتقييم الجهود المبذولة فيهما واقتراح نقاط جديدة لم يتم الالتفات اليها . وقد ذكرنى هذا بعمل مشابه ظهر فى القاهرة منذ عام ولم يعطف عليه أحد حتى الآن بمناقشة أو رأى . فقد أصدر مجمع اللغة العربية قاموسه « الوجيز » الذى وضعه صديقنا الاستاذ مصطفى حجازى ، وبذل فيها مجهوداً مرهقاً بلاشك . ولكن الثواب عند أهل الثواب فيما يبدو ! سؤال يستبد بى الآن ولا مفر من طرحه :

متى تلتفت احدى جامعاتنا العربية المتكاثرة الى مثل هذا الذى التفتت اليه جامعة أوكسفورد ؟ وسؤال آخر :

أليس من حقنا على الجامعة العربية أن نطالبها بقاموس عربى كبير حديث ؟

ان صناعة القواميس والمعاجم واجب وطنى وقومى قبل ان تكون هواية . أليس كذلك ؟





صيني .. ولكنه فن عظيم

لوحتان .. الأولى عنوانها « الفيلسوف يتامل فى السماء والماء » للفنان « بان تيان شو » .. والثانية بعنوان « سيدة نهر شيانج » للفنان « فاو باوشى »

لا أدرى كيف عششت فى أذهاننا فكرة ان فن التصوير اختراع أوربى ، وان فن التصوير الصينى مجرد ظاهرة واحـــدة لا تتغير ، سواء فى الموضوع الواحد الذى يتكرر رسمه ، أو فى الأسلوب الواحد الذى يعبر به الفنان المصور عن هذا الموضوع . ولكن الذى أدريه أننى شاهدت فى لندن معرضاً غير فى ذهنى ما عشش فيه من افكار كهذه حول فن التصوير .

والصحيح ان المصورين الأوربيين قد طوروا فن التصوير ولكنهم لا يمكن أن يكونوا مخترعيه ، لأن الفن ـ ببساطة ـ ظاهرة انسانية ليست وقفاً على قوم أو حكراً على بعض دون البعض الآخر . وما الفرق الا فى الدرجة .. درجة ممارسة هذا الفن أو ذاك .

المعرض هو الاول من نوعه فى انجلترا . فهذه أول مرة يشاهد فيها البريطانيـــون معرضاً للتصوير الصينى الحديث . ولكن المعروضات التى بلغت ١٠٠ لوحة تمتد ١٠٠ سنة ابتداء من ١٨٦٦ إلى ١٩٦٦ . وهذه اللوحات المائة لخمسة فنانين لا أكثر منهم أربعة من المخضرمين الذين شهدوا عهد ما قبل ثورة الصين ثم عاشوا فى ظلها أولهـم ووشانج شو وهو أيضاً أكبرهم سناً فقد ولد عام ١٨٤٤ ، يليه هوانج بن هونج الذى يصغره بعشرين عاماً ، ثم فاو باوشى (١٩٠٤ ـ ١٩٦٥) ، شن زينو (١٨٩٦ ـ ١٩٦٢) ، وأخيراً : بان تيان شو (١٨٩٧ ـ ١٩٧١) .

أما المكان الذى اقيم فيه المعرض فهو : الأكاديمية الملكية للفنون . واما المعروضات المائة فالحق ان فيها سمات مشتركة كثيرة اهمها : عشق الطبيعة ، والارتباط بالشعر لا فى الرؤية فحسب وانما فى التعبير المباشر عن القصائد . استخدام خامات واحدة تقريبا مثل : الورق والحرير ، مـع التنوع الكبير فى الأدوات مثل : الفرشاة والريشة والأصابع وراحة اليد ، وتفضيل الحبر (ولا سيما الأسود) .

ويعد ووشانج شو (١٨٤٤ ـ ١٩٢٧) صاحب نفوذ على فن التصوير فى هذا



وادى العطر .. للفنان : ووشانج شو



مياه الينابيع الشافية .. للفنان : شن زينو

القرن . وقد بدأ حياته شاعراً وخطاطاً . أما التصوير فقد جاءه على كبر حين تعلق بدراسة النقوش والحفر على البرونز والحجر . ومن موضـــــوعاته الأثيرة : الصخور والزهور التى ترتبط دائما فى الصين بمعانى الفصول المتعاقبة والعمر المديد والسعادة والنجاح والرخاء . كما يعد هوانج بن هونج (١٨٦٤ ـ ١٩٥٥) أكثر هؤلاء الخمسة تعلقاً برسم القصائد الشعرية حتى ، فى مناظره الطبيعية وهو تقليد سيطر على الفن الصينى منذ القرن ١٤ . ويستخدم فرشاة الخط عادة ، ولكنه يتميز بالمقدرة على تحقيق عدة طبقات من الظلال بالفرشاة . وعلى هذا النحو يرسم زميله فاو باوشى مع تنوع أكبر فى اختيار المشاهد الطبيعية وابراز آثار الضوء والظل ومن موضوعات شى المفضـــــلة القصص والحكايات وهو أسلوب يرجع إلى القرن الرابع فى التصوير الصينى . أما شن زيفو فيهوى العصافير والزهور ويرسمها بالوان زاهية ، ويلجأ الى أسلوب الزخرفة الذائع فى بلاده منذ القرن ١٢ مع العناية الشديدة بالتفاصيل . وأما بان تيان سو فيرتبط أكثر بالأشياء العادية فى الحياة ولكنه لا يتخلى فى سعيه وراء البساطة عن التحكم الشديد فى التفاصـــــيل الصغيرة .

أهم شىء فى هذا المعرض أيضاً أنه يؤكد ما أشار إليه كثير من مؤرخى الفن فى شرق آسيا وجنوبهـــــا الشرقى من أن التصوير فى الصين كان له آثار قويـــة وواضحة فى التصوير اليابانى منذ قرون عديدة . وقد لفت نظرى أن معظم رواد المعرض فى ذلك اليوم كانوا من السياح الأمريكيين . وقد أصبح الأمريكيون ـ بعد الأوربيين ـ من أنصار ما يمكن أن نسميه : الفن قبل السياسة أو : الأصالة قبل المعاصرة ! ولم لا ؟ لقد ترجمت مؤخـــرا ـ ولأول مرة ـ « دائرة المعارف السوفيتية الكبرى » .. ترجمت إلى الانجليزيـــة بأجزائها الثمانية والعشرين ونشرتها دار ماكميلان فى انجلترا وامريكا عام ١٩٧٦ !

ـ علي شلش

● قصـــــــة ●

السّبُع

بقلم: مصطفى أبو النصر

عادة ، يكون الموقف مهماً إلى حد ما ـ على الأقل ـ بالنسبة للعابرين . والنظـــرة العادية أو القصيرة لا تكفى ، لأنه مضطر ـ فى بعض الاحيان ـ أن يقدر مدى طول القافلة ، كما يتحتم عليه أن يخمن زمن عبورها . هذا من ناحية ، أما الناحيـــة الأخرى ، فبنظرة سريعة وفاحصة ، عليه أن يدرك قدرة العابرين : هل من بينهم أعمى أو عجوز أو طفل ؟ عندئذ يخطو بخطوات جادة وحازمة ، وفى اللحظـــة ذاتها ، ينتفخ خداه لينطلق الصفير صارخاً وهو يشير بذراعيه للسيارات ، وعلى الفور تتوقف مذعنة . على أنه إذا أخلى الطريق للعجوز أو الأعمى ، فهو لا يكتفى بذلك نحو الطفل ، فما يكاد يلمح طفلا حتى يندفع تجاهه ويأخذ بيده الى الرصيف الآخر ، فاذا ما اطمأن عليه ، ربت على كتفه فى رقة بالغة مودعاً إياه بابتسامة حانية . وقد يحدث أن تندفع سيارة فى رعونة جنونية ، فلا يملك إلا أن يلتقط رقمها فى غمضة عين وفى أثنـــاء عودته الى موقفه الأول يكون الرقم قد استقر فى دفتره ، وقد دون أمامه ميعاد مرورها .

يتكرر هذا المشهد كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة . ولم يكن فى أى من هذه الأوقات ، يفكر أو يحاول النظر إلى ظاهر يده اليمنى على الرغم من أنه يكتب بهـــا أرقام السيارات ، أو يبسطها جانباً من حين إلى آخر . أما الآن فقد تغير مكانه تماماً : الهواء البارد يلفح وجهه ، والشمس من خلفه صاعدة فى عرض السماء ، وتجاهه مباشرة ـ عبر الشارع ـ كتلة من حجر الجرانيت ، كتلة ضخمة ، قوية ، ثابتة ، يستطيع ـ لو أراد ـ أن يلمس حافتهـــا العليا دون جهد ، ولكن هل فى مقدوره أن يتهاون ـ ولو لحظة ـ فيعبر الشارع ويلمسها ؟ لا أحد يدرى ما الذى قـــد يحدث ؟ وقد تجيء « الطوبة فى المعطوبة » وتقع حادثة بشعة فالكل مجانين ، والكل متعجل ، وسيكون هو حتماً المسئول ، وامتد بصره بعيداً : المياه المخضرة الداكنة لمعتها فضية يشوبها سواد ثقيل . فجاة يتلاشى كل شىء من أمامه ، ويندفع إلى منتصف الشارع ، وتمتد ذراعه تمنـــع السيارات ، وبدون قصد ، يلمح ظاهر يده . لا شىء غير مألوف أو شاذ ، وتتحول عيناه بسرعة إلى المارة ، يحثهم على الاسراع فى العبور ، وإذ يطمئن إلى أن الجميع قد عبروا فى سلام ، يترك ذراعه تســـقط بجانبه ، وهو فى طريقه إلى مستقره الأول وتنطلق السيارات : تبدأ فى بطء ثم لا تلبث أن تتوالى فى ليونة وسرعة ، وزجاجها يعكس بريقاً لامعاً من فعل أشعة الشمس الصاعدة .

لاشك أن المصادفة وحدها ، هى التى جعلته يرى المنظر الرهيب ، فقد اعتقد للحظة أنه فى حلم ، أو أن ما يراه الآن لم يكن موجوداً من قبل ، وأنه ظهر فجاة ، هكذا بسرعة وبدون مقدمات ، ولكن تلك هى الحقيقة : كيف لم ير الأسد الرابض فوق الكتلة الجرانيتية ، هو الذى يستطيع أن يقرأ أرقام السيارات من بعيد ؟ كيف لم يستطع أن يلحظ ما فوقها وهى تواجهه تماماً وكأنها تراقبه ؟ هل أصاب نظره شىء ما ، أم ماذا ؟ ولكن لا سبيل الى انكـار ما يرى . ها هو الأسد يرمقه بعينيـــه ، لا يقول شيئاً ، ولكنه بالتأكيد يراقبه . عليه أن يتجاهله ، يهمله ، لا ينظر إليه وكأنه غير موجود ، ثم ما قيمة أسد كهذا ؟ هز كتفيه مستهزئاً وأشاح بوجهه ، مولياً بصره الى السيارات التى تمرق أمامه .

كان الأسد قد اختفى ، والأرجح أن قاعدته الضخمة قد غطست به فى أعماق النيل ، فرأى الأفق المنبسط خالياً من أى شىء ، ومع ذلك فهو لا يستطيع أن ينطلق أو يغير من وقفته هذه : خطوات معدودة إلى المنتصف ، وما هى إلا دقيقة واحدة حتى يرجع ثانية فوق مربضه هذا . أحياناً كان يتخيل أنه يقف فوق قمة جبل ، غير أن هذا الجبل لم يكن إلا ذلك المسطح الخشبى الذى يقف عليه . كثيراً ما كان يضرع إليه الجميع ، هناك ، تحت ، عند الســـفح ، طالبين منه العفـــو ، وكان إذا تحقق من شخصياتهم ، واكتشف حقيقتهم ، وجدهم سائقى سيارات الأجرة ، ولكن لماذا يغفر ؟ لماذا يعفو عن اخطـــائهم وتهـــورهم واستهتارهم ؟ انهم فى الحقيقـــــة لا يستهينون به ، انه فقط ممثل للسلطة ، عليه أن يحميهم من أنفسهم ، كما يحمى الناس من شرهم . وظل يرقب الضوء الأخضر ، حتى إذا ما انطفأ فجاة ، وتوهج الضوء الأحمر ، انحدر من الجبل ، واتجه إلى الوسط رافعاً ذراعه . فى هذه اللحظة نسي كل شىء ، وظل محدقاً فى الفراغ ، وتوالت أمام عينيه أقدام العابرين فى سرعة وكأنها أرانب مذعـــورة ، وكانت أحذيتهم صغيرة ورقيقة ولامعة ، وحانت منه التفاتة فوقعت عيناه على حذائه الأسود الضخم ، لم يكن الحذاء لامعاً ، بل كانت تكسوه طبقة خفيفة من غبار الشارع ولمح به شقاً جانبياً ، وإذ دقق فيه النظر ، فقد وضحت له معالم المأساة : سيضطر إلى اصلاحه وليس ذلك ســـهلا على أى حال .

حدث لحذائه السابق أن شق من نفس المكان ، فوق اصبعه الصغير ، ولكنه لم يهتم ، ظن أن المسألة لا تحتاج إلى أكثر من غرزة أو غرزتين . وعند انتهاء نوبته ، عرج على دكان اسكافي وناوله الحذاء ، وما

كاد يضعه تحت الابرة ويدير العجلة ، حتى انكسرت الإبرة . شعر بالحرج وتأمل ملامح الاسكافى فاذا هى قد تحولت إلى غيظ مكتوم وهو يختلس النظر إلى بدلته الرسمية . حاول أن يعتـــذر له ، ولكن الاسكافى كان صموتاً فاخذ يفحص سن الابرة المغروزة فى الجلد ، وبكماشة صغيرة انتزع السن ، ثم تحسس الجلد بيده ، ورفع بصره إليه وكأنه يشهده على مقدار ما تجشم فى سبيل خدمته ، ثم مد به يده قائلا : لا مؤاخذة جلده سميك جداً .

دوى صوت « موتوسيكل » ثم توقف أمامه ، وبالعادة اعتدل فى وقفته ، وامتدت يده الى جيبه الأعلى وأخـــرج دفتر المواعيد ، وقدمه إلى راكب « الموتوسيكل » لم يستغرق التوقيع أكثر من نصف دقيقة رجع بعدها إلى مكانه فوق القاعدة . تأمل التوقيع لحظة ، ثم رفع يده ثانية ليضع الدفتر فى جيبه . الآن وضح كل شىء ، أصبحت الصورة أمامه مباشرة . ربما يكون قد دهش فى أول الأمر ، وربما حاول ألا يدهش ، ولماذا يفعل ؟ أليس السبع شاهر السيف مرسوماً على ظاهر يده منذ كان طفلا ؟ أغلق الجيب باحكام وربت عليه مرة أو مرتين ، مجرد عادة يطمئن بها على أن الدفتر قد استقر فى موضعه ولم يسقط منه .

قال له أبوه إنه سيصحبه إلى أرض الخفير ، ليشهد الاحتفال بالمولد النبوى . وبين الحواة والرفاعية والأراجوز ، قضى فترة عجيبة ، وعندما رأى صندوق الدنيا تسمرت قدماه فى الأرض وأصر على أن يتفرج ، وعاش فيما يقصه الرجل عن بطولة عنترة وجمال ست الحسن والجمال ، وفجأة ظهرت تلك الصورة : السبع العجيب شاهر السيف . كان المنظر فريداً ، بل لا يذكر أنه شاهد أجمل منه أو أروع . وانتهت الفرجة ، ولكن الصورة علقت فى ذهنه فراح يكلم أباه عن هذا السبع العجيب . وسأله أبوه وهو يضحك ان كان يرغب فى سبع مثله ، وكأنما كان ينتظر مثل هذا السؤال ، فتعلق بجلبابه ، وأخذ يضرب الأرض بقدميه باكياً ، ويصرخ قائلا انه يريد سبعاً مثله . حار أبوه ماذا يفعل ؟ غير أن مشهداً غريباً ظهر أمامه كان فيه الخلاص . الأبر تنغرز فى ظاهر يده ، أبوه قد أمسك به ووضع رجله على نصفه الأسفل حتى لا يستطيع الحركة . كان أبوه يضحك وفى نفس الوقت ينهره قـــائلا : « ألم يكن هذا طلبك ؟ ها قد صرت تمتلك سبعاً شاهراً سيفاً .»

كان الضوء قد تحول إلى الأحمر ، فاندفع إلى منتصف الشارع ، ورفع ذراعه يمنع السيارات . عندئذ ، نظر الى ظاهر يده ، كان السبع تحت أشعة الشمس يبدو أخضر داكناً ، وليس للسيف أية لمعة أو بريق ، ولكنه اضطر إلى خفض ذراعه ، حينما انبثق الضوء الأخضر أمام عينيه . وإذ صار شديد الرغبة فى تأمل السبع ، فقد رفع يده ثانية محدقاً فى الصورة ، ما هذا ؟ مجرد حيوان ذى قوائم أربع لا يمت إلى الأسد بأدنى صلة . ايقن انه أمام اكذوبة ضخمة ، اكذوبة كانت فيما مضى صغيرة ، ثم لم تلبث أن كبرت وتضخمت حتى حجبت عن عينيه الرؤية الحقيقية . كان قد بدأ يلحظ شيئاً ما ، أسود ، يملأ الفضاء كله ، غير أنه لم يكن قد تحقق منه تماماً . حاول أن يخمن دون أن ينظر إلى كيانه فلم يستطع ، وبشجاعة فائقة حول بصره ليجد الأسد الرابض فوق النصب الجرانيتى يتأمله بعينين حادتين ، وكأنه يسخر منه ومن سبعه المزعوم .

كان اللونان يتواليان ، فجعلاه مشتت الفكر زائغ البصر . صارت المشكلة هى تلك الفترة الطويلة التى يمكنه فيها أن يتملى من حقيقة هذا الأسد الضخم ، وفشل فى مقاومة النظر إلى ظاهر يده . كانت المهزلة واضحة فى أجلى صورها ، لا يمكن الشك فيها أو انكارها ، وبداله أن يعقد مقارنة ولكنه ـ فى نفس الوقت ـ كان مترددا . كيف يمكن لمقارنة كهذه أن تنتهى لصالح المغرور حامل السيف ؟ ثم ما معنى هذا السيف ؟ أليس السبع مكتفياً بذاته وقوته عن أى شىء ؟ وارتسمت على شـــفتيه ابتسامة مليئة بالهزء والسخرية . ليس هذا أسداً على أى حال . كيف أمكن إذن أن ينخدع فيه كل هذه السنين ؟ والأعجب أن الجميع قد انخدعوا كذلك حتى امـراته لا تناديه إلا بالسبع .



فى الليالى المقمرة حينما يجتمـــع باصدقائه ، وتدور الجوزة ، يحلو للكل أن ينادوه بالسبع ، عندئذ تتراءى له الصـــور الرهيبة فيبدأ فى الزئير وقد انتابه شعور التفرد والامتياز ، فينقل بصره بينهم ليختار فريسته ، وفى النهاية تجيء الفريسة إليه بنفسها مقدمة أشلاءها ، فيعلو الصياح ويتبادلون الشتائم والنكات وتدوى القهقهات ، ويشوب الجوزرقة خافته وتضيق الغرفة المكتومة وتثقل الرؤوس . وإذ تخبو الجمرات تنداح الغمة وتشرئب الرقاب باحثة عن نسمة هواء نقي ، ولكن لا أمل . الجميع مرتكزون بأجسادهم المخدرة على الجدران المتقاربة وانوفهم تشمشم عن سحابة ضالة ربما اخترنت شيئاً من الحذر. وفى طريق عودته إلى البيت يحاول أن يتذكر ، ومن خلال محاولاته ، تبدأ مخيلته فى استرجاع بقايا الليلة المغبشة ، وتتمايل رأسه وتبحث عيناه عن الحارة المظلمة ، ثم تبحث عن البيت المتداعى ، ثم يصل إليه صوتها هادئاً رفيقاً ولكن من بعيد : لماذا تأخرت يا سبعى ؟ ويتوه عن الدنيا ومن فيها .

انتبه على أصوات ابواق السيارات مدوية فى غيظ وانفعال . كانت مجموعة من السيارات قد اختنقت فى عرض الشارع . وقف لحظة مأخوذاً ، ثم هبط من عليائه واندفع بينها محاولا الوصول إلى عقـدة الاختناق .

كان اتوبيس سياحى قد انعطف يساراً ولم يستطع الحركة لوابل السيارات المندفع عن يمينه . لا سبيل إلا أن يوقف التيار اليمينى حتى يتمكن الأتوبيس من السير . فى هذه اللحظة كان هو الوحيد الذى يستطيع باشارة منه أن يتخذ هذا القرار ، وإذ امتد بصره إلى الصف الطويل فقد أدرك على الفور أنه لو تهاون ثانية واحدة لتوقف المرور فى الاشارة السابقة أيضاً ، أما إذا ارتج عليه ، واضطرب من هول المشهد ، فمن المؤكد أن تتعطل الحركة الى ما لا نهاية . وبنظرة خاطفة أمكنه أن يحدد مكان البدء ، فاسرع تجاه سيارة أمام الأتوبيس وطلب من سائقها أن يصعد بها فوق الرصيف ، ثم اتجه الى اليمين وحث السيارات على الاسراع قليلا محولا اتجاه السير ، ولم تمض دقيقة إلا وكان الأتوبيس قد أخذ طريقه جهة اليمين ، ثم أخذت السيارات تتحرك من خلفه منطلقة فى طريقها الطبيعى .

السّبع



وقف يتأملها وهى تسير فى تؤدة وحرص ، حتى إذا ما اطمأن الى سلامة خطته اتجه عائداً الى قاعدته الخشبية فاعتلاها . عندئذ تنفس فى ارتياح ، وجال ببصره فى المكان ليشعر بمزيد من الاطمئنان ، غير أنه فوجىء بالأسد يواجهه تماماً وقد بدت من خلفه أعمدة المصابيح القائمة على الكوبرى وكأنها مصباح واحد قد انغرز فى رأس الأسد ، ولأن هذا الوضع لم يكن طبيعياً ، فقد انتزعه من رأسه ، وقدمه اليه ، فتناوله الأسد منه مبتسماً وشهره عالياً .

الآن ، يستطيع أن يعقد المقارنة . ما بال الأسد يبدو قوى العضلات ، ثابت النظرات تتميز وقفته بمواجهة صريحة ، فى الوقت الذى يبدو فيه سبعه كفار مبتل ذيله الرفيع المنسرب من نهاية ظهره كفتلة دوبارة . حدق فى الأسد تحديقاً شديداً ، ومال بجسمه محاولا أن يرى ذيله ، ولكنه لم يتمكن . لابد انه طويل غليظ ينتهى بذؤابة مكسوة بشعر غزير توحي بالقوة الحقيقية لصاحبه . لم يكن يتصور – فى يوم ما – انه سيقف وجهاً لوجه أمام تمثال للأسد . والعجيب فى الأمر انه حينما شاهد الأسد فى حديقة الحيوان ، لم تخطر على باله فكرة المقارنة بينهما ، ولكن ما بالها الآن تبدو شديدة الالحاح على نفسه . انتابته حيرة طاغية ، هل يعبر الشارع ويذهب إليه ليعاينه عن قرب ، أم يترك هذا العبث؟ ولكن نظرة ثابتة إلى الأسد جعلته لا يتوانى فى الاتجاه نحوه متجاهلا ما قد يحدث نتيجة ذلك .

دار حوله محاولا اكتشاف جميع جوانبه غير أن نظراته كانت سريعة وخاطفة ، فما كاد يرى شعر لبدته الكثيف وقد انحدر حتى نصف ظهره ، حتى انتقلت عيناه إلى قدميه الخلفيتين وقد ارتكز جسمه عليهما فاعترض بصره الذيل ، وقد التف فى كبرياء حول مؤخرته واستقر بجانبه فامتدت يده لتلمسه ولكنه تلفت حواليه فعدل عن هذه الرغبة واتجه بسرعة عائداً إلى مكانه ، وما كاد يستقر فوق القاعدة الخشبية ، حتى حانت منه التفاتة إلى ظاهر يده ، فاشاح بوجهه عنها .

كان الملل قد تسرب إلى نفسه ولم يعد فى استطاعته أن يتحمل أكثر من ذلك ، فنظر إلى ساعته . كانت الشمس قد عبرت السماء تجاه الغرب ، ولم يعد فى نوبته إلا دقائق معدودة ، فأخذت عيناه تبحثان عن زميله المرتقب ، وكأنما يقينه من قرب انتهاء نوبته قد أمده بنشاط غير عادى فى حركاته ، جعله يتنقل من القاعدة إلى الوسط فى حيوية ونشاط عجيبين . ولم تمض لحظات حتى وصل زميله ، فدون له فى دفتره ساعة حضوره ، وتخلى عن مكانه مختاراً سعيداً .

• • •

استقبلته امرأته كما اعتادت أن تفعل كل يوم ، ولكنه تجاهلها ومضى إلى الحجرة دون أن ينظر إليها . وكان عادة يجلس على الأريكة فى الصالة ويمد رجليه منتظراً . أما هى فتعرف ما يريد ، وما يجب أن تفعل : تذهب إلى الحمام لتأتى بالقبقاب وتضعه بالقرب من قدميه ، ثم تجلس على الأرض أمامه وتعاونه فى خلع الحذاء ، ثم تحضر الطشت مملوءاً بالماء الساخن . كانت تلك الفترة هى دائماً الفرصة الوحيدة لتبادل الحديث والمناوشات قبل الأكل والنوم . ولكنه فى هذا اليوم بدا على غير عادته ، فتبعته صامتة محاولة أن تقرأ فى وجهه أى معنى يفسر لها ما فعل .

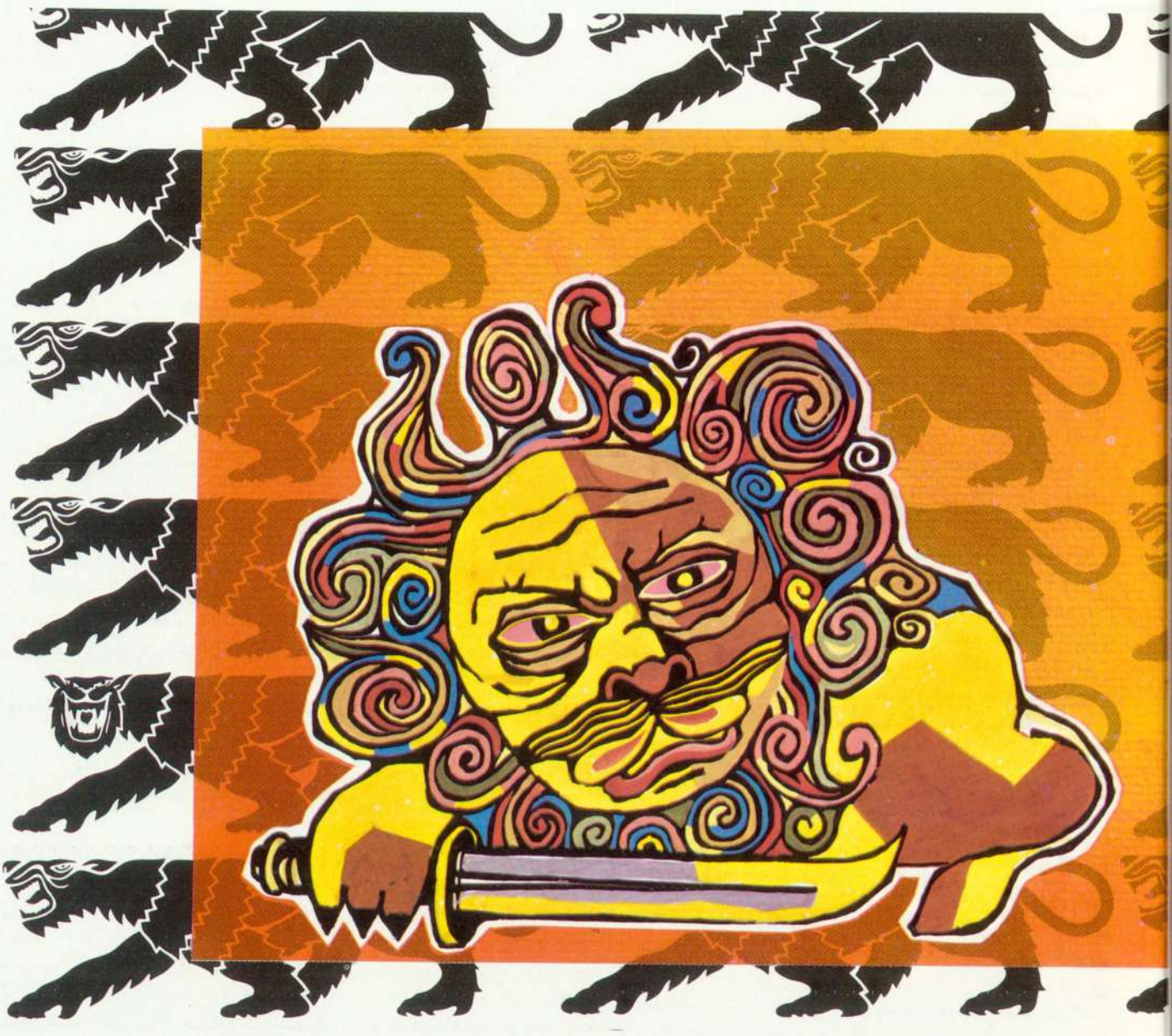
كان قد افترش أرض الحجرة ، وامتدت يداه للحذاء فوقع بصره على ظاهر يده ، فاختلس نظرة إليها ، فاذا هى تحدق فيه واجمة وكأن مصيبة قد حلت بها ، تجاهل نظراتها ، وهب واقفاً ليخلع البدلة ، وكان دائماً يفك الأزرار دون أن يفكر كيف أو بأى يد يفعل ؟ ولكن فى هذه المرة كان حريصاً أن يستعمل أصابع يده اليسرى متجنباً النظر الى اليمنى أو تحريكها . ولاحظت امرأته تعسره فى فك الأزرار ، فانزلق بصرها على اليدين محاولة فهم ذلك الاضطراب الواضح عليه ، وما أن ارتدى الجلباب حتى كان وجهها قد امتقع وايقنت أن شيئاً ما قد أصابه .

كانت طوال هذه الفترة صامتة تماماً ، واقفة بالقرب منه تتأمله تريد أن تستشف هذا التغيير المفاجىء الذى انتابه ، وجال خاطر غريب سيطر على تفكيرها ، فهزت رأسها مرة أو مرتين وتمتمت قائلة : «اللهم اخزك يا شيطان» . إلا أن الفكرة أخذت تكبر حتى صارت أكبر من أى مصيبة وقعت على رأسها من قبل .

كان السبع قد استلقى على السرير ، وتعمد أن يضع كفه اليمنى تحت رأسه ، وراح يحدق فى السقف ، وبين لحظة وأخرى يسرق نظره الى وجهها فقد بدأ يلحظ ذلك التغيير فى ملامحها ونظراتها مما جعله يفكر فيما يمكن أن يدور برأسها . وسألته فى صوت ناعم ولكنه مليء بالشك والحذر :

– مالك يا سبع ؟

فاجأه السؤال ، أو بالأحرى تلك الكلمة الأخيرة . اخترقت أذنه وكأنها لدغة ثعبان . اعتدل على جنبه ، وتأملها هنيهة ،



ثم بجهد واضح رسم على شفتيه ابتسامة مغتصبة قائلا :

ـ لا شيء .

ـ هل انت متعب ؟

أجابها وهو يحول بصره عنها :

ـ قليلا .

الآن اتضح لها كل شيء . لماذا يشيح بوجهه عنها ؟ لماذا لم يطلب منها الماء الساخن ؟ هل هذا ممكن ؟ ولكن خيالها صور لها مأساة جديدة . وهمت بالجلوس على حافة السرير العالى بالقرب من قدمي السبع ، ولكنها ترددت ، ثم عدلت عن ذلك وجلست على الأرض . اندهش السبع من هذا التصرف . ما الذى غيرها ؟ هل اكتشفت أن ما رسم على ظاهر يده لا يمثل إطلاقاً السبع الحقيقى فى كثير أو قليل ، وانها كانت مخدوعة طوال هذه السنين ؟ غير أن ما كان يجول فى خاطرها كان شيئاً آخر تماماً . لقد فاجأها هذا التغيير غير المسبوق : هل فكر فى الزواج ؟ ولهذا بدأ فى وضع وتنفيذ خطة مرسومة . ولكنها لم تعرف كيف أو تجرؤ على سؤاله مباشرة ، فابتسمت ابتسامة باردة وسألته :

ـ هل أعد لك الأكل ؟

كان وجهه قد امتقع ، وبدت فيه واضحة غضون غائرة فاغتصب الرد قائلا :

ـ نفسى مصدودة .

لم يكن على بينة مما يدور فى داخله ، كان يريد أن يصرح لنفسه بشيء ما ، غير انه لم يفعل ، وكلما حاول التفكير فى هذا الأمر ، وجد نفسه يبتعد شيئاً فشيئاً ، مؤثراً تجاهل الموضوع ، وظل محدقاً فى السقف . وإذ وجدته لا يهتم بالحديث معها أو المناوشة التى اعتادها كل يوم فقد غادرت الحجرة وتركته نهباً لأفكاره التى أخذت فى النمو وراحت الصور المزعجة تتماثل أمامه ، حتى شعر كما لو أن إبراً تنغرز فى جسمه كله ، فهب من نومته وأخذ يتلفت فى حيرة وقد بدأ الجوع يقرصه . ولكن المشكلة كانت صعبة . انه يأكل بيده اليمنى ، وهذا سيجعل السبع ماثلا أمام عينيها ، هل يأكل منفرداً أم يتوكل على الله وليحدث ما يحدث ؟

السّبع

نادى على امرأته ، وطلب منها اعداد الأكل ، وقام متثاقلا مترددا لا يدرى ما الذى يفعله ؟ ولكنه كان قد صار أسيراً لموقف ولا سبيل الى التراجع . جلس أمام «الطبلية» منتظراً امرأته ولكنها لم تجلس .

ـ ألن تأكلى ؟

ردت عليه فى برود :

ـ نفسى مصدودة .

ماذا ؟ هل تسخر منه ، أم أنها فعلا مصدودة النفس ؟ ولكن فى أعماقه شكر لها هذا الموقف . قطع الخبز وبدأ فى الأكل وكلما مد يده الى الطبق ، اختلس نظرة الى امرأته فيطمئن الى أنها لا تنظر تجاهه على الاطلاق . كانت جالسة بعيدة عن «الطبلية» شاردة الذهن محدقة أمامها ، وقد أسندت خدها على كفها . ساوره القلق . هل اكتشفت الحقيقة ؟ لم يستطع التفكير فى شىء آخر . ليكن شجاعاً وليسألها مباشرة ، وبدون مواربة ، ودفع اللقمة التى وقفت فى حنجرته بجرعة ماء من القلة ، ثم تجشأ . كان صوته طبيعياً ولكن خيل اليه أنه لم يكن كذلك ، لقد اكتشف فيه بعض الخفة والحدة ، ليس هذا صوته الطبيعى . كل يوم حينما يشرب يتجشأ فى قوة وخشونة ، ولكن ما بال الصوت يصدر فى هذه المرة ضعيفاً تافهاً ؟ لقد بدأت حقيقته تتكشف ، ولن يطول الوقت حتى تدرك أنه لم يكن فى يوم ما سبعاً ، وأن الهيبة التى أحيط بها ، لن تلبث وتتمزق وتظهر الحقيقة عارية لها وللجميع . لم يعد يستطيع أن يأكل بعد ذلك . لم يكمل رغيفاً واحداً ، هو الذى كان يلتهم رغيفين أو ثلاثة . ستلاحظ ذلك حتماً وقد تسأله عن السبب ، بماذا سيتعلل ؟ وتحامل على نفسه ، وحاول مضغ لقمة أخرى ، وبصعوبة بالغة بلعها ، وعاد يجرع من القلة . حار كيف يقوم ؟ كيف يذهب الى السرير ؟ هل ستسأله لم لم يأكل ؟ فى هذه اللحظة شعر أنه قد بدأ ينهار . شعر بالندم يصعد الى رأسه . ما الذى يستطيع أن يقوله أو يفعله ؟ إنها بالتأكيد تفكر فيما أصابه أو على الأقل فيما جعله يغير من عاداته اليومية . هم أن ينطق إلا أن لسانه لم يطاوعه ، ظل يتلفت محاولا أن يدرك موقفه الحقيقى . وقع بصره على امرأته ، لم تكن تلتفت اليه ، كان وجهها ينم على تفكير عميق وربما عن حزن أيضاً . كان لا يفتأ يمسك ببعض فتات الخبز ، موحياً أنه مازال يأكل ، وأخيراً سألها دون أن ينظر اليها :

ـ مالك اليوم ؟

رفعت وجهها اليه ، ورمقته بنظرة غريبة ثم قالت فى تساؤل :

ـ مالى !! وهل حدث شىء ؟

لم يعرف بماذا يجيبها ؟ هل يصرح لها بما يدور فى رأسه أم يكتفى بما قالت ؟ لقد لاحظت تغييره ، وكان يمكن أن تسأله فى جرأة وشجاعة ، ولكن ما الذى كان يستطيع أن يجيب به ؟ أراد أن يومىء لها بأن شيئاً مهماً لم يقع ، وبأنها تفكر فيما لم يخطر على باله ، فوجد أنه من الأسلم أن يحاول أن يبدو طبيعياً فتظاهر بالابتسام قائلا :

ـ تعالى كلى .

ردت ابتسامته لها الروح ، ابتسمت فى هدوء ، واقتربت من «الطبلية» وبدأت تأكل على استحياء . كان يريد أن يعرف ما فى رأسها ، ولكنه لم يجد فى نفسه الشجاعة لسؤالها مباشرة . ماذا لو حاول أن يستدرجها فى الكلام عساها أن تبوح له بمكنونها ؟ هل لاحظت محاولاته فى اخفاء يده اليمنى ؟ هل فكرت فى إمعان النظر فى السبع لتعرف حقيقته ؟ فجأة ، اعتقد أنها ربما تنبهت الى الحقيقة مادام جالساً أمامها . هب واقفاً ومضى يغسل يديه ، ثم دخل الحجرة واستلقى على السرير ، بعد أن خطف «الترانزستور» من على الرف ، ودخل تحت اللحاف ، وفتح «الترانزستور» فانطلقت أغنية لم يعجبه نغمها ، فجعل يحول المفتاح الى محطات أخرى ولكنه عاد ثانية الى الأغنية التى كانت على وشك الانتهاء وحاول أن يركز انتباهه الى كلماتها فلم يستطع وبين اللحظة والأخرى كان يتأمل ظاهر يده فى شبه خوف لئلا تفاجئه امرأته وهو يفعل ذلك . فجأة انبثقت فى رأسه فكرة . لم لا يزيله بماء النار ؟ بعض العسكر يفعلون ذلك فى العصفورتين المرسومتين على جانبى الجبهة . ظل فترة يتأمل هذا الخاطر ولكنه استبعده بسرعة . إن أغلبهم يتصور أنه قد محا من الوجود العصفورتين إلا أن أثرهما يبقى ماثلا ينم على أنه كان فى هذا المكان عصفور أخضر . وتراءت له يده مشوهة لامعة الجلد . ألا يكون فى ذلك مدعاة للتساؤل إكثر مما هى عليه الآن ؟

كانت ثمة أغنية أخرى قد أخذت تتردد ، ولكنه كان شارداً لا يكاد يسمع شيئاً . دخلت امرأته الحجرة ، وألقت عليه نظرة عابرة ، ثم همت بالجلوس على الأرض ، إلا أنه أدركها قائلا :

ـ اطلعى على السرير .

استقرت بجانبه تحت اللحاف . كانت صامتة تماماً . كان يحاول التركيز فى كلمات الأغنية التى تتردد . كان قد وضع «الترانزستور» على المخدة بين رأسه ورأسها . حاول أن يقرب قدمه من قدميها إلا أنها بسرعة جذبت قدميها . شعر بأنها فوجئت . ماذا يفعل ؟ هل يغلق «الترانزستور» ويضعه تحت السرير ، ثم يبدأ فى الزحف تجاهها ، أم يتركها هكذا نافرة منه وكأن شيئاً ما قد وقع بينهما ؟ ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا . ظل محدقاً فى السقف وقد خبأ يده اليمنى تحت اللحاف . إنها الآن لا ترى يده . لا تستطيع أن تكشف ما إذا كان المرسوم على ظاهرها سبعاً يمثل السبع الحقيقى ، أم أنه مجرد مسخ توهم راسمه أنه سبع حقيقى . حول بصره تجاه امرأته ، كانت شاردة فى السقف مثله . ظل يتأملها فترة ثم سألها بصوت خافت تعمد أن يبدو رقيقاً :

ـ فيم تفكرين ؟

أجابته دون أن تحول بصرها تجاهه :

ـ لا شىء .

ـ غير معقول .

ـ لماذا ؟

ارتعشت شفتاه ، ولكنه كان يريد أن يعرف كل شىء .

ـ أعرف فى ماذا تفكرين .. فى السبع أليس كذلك ؟

نظرت اليه بطرف عينها ، وفى نبرات ساخرة أجابته :

ـ أتعتقد أنك مازلت سبعاً ؟!

ما كادت هذه الجملة تخترق أذنيه ، حتى ارتجت أركانه تماماً ، وبسرعة أغلق «الترانزستور» وساد بينهما السكون ، ثم لم يلبث أن هم من استلقائه قليلا ، وامتدت يده الى مفتاح النور وأطبق الظلام والصمت ، وانزلق تحت اللحاف غير أنه شعر بالحرارة فى جسمه ، فأخرج يديه من تحت اللحاف وقد أمسى فى مأمن من أن ترى امرأته ظاهر يده . وأخذ يفكر فى تلك الجملة التى قالتها : «أتعتقد أنك مازلت سبعاً ؟» ترى هل اكتشفت الحقيقة الآن فقط ، أم أنها كانت تعرفها منذ زمن ؟

وفى هذه الليلة لم يغمض له جفن .

مصطفى أبو النصر

ليس بالغذاء النظيف وحده يطمئن الإنسان !

بقلم : الدكتور عز الدين فراج

التغذية الصحيحة ليس معناها أن نتناول غذاء قليلا محتوياً على جميع المركبات الغذائية الضرورية لبناء الجسم ونشاطه ووقايته فحسب ، بل معناه أيضاً أن نتناول غذاء نظيفاً خالياً من الطفيليات والجراثيم المسببة لأشد الأمراض وأخطرها .

وليست نظافة الغذاء مظهرها الخارجى فقط ، بل فى داخله أيضاً ، لأن جراثيم الأمراض التى تسبب تلوث الغذاء وعدم نظافته كائنات صغيرة جداً ، تعيش داخل جسم المريض ، وتخرج من افرازاته ، وتصيب السليم بالمرض إذا تلوث به طعامه أو شرابه .

والجراثيم كائنات حية دقيقة الى درجة لا نستطيع أن نراها بالعين المجردة ، ويمكن أن تجمع مليون منها بسهولة على رأس دبوس ، والجراثيم موجودة فى كل مكان ، فى الهواء وفى الأتربة ، وفى الأقذار ، وعلى ملابسنا ، وعلى جلدنا ، وخاصة على أيدينا ، وفى الأنف والحنجرة وهى تختلط بطعامنا بطرق كثيرة ، ويكفى عطسة قوية أو سعلة شديدة أن تنقل ما فيها من جراثيم الى الطعام ، والبصق أيضاً ينقل العدوى الى الطعام مباشرة ، أو بطريقة غير مباشرة عندما يجف البصاق وتذروه الرياح ، ويحمله الهواء الى الطعام المكشوف ، وكذلك الذباب فهو أعظم ناقل لهذه الجراثيم الخطرة الفتاكة ، على أن أخطر شيء هو يد الشخص المصاب بالاسهال أو الديدان .

الماء والصابون والفرشاة

ولكي نقضى على هذه الجراثيم ينبغى علينا ألا ندعها تصل الى طعامنا ، فعندما نمس الطعام لاعداده للأكل أو لتناوله أو لتقديمه ، ينبغى علينا أن نتأكد من أن أيدينا وخاصة أظافرنا وثيابنا نظيفة قدر المستطاع ، وعندما نمس شيئاً غير نظيف كالشعر أو الأنف ينبغى ألا نعود إلى تناول الطعام دون أن نغسل أيدينا أولا .

وعندما نغسل أيدينا ينبغى أن نستخدم الصابون والماء الساخن ، وأن نفرك أظفارنا بالفرشاة ، حتى نتخلص من القذارة التى لا تزول بمجرد وضع الأيدى فى ماء بارد ، ويتحتم كذلك أن نغسل أيدينا بعد التبول أو التبرز .

وعلينا أن نلاحظ أن تكون جميع الأكواب والصحون وأوانى الطهو والسكاكين والملاعق والشوك ، مغسولة غسلا جيداً فى ماء ساخن ، والماء المغلى أفضل لأن الغليان يقتل الجراثيم ، ومن الأفضل ان نستخدم الشوكة أو الملعقة بدلا من الأصابع عند تناول الطعام ، لأن فى مقدورنا تنظيف الشوك والملاعق فى ماء ساخن .

وينبغي علينا ألا نترك الطعام مكشوفاً أو معرضاً للغبار والذباب ، وخاصة اذا كان مطبوخاً ومعداً للاكل ، حتى لا تتاح فرصة للجراثيم للوصول الى الطعام على الاطلاق ، وحتى لا يتاح الوقت لهذه الجراثيم أن تتكاثر فيه ، وعلينا أن نغسل خضروات السلطة بالماء الجارى عدة مرات وألا نقنع بازالة الطين العالق بها ، هذا مع غمسها مدة دقيقة فى ماء مغلى ، أو نقعها فى مدة ربع ساعة فى محلول برمنجنات البوتاسيوم الذى يمكن اعداده باذابة نصف ملعقة صغيرة منه فى لتر من الماء ، مع اضافة عصير الليمون الى « السلطة » بسخاء لأن ما فيها من حموضة يقتل ما بقى من جراثيم الأمراض .

مواعيد منتظمة

وليست التغذية مجرد امداد الانسان بالغذاء النظيف الذى يضم جميع المركبات الغذائية اللازمة بالقدر الكافى فحسب ، بل ينبغى أن يتم تناول هذا

ليس بالغذاء النظيف وحده يطمئن الإنسان!



رغم المظهر الجذاب لهذا الطعام ، الا انه مطلوب منا ان نتاكد من عدم اتاحة اى فرصة لوصول الجراثيم إليه ، وهى موجودة فى كل مكان

يفضل كثير من الناس اضافة عصير الليمون بسخاء إلى « السلطة » لقتل ما بقى من جراثيم الأمراض .

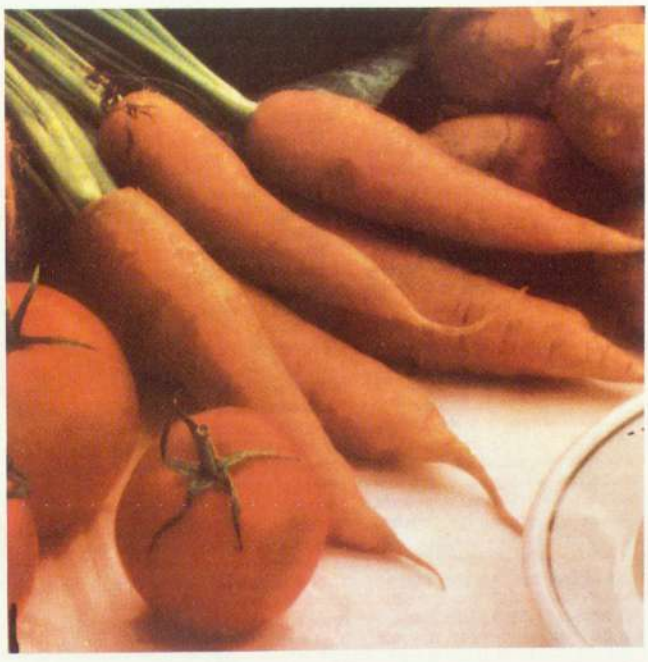


الغذاء النظيف الكامل فى أوقات منتظمة ، وفى جو يسوده الهدوء والطمأنينة ، مع جودة المضغ ، فلا شىء يعطل الهضم ويفسده أكثر من عدم تناول الطعام فى مواعيد منتظمة ، فبعض العاملين يذهب الى عمله من غير فطور ، ويتناول طعام الغذاء فى مواعيد مختلفة غير ثابتة ، تارة يتناوله فى الساعة الثانية ، وتارة فى الساعة الواحدة ، وتارة فى الرابعة بعد الظهر ، وليس لوجبة العشاء عندهم موعد ثابت ، ومثل هذا الاختلاف فى مواعيد الطعام يسبب سوء الهضم وارتباكه ولهذا كان من الضرورى أن نحدد مواعيد منتظمة ثابتة ، لتناول وجبات الطعام ، حتى تعتاد غدد الجهاز الهضمى أن تعمل بانتظام ، فتنتظم تبعاً لذلك عملية هضم الغذاء ، وتتم على خير وجه .

وخير ما ينصح به عند الاحساس باضطراب معدى نتيجة وجبة ثقيلة فى حفل ، أو تغيير موعد الطعام ، وما الى ذلك أن يمتنع الانسان عن تناول الوجبة التالية ، فاراحة المعدة بعد الاثقال عليها أو إثارتها تهيىء لها فرصة طيبة لاستعادة نشاطها ، واعادة تنظيم وظائفها .

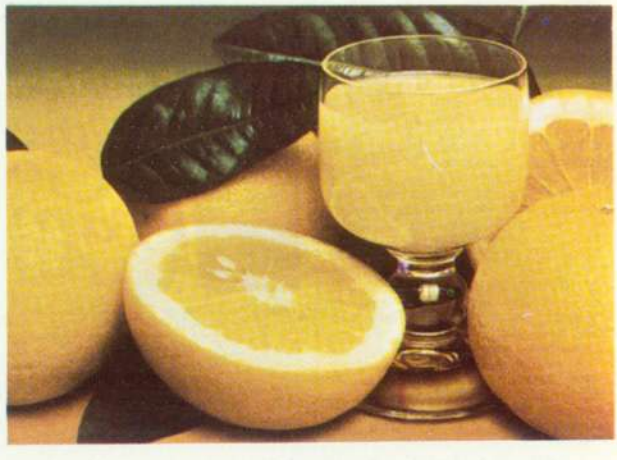
وللرياضة صلة بعملية الهضم ، فالرياضة العنيفة . أو الجهد البدنى الكبير ، بعد الأكل مباشرة ، يعطل عملية الهضم ، فى حين أن الرياضة المعتدلة بعد الأكل بساعة تساعد على الهضم ، اما الراحة بعد الوجبات لفترة قصيرة فمن العوامل المهيئة لقيام المعدة بتادية وظيفتها على وجه كامل .

ولو أن ربة المنزل قضت اغلب وقتها فى انتاج طعام نظيف كامل ، وبذلت قصارى



يجب الا نقنع بازالة الطين اثناء غسل خضروات السلطة ، ولكن علينا ان نغسلها بالماء الجارى عدة مرات والماء المغلى لدقيقة واحدة !





انواع مختلفة من الاطعمة .. هذه الاطعمة اللذيذة ، النظيفة ، المفيدة .. قد يضيع أثرها إذا تناولنا الطعام فى جو من القلق والمشاحنات !



جهدها فى ترتيب المائدة وتنسيقها ، ثم راحت فى اثناء جلوسها على المائدة تذكر الاخبار المحزنة والافكار السقيمة أو تنهمك فى جدل أو مناقشة لافائدة ترجى من ورائها ، لكانت النتيجة ملل الآكلين وإضعاف شهيتهم للطعام وارتباك هضمهم. وكنتيجة لهذا كله يتلاشى فضلها وتضيع جهودها وينكر نشاطها لانها نسيت أن النفس تتغذى بحلو الحديث ، كما تتغذى العين بحسن الترتيب والمعدة بجودة الطعام .

وما يقال للزوجة يقال لجميع افراد الاسرة ، إذ على كل واحد منهم ان يتجنب المناقشات والمجادلات وإثارة المشاعر اثناء الطعام ، لان ذلك يولد السخط والغضب . وهذا بدوره يعطل الهضم ويفسده .

لقد اراد العلم ان يثبت تاثير المرح والسرور على عملية الهضم ، فاجرى تجربة على قطة كانت قد دعيت الى وليمة فاخرة ، وتناولت فيها طعاماً من كبد الأغنام ، وبعد ان تناولت القطة هذا الطعام الشهي استلقت على منضدة ، فاذا بأحد العلماء يستخدم الأجهزة الكاشفة ، فوجد ان هضمها يسير سيراً عادياً ، لا يعوقه عائق ، وفجاة دارت اسطوانة فى جهاز خاص تحت المنضدة فانطلق منها صوت كلب ينبح ، فخافت القطة واضطربت ، ووقفت على قدميها ، وقد تقوس ظهرها ووقف شعرها ، وبرزت مخالبها .

وهذا التحول العجيب فى مظهرها لم يكن شيئاً يذكر بجانب ما حشت فى بطنها فقد انقبضت عضلاتها ، وباتت قطعة كبد الاغنام اللذيذة فى جوفها كانها قطعة من حجر ، لهذا كان من الضروري تناول الطعام فى جو من الهدوء والطمانينة والمرح والسرور ، مع تجنب كل ما يثير القلق والغضب والمشاحنات .

لماذا يضطرب الهضم ؟

وبجانب تنظيم الطعام وخلق جو هادىء مرح حول المائدة ينبغي ان نعني بعملية مضغ الطعام عناية كبيرة، فالتهام الطعام دون المضغ الكافي يعطل الهضم ويؤخره ، اما المضغ الجيد فهو احد العوامل الهامة الواقية من اضطرابات الجهاز الهضمي ، فجميع انواع الطعام ينبغي الا يبتلعها المرء قبل ان تتحول فى فمه ـ عن طريق المضغ ـ إلى عجينة تكاد تكون سائلة ، ومزج الطعام باللعاب من شانه تحويل النشا إلى سكر ، والمضغ الجيد يسهل المعدة لافراز العصائر الهاضمة ويحول دون سرعة التهام الطعام والافراط فيه دون وعي ، وليس ادعى لاضطراب الهضم من تناول الفطور على عجل او تناول وجبة الغذاء فى المكتب اثناء العمل .

فانت إذ تمضغ الطعام جيداً تقنع منه بكميات اقل ، وتجد فى نكهته ومذاقه متعة اكبر ، حتى الأطعمة التى يبدو انها ليست فى حاجة لمضغ ، ينبغي ان يتناولها المرء ببطء مثل المثلجات او اللبن ، ذلك لان المضغ الجيد ضروري بوجه خاص للأطفال والمسنين .

د. عز الدين فراج

علياء

ذات القلب الصغير

لوحة مسرحية قصيرة للشباب ، مطعمة ـ إلى جانب الحوار التمثيلي ـ بشيء من الموسيقى ، والغناء ، والرقص ، والتمثيل الصامت .

تأليف : نبيل الألفي

الشخصيات :

- الفتاة
- الخادمة
- الحارس (البواب)
- كورس من خمسة شبان

الكورس :

يتابع الحدث ، ومنه ينفصل « الخطاب » بالتعاقب فى التوقيت المطلوب ، بعد ان يضع كل منهم « وحدة ملابس » تعطي الطابع المميز للشخصية .

الحارس :

يصعد بعد كل زيارة ليحضر وعاء الحليب ثم ينصرف ، كما لو كان بحضوره يؤكد تجزيء المشاهد وتغييرها .

المنظر :

شجرة كبيرة مورقة الأغصان ، فى ظلها اريكة خشبية بحديقة بيت من بيوت الرفاهية .

الوقت :

عند البداية ربيع .. وعند النهاية خريف.

الفتاة : (تنتقل فى رفق بالحديقة بين الورود والزهور ...)

الكورس: فتاة جميلة ،
قلبها مفعم بالكبرياء ، وبعض الغرور .
تحلم بان يكون زواجها : من شاب ،
ممشوق القوام ، وسيم ، وله أسلوبه الجذاب ...
ليس بارداً ، وليس غيوراً .
وهي تريده ـ فوق ما تقدم ـ أن يكون
غنياً ، بالوراثة ، وبالفكر ...
ولكن ،
من ذلك الذى يمتلك من الدنيا كل شيء؟!
إه ! من يدري ؟
لعل القدر يظهر تعاطفه مع مطالبها ،

فيحقق لها فى احد خطابها كل ماتتمنى ..

(يدخل شاب من الوجهاء ، يقدم التحية ، ويبقى على مبعدة)

الفتـاة : (تنادى خادمتها) يازكيـــة !

الخادمة: (مقتربة) سيدتي !

الفتـاة: اسالية عن ثروتـــه .

الخادمة: (تذهب وهي تحجل في مشيتهـا ، وتتبادل مع الوجيه حواراً بالاشارات الصامتة ، ثم تعود إلى سيدتها تحمل إليها الاجابة) يقول إنه يملك القناطير المقنطرة .

الفتاة: عظيم . اساليه عن اسم عائلته .

الخادمة: (يتكرر ذهابها إلى الوجيه على غرار ما سبق ، ثم تعود إليها) يقول إنه مـــن العائلة الشركسية العريقة .. عائلـــة « رستم باشا زاده » .

الفتاة: عظيم .. اساليه الآن عن مهنته .

الخادمة: (بالطريقة نفسها ، ثم تعود) يقول إنه دبلوماسي .

الفتاة: رائع ! (واخيراً تمد يدها الى الوجيه وهي فى قمة الارتياح لهذه الاجابات ، فيتلقف يدها بحرارة ـ ويصح ان يركع امامها ـ مشبوب العاطفة ، بينما هي تدمدم بطرح سؤال جديد :) لقد تشرفت باسم العائلة ، ولكني لم اتشرف بعـد باسمك شخصياً .

الوجيه: اسمي « بلبـــع »

الفتـاة: (ممتعضة) نعـــم ؟

الوجيه: بلبع ، بلبع رستم زاده .

الفتـاة: بلبع ؟! إن فتى الأحلام لا يكون اسـمه بلبع ! فتى الأحلام يكون اسمه يونس ، او قيس ، او كثير ، او جميـــل ... فتى الأحلام يكون اسمه شهاب الدين ، او سيف الدولة ، او قمر الزمان ... (ثـــم وهي تصرفه عنها بجفاء) بلبع؟! لا.لا.لا

الكورس: ومع ذلك ، « بلبـــع » اسم انســـان ! ليس شائعاً ، ولكنه مطروق .

الحارس: (وهو يدخل ثم ينصرف) الحليـــب يا انسـة !

(يسمع غناء ، ثم يدخل « المغـــني » فيتخذ مكانه فى مواجهة الفتاة ، ويغني مقطعاً من الآهات العاطفية ... لـــدى نهاية المقطـع تبدو فتاتنا مسحورة .)

المغني : (يتحمس ، ولكنه يعاني النطق وتسيطر على كلامه الماماة والباباة والفافاة) انا م م م من م م م مدة طويلة ب ب ب باحب ب ب بك .. احبك ! م م م مشغول الب ب ب بال ب ب ب بك .. الخ .

الفتـاة: (يصيبها الدوار ، تطلق صرخـــة ، تتهاوى ...)

الخادمة: سيدتي ! سيدتي علياء ! افيقي ... رباه! ماذا الم بهـا ؟! (تعاونها ، وتجعلهـا تفيق) .

المغني : (وهو مازال مسمراً في مكانه) لست اف ... لست اف اف اف شيئاً ! (يقصـــد : لست افهم شيئاً) م م م م مطلقاً !!

الفتـاة: (تحتشد ، وتعمد الى صرفه عنها بلهجة صارخة) انصرف من هنـا ! انصرف سريعـــا !!

المغني : (يكرر وهو يبتعد منصرفاً) اب ب ب بدأ ما ما ما ماكنت اتصور ! فا فا فـــا فاجاتني ... الخ .

الفتـاة : (تبدو عصبية ، تطلق زفرة ، ثم تستعيد لنفسها الهدوء ، ولمظهرهـــا الجمـــال ...)

الحارس : (بالطريقة نفسها..) الحليب يانسة !

(يظهر « الرياضي » : نجم كرة قدم وبطل العاب قوى ، لا يضع اي ملابس على النصف الاعلى من جسمـــه ، خطواته وتوقفاته مقرونة بايقاعات من « البلتري » ...) .

الرياضي: (يدور حول الفتاة فى دائرة عريضة ، ثم يتوقف اثناء ذلك عدة مرات متخذاً بعض الاوضـــاع الريـاضيـــة الاستعراضية ، ثم يستانف الدوران حولها من جديد .)

الفتـاة: (تستوقفه) اه ! اهذا انت ؟

(يتخذ الرياضي هيئة النجم المرمـوق تستوقفه المعجبات، تشير إليه الفتاة ان يقترب فيقترب ، وفي حركات صامتـــة يتبادلان بعض الوعود ، ثم يستاذن الرياضي فى الانصراف ويستديـــر مبتعداً عنها ...)

الفتـاة: لحظة من فضلك ! (تستوقفه وتقترب رويداً رويداً لتقرأ على ظهره الوشـم التالي :

« لك يافيفي مدى الحياة »

(ثم بعد ان قرات الوشم بوضوح وتاكيد للكلمات تقول) :

حسـن ياسيـدي ! وداعـــاً .

الرياضي: (يرفع كتفيه ويخفضهما ، ويخرج .)

الحارس: (بالطريقة نفسها ..) الحليب يانسة .

الكورس: بعد الفرص العريضة ، والشخصيات اللامعة ، ياتي بسطاء الناس ، ياخذون دورهم فى صفوف المتقدمين .

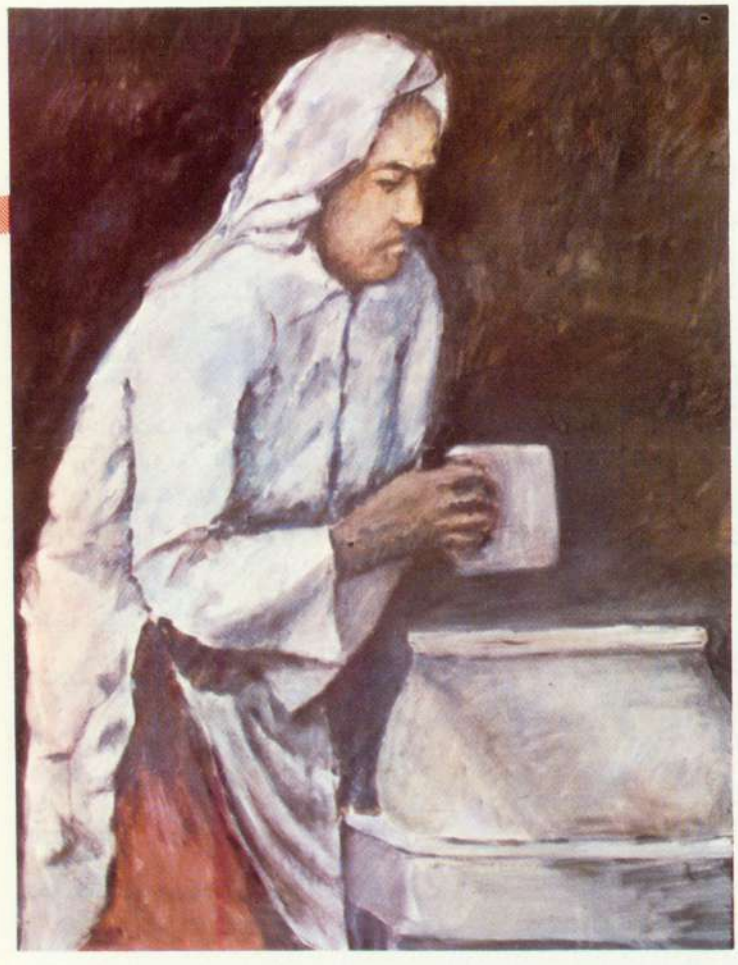
(يدخل مع الموسيقى « محاسبان » ... يمارسان حول الفتاة لوناً من الرقـــص الآلي ، ثلاث دورات وتحية .. ثم تتكرر ... الفتاة مستغرقة فى القراءة ، لا تلتفت إليهما ولا تكاد تشعر بوجودهما ... المحاسبان يتوقفان ، يتفقان بالنظرات على مايعتزمان فعله ، ثـم يستانفان رقصتهما التى تنتهي هـــذه المرة بتحية جميلة امام الخادمة ... وتبتسم الخادمة لذلك ابتسامة عريضة فيلتقط كل منهما إحدى ذراعيهـــا ، ويخرجان بها فى حركة راقصة ...)

(تتساقط من الشجرة الكبيرة اوراق كثيرة تغطي ارض الحديقة بلـــون ذهبي ...)

الفتـاة: (تستفيق من القراءة ، تنحي كتابهـــا جانباً ، ثم تتطلع حولها ، فلا تجد احداً ... إنها وحيدة ، وحيدة تمامـــاً ... يحوطها الفراغ والصمت ...)

(يدخل الحارس ومعه وعاء الحليب ، تهرع إليه الفتاة وتعانقه باندفاع ، بينما يترنح الرجل الطيب من هـــول المفاجـــاة .)

(ويسدل ستار الختام .)







مجموعة من اللوحات ، تمثل بعض النشاط الفنى الذى يعرضه الفنانون التشكيليون القطريون فى معارض داخل الدوحة وبقية المدن القطرية

مشكلة الجمهور والفن التشكيلي في قطر

بقلم : محمد علي عبدالله

لكل منطقة جغرافية فى العالم مشاكلها الثقافية مثل : الغزو الثقافي ، والنضوب الثقافي والركود الثقافي . وفى المقابل هنالك المناطق الجغرافية فى العالم التي تعيش النهضة الثقافية وحركتها .

ومنطقتنا العربية عموماً ، تعيش مرحلة الازدواجية بين تراثها والغزو الثقافي الغربي ، والذى بدأ منذ حملة نابليون فى القرن الثامن عشر على مصر ، والذى لم يهدأ حتى الآن .
وهذه الازدواجية بين المفكرين لم تخلق سوى جو من السلبية بين هذا الجمهور الذى فقد ثقته بمفكريه ونتاجاتهم . ولا أعرف إلى أي مدى كانت هذه الازدواجية خلف سلبية جمهورنا فى قطر تجاه الحركة التشكيلية والوقوف خلفها .

الاهتمام بالجمهور

فالجمهور هو أحد أركان الفن ، بكل ما تعنى هذه الكلمة من معنى ، فالفن عبارة عن انعكاس ذات الفنان ، ليبرز هذا الانعكاس فى شكل لوحة يقدمها أمام الجمهور الذى يرى نفسه من خلال عين الفنان .

ومعنى ذلك باختصار أن الفن هو حصيلة تفاعل بين الفنان والمجتمع ، وأن الابداع الفني لا لا يتبلور إلا إذا كانت هناك مشاركة ومعايشة وتقييم لأي عمل فني جاد نراه على طول ساحتنا الثقافية ..

ولعل هذا التصور يقودني إلى القول بأن أي

معرض فني بدون جمهور لابد أن ينطبق عليه المثل الشعبي القائل « يؤذن فى خرابة » أى ينادى فى الأطلال ، فالفنان فى حاجة دائما إلى تشجيع جمهوره ، والفن بلا جمهور يصبح – بالقطع – بلا هوية وبلا مشاكل تعطى لذة للعمل وطعما للعرق المتصبب طوال فترة اعداد اللوحة !

واهتمامي بالجمهور ، لا يعني أن نهبط إلى الفن التجاري ، ولكني اقصد الجمهور الذى يتذوق ، وينقد ، ويقيم ، ويتحمس ، ويشجع ، ويحس بمدى معاناة الفنان فى عمله ، ونحن اليوم فى كافة دول العالم الثالث فى أشد الحاجة إلى خلق نوع من التذوق الفني لدى الجمهور حتى يستطيع الفنان أن ينتج بدون عزلة عن مجتمعه !

واقع المشكلة

إننى هنا – فى قطر – كثيرا ما أتساءل : لماذا لانرى أعدادا كبيرة فى معارضنا الفنية ؟ .. هل لأن الفن التشكيلى القطري دون مستوى الجمهور ولذلك فان الناس لا يكلفون انفسهم عناء حضور المعارض ؟! أم أن الفن التشكيلي أرفع من مستوى الجمهور الذى يجد صعوبة فى فهم هذا الفن ، فلا يكلف نفسه عناء المجيء لرؤية الغاز ومدارس تسمى أنفسها بمسميات عجيبة ؟!

والواقع يقول أنه من خلال المعارض التى تقام سنوياً فى قطر يتضح لنا أن الفنان القطرى يضع كل طاقته ليبرز نفسه بجانب زميله الفنان فى أي معرض . فهو لا يريد أن تضيع أعماله بجانب الأعمال ذات المستوى الفني الرفيع . ومن هنا أعتبر الأعمال التى تعرض فى المعارض هي أفضل أعمال الفنانين القطريين ، وهي أفضل مؤشر لقياس مستوى الفن بشكل عام فى قطر ، ومن خلال حضورى لبعض المعارض ، تفاوتت اللوحات فى المستوى ما بين ممتاز وجيد ، وضعيف .

وليس المقصود هنا باللوحة الممتازة ، باللوحة التى تضاهي الصورة الفوتوغرافية ، وليست التى تختفى تحت اسم مسميات المدارس الحديثة ، وهي منها براء ، ولكني أقصد فى العمل الممتاز ، تلك اللوحة التى استطاع الفنان أن يتميز فيها باختياره للموضوع ، والتقنية اللونية ، وقدرته على الرسم ، والتركيب ، وحتى إبراز اللوحة فى اطار له شان في رفع أو خفض مستوى اللوحة .. وبقدر وعي الفنان لهذه العناصر ، وربطها برباط قوي ، يستطيع أن يحافظ على مستوى أعماله .

هدف الفنان

إلا اننى الاحظ أن بعض الفنانين القطريين يسقطون أحياناً فى شراك اللاموضوعية ، رغم ادراكهم بأن الفن التشكيلى فى قطر حديث النشأة ، ولذا لابد أن نأخذ بيد الجمهور ونجعله يشعر بجدية الفن ووظيفته الانسانية فى المجتمع ..

ان اختيارنا للأسلوب المناسب لمخاطبة الجمهور فى فترة النشوء ، تجعلنا أكثر قرباً من المجتمع وأكثر التصاقاً باحاسيسه ومشاعره الانسانية .

إن علاقة الفنان بجمهوره يجب أن تكون مثل علاقة الشاعر بقرائه ، ولذا فلا مانع من أن نرسم فى معارضنا لوحات بأسماء تعارفنا على تسميتها تحت عناوين : منظر بحرى ، منظر صحراوى ، سفن ، طبيعة صامتة .. هذا مطلوب .. ولكن أين الفكرة فى الفن ؟ .. أين وجدان الفنان الذى يهز مشاعر المتفرج بما يقدمه من أعمال انسانية تخاطب البشرية فى أى مكان وزمان ؟

إن تحديد هدف الفنان أثناء العمل فى لوحته هو أول العناصر التى يجب أن نهتم بها ونعطيها أولويات فى العناية ، وتحديد هدف الفنان – بالطبع – يحتاج الى بحث ودراسة وتأمل ، فعلى الفنان أن يجد هدفه من الواقع الاجتماعى أو السياسى الذى يعيشه وطننا العربى ، ولا يكتفى بمجرد الهدف الجمالى البحت ، فصحيح أننا مطالبون بتكثيف الاحساس بالجمال لدى الجمهور ، لكن يجب ألا نغرق فى متاهاته ، والا نكتفى بمجرد تقديم لوحة جميلة داخل اطار جميل ، ففكرة اللوحة ومعالجتها بصورة تلهب خيال الجمهور المتلقى وتتفاعل مع واقع هذا الجمهور ، هو أمر غاية فى الأهمية لكل الذين يبحثون عن طريق للابداع الفنى الذى يظل فى الأذهان ويحفر فى الذاكرة أعظم المعانى وأرقاها وأسماها انسانيا ..

رغبات الجمهور

ولعل ذلك يقودنى الى أمر هام لابد أن يتنبه له كافة الفنانين وهو عدم تلبية احتياجات الجمهور للفن التجارى ، فكثيراً ما نرى بعض الفنانين ينساقون الى موضوعات أشبه بتلك التى تعرض تجارياً فى محلات عمل الاطارات مثل موضوع طفل يبكى فى ضوء شمعة أو فتاة مع قطتها أو غير ذلك من الأعمال الهابطة التى قد يتجه لها البعض غير مدركين أنهم بهذا الاتجاه يسيئون الى قيمتهم الفنية ويتجهون بالفن الى وجهة تجارية رخيصة ..

وإذا كنا نطالب الفنان بعدم الانسياق الى رغبات الجمهور والاتجاه الى معالجة قضاياه الهامة ، فاننا فى نفس الوقت نرفض تماماً أى محاولة لفرض الأساليب الغريبة على الجمهور دون ادراك لواقع المجتمع وتقبله لهذه الأساليب ..

إذن .. المطلوب فى الحركة التشكيلية فى قطر وهى تشق طريقها الذى يقاس عمره بسنوات قليلة ، أن تبنى جمهورها بنفس القدر الذى تبنى فيه معالمها الفنية وأساليبها .. وأن نلتفت بوعى الى اختيار الموضوع وطريقة المعالجة التى تناسب الجمهور ومستواه الثقافى .. فعدم توازن هذه العناصر لن يؤدى الى حركة فنية صحيحة .. وعدم توازن الفنان فى ربط جميع عناصر لوحته برابط قوى من حيث التقنية اللونية والخطوط والفكرة لن يفتح المجال لبداية ظهور مدارسنا الفنية النابعة من بيئتنا ومن تراثنا الزاخر بكل ما هو أصيل وجميل وجذاب .

محمد علي عبد الله
أوهايو – أمريكا



بيروت

القصة الكاملة للمدينة الصامدة من أقدم العصور إلى حصار شارون

بقلم : عصام شريح

لمع اسم بيروت خلال مراحل وحقب تاريخية مختلفة ، كمدينة سلام وحب وحرية وانفتاح عقلي ، ولعبت هذه المدينة العظيمة دوراً بارزاً فى صياغة أوضاع المنطقة المحيطة بها أحياناً ، والمنطقة العربية أحياناً أخرى ، لكن بيروت العظيمة ، كانت تدفع جزية باهظة من دمها وجسدها وروحها أحياناً كثيرة ، فدية عن دورها الطليعي ورسالتها الحضارية والقومية الخالدة . وازاء هذا الواقع المشرق والمشع أحياناً ، والدامي والمبكي احياناً أخرى ، فان العويل والتفجع لم يكن أبداً نهاية الطريق امام البيروتيين ، بل الصراع والنضال دون هوادة ، من أجل كتابة مستقبل مضيء حافل بالسلام والحرية والحب والمعرفة والثقافة والحضارة بشتى وجوهها ... وذلك فى يقيني هو دور البطل ، الذى قد يخسر معركة أو أكثر ، لكنه يأبى إلا ان يربح الحرب ... أجل .. تلك هى بيروت .. وذلك هو دورها فى التاريخ العربى ، ومن لا يصدق هذا ، فليقرأ ماذا يقول التاريخ عن بيروت الخالدة .

بيروت فى العهد الفينيقي

لم تتمتع بيروت فى عهد الفينيقيين باى شهرة ، والمرة الأولى التى لمع فيها اسم بيروت كان فى الفترة التى تسلم فيها عرش مصر الملك اخناتون فى عام ١٣٧٧ ق.م ،حيث كان النفوذ المصرى واسعاً فى بلاد الكنعانيين ، وقد ورد ذكر بيروت عندما هرب اليها ملك جبيل (الواقعة على الساحل اللبنانى إلى الشمال من بيروت) ، واسمه « رب عدي » بعد تدبير مؤامرة لقلب نظام حكمه على يد « عزيرو ابن عبد عشرتا » الأموري : نسبة للأموريين (، وقد لجا « رب عدي » إلى بيروت ، بعد ان دب اليأس الى قلبه من امكانية تلقيه مساعدة مصرية ضد خصومه ، ولأن حاكم بيروت « عمونيرا » كان ذا قرابة له عن طريق المصاهرة ، وكان امير بيروت هذا يبعث برسائل الى الفرعون المصري تنم عن الخضوع والولاء ، وتطالب بمساعدات عسكرية مصرية للدفاع عن المدينة ضد الأمير عزيرو الأموري ، وعندما أصبحت بيروت مهددة فعلا غادرها امير جبيل « رب عدي » الى صيدا ، لكن امير هذه المدينة كان قد انضم الى الأموريين فوقع « رب عدي » فى يد عزيرو الذى قتله بسبب ولائه للفرعون المصري .

والمهم هنا ، ان بيروت ، لم يرد لها اسم كمدينة ذات أهمية تذكر طوال هذا العهد ، وقد وصلت ذروة عصرها الذهبي فى العهد الروماني .

ويقول « الدكتور فيليب حتي » فى كتابه « لبنان فى التاريخ » « ان كلمة بيروت تعني الآبار ، وان أول مرة ظهر فيها اسم بيروت فى التاريخ كان ضمن قائمة اسماء ذكرها الفرعون المصري تحوتمس الثالث ، ولم يرد لها أى ذكر فى أسفار (التوراة) العهد القديم » .

بيروت فى العهد الروماني

كانت بيروت المدينة الوحيدة بين المدن الساحلية على الشاطىء اللبناني ، التى تمتعت بمركز ثقافي ، وذلك جزاء ولاء ومعاضدة أهالى بيروت للامبراطور الروماني « سبتموس سفيروس » فى حروبه ضد خصمه ومنافسه على العرش « نيغر » . غير أن بيروت كانت أقدم

أم مع أولادها أثناء القصف العشوائي .. ولقطة أخرى لبيروت تحترق نتيجة القصف الوحشي من قوات العدو



بيروت

القصة الكاملة للمدينة الصامدة من أقدم العصور إلى حصار شارون

مستعمرة رومانية فى بلاد الشام إطلاقاً ، فقد اقام فيها (حوالى سنة ١٧ ق . م) جنود متقاعدون كانوا ينتمون الى الجيشين الرومانيين الثالث (مقدونيا) والخامس (غاليا أوفرنسا) ، بقيادة أحد ضباط الامبراطور أغسطس قيصر ، فكانت أشبه بحصن يجهز حاكم الولاية بمزيد من الجنود عند الحاجة . فقد أمكن بيروت ـ على سبيل المثال ـ ان تمد القائد الروماني « فاروس » ـ حاكم سوريا فى عهد أغسطس قيصر ـ بالف وخمسمائة جندى عندما مر فى المدينة وهو فى طريقه لمحاربة اليهود فى فلسطين ، وقد أطلق على بيروت اسم « مستعمرة جوليا أوغسطا السعيدة ـ بيروت » وذلك تيمناً باسم « جوليا » ابنة الامبراطور أغسطس قيصر . وكانت بيروت قاعدة الأسطول الروماني فى الجزء الجنوبي الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ، وبما انها كانت مستعمرة رومانية فقد كان سكانها يتمتعون بامتيازات وحقوق يمنحها القانون الروماني ، كالحكم الذاتى ، والاعفاء من ضريبة الرؤوس وضريبة الخراج وعندما أصدر الامبراطور كركلا (٢١١ ـ ٢١٧) قانونه الذى منح بموجبه حق المواطنية لجميع المواطنين « الاحرار » . (غير الأرقاء) فى امبراطوريته ، أصبحت تلك الامتيازات التى كانت تنعم بها بيروت فى حكم الملغاة ، إلا أن بيروت أصبحت إلى جانب مدينة بعلبك (الواقعة فى سهل البقاع بشرق لبنان) مركزاً للحياة الرومانية فى بلاد هلينية الحضارة ، وفى عهد « أغريبا الأول » (٤١ ـ ٤٤ ق . م . حفيد هيرودس (الوالي الروماني على بلاد الشام) ، كرم هذا بيروت ، وجملها ببنائه مسرحاً فيها على غاية من الجمال والعظمة كما بنى ملعباً مستديراً للرياضة ، وحمامات عامة وابنية عامة ذات أروقة مسقوفة ، وقد انفق على بنائها بسخاء وإسراف ، ورافق الحفل الذى أقامه لتدشين هذه الأبنية ، حفلات موسيقية والعاب فى المبارزة ، ولكي يزيد فى حماس الجماهير ، فقد أطلق فى الملعب المستدير ألفاً واربعمائة مجرم زوجاً ـ زوجاً ، لكي يتقاتلا حتى الموت .

وأثناء الحروب التى شنها الامبراطور فسبسيان ضد اليهود ، نصبه جنوده امبراطوراً ، واعلنوا خبر تسلمه العرش فى مدينة قيسارية (فى عام ٦٩ ب . م) ، وعندما قفل عائداً إلى روما ، عرج على بيروت ، وبقى فيها يتقبل تهاني الوفود التى جاءته من أطراف بلاد الشام ، وقبل مغادرته بيروت ، عين الامبراطور فسبسيان ابنه طيطس قائداً على الجيش الروماني لكى يتابع الحرب ضد اليهود المتمردين فى فلسطين ، وبعد سقوط القدس فى قبضته (عام ٧٠ ب . م) . وهدم هيكل سليمان فيها ، عرج طيطس على بيروت ، واقام فيها مدة لكي يحتفي بانتصاراته وبعيد مولد أبيه الامبراطور ، وقد اقام بهذه المناسبة حفلات وأعياداً لم تشهد لها بيروت مثيلا ، بينها حفلة قذف الأسرى من اليهود إلى الوحوش المفترسة ، (فى ملعب أغريبا) ، ثم دفع مجموعات أخرى منهم للاقتتال حتى يفني بعضهم بعضاً .

أما أغريبا الثاني ، فقد بنى له قصراً خصصه لاقامته فى بيروت ، كما بنى مسرحاً فخماً كانت تقام فيه الحفلات السنوية ، وتوزع خلالها الهبات والأعطيات من الزيت والحنطة على الفقراء ويقول المؤرخ اليهودى « يوسيفوس » ، ان أغريبا الثاني جمل بيروت كلها بالتماثيل ورفع فيها الصور التى رسمها الفنانون القدماء ، « وقد ظلت الحفلات التمثيلية والالعاب الرياضية التى عرفت بها بيروت شائعة حتى القرن الرابع الميلادي » ، وعندما يحفر البيروتيون فى ايامنا هذه فى الأرض لانشاء مبان وعمارات جديدة ، يعثرون دوماً على أعمدة من الجرانيت أو على اجزاء منها محطمة مصدرها مصر العليا ، وهى تدل على عظمة الابنية التى كانت تزدان بها بيروت .

معهد الحقوق فى بيروت

وقد اشتهرت بيروت بكونها مركزاً ثقافياً فى العهد الروماني ، حيث كان فيها أشهر وأعظم معهد روماني للقانون فى الامبراطورية خارج إيطاليا ، وكان معهد الحقوق فى بيروت قبلة أنظار طلاب القانون من جميع أنحاء الشرق ، حيث كانت دراسة القانون إحدى الشروط الأساسية للوظائف الرفيعة فى الحكومة . وقد تخرج من معهد الحقوق فى بيروت عدد كبير من القضاة والحكام فى المقاطعات الشرقية للامبراطورية الرومانية . وفى رأى المؤرخ الفرنسي « بول كولينى » ان من المرجح أن يكون الامبراطور سبتموس سفيروس (وهو لبناني الأصل) ، هو باني معهد الحقوق فى بيروت ، ويضيف ان هذا المعهد كان الأكثر شهرة بين معاهد مماثلة فى أثينا والاسكندرية وبعض المدن الأخرى فى المقاطعات الرومانية . وقد تحول معهد بيروت الى مركز فكرى خلاق ، وجذب اليه فضل العقول من الاساتذة والطلاب ، الذين قدموا فى حقل التشريع تقدمات عظيمة للتراث الروماني الأكثر شهرة ـ القانون الرومانى أو الشرائع الرومانية ، وكان من أشهر المشرعين الذين قاموا بمهنة التدريس فى المعهد ، العالمان الشهيران : إيميلوس بابنيانوس ، و دوميتيوس أولبيانوس ، وكان بابنيانوس من مدينة حمص (فى سوريا) ومن أقرباء « جوليا دومنا » زوجة الامبراطور سبتموس سفيروس ، وقد استدعاه هذا الامبراطور الى روما ليكون مستشاره القانوني ، كما اشتهر من أساتذة معهد الحقوق فى بيروت كل من أنطوليوس و دوروثيوس اللذين قاما بجمع القوانين لما عرف فيما بعد بمجموعة يوستنيان ، وكان الامبراطور يوستنيان نفسه يطلق على بيروت لقب « أم الشرائع ومرضعتها » .

وكما كانت بيروت « معهداً » يتثقف فيه رجال الحكم والدولة ، كذلك كانت مركزاً للدراسات اللاهوتية لرجال الكنيسة المسيحية الذين كانوا يؤمونها من أطراف بلاد الشام وآسيا الصغرى .

وقد ضربت عدة هزات أرضية مدينة بيروت ، فقد وقعت الهزة الأولى فى العهد الرومانى فى سنة ٣٤٩ ، واسفرت عن هدم بعض أجزاء المدينة ، ووقعت هزات أخرى فى عامى ٤٩٤ و ٥٠٢ نجم عنها بعض الاضرار المادية ، فيما أصيب بسببها كل من مدينتي صور وصيدا بدمار كبير . وفى الفترة الواقعة ما بين (٥٥١ ـ ٥٥٥) وقعت سلسلة من الزلازل العنيفة فى لبنان دمرت المدن الساحلية بشكل يكاد يكون شاملا ، ولا سيما بيروت ، كما طغت أمواج بحرية عارمة إثر زلزال وقع فى عام ٥٥١ ، مما تسبب فى وقوع ضحايا وتدمير فى الممتلكات فاق ما احدثه الزلزال بكثير ،



عرفات فى مكتبه بحي الفاكهاني الذى يضم معظم مكاتب المقاومة الفلسطينية .. ويجلس على يمينه هاني الحسن وعلى يساره شفيق الحوت .

ويروي بعض المؤرخين ان مياه البحر تراجعت عن شاطىء بيروت مسافة تقرب من ميل واحد ، ثم اندفعت على شكل موجة عالية غمرت المدينة كلها ، فاغرقت البنايات والمنازل وهدمتها ، كما غرقت المراكب أو تحطمت على الشواطىء وغمرت الأشجار ، ويرجح ان تكون مباني معهد الحقوق فى بيروت قد دمرت بسبب هذا الزلزال ، وذكر ان نحواً من ٣٠ الف نسمة من سكان بيروت لاقوا حتفهم بسبب الزلزال ، اما البقية منهم فقد هربوا تاركين مدينتهم قفراً وكانها مدينة اشباح ، وقصدوا مدينة صيدا فى الجنوب ، وهناك كان اساتذة القانون الناجين يعطون دروساً بشكل مؤقت فى انتظار إعادة بناء بيروت ومعهد الحقوق فيها ثانية . لكن حدث ما لم يكن فى الحسبان ، فخلال عملية اعادة البناء ، وقع حريق هائل فى بيروت التهم معظم الأبنية الجديدة فى المدينة ، فكانت هذه الماساة بمثابة ضربة قاصمة قضت على المعهد وعلى مستقبل المدينة الى أجل طويل .

وقد رثاها محام . إغريقي من آسيا الصغرى ، كان معاصراً لتلك الاحداث المفجعة ، بقوله : « بيروت ، أجمل المدن ، الدرة فى تاج فينيقية ، فقدت لألاءها ورونقها ، ابنيتها التى تعد آيات فى فن العمارة ، تداعت وسقطت ، ولم يبق فيها جدار واقفاً ، سوى الأساس » . وقد كان لهذه الفاجعة صدى تردد فى جميع أنحاء الامبراطورية الرومانية ، مما دفع شاعراً إغريقياً آخر (اسباني) الى رثاء بيروت بقصيدة قال فيها : « هانذا .. المدينة التاعسة .. كومة من خراب ، ابنائي أموات يا للحظ العاثر المشؤوم ، إلهة النار احرقتني بعد ان هزت إلهة الزلزال أركاني ، بالتعاستي ، بعد ان كنت مجسم الجمال ، غدوت رماداً ، هل تبكون على ايها العابرون السائرون فوق اطلالي ، هل تسكبون على دمعة حزن ، هل تاسون لمجد بيروت .. بيروت التى لا وجود لها بعد .. ايها الملاح لا تمل بشراعك نحو شاطيء ، ولا تنزل شراع مركبك ، فان المرفا الأمين قد أصبح ارضاً يباباً ، واصبحت بيروت لحداً موحشاً .. مل عني سر الى الموانىء الفرحة التى لا تعرف البكاء ، الى موانئها سر على صوت قرع المجداف ، هكذا شاء الاله بوسيدون ، إله البحر والزلازل ، وهكذا شاءت الآلهة السمحاء .. وداعاً يا ملاحي البحار ، وداعاً أيتها القوافل الآتية من وراء الجبال » .

اما بالنسبة لآخر زلزال ضرب المدينة ، فقد وقع فى ١٦ آذار (مارس) ١٩٥٦ ، وقد نجت منه بيروت بأعجوبة ، لكنه أسفر عن أضرار جسيمة فى قرى الجبال المجاورة .

بيروت خلال الحروب الصليبية

كانت بيروت قد صالحت الصليبيين حين مرورهم أمام المدينة فى عام ١٠٩٩ ، وقدمت إليهم بعض المساعدات ولم يعترض الامراء التنوخيون (بني تنوخ) فى الغرب سبيل القوات الصليبية الغازية والمتوجهة نحو فلسطين ، ولكنهم فى السنة التالية ، حين مرور « بودوان » ـ أحد قادة الحملات الصليبية . بالساحل اللبناني متوجهاً الى القدس ، وبعد وفاة شقيقه ، كمن له التنوخيون بقيادة الأمير عضد الدولة علي ، وذلك بتحريض من الملك السلجوقي فى دمشق ـ الملك دقاق ، فكانت معركة نهر الكلب بين الفريقين لكن بودوان نجا منها واكمل طريقه الى فلسطين . وقد تركت جراة عضد الدولة التنوخي أثراً مستحباً لدى السلاجقة ، فولاه الملك دقاق بالاضافة الى إمارة الغرب وبيروت ، إمارة صيدا ، وأمره بتحصين البلدتين . وكانت بيروت تتلقى مساعدات متواصلة من سلاجقة دمشق ومن الأسطول الفاطمي فى البحر . ويبدو أن وجود التنوخيين فى الجبال المشرفة على بيروت منع الصليبيين من محاصرتها كما فعلوا بمدينة طرابلس (بشمال لبنان) ، ولذلك مرت الفترة الأولى من الوجود الصليبي فى الشرق (حوالي عشر سنوات) دون ان تقع حوادث مهمة بالنسبة لبيروت ، ولكن سقوط مدينة جبيل فى سنة ١١٠٤ قرب الخطر الصليبي من بيروت ، وعندما سقطت طرابلس انتقل النشاط الصليبي نحو الجنوب ، وفى الوقت ذاته وصلت قوة بحرية فاطمية كبيرة لتنجد السواحل اللبنانية (وصلت بعد ثمانية ايام من سقوط طرابلس) ، فابعدت هذه القوة بشكل مؤقت خطر سقوط بيروت وصيدا ، حتى كانت سنة ١١١٠ .

بدأ الصليبيون هجومهم على بيروت فى شباط (فبراير) عام ١١١٠ بزعامة بيرتران دي سانجيل بمساعدة الملك الصليبي بودوان ، ويصف المؤرخون حصار بيروت وسقوطها بيد الصليبيين على الوجه التالى :

« شرع الصليبيون فى بناء برج ونصبوه على سور بيروت ، ولما اتموا صنعه زحفوا به ، ولكن أهل بيروت قذفوه بحجارة المجانيق فكسروه ، فشرع الصليبيون فى بناء غيره ، وتمكن بيرتران من صنع برج آخر ، ثم وصل أسطول فاطمي كبير مؤلف من ١٩ سفينة حربية ، فتغلب على مراكب الفرنج (الصليبيين) واستولى على بعضها ، وبذلك تمكن المصريون (الفاطميون) من فك الحصار عن بيروت ومدها بالمؤن ، فارتفعت معنويات أهل المدينة ثانية ، وفشل الحصار الصليبي » .

ولكن الملك بودوان استنجد بالأمراء الصليبيين وبالسفن الجنوية (نسبة لمدينة جنوا الايطالية) ، فقدمت اربعون سفينة جنوية وقدم الموارنة من الشمال ، كما قدمت قوات صليبية من جنوب لبنان ،

بيروت

القصة الكاملة للمدينة الصامدة من أقدم العصور إلى حصار شارون

وقد ركز الصليبيون هجومهم على منطقة الغرب أولا (اى منطقة عالية ـ سوق الغرب الجبلية) ، فسيطروا على المنطقة وقتلوا عدداً كبيراً من أهلها ، وفى الوقت ذاته جرت معركة بحرية بين الأسطولين الجنوي والمصري ، فانتصر الاسطول الجنوي ، وبذلك انكشفت بيروت بحراً وجواً ، مما ساعد الصليبيين على تشديد هجومهم ، وتمكنوا من احتلال بيروت فى ٢٧ نيسان (ابريل) من عام ١١١٠ ، بعد ان دام حصارها حوالى شهرين ، شهدت المدينة فى نهايتهما مذبحة رهيبة قام بها الصليبيون ، ولم تستقر الأوضاع فى المدينة إلا بعد جهود مضنية بذلها الملك بودوان ـ كما تزعم بعض المراجع التاريخية .

وبقيت بيروت فى ايدي الصليبيين حتى حررها منهم المماليك ، فى عام ١٢٩١ ، حيث أرسل السلطان الاشرف خليل قائده سنجر الشجاعي الى بيروت ، فاخذها سلماً واجلى عنها الصليبيين الى دمشق ثم الى مصر ومنها ارسلهم الى قبرص ، وقد هدم المماليك تحصينات بيروت بعد استيلائهم عليها .

بيروت فى الحرب العالمية الأولى

عرفت بيروت أول نشاط عربي قومي وسياسي منظم فى تاريخ العرب الحديث ، فى عام ١٨٧٥ ، حيث أنشأ عدد من الشبان الذين كانوا يدرسون انذاك فى الكلية البروتستنتية ببيروت (أصبحت تعرف فيما بعد بالجامعة الامريكية ببيروت) ، انشأوا جمعية سرية ، هى الأولى من نوعها فى العالم العربى فى تلك الفترة ، وكان هدف الجمعية حض العرب على مقاومة السياسة العثمانية ، وقد تجلى نشاط هذه الجمعية السرية بصورة خاصة فى لصق المنشورات على جدران بيروت فى هدأة الليل ، مما شجع الشبان العرب فى دمشق وطرابلس وصيدا على القيام بعمل مماثل . وكانت تلك المنشورات تتضمن تنديداً عنيفاً بمساوىء الحكم التركي ، وتهيب بالسكان ان يثوروا عليه ويطيحوا به ، مما اصاب حكام القسطنطينية بالذهول ، ودفع بهم إلى إنزال جام غضبهم وبطشهم ضد الابرياء ، لعجزهم عن اكتشاف أعضاء الجمعية السرية التى بقيت دون اسم معين .

وقد ورد فى المنشور الثالث الذى الصق على جدران بيروت فى ليلة ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٨٠ ـ كما يقول جورج انطونيوس فى كتابه « يقظة العرب » ـ ورد فيه برنامج قال واضعوه « اننا سننفذه ولو بحد السيف اذا اقتضى الأمر » ، وأهم النقاط فى ذلك البرنامج : منح سوريا الاستقلال متحدة مع جبل لبنان ـ الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية فى البلاد ـ رفع الرقابة والقيود الاخرى التى تحد من حرية التعبير ونشر التعليم ـ استخدام القوات المجندة من أهل البلاد فى المهام العسكرية الداخلية فيها فقط .

أما فى السنوات التالية التى سبقت اندلاع الحرب العالمية الأولى فقد كانت بيروت والقاهرة مركزين لألوان من النشاط الثقافى والسياسي كان له دوي ورجع صدى فى سائر العالم العربى . وخلال السنوات ١٩٠٩ ـ ١٩٠٣ ، تأسست ثلاث جمعيات سرية عربية مناهضة « لسياسة التتريك العثمانية » هى : « الجمعية القحطانية » و « المنتدى الادبي » و « جمعية العربية الفتاة » ، التى أسسها طلبة عرب كانوا يدرسون فى باريس فى عام ١٩١١ ، وبعد تخرجهم وعودتهم الى بلادهم نقلوا مركزها الى بيروت فى عام ١٩١٣ . وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى بين دول المحور (ومنها تركيا) والحلفاء ، تصاعد خوف العثمانيين من نشاط الوطنيين العرب المطالبين بالحرية والاستقلال ، فخنقوا الحريات وفرضوا رقابة شديدة على المطبوعات ـ وخاصة فى بيروت ـ وبثوا

بيروت .. أهم الأحياء والشوارع

خلال الحرب الأهلية ثم خلال الغزو الاسرائيلي ، طغت على وسائط الاعلام اسماء عشرات الأحياء والشوارع فى مدينة بيروت ، وخاصة فى القطاع الغربي منها بفعل الحصار والغارات والقصف الاسرائيلي المتواصل الذى شمل فى الثامن من آب (اغسطس) الماضي ٢٤ حيا ، والتي تلقت حوالي خمسين الف قذيفة اسرائيلية خلال إحدى عشرة ساعة فقط . وسنحاول فى السطور التالية وضع صورة لهذه الأحياء والشوارع أمام القارىء .

منذ نشوب الحرب الأهلية فى عام ١٩٧٥ انقسمت بيروت إلى شطرين : بيروت الغربية وبيروت الشرقية ، وكان الخط الفاصل (الأخضر) بينهما ، والذى مايزال قائما حتى الآن هو الخط الذى يبدأ من نقطة تقع جنوب مرفأ بيروت ، اي من الشارع الذى يلي « بناية فتال » ويصعد بشكل متعرج وضمن شوارع فرعية قصيرة إلى شارع سوق الخضار المجاور لبناية سينما ريفولي ، ومن هناك يصعد الخط بشكل مستقيم تقريباً الى ساحة الشهداء ، فشارع بشارة الخوري ، الى جسر فؤاد شهاب ثم شارع الحرش الذى يوصل الى مستديرة شاتيلا ، وهناك يلتقى « الخط الأخضر » بشارع آخر متفرع عن « جادة سامي الصلح » .

لكن « للخط الأخضر » خط فرعي يبدأ بطريق الشام ابتداء من ساحة الدبلس وصعوداً إلى طريق راس النبع ـ فرن الشباك ويمر هذا الخط ببوابة او ممر المتحف ، وبعد استكمال طريق فرن الشباك يصعد الخط الى منطقة الحازمية ، حيث يلتقى بفرع آخر للخط الأخضر متفرع من شارع صيدا القديم ثم بوابة جاليري سمعان .

اما بالنسبة لبوابات العبور بين قطاعي بيروت الغربي والشرقي فهي اربع : بوابة المرفا ـ بوابة السوديكو ـ بوابة المتحف ثم اخيراً بوابة جاليري سمعان ، ونود ان نشير للقارىء الذى لا يعرف بيروت جيداً او لا يعرفها البتة ، ان هذه البوابات ليست بوابات حقيقية ، وإنما هي تقاطعات طرق اخذت اسماءها من مرافق عامة او اسماء حوانيت او بنايات شهيرة في نفس المنطقة التى تقع فيها ، وعلى سبيل المثال فان بوابة جاليري سمعان اخذت اسمها من حانوت لبيع المفروشات يقع عند تقاطع الطرق بين منطقتي عين الرمانة والحدث .. الخ .

اما اهم الأحياء فى بيروت الغربية فهي ابتداء من ساحل البحر حي الرملة البيضاء ، ويليه حي اليونسكو فحي المزرعة حتى مستشفى البربير وشارع المحكمة العسكرية وميدان سباق الخيل الذى ينتهى عند بوابة المتحف ، وينفرع من حي المزرعة أحياء المقاصد والفاكهانى (حيث توجد مقار فصائل المقاومة الفلسطينية إضافة الى مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية) ومخيم صبرا الفلسطيني (وهو عبارة عن شارع طويل يضم بيوت عائلات فقيرة ومبان متواضعة ويتصل حي الفاكهاني بالمدينة الرياضية من الشرق ثم بمخيم شاتيلا الفلسطيني من الجنوب الشرقى) .

وعلى امتداد الشاطىء يطالعنا حي



بيروت ١٩٧٠ : ازدهار وحركة ونشاط

جواسيسهم وعملاءهم لجمع اسماء الوطنيين وتتبع نشاطاتهم .

وقد وقع بين يدي السلطة العسكرية التركية (جماعة الاتحاد والترقي) اسماء عدد كبير من هؤلاء ، فأحال « جمال باشا » اصحابها الى الديوان العرفي في عاليه – شرق بيروت – الذى غص سجنه بالاحرار العرب ، وكان هذا الديوان عبارة عن محكمة صورية تنفذ أوامر ورغبات جمال باشا – الحاكم العسكري التركي على بلاد الشام آنذاك . وحين مني الجيش العثماني بالهزيمة فى معركة السويس الأولى عام ١٩١٥ ، عزا جمال باشا سببها الى « فرار » اللبنانيين والسوريين من الجيش (الجندرمه) ، والى انصراف رجال لبنان وسوريا عن التعاون معه ، فقرر اعدام عدد من هؤلاء ، وشملت القائمة الأولى منهم ١١ شهيداً ، أعدم ثلاثة منهم فى ساحة البرج ببيروت التى دعيت فيما بعد بساحة الشهداء ، واعدم الباقون فى ساحة المرجة بدمشق بتارخ ٢٠ آب (اغسطس) ١٩١٥ . لكن إعدام هذه القافلة من الشهداء أدى الى تاجيج المشاعر الوطنية والقومية لدى العرب ، مما دفع بجمال باشا الذى أصبح يعرف باسم « جمال السفاح » لارتكابه مجزرة جديدة ضد الشخصيات الوطنية ضمت نخبة من الأحرار والمفكرين العرب ، فكانت القافلة الثانية من الشهداء التى ضمت ١٤ شهيداً اعدموا فى السادس من أيار (مايو) ١٩١٦ فى ساحة الشهداء ببيروت . وقد جعل اللبنانيون من هذا اليوم مناسبة لتكريم أولئك الشهداء الأبطال كل عام ورفعوا فى ساحة الشهداء بقلب بيروت نصباً للشهداء تخليداً لذكراهم . وعندما انتشرت المجاعة فى لبنان فى السنتين التاليتين ، غصت بيروت بالمهاجرين من القرى الجبلية والجنوب والشمال ، الذين انضموا الى المتسولين فيها الذين كانوا يطوفون الأسواق والبيوت للاستجداء ، وينقبون فى اكوام القاذورات بحثا عن أى شيء يؤكل ولو كان قشور الموز والبطاطا والليمون . وقد انتشرت الأوبئة والأمراض السارية فى بيروت وكل لبنان ، مما ادى إلى موت أو نزوح ثلث سكان لبنان آنذاك .

بيروت فى الحرب العالمية الثانية

خلال الحرب العالمية الثانية ، تعرضت بيروت لكارثة حقيقية بسبب انقسام

الروشة المجاور لحي الرملة البيضاء ، والروشة معروفة بمطاعمها ومقاهيها وملاهيها الأنيقة والتى لم تكن تنام قبل الحرب ، ويقع خلفها مباشرة حي قريطم الذى يمتد حتى فندق بريستول ، وبعد هذا الفندق يقع حي الصنائع الذى توجد فيه وزارة الاعلام اللبنانية ودار الاذاعة ، ويتفرع من حي الصنائع حي القنطارى ، وهو آخر الأحياء التى تطل على الخط الأخضر فى هذه المنطقة ، أما الى الشرق والجنوب الشرقى فيتفرع حي عائشة بكار وحي الظريف وزقاق البلاط ، ثم البسطة التحتا التى تمتد حتى ساحة رياض الصلح المطلة على الخط الأخضر فى ساحة الشهداء ، وصعوداً هناك حى البسطة الفوقا وحي المصيطبة الذى يطل على كورنيش المزرعة ونزولا حي الخندق الغميق . وعلى امتداد الشاطىء وإلى الجنوب من حي الروشة نجد منطقة الحمام العسكرى ومدينة الملاهى وبعض المسابح ، ويقع وراء هذه المنطقة حي المنارة فحي راس بيروت وشارع الحمراء الشهير بحوانيته التجارية الأنيقة ومقاهيه ومطاعمه وملاهيه وفنادقه الصغيرة ، ويتصل حي الحمراء جنوبا بحي الصنائع .

اما على امتداد بقية الشاطىء – أى بعد منطقة الحمام العسكرى – فيواجهنا حي عين المريسة ، الذى يتصل بدوره بمنطقة الزيتونة المشهورة بفنادقها الفخمة «فندق فينيسيا – فندق هولداى إن وقد دمرا» ، كما تشتهر منطقة الزيتونة بالملاهى والمقاهى التى لم تكن تعرف النوم ابدا قبل الحرب ، وتبلغ منطقة الزيتونة نهايتها عند مشارف مرفا بيروت او ما يعرف حاليا ببوابة المرفا .

اما بالنسبة للضواحى ، فاهمها على الشاطىء ضاحية الاوزاعى فضاحية خلده . واهمها جنوبا ضاحية برج البراجنة القريبة من المطار ، والضاحية الجنوبية تضم فى الواقع عدة مناطق تحيط ببرج البراجنة هى الغبيرى والشياح ، وهذا الحي الاخير ملاصق لطريق صيدا القديم (الخط الأخضر) ثم منطقة الرمل العالي ومخيم برج البراجنة الفلسطينى ، فحي عين السكة ، ومنطقتى الرويس والرادوف ثم منطقة المريجة ، فحي السلم وحي الليلكى . ومن الجهة المقابلة توجد كلية العلوم – إحدى كليات الجامعة اللبنانية – ويتفرع عن حي برج البراجنة احياء صغيرة اخرى اهمها : حارة حريك ، وبير العبد وحي ماضى .

يبقى ان نشير الى الاحياء المهمة فى بيروت الشرقية الخاضعة لسيطرة حزب الكتائب ، فاهم الاحياء فيها هو حي الاشرفية ، ويشتمل هذا الحى على مجموعة من الاحياء الصغيرة : حي السريان وحي السيوفى ، وحي السيدة ، وحي مار متر .. الخ . وتتصل الاشرفية بحي الجميزة من جهة الغرب ثم بحي مار تقلا ، الذى يذهب شرقا لكى يتصل بدوره بحي البدوى (سكانه فى معظمهم من الارمن) ومن جهة البحر بحي المسلخ والكرنتينا ، وقد مسحت هاتان المنطقتان من الوجود خلال الشهور الأولى للحرب الأهلية فى عام ١٩٧٥ على ايدى الكتائبيين .

اما الضواحى الشرقية لبيروت فهى تلك الواقعة الى الشرق من نهر بيروت وجسر برج حمود ، وهى احياء سن الفيل والدكوانة والزعتر والنبعة وبرج حمود والدورة . وبصورة عامة ، فهذه خارطة عامة لأهم احياء وشوارع وضواحى بيروت .

بيروت

القصة الكاملة للمدينة الصامدة من أقدم العصور إلى حصار شارون



الدمار والخراب في حي الرمل العالي قرب مطار بيروت .

القوات الفرنسية بين ديغولية يؤيدها الحلفاء وفيشية تؤيدها دول المحور . وكانت القوات الفرنسية الموجودة فى لبنان وسوريا خلال هذه الفترة من انصار المارشال بيتان ، وكان الجنرال ديغول يرى ضرورة الاسراع فى استرجاع سوريا ولبنان ، قبل ان تصل اليها القوات الالمانية والايطالية ، عبر تركيا التى كانت متحالفة مع المانيا انذاك . وقد لبى الحلفاء طلب الجنرال ديغول ، وبدأ هجوم القوات البريطانية والقوات الفرنسية (الديغولية) على لبنان انطلاقا من فلسطين فى صبيحة ٨ ـ ٦ ـ ١٩٤١ ، وتمكنت هذه القوات من انزال هزيمة قاسية بقوات فيشي ، وبسط سيطرتها على الاراضى السورية واللبنانية فى ٨ ـ ٧ ـ ١٩٤١ ، ثم جرت مفاوضات بين القوات الديغولية والقوات الفيشية فى مدينة عكا الفلسطينية دامت عشرة ايام ، وانتهت بتوقيع اتفاق الهدنة فى ١٤ تموز ١٩٤١ ودخلت الجيوش الحليفة (البريطانية والديغولية) بيروت فى ١٦ ـ ٧ ـ ١٩٤١، فيما رحلت قوات فيشي عائدة إلى فرنسا طبقاً لاتفاق عكا ، وفيشي كما نعرف بلدة فرنسية جعل منها المارشال « بيتان » عاصمة لحكومته .

لكن بيروت قاست الامرين خلال هذه الفترة ، إذ بينما كانت معارك عنيفة تدور على طول جبهة الدامور الممتدة من الشاطىء الى مرتفعات بلدتي دير القمر وبيت الدين كانت الطائرات البريطانية تغير على بيروت كل ليلة دون انقطاع ، وقد استهدفت هذه الغارات أول الأمر المراكز العسكرية ومستودعات الذخيرة لقوات فيشي ، ثم خزانات البترول فى محلة الدورة والبواخر الراسية فى مرفأ المدينة ، لكن عندما لقيت الطائرات المغيرة مقاومة من نيران المدفعية التى كانت منصوبة فى بعض الأحياء البيروتية ، ومن الدبابات المتجولة فى الشوارع ، كان جوابها أن ألقت قنابلها على المدينة فاصابت قصر الصنوبر ـ وهو حالياً مقر السفارة الفرنسية فى العاصمة اللبنانية ـ وكان هدف الطائرات قتل الجنرال دانتز قائد القوات الفيشية فى لبنان ، لكن هذا كان قد غادر لتوه قبيل الغارة بقليل للمبيت فى مكان آخر ، وقد أصابت الطائرات بقنابلها بناية البلدية ، كما ألقت عدداً من القنابل على المدينة ، فدمرت منازل عديدة فى احياء مختلفة منها ، وامام هذه الغارات الوحشية هجر البيروتيون منازلهم هاربين الى الجبال طلباً للنجاة والأمن ، ولم يبق فى بيروت سوى عدد قليل من سكانها .

وكانت وفود البيروتيين خلال هذه الفترة قد طالبت الجنرال دانتز ان يعلن بيروت مدينة مفتوحة ، لانقاذها من الدمار لكن الجنرال رفض هذا الطلب باصرار ، إلا أن تدهور الوضع العسكرى لقواته بعد يومين فقط ، اضطره لان يطلب وقف القتال .

بيروت خلال احداث ١٩٥٨

احدث المد الذى رافق الثورة الناصرية فى العالم العربى فى أواخر الخمسينيات ، انعكاساً مثيراً فى لبنان بين مؤيد ومعارض وكانت العاصمة بيروت الضحية الأولى لهذا الانقسام وخاصة بين المسلمين الذين يؤيدون الناصرية ، وبين المسيحيين الذين يعارضونها . أما لبنان الرسمى (الرئيس كميل شمعون) فقد كان من أشد المناهضين لتيار الناصرية ، وقد زاد الطين بلة ، اصدار الحكومة قانوناً جديداً للانتخابات النيابية ، مما أثار حفيظة بعض الاقطاب السياسيين كان على رأسهم رئيسا الحكومة السابقين صائب سلام فى بيروت ورشيد كرامي فى طرابلس ، وكان هذا القانون الذى استهدف ضرب القيادات الاسلامية التقليدية والمجيء بنواب موالين للرئيس شمعون ، بداية الشرارة التى اشعلت ثورة عام ١٩٥٨ . وقد اشتعلت تلك الثورة بالفعل أثر حادث اغتيال الصحفي نسيب المتني صاحب صحيفة « التلغراف » المعارضة فى ٨ ـ ٥ ـ ١٩٥٨ ، وبدأت أعمال العنف فى لبنان وكان نصيب بيروت منها الشيء الكثير ، وكانت هذه الأعمال تقوم فى المرحلة الأولى على تفجير العبوات الناسفة فى اماكن غير آهلة خلال الليل ، دون ان توقع ضحايا ، لكنها تبدلت فى المرحلة الثانية ، وصارت العبوات الناسفة تنفجر فى الأماكن الآهلة والمكتظة وفى حافلات الترام والحوانيت ، فتقتل وتجرح دون تمييز .

وقد وقع الصدام الأول فى ٩ ـ ٥ ـ ١٩٥٨ . حيث خرج المصلون من الجامع العمري الكبير بوسط بيروت فى تظاهرة حاشدة ، ومالبث المتظاهرون ان اصطدموا بقوات الأمن مما أسفر عن وقوع ٢٥ قتيلا و ١٦ جريحاً ، وقام المتظاهرون باحراق مكتب المعلومات الامريكي ، والمدرسة الامريكية ، وتبع هذا الصدام حفر الخنادق واقامة المتاريس فى الأحياء الغربية لمدينة بيروت ، وبدأ القتال بين بيروت الغربية وبيروت الشرقية ، ولم تنته أعمال العنف إلا فى ٣١ ـ ٧ ـ ١٩٥٨ ، اى بعد وصول المبعوث الامريكى الخاص إلى بيروت « روبرت مورفي » الذى تم بمساعي

الوساطة التى بذلها لدى الزعماء المسلمين والزعماء المسيحيين ، انتخاب رئيس جديد للجمهورية هو قائد الجيش اللواء فؤاد شهاب .

وكان الاسطول الامريكي السادس فى البحر المتوسط قد انزل بعض قواته على الشاطىء اللبناني (فى المنطقة الشرقية) بتاريخ ١٦ ـ ٧ ـ ١٩٥٨ وذلك تحسباً لأحداث متوقعة فى منطقة الشرق الأوسط فى اعقاب وقوع ثورة عسكرية فى العراق فى ١٤ ـ ٧ ـ ١٩٥٨ .

لكن حصلت بعد انتخاب اللواء فؤاد شهاب رئيساً ، توترات متفرقة فى بيروت ، كان اشدها واخطرها قيام بعض الموتورين من الانعزاليين فى بيروت الشرقية ، بالرد على احتفال بيروت الغربية بعيد الوحدة بين مصر وسوريا فى ٢١ ـ ٢ ـ ١٩٥٩ ، بكتابة عبارات مسيئة للرئيس الراحل جمال عبد الناصر ومؤيده للرئيس كميل شمعون على حافلة ترام تسير بين المنطقتين الشرقية والغربية ، فكانت ردة الفعل فى بيروت الغربية احراق حافلة الترام ، وقيام تظاهرة غاضبة اتجهت الى ساحة رياض الصلح بقلب بيروت ، حيث أضرم المتظاهرون النار فى حافلة اخرى وحطموا ثالثة ، لكن العقلاء من الجانبين (المسلمين والمسيحيين) تدخلوا لوقف تصاعد أعمال العنف ، ونجحوا فى تطويق مضاعفات هذه الحادثة وهدأت الحالة فى بيروت وفى كل لبنان بعد ذلك .

بيروت من احداث ١٩٧٥ الى الغزو الاسرائيلي

ونصل الآن الى الأزمة الراهنة ، فهذه الأزمة بدأت فعلياً فى لبنان بشكل عام ، وفى بيروت بشكل خاص مع أحداث عام ١٩٧٥ ، وبالتحديد بحادثة « عين الرمانة » الشهيرة ، حيث تصدى مسلحون انعزاليون فى حي عين الرمانة هذا لحافلة ركاب كانت تقل لبنانيين وفلسطينيين كانوا عائدين من المنطقة الغربية من بيروت بعد ان حضروا احتفالا اقامته احدى المنظمات الفلسطينية الفدائية هناك ، نقول كانوا عائدين إلى منازلهم فى مخيم تل الزعتر الذى كان قائماً فى الضواحي الشمالية الشرقية لبيروت . وقد قتل فى تلك الحادثة ثلاثون شخصاً من اللبنانيين والفلسطينيين بينهم أطفال ونساء وشيوخ .

وكانت حادثة عين الرمانة الشرارة التى فجرت الحرب الأهلية فى لبنان ، والتى استمرت سنتين تقريباً ، انقسمت خلالها بيروت إلى شطرين متحاربين : بيروت الغربية وبيروت الشرقية . وكان أصعب ايام هذه الحرب الشريرة ، يوم السبت بتاريخ ٦ ـ ١٢ ـ ١٩٧٥ ، حيث قامت عناصر انعزالية بقتل أكثر من ٢٠٠ شخص من المسلمين ، بعد ان اختطفتهم من مكاتبهم فى دوائر الحكومة ، وخاصة شركة الكهرباء التى يقع مبناها ضمن بيروت الشرقية ، وقد عرف هذا اليوم باسم «السبت الأسود» وفى مطلع عام ١٩٧٦ وقعت مأساة مخيم تل الزعتر الفلسطيني ، الذى صمد فى وجه الحصار والهجمات الانعزالية عليه أكثر من خمسين يوماً ، وعندما سقط المخيم فى ١٢ ـ ٨ ـ ١٩٧٦ قام الانعزاليون بمجزرة ضد سكانه قتلوا خلالها آلاف الفلسطينيين دون تمييز .

فى ١ ـ ٦ ـ ١٩٧٦ ، دخل الجيش السوري لبنان ، وكان هذا اليوم بمثابة منعطف رئيسي فى الحرب اللبنانية ، وكان مفترضاً ان تتوقف الحرب ، لكن تمسك طرفيها بأهدافهما الأساسية ، جعل من المستحيل التوصل إلى تسوية لها على اساس وفاق وطني شامل . وكان احد الأسباب فى انتقال الأزمة من وضعها العسكرى الى وضعها السياسي ، هو وقوف اسرائيل وراء الانعزاليين ، واقتطاعها منطقة الشريط الحدودي تحت ستار كاذب لاقامة دويلة طائفية صغيرة بقيادة الضابط اللبناني المنشق سعد حداد .

وكان الهدف الذى رمت إليه اسرائيل من

معالم بارزة

تعتبر بيروت مدينة فريدة من نوعها بين العواصم العالمية ، فهى تقع فى تقاطع طرق بين القارات الثلاث : افريقيا واسيا واوروبا ، كما انها ملتقى للثقافتين الشرقية والغربية .

وقد أدى موقعها المثالى على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، حيث تحميها جبال لبنان من الشرق ، الى اجتذاب معظم القادة التاريخيين الذين كانوا يمرون ببيروت وهم فى طريقهم لغزو بلدان أخرى فى اوروبا او اسيا ، ومن هؤلاء : رمسيس الثانى ، وسرجون وداريوس والاسكندر المقدوني ، وقياصرة الرومان ، وصلاح الدين الايوبي ، وتيمورلنك ، وهولاكو ، ونابليون بونابرت ، وقد ترك معظم هؤلاء القادة التاريخيين بصماتهم على بيروت وغيرها من المدن اللبنانية .

ومن المعالم البارزة فى بيروت (الغربية) مطارها الدولي الذى كان يشهد قبيل نشوب الحرب الأهلية مائة رحلة جوية يومياً ، كانت تنطلق الى القارات الثلاث : آسيا وافريقيا واوروبا ، وكان يعمل فى مطار بيروت ٤١ شركة خطوط دولية للطيران . كما كان فى بيروت ٧٤ بنكاً معتمداً بصورة رسمية ، منها ٣٧ بنكاً اجنبياً لديها فروع او ممثلون عنها ، ومعظم هذه البنوك كانت تعمل انطلاقاً من مراكزها فى بيروت (الغربية) .

كما ان من معالم بيروت البارزة جامعاتها وصحفها ودور النشر المختلفة باللغات الثلاث العربية والانكليزية والفرنسية ، ومراكز الابحاث والدراسات ومعظمها يتمركز فى القطاع الغربي من بيروت ، ويكفي ان نشير فى هذا المجال الى ان ثلاث جامعات من أصل اربع جامعات فى بيروت تقع فى القطاع الغربي وهى : الجامعة الامريكية والجامعة اللبنانية وجامعة بيروت العربية ، أما الجامعة الرابعة وهى الجامعة اليسوعية (او جامعة القديس يوسف) فتقع فى حي الأشرفية بالقطاع الشرقي من المدينة ، وفى بيروت الغربية ايضا مركز الابحاث الفلسطيني ومؤسسة الدراسات الفلسطينية . ومن معالم بيروت الشهيرة ايضا متحفها الذى يقع عند نقطة التقاطع بين شطري المدينة ، وهو يضم تماثيل وآثاراً تعود الى جميع العصور القديمة والوسيطة والحديثة ، ابتداء من الكنعانيين والفينيقيين وانتهاء بالعصر العربي فالعثماني .

وبيروت التى بلغ عدد سكانها قبيل الحرب الأهلية حوالي مليون نسمة تضم الى ذلك عشرات الفنادق والمطاعم واندية اللهو من الدرجة الأولى .

بيروت

القصة الكاملة للمدينة الصامدة من أقدم العصور إلى حصار شارون

وراء دعمها للانعزاليين هو إبقاء الجرح اللبناني مفتوحاً ، ليتسنى لها أن تلعب فيه ساعة تلوح لها فرصة مناسبة ، ولكي تقوم بمحاولة القضاء على المقاومة الفلسطينية وقياداتها ومؤسساتها في بيروت ، والقضاء على بيروت نفسها التي تعتبر مفتاح لبنان الحضاري ، ووجهه العربي المشرق .

وقد ظنت اسرائيل ان هذه الفرصة ، لاحت أمامها فعلا في السادس من حزيران (يونيو) ١٩٨٢ ، متخذة من محاولة اغتيال سفيرها في لبنان على أيدي عناصر فدائية قبل ذلك التاريخ بيومين فقط ، ذريعة لشن هجوم شامل على لبنان .

وبعد احتلالها لمنطقة الجنوب بصعوبة بالغة ، بسبب المقاومة العنيفة التي واجهتها في صور ثم في صيدا ، اندفعت الى الشمال نحو الدامور ، وبعدها نحو ضواحي بيروت في خلده ثم الأوزاعي كما اندفعت إلى منطقة بعبدا والحدث وممر غاليري سمعان كما تقدمت قوات اسرائيلية مدرعة جاءت من ميناء جونيه الذي يسيطر عليه حزب الكتائب الانعزالي وتابعت تقدمها الى بيروت الشرقية وسط ترحيب حار من الانعزاليين ، ووصلت الى بوابتي بيروت الاخريين في منطقة المتحف ثم منطقة المرفأ، وبذلك احكمت الحصار على بيروت الغربية والقوات الفلسطينية ـ اللبنانية ـ السورية المشتركة في المدينة .

وكان أشد أيام الحرب هولا بين القوات المشتركة وقوات العدو الاسرائيلي ، عندما شن الاسرائيليون هجوماً شاملا على بيروت الغربية بتاريخ ١ ـ ٨ ـ ١٩٨٢ ، واشتد هذا الهجوم في يومه الرابع ، لكن اعنف ايامه كان في ١٢ ـ ٨ ـ ١٩٨٢ ، حيث اشتركت القوات الاسرائيلية البريه والجوية والبحرية في هجوم صاعق من جميع الجهات على المدينة المحاصرة ، وقامت أكثر من ٦٠ طائرة اسرائيلية خلاله باكثر من مائتي غارة على مدى احدى عشرة ساعة متواصلة ، وكانت نتائج هذا الهجوم سقوط أكثر من خمسمائة شخص ما بين قتيل وجريح في بيروت الغربية ، اضافة إلى تدمير ستمائة منزل وتصدع اكثر من الف منزل آخر .

لكن الهجوم فشل في تحقيق الهدف الرئيسي منه ، الا وهو اقتحام معاقل القوات الفلسطينية والقوات المشتركة وتدميرها ، وامام هذا الاخفاق والفشل لم يجد العدو الاسرائيلي امامه من سبيل سوى الاذعان للمفاوضات السياسية والحل السياسي لأزمة بيروت .

خلاصة :

لقد صمدت بيروت أخيراً وقاتلت بأسنانها وأظافرها ، ورفضت الاستسلام والخنوع والركوع أمام الأعداء ، وكانت هذه سنة بيروت وشرعتها ومذهبها في الحياة والصراع ، وكانت بيروت العظيمة تؤمن بعد كل هذا أنها إذا كانت يجب ان تموت ، فلتمت واقفة رافعة الرأس ، لكي تتعلم الأجيال الصاعدة من البيروتيين أبداً أن الحياة وقفة عز فقط .

عصام شريح

الميثاق الوطني

يجمع معظم الباحثين في الشؤون اللبنانية ، على أن الحرب الاهلية التي هبت نارها على بيروت في نيسان (ابريل) ١٩٧٥ وانتقلت منها الى جميع ارجاء لبنان ، انما كانت بسبب اختلال التوازن في الحقوق والواجبات بين المسلمين والمسيحيين ، حيث اعتبر المسلمون الميثاق الوطني الذي كان بمثابة « الوثيقة الدستورية » التي حكم لبنان بموجبها منذ عام ١٩٤٣ وحتى انفجار الحرب الاهلية ، لم يعد صالحاً ولا كافياً لتحقيق العدالة والمساواة بين الطوائف سواء على صعيد الحكم والسلطات العليا في البلاد ، او في مجالات الحياة العامة .

ولذلك كنا نرى المسلمين يرفعون شعاراً اساسياً بالنسبة إليهم قبل الحرب الاهلية ، وهو « المشاركة في الحكم » ، حتى ان احد قادة المسلمين السيد ابراهيم قليلات اعلن في الشهر الماضي ان « حركة المرابطين » التي يتزعمها لن تتنازل عن مبدأ المشاركة في الحكم وعن المطالبة بتغيير ميثاق عام ١٩٤٣ ، بحيث يصبح من حق المسلمين ان تكون رئاسة الجمهورية لهم وليس للمسيحيين (الموارنة) كما هو الحال في الميثاق القديم ، لان المسلمين يمثلون اكثرية الشعب اللبناني .

اما الميثاق الوطني نفسه ، فليس له صيغة معينة مكتوبة ، وانما هو عرف جرى الالتزام به ، بحيث يجري توزيع السلطات في الدولة اللبنانية على اساس حصص طائفية ، فللموارنة رئاسة الجمهورية ، وللسنة رئاسة الحكومة ، وللشيعة رئاسة مجلس النواب (البرلمان) ، وللكاثوليك (او الروم) وزارة الخارجية ، وللدروز وزارة الدفاع .

اما فكرة الميثاق الوطني (غير المكتوب) فقد لخصها السيد إميل البستاني في عام ١٩٥٨ بما يلي :

إن المسلمين والمسيحيين قبيل اتفاقهم في عام ١٩٤٣ على الاستقلال عن فرنسا والتعايش المشترك ، قبلوا بما يلي :

يتخلى المسيحيون عن مشاريعهم الانعزالية ، وعن فكرة الحماية الاجنبية ، ويوافقون على التعاون مع الدول العربية ، مقابل تنازل المسلمين (والعروبيين) عن مطالبتهم بضم لبنان او اجزاء منه الى كيان عربي اكبر .. اي ان المسيحيين بتخليهم عن فكرة الحماية الاجنبية ، تبنوا فكرة عروبة لبنان (في حدود لفظية) ، فيما تخلى المسلمون عن فكرة ضم لبنان لكيان عربي او سوري ، وقبلوا بلبنان في حدوده الراهنة وطناً نهائياً لهم .

دوحة الماضي

مختارات من المجلات الأدبية القديمة

● ولاسّاجل عني ●● من فكاهات العهد التركي في بغداد

●●● اللورد لويد والإسلام ●●● الحمد لله على نعمة الإسلام

طال بعدك ولا ساجل عني

أكتوبر ١٩٤٣

بقلم : زكي مبارك

تقدم محطة الاذاعة من يوم إلى يوم ومن ليلة إلى ليلة اشياء تسميها الأغاني الشعبية ، وهى اغان يغلب عليها السخف ، لأنها تحاول دائماً أن تجعل لغة الشعب المصري لغة بعض ابنائه من اهل الصعيد (!؟)

والخطأ ظاهر فى هذه المحاولة ، لأن اللغة العامية للشعب المصري هى لغة أهل القاهرة ، كما أن اللغة العامية للشعب الفرنسى هي لغة أهل باريس .

وقد كان للصعايدة لغة خاصة يوم كانوا لا يتصلون بالعاصمة إلا بعد سفر يطول حتى يخترم أسابيع وأسابيع ، فكيف تكون لهم لغة خاصة بعد أن صارت المسافة بين القاهرة ودمياط إلا بدقائق ، والمسافة هنا وهناك يقطعها القطار فى مدة أقصر مما بين « باريس » و « ليون » ؟ .

سمعت فى مساء اليوم الثالث والعشرين من شهر أيلول « سبتمبر » مغنياً يقول :

« طال بعدك ولا ساجل عني »

و « ساجل » هي « سائل » فهل سمعتم فى أي أرض عربية أن الهمزة تنطق جيماً إلا على السنة الجهلة من أصحاب الاغاني الشعبية فى محطة الاذاعة المصرية ؟ . (١)

إن لغة الخرطوم هي لغة القاهرة بالضبط الصحيح ، فهل ترون الخرطوم أقرب إلى القاهرة من أسيوط ؟ .

اتقوا الله ياجماعة المتحذلقين من أنصار العامية ، فما يقول « ساجل » وهو يريد سائل إلا سخيف بلغ سخفه حد لا يطاق .

« طال بعدك ولا ساجل عني »

ذلك ما هتف به مغن فى محطة الاذاعة ولي عليه شهود ، فماذا يبتغى هذا الظريف ؟ أيزعم أن الصعايدة يجعلون الهمزة جيماً وذلك زعم سخيف ؟

إن لغة المصريين ارتقت رقياً عظيماً ، وصار فى مقدور صغار العوام عندنا أن يفهموا ما تنشره اعظم المجلات الادبية بايسر مجهود .

ولكن محطة الاذاعة لا تفهم هذا القول .

وأين محطة الاذاعة ؟ حدثوني فقد غاب عنوانها عني !

إن جاريت المطرب الذى فرحت به فهي محطة « القذاعة » بالقاف ، ولن التفت إلى « سقالها » إن وجهت إلي « السؤال » !

الاغاني الشعبية فى محطة الاذاعة هي ردة سخيفة إلى عهود لا نحب أن تعود .

إن كانت محطة الاذاعة تريد أن تكون محطة بهلوانية فهي وما تريد ، على شرط أن تصرح بأن اغانيها الشعبية عبث أطفال .

الجد هو دستور الحياة ، ولو كان فى صورة الهزل ، فجدي يامحطة الاذاعة تكوني صوت الحق فى هذه البلاد .

زكي مبارك
أكتوبر ١٩٤٣



هامش :

١ ـ « بعض الصعايدة يقلبون القاف جيماً ، وليس الهمزة »

من فكاهات العهد التركي في بغداد



احمد جسن الزيات

بقلم: أحمد حسن الزيات
يوليو ١٩٣٩

تركية القديمة ـ غفر الله لها ـ كانت فى دول الأرض معنى من معانى الارهاب حروف لفظه السم واليم والسجن والسيف والسوط ! جمعت فى يدها القوية أطراف الشرق والغرب ، ثم ادارت حول تاجها الرهيب هالة من خلافة الرسول فعنت لجلالها الوجوه ، وخشعت لسلطانها الأفئدة ؛ ولكنها لم تستطع أن تثبت ملكها بقوة الروح وبراعة الذهن وعبقرية البيان كما فعل العرب ، فظلت واقفة أمام شعوبها الثائرة عابسة الوجه معقودة العنق منشورة الشارب مشهورة السيف ، فحرمها ذلك الموقف نصيبها من طمانينة السلم ومدنية العلم ونعمة الثقافة . وكان ولاتها على الأمصار الخاضعة يحكمون الناس بهذه العقلية الجهول ، فيظهرون الأبهة وينشرون الرهبة ويحصدون الأموال والأنفس بالضرائب والرشى والمصادرة والقتل . فاذا طالت الولاية واكتظ الوالى ورضى (المابين) وأراد الباشا أن يفكر فى الدين أو فى العلم أوفى الاصلاح دل على فهم بليد وغفلة عجيبة !

كنا ذات يوم نتحدث فى هذا وفيما جره على الأمة العربية من الجهل والذل والفقر ونحن جلوس فى ندوة السيد صبحى الدفترى محافظ بغداد يومئذ ، وهى ندوة تقوم فى داره المضياف ضحى يوم الجمعة من كل اسبوع فيندو اليها الوزراء والزعماء والأدباء والقادة فيكون لكل طائفة منهم حلقة وحديث . ولكن الزهاوى إذا تكلم أصغت إليه الدار وتحلقت عليه الندوة ؛ لأن جميلا كان آية الله فى فكاهة الطبع وظرف المحاضرة وحلاوة الدعابة ورقة العبث . وكان له فى إلقاء النادرة لهجة وإشارة وهيئة لا يبرح سامعها مستطار اللب نشوان المشاعر من غرابة ما يرى وطرافة ما يسمع .

* * *

كان الحديث أول ما بدأ دائراً بينى وبين السيد ناجى الأصيل على أن الحرب وأوزارها استقلت بمواهب الترك فلم تدع لهم كفاية للسياسة والثقافة ؛ وأخذنا نضرب الأمثال على ذلك مما جرى فى العراق ومصر . وكان المرحوم الزهاوى بجانبى ، ولكنه كان مشغول

الاذن بكلمة منافقة فى العقاد والرصافى القيت اليه فى خفوت وخبث . فلما تشربها سمعه واجاز عليها القائل ببسمة وهزة وسيكارة ، اقبل علينا فسمع طرفاً من الحديث نبض له نابضه فقال : هوهوه ! إذا حدثتك مولانا عن حمق الولاة من الترك لا ينتهى الحديث ولا ينقضى العجب !

ثم أرسل نكتته الحاضرة وضحك ضحكته الساخرة فتنبه المجلس الى ان الزهاوى سيتحدث ، فسكت المتكلم وأصغى المستمع وتهيأت النفوس للسرور الشديد والضحك المتصل ، وأخذ الشاعر يقول :

أرسلت الينا الدولة العلية بعد جفاف الريق والمداد من شكوى الجهل والفساد ، والياً يسير بالعراق فى طريق العمارة والعلم ، فقابله البغداديون باحتفال عظيم وفرح شامل . وكان لي يومئذ يد فى ادارة التعليم كما تريده الدولة ، فقال لي الوالى ذات يوم : إنا نريد أن ننشىء مدرسة للبنات فابحثوا عن دار تصلح أن تكون لها مكانا . وكان تعليم البنت فى ذلك العهد املا من آمال المصلحين تتقارع حوله الاقلام بالحجج فى غير طائل . فقلنا إن الرجل رحب الباع فى الاصلاح ، ودللناه على جملة من الدور الكبيرة الصالحة ، فكان كلما دخل داراً قال إن الأبصار تجرح البنات من هنا ، والأسماع تسرق الاصوات من هناك ؛ حتى لم يدع فى بغداد داراً إلا عابها هذا العيب من طريق التوهم أو التخيل ! وظهر من تصرف الرجل ان به بلاهة وغفلة ، فخطر لي أن اتداعب عليه لأكشف حاله للناس فلا يستنيموا الحكمة . فقلت له : افندم ! لم يبق فى البلد كله إلا مكان واحد أرجو أن يقع من هواك موقع الرضى . فقال : امض بنا اليه . فذهبت به الى (منارة سوق الغزل) وصعدنا فوقها ، فلم تكد قدمه تستقر على شرفتها العليا ، وعينه تقع على سطوح بغداد وهى متطامنة تحت المآذنة العالية ، حتى شهق من الفرح وصاح بملء فيه : نعم ! نعم ! هذا هو المكان المناسب !

ثم نزل وفى نيته ان يتخذ الأهبة من المقاعد والأدراج ليفتتح المدرسة ! فقلت له : مولانا ! لابد أن تجمع الناس قبل الافتتاح لتقنعهم بتعلم بناتهم فانهم سيئو الرأى فى ذلك التعليم . ونجاح الأمر موقوف على أن يعتقدوا فيك التقى والورع . وسادلك على اقرب الطرق لتحقيق هذا الاعتقاد :

إذا اجتمع الناس واكتظ بهم الديوان جلست انت فى الصدر ، وجلس عن يمينك وعن يسارك رجال المعارف ؛ ثم تشعل (شبقك) وتامر كلا منهم ان يفعل فعلك ؛ ثم تبتدىء فتذكر الله بصوت موقع على ضربات كفى وانت تميل راسك من الشمال الى اليمين تارة ، ومن الخلف الى الأمام تارة ، وانا والحافون من حولك نتابعك فى كل كلمة وفى كل حركة . ثم حاول ان تاخذك الحال ويستخفك الذكر ؛ فكلما ازبد الفم وارعد الصوت وتشنج الجسم وهاج الدم ، كان ذلك أحمل للناس على أن يعتقدوا فيك الولاية فتقودهم صاغرين الى ما تريد .

وصدق الوالى كل ما قلته له تصديقا لا تتخالجه فيه شبهة . وجاء يوم الجمع واحتشد الأعيان والوجوه يسمعون ملاذا يقول الوالى . وجلس الباشا وانا بجانبه وشيوخ المعارف من حوله ، وامر فاشعلت (الغلايين) الطويلة ، واخذ يذكر ويترنح وانا ارسم له ، والشيوخ يذكرون معه . ثم غمزته بعد حين فتهور و (تطور) وارغى .

وتظاهرت انا بجذبة الوجد وسكرة التجلى فقرعت غليونه بغليونى ، ثم اخذت بلحيته البيضاء وراسه الأصلع ففعل بى مثل ما فعلت به ، واخذنا نتدحرج على البساط ، فمرة اكون فوقه ومرة يكون فوقى ، والشيوخ يعجون بالذكر ، والناس يضجون بالضحك ، وانا والوالى قد ملكتنا حميا الولاية فدخلنا فى صراع عنيف لم يخرجنا منه إلا انقطاع النفس . فجلسنا مسترخيين تلهث من الاعياء وكلانا ينظر الى صاحبه نظر الديك المنتوف الى الديك المهيض . وذلك يا مولانا هو الوالى الذى اختير لتعليم الجاهل وتصحيح المريض !



تحذير غريب من عالم أمريكي

نوفمبر ١٩٣٩

القبلة هى إحدى الطرق الانسانية النفيسة التى ابتدعها الحب ، فما هو تاريخ ظهورها بين بنى الانسان ؟

المعروف عند عامة الناس ان التقبيل نشا مع الشهوة الجنسية وهذا مخالف للحقيقة ، ويحملنا على الاعتقاد بان هذه العادة لم تكن من الغرائز الانسانية الأولى ، ان كثيراً من الامم لا يعرفها على وجه الاطلاق ، وان بعضها ينظر اليها بالمقت والامتعاض .

ومن المحقق ان قبائل الاسكيمو والمورا لا يعرفون التقبيل . وقد مضت قرون عديدة قبل ان تعرف هذه العادة فى الصين واليابان ، أما فى ايامنا الحديثة فالصينيون يعرفون التقبيل ولا يرون باساً من انتشاره بينهم ، ولكن اليابان يحرمونه ويبالغون فى تحريمه ، حتى انهم يحذفون جميع مناظر التقبيل من الافلام الاوربية والامريكية التى تعرض فى بلادهم .

وقد عرضت رسوم رودان فى معرض طوكيو سنة ١٩٤٢ فظهرت جميع رسومه المشهورة ما عدا اللوحة التى تحمل صورة القبلة فقد القى عليها غطاء كثيف . وقد اعترض بعض الزوار الفرنسيين على ذلك فاجابه رئيس البوليس بان مجموعة رودان كان من الواجب ان توضع جميعها تحت غطاء من اجل صورة القبلة فالتقبيل عادة اوربية ممقوتة تمنعها اليابان باى ثمن ، ولولا عظمة رودان وما له من الشهرة بين امم العالم لمنعت جميع رسومه من الدخول الى اليابان لاجل هذه الصورة .

أما تاريخ التقبيل فغير معروف على التحقيق وإن كان لبعض القبلات تاريخها وشهرتها ، ومن القبل المشهورة قبلة «فلورنتين» وتنسب الى «نابليون الاول» ، وقد بيعت قبلة واحدة فى إحدى المناسبات بمبلغ ١٢٠٠٠ جنيه ، وكان ذلك فى البرت هول سنة ١٩١٥ فى حفلة لاعانة الجرحى عرضتها الممثلة المشهورة «مورلوب» عن طريق المزايدة ؛ فلما وصلت المبالغ المعروضة الى ٨٠٠٠ جنيه كف جميع المتنافسين عدا اثنين هما الثرى الكبير هتشنسن ودوق ارسنت البانز ؛ وقد فاز الدوق فى النهاية بهذه القبلة . ومما يذكر فى هذه المناسبة أن الدوق طلب الى الممثلة ان تقبل ابنه البالغ من العمر تسع سنوات بدلا منه ...



وتعد القبلة فى بعض احياء الولايات المتحدة عملا مخالفا للصحة ، وتعريض صحة انسان ما للمرض جريمة يعاقب عليها القانون . اما اغتصاب القبلة من امراة اية كانت فهو عمل يعاقب عليه القانون فى سائر الاحوال .

وإذا كانت القبلة اليوم هى التعبير الجسدى عن الحب ، فقد كانت فى الازمان الخالية نوعاً من التحية فحسب كالتلويح بالمنديل للمسافرين ، وقد ظلت كذلك الى القرن الخامس عشر ، وكان يباح للضيف ان يقبل زوجة مضيفه ، وكل فرد من افراد عائلته .

وكانوا فى روما القديمة يقبلون لاسباب غير التحية والاحترام فقد كان النبيذ محظوراً على النساء تعاطيه ، ومن ثم كانوا يبيحون للرجل ان يقبل المراة إذا كانت له بها اية علاقة ، ليتاكد من انها لا تشرب النبيذ وتخالف القانون

وقد قام احد علماء اميركا فى الايام الاخيرة يحذر العالم من التقبيل ، ويعلن انه ينقص من اجل الانسان ، ولكن احداً من الناس لم يصدقه او يجعل لتحذيره نصيبه من التقدير .

اللورد لويد والإسلام

يوليو ١٩٣٩



اللورد لويد جورج

خطبة في لندن عن التطور الاسلامي

القى اللورد لويد خطبة في اجتماع عقد بلندن في الأسبوع الماضي قال فيها : يجب على الحكومة ، حينما تبحث المسالة الفلسطينية أو مخاوف مسلمي الهند من الاضطرابات التي يثيرها الهندوكيون ، أن تبحثها على ضوء الاعتبارات التي شهدناها في العشر أو الخمس عشرة أو العشرين سنة الماضية والتي تدلنا على أن العالم الاسلامي دخل في مرحلة جديدة بقوته المتزايدة وبكل ما يتضمنه الدين الاسلامي العظيم من قوة ، مضافاً الى التعاليم الحديثة .

وختم اللورد لويد خطبته قائلا : «إن تطوراً جديداً قد طرأ على العالم الاسلامي وهو تطور يجب أن نحسب له حساباً دقيقاً» .

الحمد لله على نعمة الإسلام

أغسطس ١٩٣٩

امتاز الاسلام من بين سائر الديانات بميزة جميلة جداً ، هي رفع الوساطة بين الله والناس ، فلكل مسلم الحق في أن ينظر إلى الله والوجود كيف شاء في حدود المنطق والعقل ، ومن حقه أن يخاطب الله بلا وسيط من الأشياخ أو الأحبار أو الرهبان .

أقول هذا وقد قرأت في «الرسالة» كلمة يقول كاتبها إن من حقي أن أتكلم في الأدب لأني دكتور في الآداب ، وليس من حقي أن أتكلم في الدين لأني لست دكتوراً في الدين .

وهذا الكلام يدل على أن قائله بعيد عن فهم الغرض من الرسالة الاسلامية ، فالرسول عليه الصلاة والسلام بعث لرفع الكلفة بين الناس وبين خالقهم ، بعد أن كانوا يتوهمون أن بينهم وبينه حجاباً لا يرفعه غير الأحبار والرهبان .

ولو اني انتظرت الاذن من رجال الدين لكان من المحتوم أن تضيع الجهود التي بذلتها في الدراسات الاسلامية ، وهي جهود سالقي بها الله وانا مرفوع الراس ، لانه عز شانه لا يضيع أجر المحسنين .

والذين استكثروا أن أتكلم في الدين فاتهم اني صححت أشنع خطأ في تاريخ التشريع الاسلامي حين بينت بالأدلة والبراهين أن كتاب « الأم » لم يؤلفه الشافعي ، وإنما الفه البويطي المصري ، وتصرف فيه الربيع بن سليمان .

وهم كذلك ينسون اني صاحب كتاب « التصوف الاسلامي » وهو كتاب سادخل به الجنة وسادخل معي على حسابه الوفا من الأدباء المحرومين ، كما أوحى الله الى الزيات أن يقول ، وهو رجل صادق الايمان ، ورجاؤه في الله مقبول .

والحق اني أعجب من الذين يصرون على التشكيك في عقيدتي . فلو كانت قلوب هؤلاء عرفت معاني النور لعرفوا أن في مؤلفاتي نفحات هي أنفاس حرار من وهج الايمان الصحيح .

وما يهمني أن أزكي نفسي ، فالله يعلم ما بينه وبيني ، وإنما يهمني أن يقلع بعض الناس عن اغتيابي في السر أو مهاجمتي في العلانية في امور متصلة بالدين فاني اخشى أن يغضب الله عليهم فلا يبوءوا بغير الخسران .

وإني لخليق بأن أرجو لهم المغفرة متمثلا بالقول المنسوب إلى الرسول :

« اللهم اهد قومي ، فانهم لا يعلمون » .

وإلى الله أرفع الرجاء في أن يصيرني من المعفو عنهم ، وأن يجملني بفضله من عباده الصالحين ، وأن يمنحني من العافية كما أملك به الصبر على خدمة الأدب والدين .

زكي مبارك

العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

● التليفزيون ـ الساعة ●

ابتكرت الصناعة اليابانية اصغر جهاز تلفزيون في العالم ، فهو ساعة معصم مزودة بشاشة تلفزيونية ابيض واسود مصنوعة من البللورات السائلة ، ولا تتعدى مساحة شاشة هذا التليفزيون ثلاثة ارباع البوصة فى بوصة واحدة ، ووزن التليفزيون والساعة معا اكثر بقليل عن وزن الساعة التقليدية .

ويقترن تشغيل هذا التليفزيون الساعة بزوج من السماعات الستريو الخفيفة الوزن وتتصل هذه السماعات بجهاز استقبال وزنه سبع أونصات هو وحدة البطارية . وبدون جهاز الاستقبال الصغير يتحول التليفزيون ـ الساعة الى ساعة رقمية لها شاشة مستقلة لعرض التاريخ .

واستخدمت الشركة اليابانية المنتجة لهذا التليفزيون تكنيكا مختلفا عن انبوبة اشعة كاثود التقليدية حيث زودت هذه الساعة بشاشة مسطحة تستهلك كمية اقل من الطاقة صنعت من البللورات السائلة .

كما انها ركبت الشاشة مباشرة فوق رقيقة كومبيوتر صممت خصيصا لهذا التليفزيون بدلا من وضع الدوائر الالكترونية حول الشاشة . وتتحكم هذه الرقيقة الصغيرة فى حوالي ٣٢ الف عنصر من عناصر الصورة على الشاشة فان الصورة واضحة تماما بحيث تتيح للمشاهد قراءة اية كلمات مكتوبة بسهولة ويسر . ومن المتوقع ان يطرح هذا التليفزيون ـ الساعة فى الأسواق مع بداية عام ١٩٨٣ .

● أصغر آلة كاتبة حاسبة ●

يقدم اليابانيون اصغر آلة كاتبة إذ لايزيد وزنها عن خمسة ارطال بحيث يمكن حملها بسهولة فى حقيبة اوراق عادية فان عمقها ثمان بوصات وارتفاعها بوصتان وبالتالي فهي تستحق لقب ارق آلة كاتبة .

إلا أن حجمها الصغير ليس ميزتها الوحيدة فهي ليست آلة كاتبة عادية ، فهي تضم ذاكرة اليكترونية تتسع لستة عشر حرفا . كما انها مزودة بشاشة رقمية صغيرة . وهي تستطيع القيام بالعمليات الحسابية البسيطة كالجمع والطرح والضرب والقسمة مثلها مثل اية آلة حاسبة

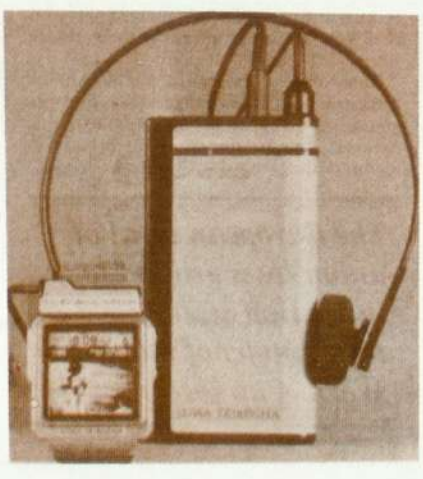
وتستخدم هذه الآلة الكاتبة الحاسبة شريط كربون صغير ليتناسب مع حجمها ولكنها تستطيع الطبع بدونه كطباعة حرارية ، كما انها تتميز بصوت خافت فهي لا تسبب الضجيج الذى تحدثه الآلات الكاتبة عادة فهى اقرب لأن تكون صامتة .

وهي اول آلة كاتبة بهذا الحجم تعمل بالكهرباء إذ يكفي لتشغيلها اربع بطاريات كما يمكن توصيلها بالتيار العادى .

● فانوس سحرى مزدوج العدسات ●

كلنا نعرف الفانوس السحرى العادى فهو من اوائل الأجهزة المرئية ، ولكن هذا الفانوس السحري مزود بمجموعة بصرية مزودجة بحيث يستطيع عرض الشرائح الفوتوغرافية بطريقة المزج اي باحلال صورة محل اخرى تدريجيا كما يمكنه عرض الشرائح بشكل مجسم او بشكل بانورامي مزدوج العرض .

وبالاضافة إلى ذلك فهو مزود بنظام ذاتى لتوزيع واسترجاع الشرائح . إذ يتم ترتيبها تبعا لترتيب عرضها على الشاشة وهي الطريقة المتبعة فى الفانوس السحري الاحادي العدسة ، إلا ان هذا النظام المبتكر يضم اربعة ممرات متوازية لوضع الشرائح ومتعامدة على محوري المجموعتين البصريتين التى تمر خلالها الشرائح كل اثنتين معا . وهذه الممرات مزودة باداة توجيه لضبط حركة مرور





الشرائح التى تم عرضها وتقودها الى ممرات الرجوع وبالتالي تعود إلى نفس الخانات التى خرجت منها .

أما عملية المزج فيتم تحقيقها بواسطة ملف مقاومة مزدوج متصل بجهاز اليكتروني

● الجيتار الضوئي ●

تؤثر الاختراعات والاكتشافات العلمية على الفنون بوجه عام وعلى الموسيقى بوجه خاص . فلقد أوجـــدت الدوائر الالكترونية المتطورة جيلا جديداً من الآلات الموسيقية الالكترونية ابتداء من الجيتار الى الاورج .

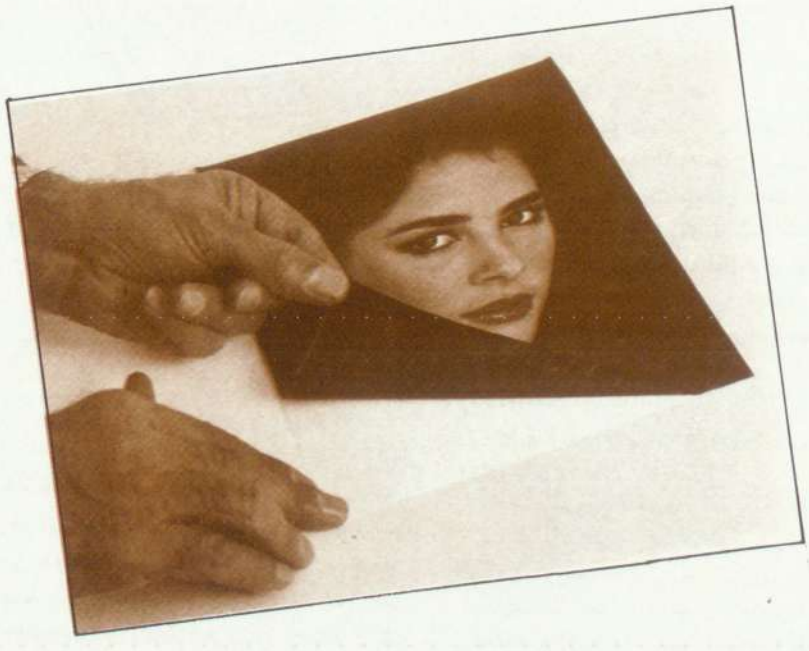
كما أصبح الكمبيوتر من الأجهـــزة الضرورية فى التسجيلات والتوزيـــع الاوركسترالى بل ان الكمبيوتر أصبح فى امكانه التلحين .

والآن وبعد انتشار استخدام الالياف الضوئية فى مجال الاتصالات اللاسلكية والاجهزة العسكرية المتطورة جاء دور الموسيقى لتستفيد من هذا الاكتشاف . وبالفعل تم تصميم جيتار اوتاره من الالياف الضوئية .

وتؤكد التجارب التى اجريت عليه ان اوتار الجيتار المبتكرة والتى تعتمد على انتقال النبضات الضوئية أكثر حساسية للترددات العالية والمنخفضة على حـــد سواء كما انها أقل تاثراً باى مجال كهربى خارجى عن الاوتار المعدنية التقليدية .

ويفضل استخدام كابل من الالياف الضوئية ايضاً لتوصيل الجيتار بجهاز تكبير الموجات المرتبط به وبمجموعة مكبرات الصوت لانها تنقل الاشارات بدرجة عالية من النقاء ولمسافات أطول من العادية . وإذا زود نظام تكبير الموجات بمجموعة من الفلاتر الالكترونية يستطيع هذا الجتيار الضوئى تقليد صوت آلات موسيقية أخرى .

ومن المتنظر ان تحل الألياف الضوئيـة مع نهاية العام الحالى محل النظـــام الكهرومغناطيس المستخدم فى الجيتار الكهربى حالياً .



● صور تتشكل كما تريد ●

قد يصعب اســـتخدام الصـــور الفوتوغرافية فى الديكور والزينة نظراً لسمك الورق الابيض الذى يمثل دعامة للفيلم الحساس وسهولة تلفه . الا ان احدى الشركات الفرنسية انتجت ورق طبع للصور الملونة يمكن نزعه بعد انتهاء عملية التحميض فالطبقة الحساسة للفيلم صبت فوق طبقه رقيقة جداً من البلاستيك المرن بحيث لا يلتصق هذا الغشاء البلاستيك بورق الطبع الا ســـطحياً وبحيث يمكن فصلهما بسهولة بالبدء من ركن الورقة كما يظهر فى الصورة .

ويمكن لصق هذا الغشاء البلاستكى الذى تستند اليه الصورة بعد ذلك على دعامة من الخشب أو الحجر أو المعدن والعديد من المواد الاخرى . وبما ان الغشاء رقيق ومرن فهو يتشكل بشكل السطح الذى يلصق عليه .

ولكن معالجة الصورة الفوتوغرافية تتم بالطرق التقليدية كما يصلح هذا الورق لعمليات التكبير .

● حقيبة ضد اللصوص ●

اطلق السويديون على حقيبة أوراق صممت خصيصاً لحفظ الأوراق والوثائق الهامة اسم الاخطبوط . حيث انها تنثر على محتوياتها الثمينة نوعاً من الحبر الخاص اذا ما حاول أحد فتح هذه الحقيبة قسراً .

وهى لا تحتاج لاى حماية خاصة من حاملها اذ يكفى اغلاقها وإذا ما حدثت أى محاولة لتعطيل اجهزة الرصد المزودة بها فان ذلك يكفى لتشغيل رشاشة الحبر . اما اذا حاول اللص تعطيل نظام الامان الالكترونى المبيت داخلها بتعريض الحقيبة للحرارة أو البرودة فان البطارية الموجودة داخلها سوف تحتفظ بكمية كافية من الطاقة لنثر الحبر .

ولكن الحبر لا يتلف المستندات وانما يحدث علامة فى النقود بحيث لا يستطيع اللص تصريفها .

دليل القارئ الذكي



● **لم أكن نائماً ... لكنه الواقع والحلم**
ديوان محمد الظاهر
نشر دار الكلمة للنشر ببيروت

منذ بداية الستينات ، والشعر الفلسطيني في الأردن ، يرسم في دأب متواصل ، خطوط هويته الحاضرة الخاصة في خريطة الشعر الفلسطيني ، داخل وخارج الأرض المحتلة ، هذه الملامح التي عجلت ظلال نكسة حزيران ١٩٦٧ ، في تفجيرها ، وطرحها بحدة بالغة القسوة .

محمد الظاهر ، صوت شعري شاب ، تفتح وعيه ، أوان انتفاضة شعبه ، معمداً بالفعل وبالحلم ، ولكنه حين أفاق ذات يوم وجد نفسه في الساحة وحيداً ، فاخذ يغني وانزوى بعض سنوات ليكتب .

قصائد الديوان ، تشيع جواً من البساطة القريبة الى النفس ، وإن قراءة سريعة لها ، تضع المرء على سر هذه الينابيع ، ألا وهو : بساطتها المحببة ، وايحائيتها الهادفة في مفرداتها وتراكيبها . يقول :

لا تتركوا الوقت يذبل في صدرنا
ولا تزعجوا سرنا بالهتاف
انتموا للضفاف
من الماء للماء هذا دمي
فاسجدوا .. واشهدوا

شعر محمد الظاهر في هذه المجموعة ، يحمل الكثير من صدى خصوصية التجربة الفلسطينية ، وتشكيلها كهم أساسي في حياة الشاعر ، وتتجلى هذه الخصوصية في أرقى اشكالها ، في عودة هذا الشعر إلى موروثه الشعبي ، لأن كل نهضة قومية ، لابد أن تعود الى موروثها الشعبي ، تستبقي منه وتستلهم روحه ، في إضاءة جوانب الواقع المظلمة ، من العذاب والفجائية التي لونت حياة الشعب الفلسطيني ، وانعكس ذلك على الشعر .

رغم نثار الدم الذي يلون أبيات قصائد هذا الديوان ، فان للشاعر مطلباً واحداً ، هو : توحيد جسمه بهذا الدم الذي يعبر عن أفقه ، ليعود يسحب على وتره هذا الهدوء الجياش في جوهره فيقول :

دعيني أوحد أجزاء جسمي بهذا الدم العابر الآن أفقي
دعيني أجدد عشقي
فمن غيرك الآن يعطي لحنجرتي صوتها وأوردتي دمها
وخارطتي حجمها
ويعيد التوازن للأرض كي تستفيق لتكمل دورتها !

قصائد هذا الديوان محاولة لرسم الواقع وتجاوزه . انها احتجاج ضد هذا الواقع ، وصراخ داخلي ، وايذان بالولادة الآتية ، فهو يقول :

يا وطني
يا وطن القلة
من يلتفون بثوبك .. يرتدون عليك
تجار في الليل
وزوار في الفجر
وانا في الفجر
وانا اتفيأ برد الزمن
واعلن أن اللعب على الأوطان مذلة
واعلن ان الزمن الماضي مهزوم
والزمن الحاضر مهزوم
وشهود العصر الآتي أتون

●●●

● **الخط العربي**
تاليف محمد ظاهر الكردي
نشر الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ١٩٨٢

قضية الخط العربي . ودراسة تاريخه ، تشير الى انه كائن يتصف بالحيوية والنمو وانه مر بتطورات ، حتى اكتسب شكله الحالي ، وأن جذوره موغله في الكيان العربي الثقافي ، وتتمثل هذه الحيوية والمرونة في اشكاله المختلفة ، التي تلائم الأغراض الثقافية والفنية .

أولى العرب الخط عناية خاصة ، تتمثل في بحث أصوله وبدايته ، وفي تجويده والتفنن في رسمه ، وأفرغوا الكثير من قابلياتهم الفنية في تزيينه ، فلم يعد مجرد اداة للكتابة بل ايضاً وسيلة للنقش والتزيين ، كما صارت الكتابات في المساجد وعلى الأبنية من أبرز مظاهر الفن الاسلامي .

للخط العربي صلة وثيقة باللغة العربية من حيث اشكاله وتطوره ، كما أنه وثيق الصلة بالتطور الثقافي عامة ، ومن هنا كان الخط العربي جزءاً مهماً من التراث الحي للأمة العربية .

ولعمري فان هذا ما حدى الأستاذ العلامة محمد ظاهر الكردي بتاليف كتابه هذا « تاريخ الخط العربي وآدابه » وهو كتاب تاريخي ، اجتماعي ، أدبي . مزين بالصور الخطية ، والرسوم الفوتوغرافية ، ويقول في مقدمة الكتاب :

« لما كان الخط من أوائل وسائل التقدم والعمران ، وشرف منزلته بين جميع الأمم لا يحتاج الى برهان ، حتى عده من أدق الفنون الجميلة ، وأحسن الاشكال الهندسية الجليلة ، أحببت أن أضع كتاباً تتصدى فيه لتاريخه ، وذكر تراجم من اشتهر من الخطاطين السابقين والمعاصرين وما أبرزته أناملهم من التحف والنوادر الفريدة ، وما يوجد من الآثار الخطية قبل الاسلام وبعده ، إلى غير ذلك من المباحث القيمة » .

يقع هذا الكتاب في ٥٥٢ صفحة ، ولم يتم تقسيمه الى أبواب أو فصول ، بل الى مواضيع ، وله فهرست مفصل ، يوصل الباحث الى الموضوع الذي يريده .

أما مواضيع الكتاب ، فهي جامعة وموسوعية ، بعيده عن التكلف والتعقيد ، ولم يسبق أن وضع كتاب للخط العربي بهذا القدر ، من المعلومات والبحوث ، وتجميله بصور مشاهير الخطاطين ، ومما زاد في قيمته ، اشتماله على كثير من صور الآثار الخطية ، ورسوم الكتابات القديمة ، واشكال وانواع الخطوط في عصرنا هذا ، وصور الخطاطين المشهورين .

إلى الكتب الجديدة ..

عرض وتقديم :
حسني شحادة

● التسرب فى التعليم الابتدائى فى دولة قطر
تأليف ابراهيم علي هاشم الساده
طبع عام ١٩٨٢

اصبح التعليم من اهم الاستراتيجيات القومية الكبرى فى حياة الشعوب المتقدمة والنامية على السواء ، لما له من اهمية فى الدور الذى يلعبه فى إحداث التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، لتحقيق الاهداف التى تنشدها الامة .

إن مستقبل العملية التربوية ، مرهون بالفكر الابداعى للمثقفين وما هذا الكتاب الذى اعرضه ، إلا انموذجا جيداً لمعالجة مشكلة خطيرة تعانى منها اغلب نظم التعليم فى الدول النامية ، وتعمل على التغلب عليها ، الا وهى مشكلة تسرب التلاميذ ، التى تشكل العامل الاكبر فى إعاقة جهود هذه الدول لحل مشكلة الامية .

ومما يزيد هذا البحث اهمية ، ان المؤلف رجل واكب العملية التربوية فى جميع مراحلها ابتدائية واعدادية وثانوية ، تعليماً وتنظيماً وادارة ، فكان هذا الجهد ، جهداً ميدانياً فى الدرجة الاولى ، حيث وضع يده على الحقائق التى قلما يظفر بها المنظرون من ابراجهم العالية فجاء تعليق الأستاذ الدكتور محمد سيف الدين فهمى ، عميد كلية التربية بجامعة الازهر ، والمشرف على هذا البحث ، ترجمة حقيقية لجهد المؤلف ومدى تحقيق هدفه ، فيقول :

«تعتبر هذه الدراسة من الدراسات الرائدة فى هذا المجال ، وقد استطاع ـ المؤلف ـ بما توفر لديه من بيانات واحصاءات ، ومن خلال عمل ميدانى قام به لجمع بيانات لم يتوفر نشرها من قبل ان يقدم دراسة جادة لهذه المشكلة ، ارجو ان يستفاد بها فى تلمس سبل علاجها فى دولة قطر الشقيقة وفى مختلف الدول التى تتشابه ظروفها مع ظروف دولة قطر» .

يقع الكتاب فى حوالى مائتى صفحة ، ويتضمن ستة فصول ، ذكر فى الفصل الاول اهم الدراسات حول ظاهرة التسرب فى



دولة قطر وفى دول الخليج العربية ، وفى الدول العربية عامة .

وفى الفصل الثانى القى المؤلف الضوء على تنظيم التعليم وإدارته فى دولة قطر ، مبتدئا بنبذة تاريخية عن تطور التعليم ، والسلم التعليمى والتنظيم الادارى ، وتمويل التعليم فى قطر .

اما واقع التعليم الابتدائى فى قطر ، وتطوره الكمي والكيفي فقد عالجه المؤلف فى الفصل الثالث .

وفى الفصل الرابع عالج المؤلف حجم التسرب فى المرحلة الابتدائية فى دولة قطر والعوامل المؤثرة فيه ، سواء كانت اقتصادية او اجتماعية او ثقافية وتربوية .

الدراسة الميدانية لظاهرة التسرب هى الفصل الخامس من الكتاب حيث حدد اهداف الدراسة ، ومراحل اعداد اهداف الدراسة ، ومراحل اعداد الاستبيانات ووصف ادوات الدراسة المستخدمة ، وعينة الدراسة ، ونتائجها .

وقد خلص المؤلف فى الباب السادس ، الى النتائج التى توصل اليها من هذا البحث ، وصاغها فى مقترحات لعلاج ظاهرة التسرب فى المرحلة الابتدائية ، وهى مقترحات المديرين والمديرات ومقترحات المؤلف .

لقد دعم المؤلف «ابراهيم علي هاشم الساده» هذه الدراسة بالجداول والاحصائيات التى بلغت اثنين وخمسين جدولا ، وبالمراجع من كتب وتقارير ودوريات عربية واجنبية بلغت نيفا وستين مرجعاً .

إن هذا المؤلف جدير بالدراسة والاهتمام لان المشكلة التى يعالجها مشكلة على قدر كبير من الاهمية بالنسبة للتنمية القومية ، والمؤلف لازال يعمل بجهد دائب ونشاط كبير ، فقد سجل هذا العام ١٩٨٢ رسالة لنيل درجة الدكتوراه فى الادارة والتخطيط التربوى من كلية التربية بجامعة الازهر .

وإننى إذ ارجو له التوفيق الدائم ، اتمنى ان يحذو الباحثون التربويون هذا النهج ، لتحقق العملية التربوية اهدافها الكبرى ، ومراميها العظيمة فى خدمة الامة والمجتمع الانسانى .

●●●

● الطريق الى بلحارث
تأليف جمال ناجي
نشر مطابع الدستور التجارية بعمان

هذه رواية أردنية جديدة ، لأديب جديد هو جمال ناجي ومع طراوتها فانها غرسة متطاولة ، يلفت الانتباه ، باخضرارهـا المعافي ، وقوامها المنسق .

العمود الفقرى لهذه الرواية المتميزة هو السفر . السفر فى الأرض والتجربة ، وكل مسافر فيها ، تتقاطع طريقه مع طرق الآخرين ، ولا يسير اثنان فى درب واحده .

كل هذا يجرى فى بلدة « بلحارث » ، تتسلق الجبل ، كانها تسافر نحو قمته ، او تضعف لتستحم فى مياه البحر الاحمر ، او تضيع فيه ، وبين المسافتين ، يلهث الناس فيها مسافرين فى كل اتجاه .

وجميع المسافرين فى هـذه الرواية يدفعون الثمن او يقبضونه حسب تعاملهم مع « ظفره » ، او قربهم منها ، او بعدهم عنها ، اما الذين تعبوا ، وتاكدوا ان الهدف لا يستحق كل هذا العناء ، فقد تراجعوا بكثير من الخسارات.

وتبقى هذه الرواية إضافة نوعيـة جديدة للرواية العربية فى الأردن .

سينما

بقلم: رؤوف توفيق



« ايميه » المحقق التليفزيوني اثناء زيارة الوفد للمستشفى .. إنه يتخفى فى صورة مريض حتى يحصل على السبق !

في مهرجان كان

إنهم يضحكون مع هذا الفيلم "مستشفى بريطانيا"

رؤية شديدة السخرية لعالم ملىء بالغباء والجنون

« الحياة .. نوع من الكوميديا ، لهؤلاء الذين يفكرون .. ونوع من المأساة ، لهؤلاء الذين يتعاملون بالمشاعر » .

أنها كلمات أوسكار وايلد .. وهى تحدد نوع الكوميديا فى فيلمى (مستشفى بريطانيا) .

« فالتصرفات المنافية للعقل ، لانسان هذه الأيام ، ونحن نتحرك للقرن الواحد والعشرين .. هى منتهى التناقض .. ومنتهى الخطورة .. لاتسمح لنا برفاهية العواطف أو الدموع .. ولكن عندما ننظر للانسانية بمنطق ـ وبلا غفران ـ نأمل أن نحاول الانقاذ .. ومن يضحك قد يساهم فى هذا » !



الطبيب الجراح داخل المصعد ، ومعه مساعدته .. وفى الخلف اثنان من عمال النظافة ، احدهما المحقق التليفزيوني المتنكر .



الطبيب الجراح يرفع يديه محاولا اقناع المتظاهرين على باب المستشفى .

هكذا لخص المخرج الانجليزى الشهير « ليندساى اندرسون » فلسفته لآخر فيلم اخرجه بعنوان (مستشفى بريطانيا) .

والفيلم ـ بالفعل ـ يدعوك للضحك فى كل مشهد منه .. ولا تكف عن الضحك حتى بعد نهاية الفيلم .. إنه الضحك الـــذى يدفعك للتفكير والتأمل .. وكأنما هـــذا المخرج الانجليزى الساخر يريد أن يؤكد لك وجهة نظره .. إن افضل طريقة لمواجهة أحداث العالم المتضاربة ، العنيفة .. أن تضحك لها وعليها ..

وفيلم (مستشفى بريطانيا) .. عرض فى مهرجان كان السينمائى الأخير ، ممثلا لمخرجه الانجليزى ، وممثلا لانجلترا !!

والمثير تماماً أن الفيلم يسخر تماماً من الوضع الحالى لانجلترا .. وسهام السخرية تصيب العائلة الملكية .. كما تصيب الطبقة العاملة ونقابات العمال .. والاضرابات المتكررة .. والمظاهرات .. وتمتد السخرية الى أكثر ما تشتهر به انجلترا فى نظام العلاج والمستشفيات .. ويتوقف المخرج طويلا ليضحك من الأطباء والمرضى والممرضين .. وكأنما أراد أن يقدم الجانب الآخر من هذه الصور اللامعة !

وقد وصف كثير من النقاد الذين شاهدوا الفيلم فى مهرجان كان .. بأنه « ملحمة هجاء » .

ومع ذلك .. فالفيلم إنجليزى .. ويمثـل انجلترا فى المهرجان .. ومعنى هذا أن أحدا لم يعترض على عرضه بحجة انه



يسيء الى سمعة البلد .. هذه الحجة التقليدية العاجزة التى تلجأ اليها كثيراً أجهزة الرقابة الحكومية فى الدول المتخلفة

هل هذا نوع من الديموقراطية ؟ أم نوع من الحضارة ؟

مهما كان الأمر .. إلا انه شيء يدعو للدهشة والحسرة .. خصوصاً من أمثالنا الذين يعانون من تسلط أجهزة الرقابة فى بلادهم !

سطور الجريدة

وموضوع الفيلم كما يقول مخرجه «ليندساى اندرسون» ماخوذ عن حادثة حقيقية نشرت فى جريدة « ديلى ميرور » الانجليزية عندما أضرب طاقم الأطباء والممرضين عن العمل فى واحدة من اكبر مستشفيات انجلترا ، احتجاجاً على اقسام العلاج بأجر ، وهؤلاء المرضى « المخصوصين » والذين يحصلون على ميزات لاتتاح للمرضى بالمجان ..

وقع هذا الاضراب منذ خمس سنوات فى مستشفى « شيرنج كروس » بلندن .. وطالب موظفو المستشفى بطرد هؤلاء المرضى « المخصوصين » .

وظلت هذه الحادثة عالقة بذهن المخرج .. يطورها وينميها بخياله الخصب الساخر .. ويقول :

« لقد كانت هذه الحادثة تحمل عناصر الكوميديا والمأساة .. ككل الحوادث والمواقف والمشاكل التى نتعرض لها فى حياتنا اليومية .. ومن هنا فكرت أن أصنع فيلماً .. ليس فيلماً عن مستشفى .. بل تلعب المستشفى فيه دوراً رمزياً .. قد تكون بريطانيا أو العالم كله .. ومن هنا تبلورت الفكرة .. وأصبح (مستشفى بريطانيا) فيلماً عن بريطانيا ـ اذا اردت ان تصفه ـ ولكن أيضاً عن كل الغباء والجنون فى عالمنا » !!

هذا النهار الطويل

واحداث الفيلم كلها تدور فى نهار ذلك اليوم .. الذى تحتفل فيه هذه المستشفى الضخم بمرور خمسمائة عام على انشائها .. وايضاً افتتاح القسم الجديد لعلم الجراحة المتقدمة حيث سيقدم هذا الطبيب العالم تجربته المثيرة التى ظل يعمل لها فى صمت وسرية شديدة .. وهذه التجربة العلمية تتلخص فى صنع انسان من تجميع اعضاء بشرية مختلفة واعادة زراعتها ولصقها (!!) .

وتكريماً لهذه المناسبة .. قررت الملكة الأم فى بريطانيا .. أن تحضر مع بعض افراد الأسرة الملكية الى المستشفى !

ويبدأ الفيلم .. ودقات ساعة «بيج بن» تعلن السادسة صباحاً .. والفناء الخارجى للمستشفى يموج بمظاهرة من عمال وموظفى المستشفى يحملون اللافتات المكتوب عليها « لا .. للمرضى المخصوصين » .. « لا .. للعلاج المخصوص » ..

موظفو المستشفى يقيمون المتاريس ويقفون على الباب الخارجى للمستشفى يمنعون دخول أى فرد .. وسيارة اسعاف مسرعة تطلق سارينتها المميزة .. وتحاول أن تخترق الحصار لتدخل الى المستشفى .. ولكن العمال يمنعونها من الدخول .. وسائق سيارة الاسعاف يتناقش معهم .. ويفتح باب السيارة .. لنرى انساناً عجوزاً يصارع الموت .. ويبدو من ملابسه انه انسان فقير .. فيقرر العمال السماح لسيارة الاسعاف بالدخول ويتحرك الممرضون داخل السيارة بحمل العجوز على نقالة الى قسم الاستقبال بالمستشفى .. لنرى الأطباء مندمجين فى لعب الكوتشينة .. ولاأحد منهم يحاول النظر للمريض .. او حتى السؤال عنه .. ويتخلص ممرضو عربة الاسعاف من هذه المهمة ، بالقاء المريض على نقالة أخرى والخروج بنقالتهم .. والمريض يتأوه ويئن فى الم شديد .. وممرضة تشعل سيجارتها فى لا مبالاة وهى تردد أن ميعاد عملها لم يبدأ بعد .. وينظر الأطباء الى ساعتهم .. وينصرفون .. بينما المريض وحده ملقى فى ردهة قسم الاستقبال .. يصارع الموت .. ينظر حوله .. فلا يجد احداً .. فيلفظ انفاسه الأخيرة .. ويموت !!

خلال هذه الدقائق السريعة الساخنة .. يحدد المخرج أسلوبه السينمائى الساخر ، ممهداً لشخصيات موضوعه ، والذين اختارهم بعناية شديدة ، أشبه ما تكون بشخصيات رسوم الكاريكاتير ..

الطبيب والمغامرة

أول شخصية .. هو ذلك الطبيب الجراح العالم الذى سيقدم مفاجاته العلمية بصنع انسان جديد (!!) انه رجل واثق جداً من نفسه .. يتحرك بخيلاء شديد .. خليط من الجنون والمعرفة .. (يلعب الدور الممثل الانجليزى جراهام كرودن وهو أحد نجوم مسرح الأولد فيل وله رصيد كبير فى التليفزيون الانجليزى) .

انه يقتحم حصار المستشفى بسيارته الصغيرة .. غير مبال بطابور المضربين ولا نداءاتهم .. حتى انه يكاد يدهسهم تحت عجلات سيارته المسرعة .. ودون ان يكلف نفسه بالنظر إليهم أو السؤال عما يحدث .. يركن سيارته فى مكان الانتظار كما أعتاد .. ويسرع الى داخل المستشفى .. ليستقل المصعد الى القسم الخاص به ، ترافقه سكرتيرته التى تتحرك آلياً خلفه تنفذ له كل تعليماته .

يشاركه المصعد ، اثنان من عمال النظافة .. ينظر لهما بتأفف شديد .. واحداً منهما ليس عامل نظافة بحق وحقيقى .. انما هو المحقق التليفزيونى الذى أراد ان يحقق سبقاً تليفزيونياً فاختار ان يتنكر فى هذا الزى .. وقد أخفى داخل ثيابه كاميرا فيديو صغيرة الحجم تتصل اليكترونياً بعربة التليفزيون الرئيسية التى تقف مختبئة فى شارع جانبى .. !

داخل عربة التليفزيون .. اثنان من الفنيين .. شابان يبدآن عملهما بالاقراص المخدرة وزجاجات البيرة .. ويتسليان بمتابعة برامج التليفزيون العادية من خلال جهاز تليفزيون خاص بهما ، ثبتاه فى مؤخرة العربة .. وأعطيا ظهريهما لجهاز الفيديو المتصل بزميلهما المحقق الذى يخوض مغامرة داخل المستشفى (يلعب دور المحقق التليفزيونى الممثل الانجليزى « مالكولم ماكدويل ») .

انه يحاول ان يتتبع الطبيب الجراح واللمسات الأخيرة التى يقوم بها لتصنيع الانسان الجديد ..

يتسلل المحقق التليفزيونى خلف النوافذ مصوباً كاميرته وينتقل الى داخل معمل الطبيب مستغلا علاقته الخاصة بالممرضة المساعدة للطبيب والتى تنقذه من محاولة اكتشاف أمره .. فتضعه على نقالة وتغير ملابسه ليبدو كأحد المرضى .. ثم يتفتق ذهنها على ان تخبئه داخل الثلاجة الزجاجية التى يحتفظ بداخلها الطبيب بأعضاء بشرية مقطوعة ومصنفة حسب نوعيتها !!

انه جو شديد الغرابة .. والجنون !!

المرضى الخصوصيون

خارج المستشفى .. فى احياء لندن هناك مجموعات أرهابية ـ غير معروفة انتماءتها ـ تفجر القنابل .. وصفارات البوليس تدوى .. ومطاردات ومصادمات عنف ..

والتليفزيون ينقل هذه الأحداث فى نشراته الاخبارية الصباحية .

وداخل المستشفى .. الموظفون والعمال يحاصرون ابواب المستشفى .. والاضراب يتحدد معالمه أكثر داخل قسم المطبخ الذى رفض تقديم وجبة الأفطار المعتادة لمرضى



بروفة لاستقبال الوفد الرسمي والاطمئنان على قواعد الاتيكيت .. إنها لقطة من الفيلم ! .

القسم المخصوص ..

وتتحرك الكاميرا لتستعرض نماذج المرضى بالقسم المخصوص .. انها أجنحة غاية فى الفخامة وليست غرف مستشفى ! الاثاث الفاخر والديكورات التى راعت كل ما يحتاجه النزلاء من رفاهية حتى زجاجات الشمبانيا والسرائر الوثيرة المبطنة من كل جانب والستائر المشغولة ومعدات المائدة الفضية .

ونزلاء هذا القسم يبدو عليهم الثراء الواضح .. ليسوا مرضى بالمعنى المعروف .. ولكن كأنهم فى خلوة استجمام .

جنرال أفريقى مطرود !

وفى أحد الأجنحة نتعرف على هذا الجنرال الافريقى ، المطرود من بلاده بتهمة الديكتاتورية .. انه هنا بحجة العلاج .. ولكنه فى أتم صحة يحيطه بعض حرسه الخاص .. وفى الغرفة الملحقة بجناحه تقيم زوجته ـ أو احدى زوجاته ـ مع عدد كبير من اطفالهما .. يجلسون على الأرض فى شبه دائرة .. وحبل الغسيل منشور داخل الغرفة وعليه ملابس مبتلة !!

منتهى التهكم والجراة . !!

فعلاقة انجلترا بحلفائها تشوبها الحساسية الشديدة .. ولكن فى هذا الفيلم يسخرون بوضوح من هؤلاء الجنرالات والسياسيين المطرودين من بلادهم والذين تحتضنهم انجلترا تحت مسميات مختلفة .. منها العلاج !!

ويسخرون أكثر من هؤلاء الجنرالات والسياسيين من ناحية تخلف بلادهم وبدائية وهمجية تصرفاتهم وعاداتهم !!

اضراب المطبخ

وتجرى مفاوضات بين ادارة المستشفى ، وقسم المطبخ لاعداد الطعام لمرضى القسم المخصوص .. ولكن العاملين فى المطبخ اغلقوا معدات القسم وامسكوا بالمعالق والشوك والسكاكين يدقون بها على الأوانى فى ايقاع منتظم . ومنهم من وقف فوق المناضد والدواليب يضبطون الايقاع بالغناء . يرفضون العمل مالم تتحقق مطالبهم بزيادة رواتبهم وطرد المقيمين فى القسم المخصوص ..

وتضطر ادارة المستشفى الى تقديم حبة برتقال الى كل مريض بالمستشفى بديلا عن وجبة الطعام ..

وتوزع اطباق البرتقال بين مرضى المجان ومرضى القسم المخصوص .. الفرق الوحيد ان مرضى المجان داخل عنابرهم ، ومنهم من تسيل دماؤه ولا أحد يعالجه .. أما مرضى القسم المخصوص فهم داخل اجنحتهم الفاخرة ، وحبة البرتقال تقدم لهم على صوان من الفضة يحملها جرسونات يرتدون القفازات البيضاء وينحنون فى أدب بالغ !!

وتستعد ادارة المستشفى لمواجهة استمرار اضراب المطبخ ، بالاتصال باحد المطاعم الفاخرة فى لندن لاعداد وجبات ساخنة للمرضى .. وتاتى عربة المطعم محملة بالوجبات المطلوبة .. ولكن عمال المستشفى يرفضون تفريغ العربة .. ويصرون على تنفيذ اضرابهم بالكامل ولا يقبلون أى محاولات لأفساد تضامنهم .. ويهتف أحد العمال بموقف العامل الانجليزى ، فتنبهه احدى العاملات ان المراة العاملة لها نفس الموقف .. فيصحح العامل هتافه تحية للعامل والعاملة الانجليزية ! .

ويتفتق ذهن أحد رجال الادارة فى المستشفى على كسب ود ممثلى نقابة العمال من أفراد قسم المطبخ بأن يهمس لهم بأنه سيدرج أسماءهم فى كشف المستقبلين للأسرة الملكية التى ستزور المستشفى .. وهنا تلمع وجوه ممثلى نقابة العمال ويقررون من شدة السعادة القيام باقناع زملائهم بتاجيل الاضراب !!

وهكذا يقدم الفيلم نهاية الأغنية الحماسية التى يشترك فيها العمال !

وعصير المخ فى أكواب

والمحقق التليفزيونى المتنكر يسجل من مخبئه العمليات الجراحية التى يجريها هذا الطبيب الجراح فى محاولة لصنع انسان جديد .. نرى الجراح وهو يمسك بخرطوم الاوكسجين الذى يغذى احد مرضى القسم المجان ، ويخلعه بقسوة ، فيموت المريض ويأتى الجراح بمنشار كبير ليمزق جسد المريض ويختار منه ما يحتاجه من اعضاء بشرية !!

ثم نراه ـ هذا الطبيب الجراح ـ وهو يشرح لبعثة التليفزيون الرسمية من تليفزيون (ب . ب . س) كيف يصنع انسانه الجديد .. يتكلم بثقة شديدة .. ويختار البوزات المناسبة للتصوير .. وبالطبع لا احد يناقشه ولا يقاطعه .. ثم يمسك بمخ انسان ويضعه فى خلاط كهربائى ، ويدلق العصير فى أكواب ، ويشرب احداها بنهم !!

ومصور تليفزيون (ب . ب . س) يسجل هذه اللقطات بحرص شديد .. والمحقق التليفزيوني المتنكر المختبىء داخل صندوق زجاجى يحاول ان يسجل وسط رعبه وخوفه كل ما يحدث .. بينما مساعديه فى عربة التليفزيون الخارجية .. قد غابا عن وعيهما بفعل الأقراص المخدرة وكميات البيرة التى شرباها .. ولم يعد يهمهما ما يفعله زميلهما داخل المستشفى !

الهتاف ضد الجنرال

والفيلم يمضى فى ايقاع سريع .. ينسج من هذه المشاهد الغريبة والمجنونة ، لوحة ساخرة لا تترك شيئا فى هذا البناء الانجليزى ، الا وتخرج منه مادة متفجرة للضحك .. ففى داخل غرفة مدير المستشفى ينعكس كل ما يحدث على تصرفاته .. فيبدو مرتبكا ، عديم الحيلة ، يتصرف بتناقض شديد وبخوف أكبر فموعد الزيارة الملكية يقترب !!

وهناك وفد من القصر الملكى وأحد كبار

سينما

رجال بوليس اسكوتلاند يارد يطمئنون على اجراءات استقبال الملكة الام .. والتزام افراد المستشفى بقواعد الاتيكيت اللازمة فى هذه المناسبة الهامة . !! وتجرى اختبارات الاتيكيت وطريقة الانحناء للملكة .. بينما المظاهرات فى الخارج يشتد صوتها ، ويكتشفون من خلال نافذة غرفة المدير ان هناك مجموعة ضخمة من ابناء هذا البلد الافريقى يهتفون ضد الجنرال الهارب والمقيم فى المستشفى بحجة العلاج .. ويطالبون بتسليمه لهم ..

وينضم الى هؤلاء المتظاهرين ، مجموعات من الشباب الانجليزى لهذه القضية ، وأى قضية أخرى ، المهم ان يمارسوا الغضب والعنف !!

محاولة ساخرة

ومن اطرف مشاهد الفيلم .. هذا المشهد الذى يقرر فيه رجل بوليس اسكوتلاند يارد ان يتصل بالقصر الملكى ليلغى الزيارة فى هذا اليوم المضطرب .. فيمسك بجهاز التليفون ويدق نمرة القصر الملكى .. ويغلق الخط .. ويكرر نفس العملية مرة أخرى .. ليعلن فى النهاية بضيق شديد ان النمرة غلط فى كلتا المحاولتين !

وعندما يقترحون عليه ان يتصل بتليفون سيارة الملكة الام .. يعلن لهم ان تليفون السيارة معطل ! .

وأخيراً يقترحون عليه ان يتصل برؤسائه لتجهيز طائرة هيلكوبتر لايقاف سيارة الملكة .. يرد ببساط شديدة .. وكيف تطير الهيلكوبتر لتهبط فوق السيارة فى شوارع لندن !

وهكذا يعجز بوليس اسكوتلاند يارد عن الاتصال بالملكة !!

ووسط هذا الارتباك .. يقرر مدير المستشفى ان يهادن المتظاهرين .. وان يعلن استسلامه لطلباتهم .. ويمزق الثوب الأبيض لسكرتيرته ليصنع منه راية استسلام بيضاء ، يخرج بها ليعلن للمتظاهرين الغاء القسم المخصوص فى المستشفى .. ويهتف المتظاهرون بالانتصار .. وفى هذه الأثناء تدلف سيارة اسعاف تدق أجراسها بشدة .. لتفتح ابوابها .. ويسرع المرضون لحمل ركاب سيارة الاسعاف على النقالات والكراسى المتحركة .. لنكتشف ان هؤلاء الركاب هم الوفد الملكى ومن بينهم الملكة الأم !!

الفزع فى كل جانب

بينما داخل المستشفى يسرع الطبيب الجراح فى استكمال تصنيع الانسان الجديد .. لقد اكتشف الطبيب وجود المحقق التليفزيوني المتنكر ، داخل صندوق زجاجى فى معمله .. وببساطة شديدة ينهال على عنقه بالساطور ليفصل رأسه عن جسده .. ويلصق الرأس بالجسد الذى صنعه من اعضاء مختلفة ..

ويطلب الطبيب من الانسان الجديد الذى صنعه ، ان يتكلم .. فلا يستجيب له .. وبعصبية شديدة يحاول الطبيب فتح فم هذا الانسان حتى يخرج لسانه ويتكلم .. فما كان من الفم الا ان ينطبق على يد الطبيب .. ويصرخ الطبيب من الالم .. يحاول الطبيب تخليص يده من بين هذه الاسنان الحادة ويجذب يده بكل قوته .. وتكون النتيجة هو تفكك اجزاء جسد هذا الانسان المصنوع .. الرأس فى جانب والجسد فى جانب اخر يتحرك ويضرب فى كل اتجاه ويثير الفزع ويطبق على عنق مساعدة هذا الطبيب الجراح لخنقها !!

كيف ينتهى الفيلم ؟

المظاهرات فى الخارج تطالب بتسليم الجنرال الافريقى الهارب .. ويخرج الجنرال مستسلماً ، محمولا على هودج يمشى به حراسه الخصوصيون .. ومن ورائه متعلقاته ، ومن بينها زجاجة شمبانيا !!

ويتحرك بقية طابور مرضى القسم المخصوص .. كل منهم بأبهته ومتعلقاته المتميزة ..

ويكتشف المتظاهرون ان الملكة الام ، ووفداً ملكياً موجود حالياً داخل المستشفى .. فيشتد صراخهم وهتافهم .. وتزداد حركات العنف فى محاولة لاقتحام المستشفى .. ويسرع البوليس لتطويق المتظاهرين مستخدماً العصى الغليظة وكعوب بنادقهم .. ويسقط الجرحى فى دمائهم .. ويشتعل الموقف .. ويستخدم المخرج موسيقى السلام الانجليزى على مشاهد العنف والضرب والدم .. فى مزج شديد السخرية ما بين الصورة التى نراها والموسيقى التى نسمعها !!

ويخرج للمتظاهرين ، الطبيب الجراح يخطب فيهم « هل تؤمنون بالمستقبل ؟ » . يصيح احدهم « نعم » .. يشير اليهم الطبيب يدعوهم للدخول .. « تعالوا معى نرى المستقبل يتحقق امامنا الآن . انه الميلاد الجديد .. بداية عصر رائع من العلم ! » .

ويسرع الجميع الى قاعة ضخمة .. يجلسون على المقاعد .. ويواجهون نموذجاً هائلا لمخ الانسان صنعه هذا الطبيب الجراح بكل تفاصيل الاعصاب والشرايين والذاكرة والنطق .

وبعد خطبة حماسية عن العلم والمستقبل .. يبدأ فى تشغيل هذا المخ الذى صنعه .. وينبعث الصوت من السماعات الموزعة داخل القاعة ..انه صوت المخ .. ينطق بصوت متقطع ، متحشرج : « ماأسهل ان تصنع انساناً » .. ويتوقف الصوت عند الكلمة الأخيرة .. يرددها لكثر من مرة .

لقد تعطل الجهاز .. وتحول الصوت الى ما يشبه الاسطوانة المشروخة ! .

وينتهى الفيلم ! .

أو بمعنى أدق تنتهى خدعة ذلك العلم .. والحلم المستحيل بالمستقبل ..

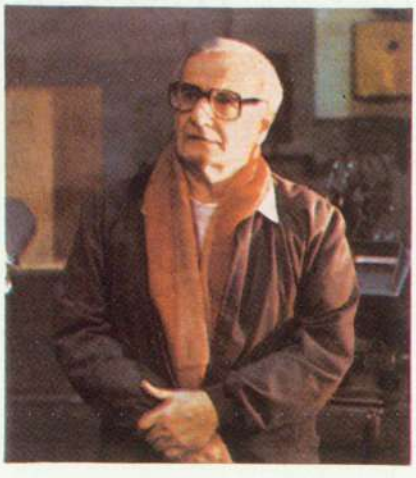
فكيف نصنع المستقبل وسط كل هذه الفوضى والجنون والانهيارات الداخلية والخارجية ؟ .

وكيف نؤمن بعالم مجنون يستخدم كل اسلحة العنف والهمجية ليحقق معجزة المستقبل ؟ .

إن المخرج يضع كل سخريته .. ويركزها .. ويلخصها فى مشهد النهاية .

هل هو فوضوي

والمخرج «ليندساى اندرسون» يصنفه بعض النقاد داخل اطار الفوضوية .. حيث



المخرج « ليندساي اندرسون » .. قدم فيلما اخذه عن حادثة حقيقية .



المحقق التليفزيوني الذى اراد ان يحقق سبقا تليفزيونيا داخل المستشفى .. قام بالدور الممثل الانجليزي « مالكولم ماكدويل » .

كل شيء بالنسبة له عبث .. الثورة .. والعلم .. والحاضر والمستقبل !

وقد نوافق على هذا التصنيف .. وقد نرفضه .

ولكن المخرج «اندرسون» يقول عن نفسه : «اعتقد اننى عاطفى بشدة .. وأيضاً مثالى بشدة بدرجة حساسة .. وربما احاول ان اضع التوازن بين هذا وذاك .. ببعض السخرية والتشكل » ! .

هذا المخرج الساخر

والمخرج «اندرسون» واحد من رواد حركة السينما الحرة بانجلترا فى الخمسينات .. له دراسات نقدية هامة .. وقدم عدداً من الافلام التسجيلية والقصيرة استحق بعضها جوائز عالمية .. وتولى منصب مدير معهد الفيلم البريطانى .

اول افلامه الطويلة .. اخرجه فى عمر الأربعين .. كان هذا عام ٦٣ .. وكان الفيلم بعنوان «هذه الحياة الرياضية» .. وعرض الفيلم فى مهرجان كان .. وحصل ممثله ريتشارد هاريس على الجائزة الكبرى فى التمثيل .

وفاز هو بالجائزة الكبرى لمهرجان كان عام ٦٩ عن فيلمه «لو» الذى قدم فيه اكتشافه للممثل الموهوب «مالكولم ماكدويل» والذى استمر معه فى افلامه التالية حتى فيلمه الاخير «مستشفى بريطانيا» .. ونفس الحال مع كاتب السيناريو «دافيد شيروين»

ومن اشهر افلامه «باله من رجل محظوظ» عام ٧٢ .

والواضح هو نسبة افلامه القليلة .. فقد اخرج ستة افلام خلال عشرين عاما .. وإن كان له نشاط واضح فى الاخراج المسرحى والاخراج التليفزيونى .. واحيانا التمثيل .. والمونتاج ..

سالوه اخيراً عن السينما الانجليزية .. فقال : (فى انجلترا لا توجد عملية خلق فنية .. ولكن يوجد نقاد كثيرون .. ومن هنا وجدنا انفسنا مدفوعين الى ركن معزول ، نفكر فى انفسنا كاشخاص صغار لا يحققون الربح مثل مخرجى امريكا .. ولا يحققون الفن مثل بعض مخرجى فرنسا .. وفى الحقيقة عندنا مجموعة صغيرة من النقاد لا يؤثرون فى الملايين .. ولكنهم فى النهاية عندهم قدرة غريبة على خلق جواً من عدم الثقة) .

وعن مدى ارتباط السينما الانجليزية بالواقع .. يقول : «بريطانيا ترفض ان تواجه الحقيقة ..» !

وبالنسبة لفيلمه الاخير (مستشفى بريطانيا) والسخرية الشديدة من المجتمع الانجليزى .. قال بصراحة شديدة :

«الانجليز اصبحوا شديدى الحساسية .. انهم لا يحبون الآن ان يضحكوا على انفسهم .. وربما كانوا لا يحبون هذا منذ زمن طويل .. ما عدا ان يحبوا انفسهم .. وفى هذا الوقت بالذات ليس مجدياً ان نهنىء الجنس البشرى على كل ما يحدث حولنا» !

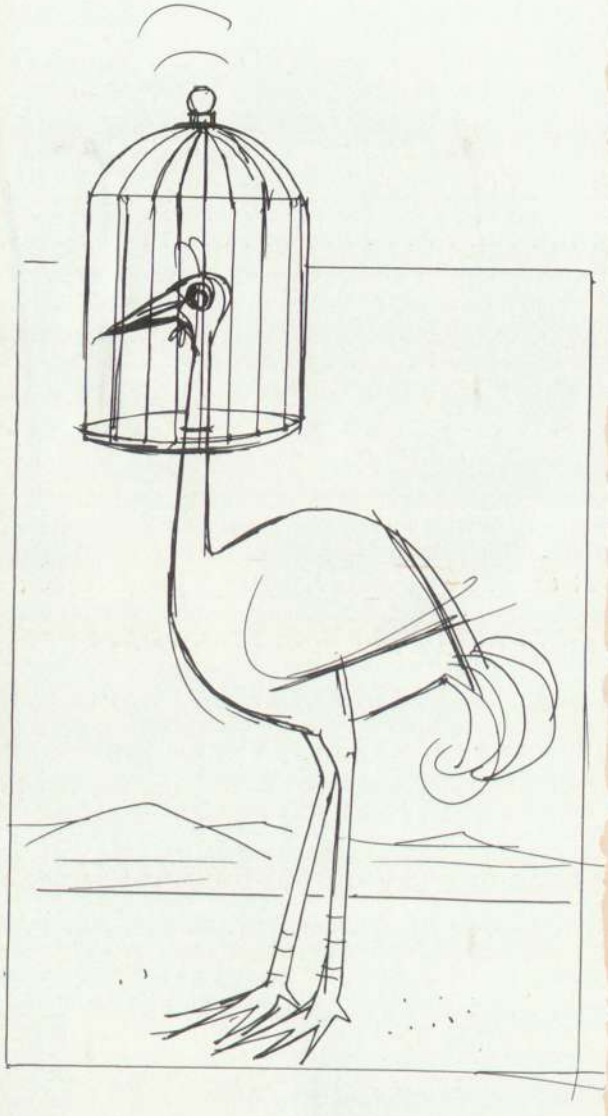
إن عيبه الواضح .. انه شديد القسوة .. لاذع السخرية !

«رءوف توفيق»



ضحكات الشهر مع

صلاح البيشي



ـ بدون كلام .. !!



ـ كوكو واوا .. يعنى بالعربي
دجاج فسدان .. !!



ـ .. واحد مات من الضحك لما عرف ان اسمه
بالعربي الفصيح .. هاتف .. وهو صامت .!!



بياع جرائد ـ .. الحق الملحق .. حل
مشكلة الشرق الأوسط .. !!



بدون كلام .. !!



(أحداث لبنـــان)

ـ .. من هيروشيما لبيروت ..
ياقلبي لا تحزن .. !!



(نزلات البرد)

مسجون لمسجون : ماأقدرش
أخرج .. لسه واخد دوش .. !!



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

يرجى من الاصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافات .

حاول أن تعرف •••



لهذا العالم مؤلفات فى الفلسفة والرياضة والطب واللغات ، كما برع فى ابتكار الآلات الموسيقية ، ووضع مؤلفاً ضخماً باسم « كتاب الموسيقى الكبير » جمع فيه اسرار هذه الصناعة من ناحيتها العلمية والفنية وقد توفى فى دمشق عام ٣٣٩ هـ .. من هو هذا العالم ؟ ..



هذه اللوحة من أعمال رسام ونحات شهير ، ولد فى توسكانيا ١٤٧٥ م ـ كان يستطيع وهو فى الستين ان يصنع تمثالا من الرخام فى خمس عشرة دقيقة ، يحتاج لجهد ثلاثين من الشبان يعملونه فى ساعة كاملة .. اشتهرت تماثيله ورسوماته بالدقة اذ تعبر عن التأمل ، والنعاس والسعادة أو الذعر أو البراءة .

من هو الفنان ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٨٠



صورة (١) الدولة هي الجزائر وتقع في شمال أفريقيا .

أسماء الفائزين : محمد موسى محمد السودان

هالة مروان موسي الامارات العربية المتحدة .



صورة (٢) العالم هو تقي الدين المقريزى .

أسماء الفائزين :

عبده على الهربيطي مصر

راشد مبارك الخليفي قطر

لقطة الشهر



من سينتصر؟

ـ فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال القارىء جان بطرس الخورى ـ لبنان .

هل تعلم؟

هل تعلم أن الانسان خلال ٢٤ ساعة يقوم بالأتى :

- التنفس ٢٣٫٠٠٠ مرة .
- استنشاق ٤٢٥ مكعب هواء منها ٨٥ مكعب اكسجين .
- يفرز لتراً من العرق .
- يفرز ربع رطل ثانى اكسيد الكربون
- يأكل حوالى ٤ أرطال طعام .
- يشرب فى المتوسط حوالى لترين من السوائل .
- يفرز ربع لتر من اللعاب .
- يدفع بـ٦ لترات من الدم خلال أوعيته الدموية التى يصل طولها الى ٦٠ الف ميل .

د . أحمد خليفة الديك
الأسكندرية

ابن المقفع



ابن المقفع هو الأديب الشاب الحكيم الذى اشتهر بالعقل والتفكير ونفاذ البصر فى الأمور ، كان فارسياً ، وقد اراد ان ينقل الى لغة العرب حكمة الهنود واليونان والفرس وغيرهم من الشعوب القديمة ، فترجم «كليلةودمنة» وجمع كتابى الأدب الصغير ، والأدب الكبير وتعنى كلمة «ادب» فى نظر ابن المقفع التهذيب الخلقى والرياضة النفسية . قال النبى « صلى الله عليه وسلم » أدبنى ربى فأحسن تأديبى . لذلك اطلق ابن المقفع على كتابيه اسم الأدب لأنهما يتناولان أموراً أخلاقية فى جوهرهما .

موسى حميد ـ اليمن

دوحة القراء



مسابقة الدوحة

من : اريل شارون
اين : لبنان
ما : الوهن

الاجابة الصحيحة :
١ ـ ذات الفلقة الواحدة
٢ ـ بريا
٣ ـ فارسى
٤ ـ ٦ مرات
٥ ـ جونيه وبحمدون
٦ ـ توفى الملك عبد العزيز ال سعود فى عام ١٩٥٣م
٧ ـ ١٣٠ مليون سنة
٨ ـ هذه العبارة صحيحة حيث ان اسحاق انجب يعقوب ويعقوب انجب الاثنى عشر سبطاً من اليهود .
٩ ـ واحتمل الاذى ورؤية جانيه .
غذاء تضوي به الاجسام .
لابي الطيب المتنبي
١٠ـ ابو الفتح الشهرستاني

حل مسابقة العدد ٨٠

مَن ؟	أين ؟	ما ؟
من : الأثر الوحيد الباقي من عجائب الدنيا السبع اسمه مكون من سبعة أحرف :	أين : مكان تلقى فيه الأسطول الأمريكي ضربة خاطفة لن ينساها : اسمه مكون من كلمتين من تسعة أحرف .	مـا : كلمة مفتقدة فى الأمة العربية لو وجدت الآن لما استباح اليهود الأرض العربية مكونة من ٦ أحرف
٧ ـ ٤ ـ ٥ حيوان للركوب ٤ ، ٥ ، ٦ ، والهمزة فى الحرف الثالث بمعنى الضحك	١ ـ ٨ الاسم الرمزي لمثلة مشهورة .	٣ ـ ١ ـ ٤ ـ ٥ تمثل رقماً .
	٨ ـ ٢ ـ ٩ مكان لجلب الماء	٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٦ عمل فني

الإجابة الصحيحة

١ ـ اول انسان هبط على سطح القمر كان في يوم ٢١ يوليو :
١٩٧٠ ـ ١٩٧٢ ـ ١٩٦٩
٢ ـ ظلت مدينة استانبول عاصمة تركيا والخلافة العثمانية ثم انتقلت العاصمة إلى مدينة انقرة:
سنة ١٩١٩ ـ ١٩٠٠ ـ ١٩٢٣
٣ ـ اشهر دار للاوبرا فى العالم اوبرا لاسكالا حيث توجد :
باريس ـ ميلانو ـ لندن
٤ ـ ولد الموسيقار الالماني العالمي بيتهوفن فى مدينة بون عام :
١٧٨٠ ـ ١٧٧٠ ـ ١٧٧٥
٥ ـ جاء اسم مصر فى القرآن الكريم :
٤ مرات ـ ٥ مرات ـ ٣ مرات .
٦ ـ اول من الف معجماً لغوياً عربياً هو :
ابو الأسود الدولي ـ سيبويه ـ الخليل بن احمد .
٧ ـ الحرب الأهلية الامريكية وهي النزاع الذى نشب بين الولايات الشمالية والجنوبية بسبب رغبة الجنوب فى الانفصال بدات سنة ١٦٨١ وانتهت :
١٨٧٠ ـ ١٨٦٢ ـ ١٨٦٥
٨ ـ الاستاتيكا فرع من فروع العلم يبحث فى تاثيرات القوى على الأجسام عندما تكون فى حالة :
حركة ـ سكون ـ انعدام
٩ ـ ساعيش رغم الداء والاعداء اكمل البيت وانسبه الى قائله .
١٠ـ « إن اختياري محمداً ليكون الأول فى قائمة اهم رجال التاريخ قد يدهش القراء ولكنه الرجل الوحيد فى التاريخ الذى حقق اعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي »
هذه الفقرة من كتاب المائة الاوائل لمؤلفه :
برترند راسل ـ خيرى حماد ـ مايكل هارت .

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ دوري الكاريكاتير : الحل (رقم ٤)
الفائز : صديق احمد عبد القادر الهند
حافظ ابراهيم عبد القادر البحرين
٢ ـ لعبة الظلال (رقم ٢)
الفائزة : ريم راشد محمد خميس قطر
عبد السلام دسوقي كنعان الأردن
٣ ـ لوحة لم تتم : عباس العقاد .
الفائز : وسامة عقاد السعودية
على محمد رشاد اليمن الشمالي
٤ ـ يخلق من الشبه اربعين (رقم ٦)
الفائز: خميس سيف راشد سلطنة عمان
فلاح جاسم نايف الكويت
٥ ـ المثل بيقول : ضرب الحبيب زى اكل الزبيب .

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطري ، واشتراك لمدة نصف سنة :
القاريء : محمد فراس كمال
الامارات العربية المتحدة
فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القاريء خالد صلاح الدين عبد العزيز ـ مصر
فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطري القاري :
مرشدي محمد زهران . المملكة العربية السعودية .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ طبـــاق نزهـــة المغـــرب
٢ ـ يعقوب هجـو احمـد السـودان
٣ ـ يوسف سليمان داود قطـــر
٤ ـ محمد الحسن عباس السودان
٥ ـ أحمد محمد السلكاوي مصـــر
٦ ـ محمد عبد الله أحمد السيد. مصـر
٧ ـ مامون سعد الموسى . الامارات العربية المتحدة
٨ ـ عبد الرحمن عقيلة ليبيـــا
٩ ـ اكـــرم زعـــل الأردن
١٠ـ عبد الوهاب علي الارياني . قطـر

استراحة الدوحة العدد ٨٠

الفائز: محمد ناصر محمد علي. السودان
عبد الله محمد بدوي مصـــر
٦ ـ اصل وصورة :

١ ـ قرص الشمس ٢ ـ شـــعر عروس البحر ٣ ـ ملابس عروس البحر ٤ ـ السمكة الصغيرة ٥ ـ شارب الشـــاب
٦ ـ قدم الشاب ٧ ـ عدد القلوب .
الفائز : خالد على بن رابحة ليبيـا
يسري حسن قطـــاطو الأردن
٧ ـ اجمل تعليق :
ـ طال انتظاري على جمر ناري ، ولا انت داري .
دكتور : ابراهيم فهمي موسى مصـــر

سمعت الشـــــــاي

الشاى معروف فى موطنه الأصلى الهنـد واليابان وسيلان من زمن قديم ولكن أول دولة عرفته هى الصين وأول انسان شرب الشاى هو امبراطور الصين « شن توانج » سنة ٢٧٣٧ قبل الميلاد .

ثم انطلق الشاى من الصين الى ارجـــاء العالم لكنه لم يعرف فى أوروبا الا منذ حوالى ٣٦٠ سنة .



والشاى أصلا نبات ذو ساق طويلة وأوراق مسننة صغيرة دائم الخضرة وله زهرة بيضاء اللون . وهو نبات معمر ، ولا تقطف أوراقه الا بعد ثلاث سنين من زرعه ويجنى الشاى عدة مرات فى السنة .

ويختلف الشاى طعما ونكهة من منطقة لأخرى لاختلاف أشجاره المتعددة .

والشاى نوعان احدهما الأخضر والاخر ما يسمى بالشاى الأسود وهو أنواع فمنه السيلانى والهندى والصينى .

وبالطبع للشاى فوائد ومضار فمن فوائده احتواؤه على مادتى الكامنين والتيوفيللين اللتين تعتبران من المواد المقوية للقلب والمنبهة للاعصاب.

اما عن بعض اضرار الشاى فهو يحتوى على مادة التانين التى تعمل على الامساك وتناول الشاى يسبب الأرق والاستعداد للبدانة

سامي عبد الله كريشان
عمـــان ـ الأردن

قرأت مالك بن نبي

مفكر جزائرى كبير ، تخصصت كتاباته فى دراسة مشاكل العالم الاسلامى وخاصة الاستعمار والقابلية للاستعمار ، واشتهر عنه قوله انه لكى لا نكـــون مستعمرين يجب أولا ألا نكون قابلين للاستعمار .

وقد اقترح فكرة كومونويلث اسلامى لحل مشاكل المسلمين . من أهم مؤلفاته « الظاهرة القرآنية » ـ وجهة العالم الاسلامى ـ شروط النهضة ـ فكرة الافريقية الآسيوية ـ مشكلة الثقافة .

ومن أشهر أقواله الخالدة :

« ان ارادة الشعوب طاقة من طاقات الطبيعة التى تقلب التقديرات،طاقة لا يمكن أن يقاومها سد مهما كان متينا محكما . وان انتصار ارادة هذه الشعوب على محاولات الكبار لهو قدرحتمي من أقدار التاريخ » .

يحياوى فاقع
سطيف ـ الجزائر

استراحة الدوحة



مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رووف

أصل وصورة





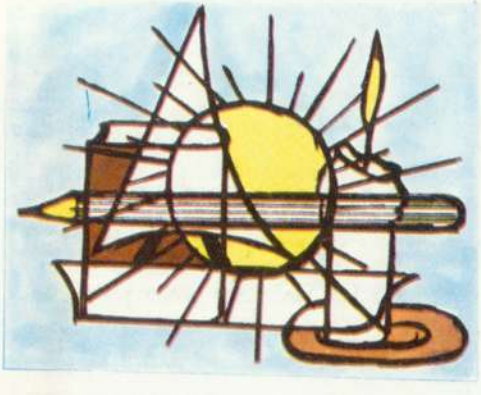
هناك سبع اختلافات بين اصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى الساخر .. هل تستطيع التعرف عليها ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا) .

المثل يقول



هل تعرف المثل العربى الذى ينطبق على هذا الرسم الكاريكاتيرى الساخر ..؟ اذا عرفت ماذا يقول المثل (لك جائزة ٦٠ ريالا)

لأقوياء الملاحظة فقط!



امامك رسوم لستة أشياء متداخلة هل تستطيع التعرف عليها- ؟ .. إذا عرفت الحل .. ارسله الينا . لتحصل على (جائزة ٦٠ ريالا)

دوري الكاريكاتير



● اقتحم أحد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ . وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم .. هل تستطيع ان تحدد من هو صاحب الهدف وما رقم فانلته . بدون الاستعانة بالقلم . ؟ اذا استطعت فجائزتك (٦٠ ريالا) .

لعبة الظلال



هل تستطيع ان تساعد هذا اللاعب فى الحصول على ظله الصحيح بين هذه الظلال الثلاثة- ؟ . (الجائزة ٦٠ ريالا) .

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لستة أشخاص يشبهون الفنان الكبير محمود المليجى .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماماً وفى البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف على اللوحة ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا) .

هات أجمل تعليق :



هل تستطيع ان تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى- ؟ حاول وأرسله الينا لتفوز بجائزة (٦٠ ريالا)

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القاريء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :

اللغويات النظرية والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنة – الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية – الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية – الدراسات التاريخية – الدراسات الجغرافية – الدراسات التربوية – الدراسات حول الفنون (الموسيقى – التراث الشعبي – الفنون التشكيلية – النحت ... الخ) – الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .

- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :

البحوث والدراسات – مراجعات الكتب – التقارير العلمية – المناقشات الفكرية .

- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس

للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
– للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
– للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
– للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة) الكويت – الشويخ – ت : ٨٢١٦٣٩ – ٨١٧٦٨٩ – ٨١٥٤٥٣



بيبسى

مشْـروب الجيـل الصَاعدْ



زيّ من الخليج